معادن الجواهر و نزهة الخواطر

المجتهد الأكبر
السيد محسن الأمين
رضوان الله عليه

الجزء الثاني

دار الزهراء
بيروت

معادن الجواهر
و
نزهة الخواطر

الجزء الثاني

المجتهد الأكبر
السيد محسن الأمين
«رضوان الله عليه»

شبكة الفكر
alfeker.net

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
١٤٠١هـ - ١٩٨١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

(وبعد) ،

فيقول العبد الفقير إلى عفو ربه الغني محسن ابن المرحوم السيد عبد الكريم الحسيني العاملي هذا هو الجزء الثاني من كتابنا (معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر)

ونرجو من كرمه تعالى أن يكون مكتوباً في ديوان الحسنات مقبولاً لدى فضلاء العصر وأدبائه وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وبه اعتصمت واستعنت وهو حسبي ونعم الوكيل .

الباب الرابع

في الاحتجاجات وما يجري مجراها
والقضايا العجيبة لأمير المؤمنين (ع)

وفيه فصلان :

الفصل الأول

في الاحتجاجات وما يجري مجراها

وفيه فوائد :

في العقد الفريد لأحمد بن عبد ربه الأندلسي المالكي ما صورته

احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي

(١) إسحق بن إبراهيم بن إسماعيل بن حماد بن زيد (قال) بعث إلي يحيى بن أكثم وإلى عدة من أصحابي وهو يومئذ قاضي القضاة فقال ان أمير المؤمنين أمرني أن أحضر معي غداً مع الفجر أربعين رجلاً كلهم فقيه يفقه ما يقال له ويحسن الجواب فسموا من تظنونه يصلح لما يطلب أمير المؤمنين فسميتا له عدة وذكر هو عدة حتى تم العدد الذي أراد وكتب تسمية القوم وأمر بالبكور في السحر وبعث إلى من يحضر فأمره بذلك فغدونا عليه قبل طلوع الفجر فوجدناه قد لبس ثيابه وهو جالس ينتظر فركب وركبنا معه

حتى صرنا إلى الباب فإذا بخادم واقف فلما نظر إلينا قال يا أبا محمد أمير المؤمنين ينتظرك فأدخلنا فأمرنا بالصلاة فأخذنا فيها فلم نتمها حتى خرج الرسول فقال ادخلوا فدخلنا فإذا أمير المؤمنين جالس على فراشه وعليه سواده وطيلسانه والطويلة وعمامته فوقفنا وسلمنا فرد السلام وأمرنا بالجلوس فلما استقربنا المجلس تحدر عن فراشه ونزع عمامته وطيلسانه ووضع قلنسوته ثم أقبل علينا فقال إنما فعلت ما رأيتم لتفعلوا مثل ذلك واما الخف فمنع من خلعه علة من قد عرفها منكم فقد عرفها ومن لم يعرفها وعرفه بها ومد رجله وقال انزعوا قلانسكم وخفافكم وطيالستكم فأمسكنا فقال لنا يحيى انتهوا إلى ما أمركم به أمير المؤمنين فتنحينا فنزعنا أخفافنا وطيالستنا وقلانسنا ورجعنا فلما استقر بنا المجلس قال إنما بعث إليكم معشر القوم في المناظرة فمن كان به شيء من الخبثين لم ينتفع بنفسه ولم يفقه ما يقول فمن أراد منكم الخلاء فهناك وأشار بيده فدعونا له .

ثم ألقى مسألة في الفقه فقال يا أبا محمد قل وليقل القوم من بعدك فأجابه يحيى ثم الذي يلي يحيى ثم الذي يليه حتى أجاب آخرنا في العلة وعلة العلة وهو مطرق لا يتكلم حتى إذا انقطع الكلام التفت إلى يحيى فقال يا أبا محمد أصبت الجواب وتركت الصواب في العلة ثم لم يزل يرد على كل واحد منا مقالته ويخطىء بعضاً ويصوب بعضاً حتى أتى على آخرنا (ثم قال) إني لم أبعث إليكم لهذا ولكني أحببت أن أبسطكم ان أمير المؤمنين أراد مناظرتكم في مذهبه الذي هو عليه والذي يدين الله به قلنا فليفعل أمير المؤمنين وفقه الله .

فقال ان أمير المؤمنين يدين الله ان علي بن أبي طالب خير خلفاء الله بعد رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأولى الناس بالخلافة .

قال إسحق فقلت يا أمير المؤمنين إن فينا من لا يعرف ما ذكر أمير

المؤمنين في علي وقد دعانا أمير المؤمنين للمناظرة (فقال) يا إسحق اختر إن شئت أسألك وإن شئت أن تسأل فقل (قال) إسحق فاغتنمتها منه فقلت بل أسألك يا أمير المؤمنين قال سل (قلت) من أين قال أمير المؤمنين ان علي ابن أبي طالب أفضل الناس بعد رسول الله (ص) وأحقهم بالخلافة بعد (قال) يا إسحق خبرني عن الناس بم يتفاضلون حتى يقال فلان أفضل من فلان (قلت) بالأعمال الصالحة (قال) صدقت فأخبرني عمن فضل صاحبه على عهد رسول الله (ص) ثم إن المفضول عمل بعد وفاة رسول الله (ص) بأفضل من عمل الفاضل على عهد رسول الله (ص) أيلحق به فأطرقت (فقال) لي يا إسحق لا تقل نعم فإنك إن قلت نعم أوجدتك في دهرنا هذا من هو أكثر منه جهاداً وحجاً وصياماً وصلاة وصدقة فقلت أجل يا أمير المؤمنين لا يلحق المفضول على عهد رسول الله (ص) الفاضل أبداً (قال) يا إسحق فانظر ما رواه لك أصحابك ومن أخذت عنهم دينك وجعلتهم قدوتك من فضائل علي بن أبي طالب فقس عليها ما أتوك به من فضائل أبي بكر فإني رأيت فضائل أبي بكر تشاكل فضائل علي فقل انه أفضل منه لا والله ولكن نفس إلى فضائله ما روي لك من فضائل أبي بكر وعمر فإن وجدت لهما من الفضائل ما لعلي وحده فقل ايهما أفضل منه لا ولكن قس إلى فضائله فضائل أبي بكر وعمر وعثمان فإن وجدتها مثل فضائل علي فقل انهم أفضل منه لا والله ولكن قس بفضائل العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة فإن وجدتها تشاكل فضائله فقل انهم أفضل منه .

(قال) يا إسحق أي الأعمال كانت أفضل يوم بعث الله رسوله (قلت) الإخلاص بالشهادة (قال) أليس السبق إلى الإسلام (قلت) نعم (قال) اقرأ ذلك في كتاب الله تعالى يقول « والسابقون السابقون أولئك هم المقربون » إنما عنى من سبق إلى الإسلام فهل علمت أحداً سبق علياً إلى الإسلام (قلت)

يا أمير المؤمنين إن علياً أسلم وهو حديث السن لا يجوز عليه الحكم وأبو بكر أسلم وهو مستكمل يجوز عليه الحكم (قال) أخبرني أيهما أسلم قبل ثم أناظرك من بعده في الحداثة والكمال (قلت) علي أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة (قال) نعم فأخبرني عن إسلام علي حين أسلم لا يخلو من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله (قال) فأطرقت (فقال) لي يا إسحق لا تقل إلهاماً فتقدمه على رسول الله (ص) لأن رسول الله (ص) لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبريل عن الله تعالى (قلت) أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام (قال) يا إسحق فهل يخلو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاه إلى الإسلام من أن يكون دعاه بأمر الله أو تكلف ذلك من نفسه (قال) فأطرقت فقال يا إسحق لا تنسب رسول الله إلى التكلف فإن الله يقول وما أنا من المتكلفين (قلت) أجل يا أمير المؤمنين بل دعاه بأمر الله (قال) فهل من صفة الجبار جل ذكره ان يكلف رسله دعاء من لا يجوز عليه حكم (قلت) أعوذ بالله (فقال) أفتراه في قياس قولك يا إسحق إن علياً أسلم صبياً لا يجوز عليه الحكم قد كلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من دعاء الصبيان ما لا يطيقون فهل يدعوهم الساعة ويرتدون بعد ساعة فلا يجب عليهم في ارتدادهم شيء ولا يجوز عليهم حكم الرسول عليه السلام أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) أعوذ بالله (قال) يا إسحق فأراك إنما قصدت لفضيلة فضل بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً على هذا الخلق ابانه بها منهم ليعرفوا فضله ولو كان الله أمره بدعاء الصبيان لدعاهم كما دعا علياً (قلت) بلى (فقال) فهل بلغك أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا أحداً من الصبيان من أهله وقرابته لئلا تقول ان علياً ابن عمه (فقلت) لا أعلم ولا أدري فعل أو لم يفعل (قال) يا إسحق أرأيت ما لم تدره ولم

تعلمه هل تسأل عنه (قلت) لا (قال) فدع ما قد وضعه الله عنا وعنك .

(قال) ثم أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام (قلت) الجهاد في سبيل الله (قال) صدقت فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تجد لعلي في الجهاد (قلت) في أي وقت (قال) في أي الأوقات شئت (قلت) بدر (قال) لا أريد غيرها فهل تجد لأحد إلاّ دون ما تجد لعلي يوم بدر (أخبرني) كم قُتل يوم بدر (قلت) نيف وستون رجلاً من المشركين قال) فكم قتل علي وحده (قلت) لا أدري (قال) ثلاثة وعشرين أو اثنين وعشرين والأربعون لسائر الناس (قلت) يا أمير المؤمنين كان أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عريشة (قال) يصنع ماذا (قلت) يدبر (قال) ويحك يدبر ؟ دون رسول الله أو معه شريك أم افتقاراً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى رأيه أي الثلاث أحب إليك (قلت) أعود بالله أن يدبر أبو بكر دون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو يكون معه شريكاً أو أن يكون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم افتقاراً إلى رأيه (قال) فما الفضيلة بالعريش إذا كان الأمر كذلك أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممن هو جالس (قلت) يا أمير المؤمنين كل الجيش كان مجاهداً (قال) صدقت كل مجاهد ولكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن الجالس أفضل من الجالس أما قرأت كتاب الله (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً) قلت وكان أبو بكر وعمر مجاهدين (قال) فهل كان لأبي بكر وعمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد

(قلت) نعم (قال) فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر وعمر (قلت) أجـل .

(قال) يا إسحق هل تقرأ القرآن (قلت) نعم (قال) إقرأ عليَّ (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً) فقرأت منها حتى بلغت (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) إلى قوله (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً) قال على رسلك فيمن أنزلت هذه الآية (قلت) في علي (قال) فهل بلغك ان علياً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال (إنما نطعمكم لوجه الله) وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به علياً (قلت) لا (قال) صدقت لأن الله جل ثناؤه عرف سيرته يا إسحق ألست تشهد أن العشرة في الجنة (قلت) بلى يا أمير المؤمنين (قال) أرأيت لو أن رجلاً قال والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله أكان عندك كافراً (قلت) أعوذ بالله (قال) أرأيت لو أنه قال ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافراً (قلت) نعم (قال) يا إسحق أرى بينهما فرقاً .

يا إسحق أتروي الحديث (قلت) نعم (قال) فهل تعرف حديث الطير (قلت) نعم (قال) فحدثني به فحدثته الحديث (قال) يا إسحق إني كنت أكلمك وأنا أظنك غير معاند للحق فأما الآن فقد بان لي عنادك انك توقن ان هذا الحديث صحيح (قلت) نعم رواه من لا يمكنني رده (قال) أفرأيت ان من أيقن ان هذا الحديث صحيح ثم يزعم ان أحداً أفضل من علي لا يخلو من إحدى ثلاث ، من أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنده مردودة عليه ، أو أن يقول عرف الفاضل من خلقه وكان المفضول أحب إليه ، أو أن يقول ان الله عز وجل لم يعرف الفاضل من المفضول فأي

الثلاثة أحب إليك أن تقول فأطرقت (ثم قال) يا إسحق لا تقل منها شيئاً فإنك إن قلت منها شيئاً استتبتك وإن كان للحديث عندك تأويل غير هذه الثلاثة الأوجه فقله (قلت) لا أعلم وإن لأبي بكر فضلاً (قال) أجل لولا ان له فضلاً لما قيل ان علياً أفضل منه فما فضله الذي قصدت له الساعة .

(قلت) قول الله عز وجل « ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » فنسبه إلى صحبته (قال) يا إسحق أما اني لا أحملك على الوعر من طريقك إني وجدت الله تعالى نسب إلى صحبة من رضيه ورضي عنه كافراً وهو قوله (فقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً) قلت إن ذلك كان صاحباً كافراً وأبو بكر مؤمن (قال) فإذا جاز أن ينسب إلى صحبة من رضيه كافراً جاز أن ينسب إلى صحبة نبيه مؤمناً وليس بأفضل المؤمنين ولا الثاني ولا الثالث (قلت) يا أمير المؤمنين إن قدر الآية عظيم إن الله يقول (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) قال يا إسحق تأبى الآن إلاّ أن أخرجك إلى الاستقصاء عليك (اخبرني) عن حزن أبي بكر أكان رضاً لله أم سخطاً (قلت) إن أبا بكر إنما حزن من أجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خوفاً عليه وغماً أن يصل إلى رسول الله شيء من المكروه (قال) ليس هذا جوابي إنما كان جوابي ان تقول رضاً أم سخط (قلت) بل كان رضاً لله (قال) فكان الله جل ذكره بعث رسولاً ينهى عن رضا الله عز وجل وعن طاعته (قلت) أعوذ بالله (قال) أو ليس قد زعمت أن حزن أبي بكر رضاً لله (قلت) بلى (قال) أو لم تجد أن القرآن يشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لا تحزن نهياً عن الحزن (قلت) أعوذ بالله (قال) يا إسحق إن مذهبي

الرفق بك لعل الله يردك إلى الحق ويعدل بك عن الباطل لكثرة ما تستعيذ به (وحدثني) عن قول الله فأنزل الله سكينته عليه من عنى بذلك رسول الله أم أبو بكر (قلت) بل رسول الله (قال) صدقت (قال) فحدثني عن قول الله عز وجل (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) إلى قوله (ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) أتعلم من هم المؤمنين الذين أراد الله في هذا الموضع (قلت) لا أدري يا أمير المؤمنين (قال) الناس جميعاً انهزموا يوم حنين ولم يبقَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ سبعة نفر من بني هاشم علي يضرب بسيفه بين يدي رسول الله والعباس آخذ بلجام بغلة رسول الله والخمسة محدقون به خوفاً من أن يناله من جراح القوم شيء حتى أعطى الله لرسوله الظفر فالمؤمنون في هذا الموضع علي خاصة ثم من حضر من بني هاشم (قال) فمن أفضل من كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الموقف أم من انهزم عنه ولم يره الله موضعاً لينزلها عليه (قلت) بل من أنزلت عليه السكينة .

(قال) يا إسحق من أفضل من كان معه في الغار أم من نام على فراشه ووقاه بنفسه حتى تم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد من الهجرة إن الله تبارك وتعالى أمر رسوله أن يأمر علياً بالنوم على فراشه وأن يقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه فأمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فبكى علي عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله ما يبكيك يا علي أجزعاً من الموت قال لا والذي بعثك بالحق يا رسول الله ولكن خوفاً عليك أفتسلم يا رسول الله قال نعم قال سمعاً وطاعة وطيبة نفس بالفداء لك يا رسول الله ثم أتى مضجعه واضطجع وتسجى بثوبه وجاء المشركون من قريش فحفوا به لا يشكون أنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد

أجمعوا أن يضربه من كل بطن من بطون قريش رجل ضربة بالسيف لئلا يطلب الهاشميون من البطون بطناً بدمه وعلي يسمع ما القوم فيه من ائتلاف نفسه ولم يدعه ذلك إلى الجزع كما جزع صاحبه في الغار ولم يزل علي صابراً محتسباً فبعث الله ملائكة فمنعته من مشركي قريش حتى أضبح فلما أصبح قام فنظر القوم إليه فقالوا أين محمد قال وما علمي بمحمد أين هو قالوا فلا نراك إلاّ مغروراً بنفسك منذ ليلتنا فلم يزل على أفضل ما بدأ به يزيد ولا ينقص حتى يفضه الله إليه .

يا إسحق هل تروي حديث الولاية (قلت) نعم يا أمير المؤمنين قال اروه فعلت قال يا إسحق أرأيت هذا الحديث هل أوجب على أبي بكر وعمر له ما لم يوجب عليه (قلت) ان الناس ذكروا ان الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة لشيء جرى بينه وبين علي وأنكر ولاء علي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه (قال) في أي موضع قال هذا أليس بعد منصرفه من حجة الوداع (قلت) أجل (قال) فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير كيف رضيت لنفسك بهذا أخبرني لو رأيت آبناً لك قد أتت عليه خمس عشرة سنة يقول مولاي مولى ابن عمي أيها الناس فاعلموا ذلك أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون (قلت) اللهم نعم (قال) يا إسحق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال في كتابه اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ولم يصلوا لهم ولا صاموا ولاً زعموا أنهم أرباب ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم .

يا إسحق أتروي حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى (قلت)

نعم يا أمير المؤمنين قد سمعته وسمعت من صححه وجحده (قال) فمن أوثق عندك من سمعت منه فصححه أو من حجده (قلت) من صححه (قال) فهل يمكن أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مزح بهذا القول (قلت) أعوذ بالله (قال) فقال قولاً لا معنى له فلا يوقف عليه (قلت) أعوذ بالله (قال) أفما تعلم أن هرون كان أخا موسى لأبيه وأمه (قلت) بلى (قال) فعلي أخو رسول الله لأبيه وأمه (قلت) لا (قال) أوليس هرون نبياً وعلي غير نبي (قلت) بلى (قال) فهذان الحالان معدومان في علي وقد كانا في هرون فما معنى قوله أنت مني بمنزلة هرون من موسى (قلت) له إنما أراد أن يطيب بذلك نفس علي لما قال المنافقون انه خلفه استثقالاً له (قال) فأراد أن يطيب نفسه بقول لا معنى له (قال) فأطرقت (قال) يا إسحق له معنى في كتاب الله بين (قلت) وما هو أمير المؤمنين (قال) قوله عز وجل حكاية عن موسى انه قال لأخيه هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين (قلت) يا أمير المؤمنين إن موسى خلف هرون في قومه وهو حي ومضى إلى ربه وان رسول الله خلف علياً كذلك حين خرج إلى غزاته (قال) كلا ليس كما قلت . اخبرني عن موسى حين خلف هرون هل كان معه حين ذهب إلى ربه أحد من أصحابه أو أحد من بني إسرائيل (قلت) لا (قال) أو ليس استخلفه على جماعتهم (قلت) نعم (قال) فأخبرني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج إلى غزاته هل خلف إلا الضعفاء والنساء والصبيان فإني يكون مثل ذلك . وله عندي تأويل آخر من كتاب الله يدل على استخلافه إياه لا يقدر أحد أن يحتج فيه ولا اعلم أحداً احتج به وأرجو أن يكون توفيقاً من الله (قلت) وما هو يا أمير المؤمنين (قال) قوله عز وجل حين حكى عن موسى قوله (واجعل لي وزيراً من أهلي هرون أخي اشدد به ازري

واشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بناً بصيراً) فأنت مني يا علي بمنزلة هرون من موسى وزيري من أهلي وأخي شد الله به ازري واشركه في أمري كي نسبح الله كثيراً ونذكره كثيراً فهل يقدر أحد أن يدخل في هذا شيئاً غير هذا ولم يكن ليبطل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم وان يكون لا معنى له .

قال فطال المجلس وارتفع النهار فقال يحيى بن أكثم القاضي يا أمير المؤمنين قد أوضحت الحق لمن أراد الله به الخير وأثبتّ ما لا يقدر أحد أن يدفعه (قال إسحق) فأقبل علينا وقال ما تقولون فقلنا كلنا نقول بقول أمير المؤمنين أعزه الله فقال والله لولا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اقبلوا القول من الناس ما كنت لأقبل منكم القول اللهم قد نصحت لهم القول اللهم اني قد أخرجت الأمر من عنقي اللهم اني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته . انتهى ما أورده ابن عبد ربه في العقد الفريد من احتجاج المأمون على القضاة والعلماء والفقهاء .

* * *

(٢) ذكر المرتضي رضي الله عنه في مقدمة الانتصار الذي صنفه لذكر المسائل التي انفردت بها الإمامية وشُنع عليهم فيها بأنهم خالفوا الإجماع مع أن أكثرها يوافقهم فيها العلماء المتقدمون والمتأخرون وما ليس لهم فيه موافق عليه من الحجج والأدلة ما يغني عن الموافق ما حاصله

إن الشناعة إنما تكون في المذهب الذي لا دليل عليه لأنه باطل اما ما عليه دليل فهو الحق اليقين ولا يضره الخلاف ولا قلة عدد القائل كما لا ينفع في الأول كثرة عدد الذاهب إليه وإنما يسئل صاحب المذهب عن دليله لا عمن يوافقه عليه او يخالفه على أنه ما من أحد من فقهاء الأمصار إلاّ له مذاهب

تفرد بها فكيف يشنع على الشيعة فيما انفردت به ولم يشنع على غيرهم فيما انفرد به كأبي حنيفة والشافعي ومالك ومن تأخر عنهم (فإن قالوا) كل مذهب تفرد به أبو حنيفة فله موافق من فقهاء الكوفة أو من السلف وكذلك ما انفرد به الشافعي له فيه موافق من أهل الحجاز ومن السلف وليس كذلك الشيعة (قلنا) ليس كل مذهب تفرد به أبو حنيفة او الشافعي يعلم أن أهل الكوفة أو الحجاز أو السلف قائلون به والشيعة تدعي وتروي ان مذاهبها التي انفردت بها هي مذاهب جعفر بن محمد الصادق ومحمد بن علي الباقر وعلي ابن الحسين زين العابدين بل تروي هذه المذاهب عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وتسندها إليه فاجعلوا لهم من ذلك ما جعلتموة لأبي حنيفة والشافعي وفلان وفلان وأنزلوهم على الأقل منزلة ابن حنبل وداود ومحمد بن جرير الطبري فإنكم تعدونهم خلافاً فيما انفردوا به ولا تعدون الشيعة خلافاً فيما انفردت به وهذا ظلم وحيف (فإن قالوا) لو كان ما تدعيه الشيعة مذاهب للباقر والصادق عليهم السلام حقاً حقاً لوجب أن نعلمه كما علموه كما علمت الشيعة بمذاهب سلفنا من أبي حنيفة والشافعي وغيرهما (قلنا) ليس يجب أن يعلم الأجانب من مذهب العالم ما يعلمه أصحابه وملازموه على أنا لا نعلم كثيراً من المذاهب التي يدعونها مذهباً لأمير المؤمنين عليه السلام ونروي عنه خلافها فعذرهم في عدم معرفتنا ذلك هو عذرنا في عدم معرفتهم ما نحكيه عن أمير المؤمنين وعلماء أبنائه وكيف علمنا صحة ما تحكونه مذهباً لأبي حنيفة والشافعي ولم نعلم ذلك في كل ما تدعونه مذهباً لأمير المؤمنين عليه السلام ففرقكم بين الأمرين هو فرقنا بين العلم بمذاهب أبي حنيفة وأمثاله والاشتباه في بعض مذاهب أئمتنا وهلا راعيتم الشيعة في الإجماع وهم داخلون تحت النصوص التي تفزعون في صحة الإجماع إليها وكيف لا يعد خلافاً من جعل النبي (ص) مذاهبه حجة يرجع إليها كالكتاب الذي لا يأتيه الباطل

من بين يديه ولا من خلفه في قوله عليه السلام اني مخلف فيكم ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وقد جعل كثير من علماء المعتزلة إجماع أهل البيت خاصة حجة انتهى .

* * *

(٣) قد يورد علينا في انتسابنا في الفروع إلى مذهب الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فيقال مع اختلاف الروايات عندكم عن جعفر بن محمد لا يبقى وثوق في أن ما تفتون به مطابق لمذهب الإمام جعفر لا سيما مع قولكم بالتقية (وزعم) السويدي في رسالته « الحجج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية) انه ناظر الملاباشي أي رئيس العلماء الذي كان مع السلطان نادر شاه التركماني حين جاء إلى العراق لما اجتمع به وقال له ان المذاهب الذي تتعبدون عليه باطل لا يرجع إلى اجتهاد مجتهد فقال هذا هو اجتهاد جعفر الصادق قال (فقلت) ليس لجعفر الصادق فيه شيء وأنتم لا تعرفون مذهبه فإن قلتم ان في مذهبه تقية فلا أنتم ولا غيركم يعرف مذهبه لاحتمال كل مسألة أن تكون تقية فإنه بلغني عنكم ان له في البئر إذا وقعت فيها نجاسة ثلاثة أقوال (أحدها) انه لا ينجسها شيء (ثانيها) تنزح كلها (ثالثها) يخرج منها سبعة دلاء فقلت لبعض علمائكم كيف تصنعون بهذه الأقوال الثلاثة فقال مذهبنا ان من صارت له أهلية الاجتهاد يجتهد في أقوال جعفر الصادق فيصحح واحداً منها فقلت وما يقول في الباقي قال يقول انها تقية فقلت إذا اجتهد واحد فصحح غير هذا القول فما يقول في الذي صححه المجتهد الأول فقال يقول انه تقية فقلت إذاً ضاع مذهب جعفر الصادق إذ كل مسألة تنسب له يحتمل أن تكون تقية فانقطع ذلك العالم فما جوابك أنت فانقطع هو أيضاً ثم قلت له فإن قلتم ليس في مذهب جعفر الصادق تقية

فهو ليس المذهب الذي أنتم عليه لأنكم كلكم تقولون بالتقية فانقطع الملاباشي انتهى .

وأقول ما أعجب ما يفعله حب انتصار المرء لنفسه وهواه من التحامل على خصمه وقلب الحقائق فهذا الذي قال السويدي انه ناظر به الملاباشي وبعض العلماء الجعفرية فقطعهما ليس فيه ما يوجب الانقطاع إذا كان المناظر ممن له أدنى معرفة ولكنه التحامل والعصبية والانتصار للنفس .

لا يقول أحد من علماء الشيعة ان الإمام جعفر الصادق يعمل بالاجتهاد بل اعتقادهم أنه يعمل بما علمه عن أبيه عن جده عن آبائه عن رسول الله (ص) عن جبرائيل عن الله تعالى فما قاله له الملاباشي إن صح إما مجاراة أو غلط اما اختلاف الروايات عن الإمام جعفر فلا يزيد على اختلاف الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف ساغت نسبة مذاهب الأئمة الأربعة التي اجتهدوا فيها إلى الرسول (ص) مع اختلاف الروايات الواردة عنه (ص) في بعضها وإنما رجح بعضهم حديثاً والآخر رجح غيره ومع فقد الروايات في بعضها بالكلية والأخذ فيه بالرأي والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة مع الاحتمال في كل منها ان لا يكون من قول الرسول (ص) أصلاً ولم تصح نسبة المذهب إلى جعفر الصادق بمجرد اختلاف الرواية عنه على أنه كما وجدت أحكام كثيرة علم انها من قول الرسول (ص) بالضرورة أو باتفاق المسلمين عليها وإنما وقع اختلاف الروايات أو العلماء في بعض الأحكام كذلك توجد أحكام كثيرة علم أنها من مذهب جعفر الصادق باتفاق شيعته وأتباعه على روايتها عنه والقول بها وإنما وقع الاختلاف في بعض الأحكام « أما الحمل على التقية » التي نطق بها الكتاب العزيز في قوله تعالى « ألا ان تتقوا منهم تقاة . وقال رجل من آل فرعون يكتم إيمانه . إلا من اكره وقلبه

مطمئن بالإيمان » فليس مرجعاً في جميع صور تعارض الأخبار وإنما يرجع إليه عند فقد جميع المرجحات في الدلالة والسند وموافقة الكتاب والسنة ومخالفتهما وغير ذلك وظاهر ما حكاه عن الملاباشي وذلك العالم خلاف ذلك وانها مرجع في جميع صور التعارض فإذا تعارض الظاهر والأظهر قدم الأظهر وطرح الظاهر ولا يحمل على التقية وإذا تعارض الصحيح السند وغيره أو الصحيح والأصح قدم الصحيح على الضعيف والأصح على الصحيح وطرح غيره ولا يحمل على التقية وإذا تعارض موافق الكتاب والسنة مع مخالفهما عمل بالموافق وطرح المخالف ولا يحمل على التقية وإذا تساوى الخبران من جميع الجهات قدم ما يكون أبعد عن التقية هذه حال الشيعة في الحمل على التقية « ومنه » يظهر فساد قوله انه إذا كان في مذهب جعفر تقية لا يمكن معرفته لاحتمال كل مسألة ان تكون تقية فإن احتمال ذلك في كل مسألة غير واقع وما احتمال التقية في الخبر المروي عن الإمام جعفر الصادق إلا كاحتمال الكذب في الخبر المروي عن الرسول (ص) بعد العلم بوقوع الكذب عليه في حياته حتى قال كثرت علي القالة وتوعد الكاذب عليه بالنار (أما) استشهاده بمسئلة البئر وان للإمام الصادق فيها ثلاثة أقوال فتوهم فإنه روي عنه عليه السلام ان ماء البئر واسع لا ينجسه شيء لأن له مادة .

وروي نزح الجميع في بعض النجاسات ونزح السبع في بعض آخر فلا تعارض وجمع بين ما دل على انه لا ينجسه شيء وما ظاهره النجاسة من جهة الأمر بالنزح بحمل الأمر على الاستحباب تقديماً للأظهر على الظاهر ولم يقل أحد بالحمل على التقية فما حكاه عن بعض العلماء من انه يصحح واحداً ويحمل الباقي على التقية أما جهل ممن سماه عالماً أو افتراء عليه كزعمه انقطاعهما بهذا الإيراد السخيف ومن ذلك يظهر بطلان قوله إذاً ضاع مذهب

الصادق الخ كقوله إن قلتم ليس في مذهب جعفر الصادق تقية الخ وزعم ان ذلك قطع الملاباشي .

ولا بأس بالإشارة إلى سعي السلطان نادر شاه مع الدولة العثمانية في جعل المذهب الجعفري رسمياً وجعل محراب وإمام له في مكة المكرمة أسوة بالمذاهب الأربعة وحيلولة تعصب العامة دون ذلك بعد تمامه ورضاء الدولة العثمانية به .

ومجمل القضية انه بعد قتل الافغان السلطان الشاه حسين الصفوي واستيلائهم على دار المملكة اصفهان واستيلاء العثمانيين على بعض البلدان ظهر ابنه طهماسب واجتمع عليه خلق كثير منهم نادر شاه وتقرب إليه نادر حتى قلده الوزارة فشرع نادر في استرجاع ما أخذ من المملكة فأخذ أصفهان من يد الافغان وفرقهم شذر مذر فلقب بطهماسب قلي اي عبد طهماسب ثم ثنى عنان عزمه نحو البلاد التي بيد العثمانيين فحاصر بغداد ثمانية أشهر وكاد يفتحها فجهز عليه العثمانيون جيشاً فرجع عنها ثم حاصرها ثانياً ثم توجه إلى ارزن الروم وعاد عنها ولما رجع إلى صحراء مغان بايعه الإيرانيون بالسلطنة بتدبير منه سنة ١١٣٧ ثم توجه نحو الهند ولم يزل يفتح كل ما في طريقه حتى وصل إلى جهان آباد كرسي مملكة الهند ففتحها وصالح سلطانها شاه محمد على شيء يدفعه كل عام وصار كالنائب عنه وأخذ من الهند أموالاً كثيرة ثم توجه من الهند فاستولى على بلخ وبخارى وافغانستان وجميع بلاد تركستان وايران ولقب بشاهنشاه أي ملك الملوك ثم توجه نحو داغستان يريد اللزك فبقي هناك أربع سنين فلم يطعه منهم أحد وهو في تلك المدة يراسل الدولة العثمانية ويطلب منها أن تكون الحدود بينهم وبينه إلى الرها وما وراء عبادان والاعتراف بالمذهب الجعفري كالمذاهب الأربعة وأن يكون له محراب خامس وإمام في الحرم الشريف وان يكون من قبله أمير لطريق الحج من طريق

العراق وهو يتولى إصلاح البرك والآبار من طريق زبيدة وبعد فتحه لبلاد الهند أمر ببناء مشهد مُولانا أمير المؤمنين عليه السلام وتذهيب القبة الشريفة والمنارتين والإيوان كما هي عليه اليوم ويقال إن على كل لبنة من النحاس الأصفر الموضوع عليها قدر تومان نادري من الذهب الخالص وكتب اسمه على باب الصحن الشرقي (المتوكل على الملك القادر السلطان نادر) وذلك سنة ١١٤٥ ووضع في الحضرة الشريفة وفي خزانتها من التحف والجواهر ما لا يقوّم ومنه القنديل المرصع المعلق فوق الضريح الشريف والتاج المعلق فوق الرأس الشريف ثم غزا العراق سنة ١١٥٦ بجيش عظيم وحاصر البصرة بنحو تسعين ألف مقاتل وحاصر بغداد بنحو من سبعين ألفاً مدة ستة أشهر وتوجه بباقي عسكره إلى شهر زور (السليمانية) فأطاعه أهلها وسائر عشائر الأكراد والاعراب ثم توجه إلى قلعة كركوك ففتحها بعد حصار ثمانية أيام ثم توجه إلى اربل فأطاعوه ثم توجه إلى الموصل بنحو مأتي ألف مقاتل فحاصرها سبعة أيام وعاد عنها إلى بغداد وترددت الرسل بينه وبين أحمد باشا والي بغداد في الصلح ونزل في الكاظمية فزار الإمامين الكاظم والجواد ثم عبر دجلة في زورق فزار الإمام أبا حنيفة ثم توجه إلى النجف لزيارة أمير المؤمنين (ع) ورؤية القبة التي كان أمر ببنائها بالذهب كما مر وما زالت الرسل تختلف بينه وبين أحمد باشا والي بغداد في اعتراف الدولة العثمانية بكون مذهب الشيعة رسمياً حتى تقرر بينهما ارسال عالم من بغداد من قبل أحمد باشا لمناظرة العلماء الذين في صحبة الشاه ليثبت عنده ان الشيعة فرقة من المسلمين ومذهبهم هو مذهب الامام جعفر الصادق كما ان باقي المذاهب هي مذاهب الأئمة الأربعة فيحق لهم حينئذ أن يكون مذهبهم رسمياً كباقي المذاهب وان يكون لهم محراب وامام في مكة المكرمة مع المحاريب والأئمة الأربعة فاختار الباشا لذلك عبد الله أفندي المعروف بالسويدي فحضر إلى

مخيم الشاه مع رسل نادر شاه فأكرمه الشاه واحترمه وكان في صحبة الشاه تسعة عشر عالماً من الشيعة وخمسة عشر من علماء أهل السنة من بلاد الأفغان وبلاد ما وراء النهر فاجتمعوا وأخذ الملاباشي يذكر ان الشيعة فرقة من فرق الإسلام ويستشهد بما في جامع الأصول : مدار الإسلام على خمسة مذاهب وعد الخامس مذهب الإمامية ويعدّ صاحب المواقف الإمامية من الفرق الإسلامية وبقول أبي حنيفة في فقه الأكبر لا نكفر أهل القبلة وبقول شارح هداية الفقه الحنفي والصحيح ان الإمامية من الفرق الإسلامية وذكر السويدي في رسالته الآنفة الذكر كثيراً من مناظرتهم له واحتجاجهم بآية المباهلة وحديث المنزلة وغير ذلك وجوابه لهم واحتجاجه عليهم بما يطول الكلام بنقله في أشياء أخر ذكرها وعد من جملة علماء العراق الذين حضروا السيد نصر الله المعروف بابن قطة وهو السيد نصر الحائري العالم الشاعر المعروف والشيخ جواد النجفي الكوفي ولعله الشيخ جواد نجف المعروف ثم أمر الشاه أن تصلى الجمعة في مسجد الكوفة ويحضر السويدي الصلاة وان يدعى في الخطبة للسلطان محمود العثماني ثم لنادر شاه فاجتمع في المسجد نحو من خمسة آلاف وصليت الجمعة (ومن الغريب) ما ذكره السويدي من أن الخطيب وهو من أهل كربلا لما قال في خطبته سيدنا عمر بن الخطاب كسر الراء مع انه امام في العربية وقال انه أشار بذلك إلى أن منع الصرف في عمر للعدل والمعرفة ثم شتم الخطيب أقبح الشتم . فانظر إلى أي درجة يبلغ التعصب بالإنسان فيستولي عليه سوء الظن بما لا يخطر في بال أحد فاستمع إلى الخطباء هل تجد أحداً لا تخرج من لسانه الراء إلاّ شبيهة بالمكسورة وذلك لأن اخلاص الفتحة لا يخلو من ثقل . وبعد ذلك رخصت الدولة العثمانية للسلطان نادر شاه بإرسال خطيب وإمام جماعة إلى مكة المكرمة فأرسل السيد نصر الله وأرسل معه هدايا إلى شريف مكة الشريف مسعود بن سعيد سنة ١١٥٥ وأرسل معه

كتاباً إلى الشريف يقول فيه انه حصل الاتفاق بيننا وبين الدولة العثمانية على إظهار المذهب الجعفري وان يصلي امام خامس الصلوات الخمس في جميع الأوقات بلا معارضة وان يدعى لنا على المنابر والمقام كما يدعى للدولة العلية فواصلكم إمام مذهبنا السيد نصر الله فدعوه يصلي بالناس صلاة خامسة بالمسجد الحرام فقامت قيامة أهل مكة لهذا الأمر وطلبوا من الشريف تسليم السيد نصر الله إليهم ليقتلوه فامتنع عليهم فاتهموا الشريف بالتشيع ولم يتخلص من هذه التهمة حتى أمر بسبب الشيعة في الخطبة في كل يوم جمعة وبقي ذلك سنة مستمرة إلى ما شاء الله وجاء الأمر من نادر شاه إلى السيد نصر الله بالسفر إلى اسلامبول فسافر مع ركب الحاج الشامي فلما وصلها وشي به إلى السلطان بفساد المذهب وأمور أخر فأمر بقتله فقتل رحمه الله تعالى وقيل ان قتله كان في عهد السلطان عبد الحميد بن السلطان أحمد والصواب هو الأول . فانظر إلى أي درجة يبلغ التعصب واتباع الهوى بالإنسان وأعجب لهؤلاء الذين فرقوا كلمة المسلمين وشتتوا أمرهم حتى وصلوا إلى ما وصلوا إليه اليوم من الوهن والضعف واستعمرت بلادهم وملكت رقابهم ولا يزال فئة إلى اليوم يثيرون نار التعصب والخلاف وما ربك بغافل عما يعملون .

* * *

(٤) المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء الذي كان يلثغ بالراء لثغاً قبيحاً وتجنب النطق بها في كلامه من دون أن يتكلف ولا يفطن لذلك السامع حتى ضرب به المثل في ذلك قال الشاعر :

نعم تجنب لا يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الراء

وكان بينه وبين بشار بن برد الشاعر المشهور صداقة ثم تحولت إلى عداوة فقال بشار يهجوه :

ما لي أشايع غزالاً لـه عنق كنقنق الدوّ ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالاً اكفروا رجلا

وكان واصل طويل العنق ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى بعض أصحابه وقال واصل في بشار اما لهذا الأعمى الملحد اما لهذا المشنف المكنى بابي معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست إليه من يبعج بطنه في جوف منزلة أو في حفله ثم لا يتولى ذلك إلاّ عقيلي أو سدوسي فقال المشنف ولم يقل المرعث وكان بشار ينبز بالمرعث وقال أبو معاذ ولم يقل بشار وقال الغالية ولم يقل المغيرية وقال يبعج ولم يقل يبقر وقال في منزله ولم يقل في داره . وإنما سموا المعتزلة لأن رئيسهم واصل ابن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصري وقال ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وأثبت المنزلة بين المنزلتين فقال الحسن قد اعتزل عنا فسموا المعتزلة .

(والأشاعرة) أصحاب أبي الحسن الأشعري من نسل أبي موسى الأشعري المشهور أحد الحكمين يوم صفين (والمعتزلة) يقولون بوجوب الأصلح على الله تعالى وبأن أوامر الله تعالى ونواهيه تابعة للمصالح والمفاسد وبأن أفعال العباد ليست مخلوقة لله وبأن الله تعالى لا يرى في القيمة ولا يجوز عليه الظلم ويقولون بالحسن والقبح العقليين وبأن القرآن مخلوق وينكرون الكلام النفسي ويقولون صفات الله عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدماء وخالفهم في ذلك الأشاعرة (والماتريدية) أصحاب أبي منصور الماتريدي نسبة إلى ماتريد قرية من قرى سمرقند وبينهم وبين الأشاعرة اختلاف في بعض المسائل كمسألة التكوين وغيرها لكنهم يوافقون الأشاعرة فيما خالفوا فيه المعتزلة (وكان) أبو الحسن الأشعري تلميذ أبي علي الجبائي من شيوخ المعتزلة فقال الأشعري يوماً لأستاذه الجبائي ما تقول في ثلاثة أخوة مات أحدهم مطيعاً

والآخر عاصياً والثالث صغيراً فقال ان الأول يثاب بالجنة والثاني يعاقب بالنار والثالث لا يثاب ولا يعاقب قال الأشعري فإن قال الثالث يا رب لم أمتني صغيراً وما أبقيتني إلى أن أكبر فأرمن بك وأطيعك فأدخل الجنة ماذا يقول الرب تعالى فقال يقول اني كنت أعلم أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيراً قال الأشعري فإن قال الثاني يا رب لِم لَم تمتني صغيراً لئلا أعصي فلا أدخل النار فماذا يقول الرب فبهت الجبائي وترك الأشعري مذهبه . نقل هذه الحكاية سعد الدين التفتازاني في شرحه على العقائد النسفية ونقلها السبكي في طبقات الشافعية مع تغيير في الألفاظ .

(وعندي) أن هذا الاعتراض لا يتوجه على المعتزلة لأن العقل إذا كان يحكم بوجوب الأصلح عليه تعالى فإنما يحكم به إذا لم يؤدّ إلى رفع الاختيار وإماتة من يعلم الله تعالى انه سيكون عاصياً مالها إلى قلب اختياره ورفع قدرته وهذا لا يحكم العقل بوجوبه عليه تعالى نعم له ان يفعله كما وقع في قتل الحضر للغلام الذي كان أبواه صالحين وخشي أن يرهقهما طغياناً وكفراً فخلق ابن آدم وايجاده نعمة عليه من الله تعالى وكذا اعطاؤه القدرة على الطاعة وخلق العقل فيه وارسال الرسل إليه الذي يردعه عن المعصية ولو وجب عليه تعالى أن يميته خوفاً من وقوعه في المعصية لوجب عليه أن يقهره على تركها ولا يجعله متمكناً منها وهذا لا يحكم العقل بوجوبه عليه تعالى و ح ء فلله الحجة البالغة على هؤلاء الاخوة الثلاثة أما الصغير فإذا قال يارب لم أمتني صغيراً فيقول الله تعالى لي ان افعل في خلقي ما أريد ما لم يؤد إلى قبيح يحكم به العقل وكما كان لي أن لا أوجدك ولا قبح في ذلك فلي أن أميتك مع أن في اماتتك نفعاً لك لا ضرراً عليك (وأما العاصي) فإن قال يا رب لِم لَم تمتني صغيراً لئلا أعصي فيقول الرب تعالى لا يجب علي أن أقهرك على ترك المعصية بإماتتك كما لا يجب علي قهرك عليه مع بقائك حياً وان كان لي أن أفعل ذلك والله أعلم .

الفصل الثاني

في جملة من القضايا العجيبة
التي قضى بها أمير المؤمنين عليه السلام

« ما نقلناه منها عن الإرشاد للمفيد عليه الرحمة :

(١) ما قضى به وهو في اليمن حين أرسله رسول الله (ص) إليها فقال له ندبتني يا رسول الله للقضاء وأنا شاب ولا علم لي بكل القضاء فقال له ادن مني فدنا منه فضرب على صدره بيده وقال (اللهم اهدِ قلبه وثبت لسانه) قال فما شككت في قضاء بين اثنين بعد ذلك المقام . فرفع إليه وهو باليمن رجلان بينهما جارية يملكان رقها على السواء فوطاها في طهر واحد جهلاً بالتحريم فحملت ووضعت غلاماً فقرع عليه بينهما وألحقه بمن خرجت له القرعة وألزمه نصف قيمته ان لو كان رقاً لشريكه وبلغ ذلك رسول الله (ص) فأمضاه وقال الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود (ع) يعني بالإلهام .

* * *

(٢) ثم رفع إليه (ع) وهو باليمن ان زبية حفرت للأسد فوقع فيها فغدا الناس ينظرون إليه فوقف على شفير الزبية رجل فزلت قدمه فتعلق بآخر وتعلق الآخر بثالث وتعلق الثالث برابع فوقعوا في الزبية فقتلهم الأسد فقضى بأن الأول فريسة الأسد وعليه ثلث الدية للثاني وعلى الثاني ثلث الدية

للثالث وعلى الثالث الدية الكاملة للرابع فانتهى الخبر بذلك إلى رسول الله (ص) فقال لقد قضى أبو الحسن فيهم بقضاء الله عز وجل فوق عرشه وسيأتي نظير هذه الحكاية في غير رواية المفيد .

* * *

(٣) ثم رفع إليه خبر جارية حملت جارية على عاتقها عبثاً ولعبا فجاءت جارية أخرى فقرصت الحاملة فقمصت لقرصتها فوقعت الراكبة فاندقت وهلكت فقضى على القارصة بثلث الدية وعلى القامصة بثلثها وأسقط الثلث الباقي لركوب الواقصة عبثاً القامصة وبلغ الخبر بذلك إلى رسول الله (ص) فأمضاه وشهد له بالصواب .

* * *

(٤) وقضى في قوم وقع عليهم حائط فقتلهم وكان فيهم امرأة مملوكة وأخرى حرة وللحرة طفل من حر وللمملوكة طفل من مملوك ولم يعرف المملوك من الحر فقرع بينهما وحكم بالحرية لمن خرج عليه سهمها وبالرقية لمن خرج عليه سهمها ثم أعتقه وجعل مولاه مولاه وحكم به في ميراثهما بالحكم في الحر ومولاه فأمضى رسول الله (ص) هذا القضاء وصوبه .

* * *

(٥) وجاءت الآثار ان رجلين اختصما إلى النبي (ص) في بقرة قتلت حماراً فقال أحدهما يا رسول الله بقرة هذا قتلت حماري فقال اذهبا إلى أبي بكر فذهبا إليه فقال كيف تركتما رسول الله (ص) وجئتماني قالا هو أمرنا بذلك فقال بهيمة قتلت بهيمة لا شي ء على ربها فعادا إلى رسول الله (ص) فأخبراه فقال امضيا إلى عمر فمضيا إليه فقال كيف تركتماني رسول الله (ص) وجئتماني فقالا إنه أمرنا بذلك قال كيف لم يأمركما بالمصير إلى أبي بكر قالا

قد أمرنا بذلك وقال لنا كيت وكيت فقال ما أرى إلاّ ما رأى أبو بكر فعادا إلى النبي (ص) فأخبراه فقال اذهبا إلى علي بن أبي طالب فذهبا إليه فقال إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها فعادا إلى النبي (ص) فأخبراه فقال لقد قضى علي بن أبي طالب بينكما بقضاء الله ثم قال الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود في القضاء (قال المفيد رحمه الله) وقد روى بعض العامة أن هذه القضية كانت من أمير المؤمنين عليه السلام بين الرجلين باليمن وروى بعضهم حسبما قدمنا (أقول) ورويت هذه القضية في كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع) الآتية إليه الإشارة بسنده عن السكوني عن الصادق (ع) بتفاوت قليل .

* * *

(٦) ومن قضاياه في إمارة أبي بكر ما جاء به الخبر عن رجال من العامة والخاصة أن رجلاً رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر فأراد أن يقيم عليه الحد فقال اني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن فارتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه فأشير عليه بسؤال أمير المؤمنين (ع) عن ذلك فأرسل من سأله فقال مر رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار يناشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص) فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم عليه الحد وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخل سبيله ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد فاستتابه وخلى سبيله (أقول) ورواها في كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين الآتي ذكره قال حدثني أبي عن عثمن ابن عيسى عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (ع) وذكر نحواً من ذلك .

* * *

(٧) ومن قضاياه في إمارة عمر ما رواه العامة والخاصة ان قدامة بن مظعون شرب الخمر فأراد عمر أن يحده فقال له لا يجب علي الحد لأن الله تعالى يقول (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات) فدرأ عنه الحد فبلغ ذلك أمير المؤمنين (ع) فقال لعمر لم تركت إقامة الحد على قدامة في شرب الخمر فقال انه تلا علي هذه الآية وتلاها فقال له ليس قدامة من أهل هذه الآية ولا من سلك سبيله في ارتكاب ما حرّم الله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلون حراماً فأردد قدامة واستتبه مما قال فإن تاب فأقم عليه الحد وإن لم يتب فاقتله فقد خرج عن الملة فاستيقظ عمر لذلك وعرف قدامة الخبر فأظهر التوبة فدرأ عمر عنه القتل ولم يدر كيف يحده فاستشار أمير المؤمنين عليه السلام فقال حده ثمانين ان شارب الخمر إذا شربها سكر وإذا سكر هذي وإذا هذى افترى فجلده عمر ثمانين .

* * *

(٨) وروي ان مجنونة على عهد عمر فجربها رجل فقامت البينة عليها بذلك فأمر عمر بجلدها الحد فمر بها على أمير المؤمنين (ع) لتجلد فقال ما بال مجنونة آل فلان تعتل فقيل له ان رجلاً فجربها وهرب وقامت البنية عليها فأمر عمر بجلدها فقال ردوها إليه وقولوا له أما علمت ان هذه مجنونة آل فلان وإن النبي (ص) قد رفع القلم عن المجنون حتى يفيق انها مغلوبة على عقلها ونفسها فردت إليه وقيل له ذلك فقال فرج الله عنه لقد كدت أهلك في جلدها .

* * *

(٩) وروي انه أتي بحامل قد زلت فأمر برجمها فقال له أمير المؤمنين

عليه السلام هب ان لك سبيلاً عليها أي سبيل لك على ما في بطنها والله تعالى يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فقال عمر لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال فما أصنع بها قال احتط عليها حتى تلد فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد .

* * *

(١٠) وروي أنه استدعى امرأة كانت تتحدث عندها الرجال فلما جاءتها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فأملصت (أي اسقطت) ووقع إلى الأرض ولدها يستهل ثم مات فبلغ عمر ذلك فجمع أصحاب رسول الله (ص) وسألهم فقالوا نراك مؤدباً ولم ترد إلاّ خيراً ولا شيء عليك وأمير المؤمنين (ع) جالس لا يتكلم فقال له ما عندك في هذا يا أبا الحسن فقال قد سمعت ما قالوا قال فما عندك أنت قال قد قال القوم ما سمعت قال أقسمت عليك لتقولن ما عندك قال ان كان القوم قد قاربوك فقد غشوك وإن كانوا ارتأوا فقد قصروا ان الدية على عاقلتك لأن قتل الصبي خطأ تعلق بك فقال أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام .

* * *

(١١) وروي أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفل ادعته كل واحدة منهما بغير بينة ولم ينازعهما فيه غيرهما فالتبس الحكم في ذلك على عمر وفزع فيه إلى أمير المؤمنين (ع) فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فأقامتا على التنازع فقال ائتوني بمنشار فقالتا ما تصنع به فقال اقده نصفين لكل واحدة نصف فسكتت إحداهما وقالت الأخرى الله الله يا أبا الحسن إن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها فقال الله أكبر هذا ابنك دونها

ولو كان ابنها لرقت عليه وأشفقت فاعترفت الأخرى بأن الولد لصاحبتها فسري عن عمر ودعا لأمير المؤمنين (ع) لأنه فرج عنه .

* * *

(١٢) وروي عن يونس بن الحسن أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها فقال له أمير المؤمنين (ع) إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك ان الله تعالى يقول (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) ويقول جل قائلاً (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) فإذا كانت مدة الرضاعة حولين كاملين وكان حمله وفصاله ثلاثين شهراً كان الحمل منها ستة أشهر فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنهم إلى يومنا هذا .

* * *

(١٣) وروي أن امرأة شهد عليها الشهود انهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل فقالت اللهم انك تعلم اني بريئة فغضب عمر وقال وتجرح الشهود أيضاً فقال أمير المؤمنين (ع) ردوها واسألوها فلعل لها عذراً فردت وسئلت فقالت خرجت في إبل أهلي ومعي ماء وليس في إبل أهلي لبن وخرج معي خليطنا وفي إبله لبن فنفد مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي فأبيت فلما كادت نفسي تخرج أمكنته كرهاً فقال أمير المؤمنين عليه السلام الله أكبر (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه) فلما سمع ذلك عمر خلى سبيلها .

* * *

(١٤) ومما قضى به في إمارة عثمان ما رواه نقلة الآثار من العامة

والخاصة ان امرأة نكحها شيخ كبير فحملت فزعم الشيخ انه لم يصل إليها وأنكر حملها فالتبس الأمر على عثمان وسأل المرأة هل افتضك الشيخ وكانت بكراً فقالت لا فقال عثمن أقيموا الحد عليها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام ان للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض فحملت منه فاسألوه فسئل فقال قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض فقال أمير المؤمنين (ع) الحمل له وأرى عقوبته على الإنكار له فصار عثمان إلى قضائه بذلك .

* * *

(١٥) ورووا ان رجلاً كانت له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبداً له ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها وورث ولدها زوجها ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فاختصما إلى عثمان تقول هذا عبدي ويقول هي امرأتي فقال عثمان هذه مشكلة وأمير المؤمنين عليه السلام حاضر فقال سلوها هل جامعها بعد ميراثها له فقالت لا فقال لو أعلم انه فعل ذلك لعذبته اذهبي فإنه عبدك ليس له عليك سبيل ان شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعيه فذلك لك .

* * *

(١٦) وروي أن مكاتبة زنت على عهد عثمان وقد عتق منها ثلاثة أرباع فسأل عثمان أمير المؤمنين فقال يجلد منها بحساب الحرية ويجلد منها بحساب الرق وسأل زيد بن ثابت فقال تجلد بحساب الرق فقال له أمير المؤمنين كيف تجلد بحساب الرق وقد عتق منها ثلاثة أرباعها وهلا جلدتها بحساب الحرية فإنها فيها أكثر فقال زيد لو كان ذلك كذلك لوجب توريثها بحساب الحرية فقال له أمير المؤمنين (ع) أجل ذلك واجب فأفحم زيد وخالف

عثمان أمير المؤمنين وصار إلى قول زيد بعد ظهور الحجة عليه .

* * *

(١٧) وكان من قضاياه عليه السلام بعد البيعة له ومضى عثمان ما رواه أهل النقل من حملة الآثار ان امرأة ولدت ولداً له بدنان ورأسان على حقو واحد فسألوا أمير المؤمنين عنه فقال اعتبروه إذا نام ثم نبهوا أحد البدنين والرأسين فإن انتبها جميعاً معاً في حالة واحدة فهما إنسان واحد وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم فهما اثنان و حقهما من الميراث حق اثنين .

* * *

(١٨) وروى حسن بن علي العبدي عن سعد بن ظريف عن الأصبغ بن بناتة قال بينما شريح في مجلس القضاء إذ جاء شخص فقال له يا أبا أمية اخلني فإن لي حاجة فأمر من حوله أن يخفوا عنه فانصرفوا وبقي خاصة من حضره فقال ان لي ما للرجال وما للنساء فما الحكم عندك في أرجل أنا أم امرأة فقال قد سمعت من أمير المؤمنين في ذلك قضية أنا أذكرها خبرني عن البول من أي الفرجين يخرج قال من كليهما قال فمن أيهما ينقطع قال منهما معاً فتعجب شريح قال الشخص سأورد عليك من أمري ما هو أعجب زوجني أبي على أنني امرأة فحملت من الزوج وابتعت جارية تخدمني فأفضيت إليها فحملت مني فضرب شريح إحدى يديه على الأخرى متعجباً وقال هذا أمر لا بد من انتهائه إلى أمير المؤمنين فلا علم لي بالحكم فيه فذهبوا إليه وأخبروه فدعا بالشخص وسأله عما قال شريح فاعترف به قال له من زوجك قال فلان ابن فلان وهو حاضر بالمصر فدعا به وسأله عما قال فقال صدق فقال أمير المؤمنين لأنت أجرأ من صائد الأسد حين تقدم على هذه الحالة ثم دعا قنبراً مولاه فقال له ادخل هذا الشخص بيتاً ومعه أربع نسوة من العدول ومرهن

بتجريده وعد أضلاعه بعد الاستيثاق من ستر فرجه فقال يا أمير المؤمنين ما آمن محليه الرجال والنساء فأمر أن يشد عليه تبان وأخلاه في بيت ثم ولجه وعد أضلاعه وكانت من الجانب الأيسر سبعة ومن الجانب الأيمن ثمانية فقال هذا رجل وأمر بطم شعره وألبسه القلنسوة والنعلين والرداء وفرق بينه وبين الزوج (أقول) ويأتي عن كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين (ع) اختبار الخنثى بالمبال وعد الأضلاع وشخب البول وانتكاصه (قال المفيد) عليه الرحمة وروى بعض أهل النقل انه لما ادعى ما ادعاه من الفرجين أمر أمير المؤمنين عليه السلام بنصب مرآتين إحداهما مقابل الأخرى وأمره بكشف عورته مقابل إحداهما حيث لا يراه العدلان وأمر العدلين بالنظر إلى المرآة الأخرى المقابلة للمرآة التي كشف عورته مقابلها فلما تحققا صحة ما ادعاه من الفرجين اعتبر حاله بعد أضلاعه فلما ألحقه بالرجال أهمل قوله في ادعاء الحمل وألغاه وألحق به حمل الجارية .

* * *

(١٩) ورووا أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل المسجد فوجد شاباً يبكي فسأل عنه فقال ان شريحاً قضى علي قضية لم ينصفني فيها فقال وما شأنك قال ان هؤلاء أخرجوا أبي معهم في سفر فرجعوا ولم يرجع أبي فسألتهم عنه فقالوا مات فسألتهم عن ماله فقالوا ما نعرف له مالاً فاستحلفهم شريح وتقدم إلي بترك التعرض لهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام لقنبراً جمع القوم وادع لي شرط الخميس ثم جلس ودعا بالنفر والحدث معهم ثم سأله فأعاد الدعوى وجعل يبكي ويقول أنا والله أتهمهم على أبي والله يا أمير المؤمنين فإنهم احتالوا عليه حتى أخرجوه معهم وطمعوا في ماله فسألهم أمير المؤمنين فقالوا له كما قالوا لشريح مات الرجل ولا نعرف له مالاً فنظر في وجوههم ثم قال لهم أتظنون أني لا أعلم ما صنعتم بأبي هذا الفتى اني إذا لقليل العلم

ثم أمر بهم أن يفرقوا في المسجد وأقيم كل رجل منهم إلى جانب أسطوانة ثم دعا عبيد الله بن أبي رافع كاتبه فقال له اجلس ثم دعا واحداً منهم فقال أخبرني ولا ترفع صوتك في أي يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الغلام معكم فقال في يوم كذا وكذا فقال لعبيد الله اكتب ثم قال في أي شهر كان قال في شهر كذا قال اكتب ثم قال في أي سنة قال في سنة كذا قال اكتب فكتب عبيد الله ذلك كله قال فبأي مرض مات قال بمرض كذا قال في أي منزل مات قال في موضع كذا قال من غسله وكفنه قال فلان قال فمن أدخله القبر قال فلان وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك كله فلما انتهى إقراره إلى دفنه كبر أمير المؤمنين تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم أمر بالرجل فرد إلى مكانه ودعا بآخر وسأله عما سأل الأول عنه فأجاب بما خالف الأول في الكلام كله وعبيد الله بن أبي رافع يكتب ذلك فلما فرغ من سؤاله كبر تكبيرة سمعها أهل المسجد ثم أمر بالرجلين أن يخرجا من المسجد نحو السجن فيوقف بهما على بابه ثم دعا بالثالث فسأله عما سأل عنه الرجلين فحكى خلاف ما قالاه وأثبت ذلك عنه ثم كبر وأمر بإخراجه نحو صاحبيه ودعا بالرابع فاضطرب قوله وتلجلج فوعظه وخوفه فاعترف انه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله وانهم دفنوه في موضع كذا وكذا بالقرب من الكوفة فكبر أمير المؤمنين (ع) وأمر به إلى السجن واستدعى واحداً من القوم وقال له زعمت ان الرجل مات حتف انفه وقد قتلته اصدقني عن حالك وإلا نكلت بك فقد وضح لي الحق في قصتكم فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه ثم دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل وسقطوا في أيديهم واتفقت كلمتهم على قتل الرجل وأخذ ماله فأمر من مضى معهم إلى موضع المال الذي دفنوه فاستخرجوه منه وسلمه إلى الغلام ابن المقتول ثم قال له ما الذي تريد قد عرفت ما صنع القوم بأبيك وقال أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم

بين يدي الله عز وجل وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا فدرأ عنهم أمير المؤمنين عليه السلام حد القتل وأنهكهم عقوبة فقال شريح يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم ؟

فقال له ان داود عليه السلام مر بغلمان يلعبون وينادون بواحد منهم يا مات الدين والغلام يجيبهم فقال له داود يا غلام ما اسمك قال اسمي مات الدين قال من سماك بهذا قال أمي قال انطلق بنا إليها فقال لها يا أمة الله ما اسم ابنك هذا قالت اسمه مات الدين قال ومن سماه به قالت أبوه قال وما كان سبب ذلك قالت انه خرج في سفر له ومعه قوم وأنا حامل بهذا الغلام فرجع القوم ولم يرجع زوجي فسألتهم عنه قالوا مات فسألتهم عن ماله فقالوا ما ترك مالاً فقلت فهل وصاكم بوصية قالوا نعم يزعم انك حبلى فإن ولدت جارية أو غلاماً فسميه مات الدين فسميته كما وصى فقال لها داود عليه السلام فهل تعرفينهم قالت نعم قال لها انطلقي مع هؤلاء يعني قوماً بين يديه فاستخرجهم من منازلهم فلما حضروا حكم فيهم بهذه الحكومة فثبت عليهم الدم واستخرج منهم المال ثم قال لها يا أمة الله سمي ابنك عاش الدين .

* * *

(٢٠) وروي أن امرأة هويت غلاماً فدعته إلى نفسها فامتنع فأخذت بيضة وألقت بياضها على ثوبها ثم تعلقت بالغلام ورفعته إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالت إن هذا الغلام كابرني على نفسي وقد فضحني ثم أخذت ثيابها وأرت بياض البيض وقالت هذا ماؤه على ثوبي فجعل الغلام يبكي ويبرأ مما ادعته ويحلف فقال أمير المؤمنين (ع) لقنبر مر من يغلي ماء حتى تشتد حرارته فجيء بالماء فقال القوه على ثوبها فألقوه فاجتمع بياض البيض والتأم فأمر بأخذه ودفعه إلى رجلين من أصحابه فقال تطعماه وألفظاه

فتطعما فوجدا بيضا فأمر بتخلية الغلام وجلد المرأة عقوبة على ادعائها الباطل .

* * *

(٢١) وروى الحسن بن محبوب قال حدثني عبد الرحمن بن الحجاج قال سمعت ابن أبي ليلى يقول لقد قضى أمير المؤمنين عليه السلام بقضية ما سبقه إليها أحد . وذلك ان رجلين اصطحبا في سفر فجلسا يتغديان فأخرج أحدهما خمسة أرغفة وأخرج الآخر ثلاثة فمر بهما رجل فسلم فقالا له الغداء فجلس يأكل معهما فلما فرغ من أكله رمى إليهما ثمانية دراهم وقال هذه عوض ما أكلت من طعامكما فاختصما وقال صاحب الثلاثة هذه نصفان بيننا وقال صاحب الخمسة بل لي خمسة ولك ثلاثة فارتفعا إلى أمير المؤمنين (ع) فقال لهما هذا أمر فيه دناءة والخصومة غير جميلة فيه والصلح أحسن فقال صاحب الثلاثة الأرغفة لا أرضى الا بمر القضاء قال أمير المؤمنين (ع) إذا كنت لا ترضى إلا بمر القضاء فإن لك واحداً من ثمانية ولصاحبك سبعة فقال سبحن الله وكيف صار هذا هكذا فقال له أليس كان لك ثلاثة أرغفة قال بلى قال ولصاحبك خمسة قال بلى قال هذه أربعة وعشرون ثلثاً أكلت أنت ثمانية وصاحبك ثمانية والضيف ثمانية فلما أعطاكم الثمانية الدراهم كان لصاحبك سبعة ولك واحد .

* * *

(٢٢) وروى علماء أهل السيران أربعة نفر شربوا المسكر على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فسكروا فتباعجوا بالسكاكين ونال الجراح كل واحد منهم ورفع خبرهم إلى أمير المؤمنين (ع) فأمر بحبسهم حتى يفيقوا فمات في السجن منهم اثنان وبقي اثنان فجاء قوم الاثنين إلى أمير المؤمنين فقالوا اقدنا يا أمير المؤمنين من هذين النفسين فإنهما قتلا صاحبينا فقال وما

غلمكم بذلك ولعل كل واحد منهما قتل صاحبه فقالوا لا ندري فاحكم فيها بما علمك الله فقال دية المقتولين على قبائل الأربعة بعد مقاصة الحيين منهما بدية جراحهما .

قال المفيد عليه الرحمة وكان ذلك هو الحكم الذي لا طريق إلى الحق في القضاء سواه الا ترى انه لا بينة على القاتل تفرده من المقتول ولا بينة على العمد في القتل فلذلك كان القضاء فيه على حكم الخطأ في القتل واللبس في القاتل دون المقتول .

* * *

(٢٣) وروي أن ستة نفر نزلوا الفرات فتعاطوا فيه لعباً فغرق واحد منهم فشهد اثنان على ثلاثة منهم انهم غرقوه وشهد الثلاثة على الاثنين انهما غرقاه فقضى عليه السلام بالدية أخماساً على الخمسة نفر ثلاثة منها على الاثنين بحساب الشهادة عليهما وخمسان على الثلاثة بحساب الشهادة أيضاً .

قال المفيد عليه الرحمة ولم يكن في ذلك قضية أحق بالصواب مما قضى به عليه السلام .

* * *

(٢٤) ورووا أن رجلاً حضرته الوفاة فوصى بجزء من ماله وما يعينه فاختلف الوراث في ذلك وترافعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقضى عليهم بإخراج السبع من ماله وتلا قوله تعالى (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) .

* * *

(٢٥) وقضى عليه السلام في رجل وصى عند الموت بسهم من ماله ولم يبينه فلما مضى اختلف الورثة في معناه فقضى عليهم بإخراج الثمن من

ماله وتلا قوله تعالى (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) إلى آخر الآية وهم ثمانية أصناف لكل صنف منهم سهم من الصدقات .

* * *

(٢٦) وقضى عليه السلام في رجل وصى فقال اعتقوا كل عقد قديم في ملكي فلما مات لم يعرف الوصي ما يصنع فسأله عن ذلك فقال يعتق عنه كل عبد ملكه ستة أشهر وتلا قوله جل اسمه (والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم) وقد ثبت ان العرجون إنما ينتهي إلى الشبه بالهلال في تقوسه وضؤلته بعد ستة أشهر من أخذ الثمرة منه .

* * *

(٢٧) وقضى عليه السلام في رجل نذر أن يصوم حيناً ولم يعين وقتاً بعينه أن يصوم ستة أشهر وتلا قوله عز وجل (تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها) وذلك في ستة أشهر ..

* * *

(٢٨) وجاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين انه كان بين يدي تمر فبدرت زوجتي فأخذت منه واحدة فألقتها في فيها فحلفت انها لا تأكلها ولا تلفظها فقال عليه السلام تأكل نصفها وترمي نصفها وقد تخلصت من يمينك .

* * *

(٢٩) وقضى (ع) في رجل ضرب امرأة فألقت علقة ان عليه ديتها أربعين ديناراً وتلا قوله عز وجل (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن

الخالقين) ثم قال في النطفة عشرون ديناراً وفي العلقة أربعون ديناراً وفي المضغة ستون ديناراً وفي العظم قبل أن يستوي خلقاً ثمانون ديناراً وفي الصورة قبل أن تلجها الروح مائة دينار فإذا ولجتها الروح كان فيها ألف دينار (انتهى ما نقلناه عن المفيد في الإرشاد) .

(قال المفيد عليه الرحمة) فهذا طرف من قضاياه وأحكامه الغريبة التي لم يقضِ بها أحد قبله ولا عرفها من العامة والخاصة أحد إلاّ عنه واتفقت عترته على العمل بها ولو مني غيره بالقول فيها لظهر عجزه عن الحق في ذلك كما ظهر فيما هو أوضح منه وفيما أثبتناه من قضاياه على الاختصار كفاية فيما قصدناه « انش » اه .

* * *

(٣٠) من آخر كتاب جواهر الفقه للقاضي ابن البراج : روي أن رجلاً قيد عبده بقيد حديد وحلف أن لا ينزعه من رجليه حتى يتصدق بوزنه (وفي رواية) ان رجلين في عهد عمر شاهدا عبداً مقيداً فقال أحدهما ان لم يكن في قيده وزن كذا فامرأته طالق ثلاثاً وقال الآخر ان كان في قيده ما قلت فامرأته طالق ثلاثاً وطلبا مَن سيد العبد حل القيد فقال السيد امرأته طالق ثلاثاً ان حله حتى يتصدق بوزنه فارتفعوا إلى عمر فقال مولاه أحق به فاذهبوا فاعتزلوا نساءكم فقالوا اذهبوا بنا إلى علي بن أبي طالب فأمر بإحضار جفنة رشد القيد بخيط ووقف العبد في الجفنة والقيد مرسل إلى أسفلها ثم صب الماء عليه حتى امتلأت ثم أمر برفع القيد بالخيط فرفع حتى خرج من الماء ثم دعى ببرادة الحديد فألقيت في الماء حتى عاد إلى حده الأول ثم قال زنوا هذا ففيه وزن القيد .

* * *

(٣١) روى ابن الجوزي في كتاب الأذكياء قال أخبرنا سماك بن حرب عن حنيش بن المعتمر ان رجلين استودعا امرأة من قريش مائة دينار وقالا لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتى نجتمع فلبثا حولاً فجاء أحدهما فقال إن صاحبي قد مات فادفعي إلي الدنانير فأبت وقالت انكما قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه فتوسل إليها بأهلها وجيرانها فلم يزالوا بها حتى دفعتها ثم لبثت حولاً فجاء الآخر فقال ادفعي إلي الدنانير فقالت إن صاحبك جاءني فزعم انك مت فدفعتها إليه فاختصما إلى عمر بن الخطاب فأراد أن يقضي عليها فقالت أنشدك الله أن ترفعنا إلى علي ففعل فعرف علي انهما قد مكرا بها فقال أليس قلتما لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه قال بلى فقال علي ما لك عندنا فجيء بصاحبك حتى تدفعها إليكما .

مانقله من مخطوط قديم وجدناه في مدينة بعلبك
كتب في أوله ما صورته

عجائب أحكام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه

رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن جده علي بن إبراهيم عن أبيه عن محمد بن الوليد عن محمد بن الفرات عن الأصبغ بن نباتة .

وكتب عليه أيضاً ما صورته : نسخه أبو النجيب عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه .

وهذا الكتاب يشتمل على عدد وافر من قضايا أمير المؤمنين عليه السلام

وفيها كثير مما مر نقله عن إرشاد المفيد مع بعض التفاوت وجملة منها لم تذكر فيما مر عن الإرشاد فاختزنا مما لم يذكر ما يأتي .

* * *

(٣٢) بعد ذكر السند المتقدم وحديث بعده قال : وعنه قال رفع إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه ان رجلاً ضرب على هامته فادعى المضروب انه لا يبصر شيئاً بعينه وانه لا يشم رائحة وانه قد خرس فلا ينطق فقال أمير المؤمنين (ع) ان كان صادقاً فوجبت له ثلاث ديات فقيل كيف يستبرأ ذلك منه فقال يؤمر برفع عينيه إلى عين الشمس فإن كان صحيحاً لم يتمالك ان يغمض وإن كان كما زعم بقيتا مفتوحتين ويدنى من أنفه حراق فإن كان صحيحاً وصلت رائحة الحراق إلى دماغه ودمعت عيناه ونحى رأسه ويضرب بإبرة على لسانه فإن كان ينطق خرج الدم أحمر وإن كان كما ادعى خرج الدم أسود .

* * *

(٣٣) وعنه قال رجل لعمر بن الخطاب يا أمير المؤمنين أنا رجل أحب الفتنة وأبغض الحق وأشهد بما لم أره فأراد عقابه فقال علي (ع) : (أما قوله) أحب الفتنة فإنه يحب المال والولد والله يقول إنما أموالكم وأولادكم فتنة (وأما قوله) ابغض الحق فإنه يبغض الموت (وأما قوله) وأشهد بما لم أره فإنه يشهد بأن الله واحد ولم يره فقال عمر خلوا سبيله .

* * *

(٣٤) وعنه قال بعث ملك الروم رسولاً إلى المدينة وقال سل محمداً عن ثلاث مسائل فإن لم تلحقه فسل وصيه فوافى الرجل المدينة وقد توفي النبي (ص) فدل على علي (ع) فقال أخبرني عما ليس لله وعما لا يعلمه الله

وعما ليس عند الله فقال أما ما ليس لله فليس لله شريك وأما ما لا يعلمه الله فلا يعلم أن له ولداً كما تقولون وذلك قوله تعالى (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) وأما ما ليس عند الله فليس عنده ظلم العباد فأسلم الرجل .

* * *

(٣٥) وعنه قال قضى أمير المؤمنين (ع) في الأسارى من المسلمين إذا أسرهم المشركون فكان لا يفادي من كانت جراحته من خلف ويقول هو الفار ومن كانت جراحته من قدام يفاديه .

* * *

(٣٦) وقضى في قتلى الجمل وصفين والنهروان من أصحابه انه نظر في جراحاتهم فمن كانت جراحته من خلفه لم يصل عليه وقال هو الفار من الزحف ومن كانت جراحته من قدام صلى عليه ودفنه .

* * *

(٣٧) وعنه عن النوفلي عن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال بعث النبي (ص) علياً إلى اليمن وإذا زبية قد وقع فيها الأسد فأصبح الناس ينظرون إليه ويتزاحمون ويتدافعون حول الزبية فسقط رجل في الزبية وتعلق بالذي يليه وتعلق الآخر بالآخر حتى وقع فيها أربعة فجرحهم الأسد وتناول رجل الأسد بحربة فقتله فأخرج القوم موتى فانطلقت القبائل إلى قبيلة الرجل الأول الذي سقط وتعلق فوقه ثلاثة فقالوا لهم أدوا دية الثلاثة الذين أهلكهم صاحبكم فلولاه ما سقطوا في الزبية فقال أهل الأول إنما تعلق صاحبنا بواحد فنحن نؤدي ديته فأمر علي (ع) أن يجمعوا دية تامة من القبائل الذين شهدوا الزبية ونصف دية وثلث دية وربع دية فأعطى أهل الأول ربع الدية من أجل

انه هلك فوقه ثلاثة وأعطى الذي يليه ثلث الدية من أجل انه هلك فوقه اثنان وأعطى الثالث النصف من أجل انه هلك فوقه واحد وأعطى الرابع دية تامة لأنه لم يهلك فوقه أحد فوافقوا رسول الله (ص) بالموقف فأخبروه فقال هو كما قضى به علي .

(أقول) مر نظير هذه الحكاية في رواية المفيد وانه قضى بأن الأول فريسة الأسد وعليه ثلث الدية للثاني وعلى الثاني ثلثا الدية للثالث وعلى الثالث الدية كاملة للرابع وهو يخالف ما هنا والظاهر انهما واقعتان إذ في الرواية الأولى ان الأول زلت قدمه فوقع ولم يرمه أحد فلذلك لم يكن له شيء وعليه ثلث الدية للثاني لتعلقه به وتعلق الثاني بالثالث وعلى الثاني الثلثان للثالث لتعلقه به وتعلق الثالث بالرابع وعلى الثالث دية كاملة للرابع لتعلقه به وعدم تعلق الرابع بأحد وبعد إنقاص ما أخذ كل واحد مما دفعه يكون قد دفع كل واحد ثلثاً فقط للرابع والرابع لم يدفع شيئاً وفي هذه الرواية ان المجتمعين تزاحموا وتدافعوا فيكون سقوط الأول بسببهم فكانت له عليهم الدية لكن سقط عنهم ثلاثة أرباعها من حيث انه سقط فوقه ثلاثة وكان هو السبب في سقوط الأول منهم وسقط عنهم ثلثا الدية للثاني من حيث سقط فوقه اثنان كان هو السبب في سقوط أولهما وسقط عنهم نصف الدية للثالث من حيث سقط فوقه واحد كان هو السبب في سقوطه وأعطي الرابع دية كاملة لأنه لم يسقط بسببه أحد .

* * *

(٣٨) ومن الكتاب المذكور قال قضى أمير المؤمنين (ع) في الخنثى وهي التي يكون لها ما للرجال وما للنساء انها ان بالت من الرحم فلها ميراث النساء وإن بال من الذكر فله ميراث الرجال وإن بال من كليهما عد أضلاعه

فإن زادت واحدة على أضلاع الرجال فهي امرأة وإن نقصت فهو رجل .

* * *

(٣٩) ومنه قال وقضى أيضاً في الخنثى بأنه يقال له الصق بطنك بالحائط وبل فإن أصاب بوله الحائط فهو ذكر وإن انتكص كما ينتكص بول البعير فهو امرأة (أقول) مر في رواية المفيد اختبار الخنثى بعد الأضلاع .

* * *

(٤٠) ومنه قال وقضى في رجل مات وترك مملوكاً وابناً في فلاة من الأرض فادعى المملوك ان ابن الرجل مملوكه وادعى الابن ان المملوك مملوكه فتخاصما إلى أمير المؤمنين صلى الله عليه فأمر قنبراً أن يثقب ثقبين في حائط ويخرج رأسهما من الثقبين ففعل ثم قال يا قنبر اضرب عنق المملوك فرد رأسه وعدا فأخذوه وردوه على ابن الميت .

* * *

(٤١) ومنه قال وقضى في رجل كانت عنده جاريتان فولدتا جميعاً في ليلة واحدة احداهما ابناً والأخرى بنتاً فعمدت صاحبة البنت فأخذت ابن الجارية الأخرى ووضعت البنت في مهد الغلام فتخاصما إلى أمير المؤمنين (ع) فأمر أن يوزن لبنهما فأيتهما كانت أثقل لبناً فالابن لها .

* * *

(٤٢) ومنه قال وجاء رجل بمملوك له إلى أمير المؤمنين (ع) فقال إن هذا مملوكي تزوج بغير اذني فقال فرق بينهما أنت فالتفت الرجل إلى مملوكه فقال يا خبيث طلق امرأتك فقال أمير المؤمنين (ع) ان شئت طلق وإن شئت امسك قال كان قول الرجل لعبده طلق امرأتك رضاه بالتزويج وصار الطلاق عند ذلك للعبد .

* * *

(٤٣) ومنه قال : حدثنا جعفر بن شريح الحضرمي عن مالك بن أعين الجهني عن أبي عبد الله (ع) قال لما ولي عمر بن الخطاب جاءه رجل يهودي فدخل عليه المسجد وهو قاعد ومعه أبو أيوب الأنصاري فقال له أنت أمير المؤمنين قال نعم قال أنت الذي يسألك الناس ولا تسأل وأنت تحكم ولا يحكم عليك قال نعم قال أخبرني عن واحد ليس له ثان واثنين ليس لهما ثالث وثلاثة ليس لها رابع وأربعة ليس لها خامس وخمسة ليس لها سادس وستة ليس لها سابع وسبعة ليس لها ثامن وثمانية ليس لها تاسع وتسعة ليس لها عاشر وعشرة ليس لها حادي عشر فلم يجبه وأطرق فقال أبو أيوب أمير المؤمنين عنك مشغول ولكن اثت ذلك القاعد وأشار إلى علي فجاءه اليهودي وسأله فقال أما الواحد الذي لا ثاني له فالله الواحد تبارك وتعالى وأما الاثنان اللذان ليس لهما ثالث فالشمس والقمر وأما الثلاثة التي ليس لها رابع فالطلاق وأما الأربعة التي ليس لها خامس فالنساء وأما الخمسة التي ليس ها سادس فالصلاة وأما الستة التي ليس لها سابع فالستة الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض وأما السبعة التي ليس لها ثامن فالسماوات السبع وأما الثمانية التي ليس لها تاسع فحملة العرش وأما التسعة التي ليس لها عاشر فحمل المرأة وأما العشرة التي ليس لها حادي عشرة فالعشرة الأيام التي تمم الله بها ميقات موسى فأسلم اليهودي (انتهى) ما اخترناه من كتاب عجائب أحكام أمير المؤمنين علي (ع) وبه تم الباب الرابع .

الباب الخامس

في الملح والنوادر والأجوبة المسكتة

وهذا الباب مما تلذه الأسماع وتألفه الطباع ويرفع ملال النفس وكلال الطبع ولا يخلو من عظات وعبر وتعليم وتدريب وإنما الأعمال بالنيات ولم نألُ جهداً في اختياره وانتقاء أخباره وترصيفه وترتيبه وإيداعه طرائف الملح والنوادر ومستملح الأخبار ومستحسن الأجوبة . وفيه فصول تسعة .

الفصل الاول

في نوادر القضاة وأخبارهم المستطرفة وما قيلَ فيهم من الشعر

فيما قيل في القضاة من الشعر :

(١) لبعضهم أورده في الريحانة :

وقاض لنا حكمه ما مضى وأحكام زوجتـه ماضيه
فيا ليته لم يكن قاضياً ويا ليتها كانت القاضيه

* * *

(٢) لآخر أورده في الريحانة أيضاً :

قلت للنائب الـــذي قد عرفنـــا معائبه
لست عندي بنـــائب أنّمـــا أنت نائبـــه

* * *

(٣) وللصاحب بن عباد في قاض أورده في اليتيمة :

لنا قاض له رأس من الخفـــة مملوء
وفي أسفلـــه داء بعيد منكم السوء

* * *

(٤) وأورد له أيضاً :

إن قاضينا لأعمى أم على عمد تعامى
سرق العيد كان العيد أموال اليتـــامى

* * *

(٥) وأورد له أيضاً :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان وصمت في يوم عيد

نوادر القضاة

(١) أتى ابن شبرمة بقوم يشهدون على قراح نخل فشهدوا وكانوا عدولاً فامتحنهم قال كم في القراح من نخلة قالوا لا نعلم فرد شهادتهم فقال له أحدهم أنت أيها القاضي تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة فأعلمناكم فيه من أسطوانة فسكت وأجازهم .

* * *

(٢) خرج شريك وهو على قضاء الكوفة يتلقى الخيزران وقد أقبلت تريد الحج وكان قد استقضي وهو كاره فأتى شاهي فأقام بها ثلاثاً فلم تواف فخف زاده فجعل يبله بالماء ويأكله بالملح فقال العلاء بن المنهال الغنوي :

فإن يكن الذي قد قلت حقاً ... بأن قد أكرهوكَ على القضاء
فما لك مُوضِعاً في كل حين ... تلقى من يحجح من النساء
مقيماً في قرى شاهي ثلاثاً ... بلا زاد سوى كسر وماء

* * *

(٣) تقدمت كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث وكانت جميلة وأخوها الوليد بن سريع إلى عبد الملك بن عمير وهو قاض بالكوفة فقضى لها على أخيها فقال هذيل الأشجعي :

أتاه وليد بالشهود يسوقهم ... على ما ادعى من صامت المال والخول
وجاءت إليه كلثم وكلامها ... شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقه ... وكان وليد ذا مراء وذا جدل
فلهت القبطي حتى قضى لها ... بغير قضاء الله في محكم الطول
فلو كان من في القصر يعلم علمه ... لما استعمل القبطي فينا على عمل
له حين يقضي للنساء تحاوص ... وكان وما فيه التحاوص والحول
إذا كلمته ذات دل بحاجة ... فهم بان يقضي تنحنح أو سعل
وبرق عينيه ولاك لسانه ... يرى كل شيء ما عدا وصلها جلل

وكان عبد الملك بن عمير يقول لعن الله الأشجعي والله لربما جاءتني السعلة والنحنحة وأنا في المتوضأ فأردهما لما شاع من شعره .

* * *

(٤) شهد رجل عند سوار القاضي فقال ما صناعتك قال مؤدب قال أنا لا نجيز شهادتك قال ولم قال لأنك تأخذ على تعليم القرآن أجراً قال وأنت تأخذ على القضاء بين المسلمين أجراً قال انهم أكرهوني قال نعم أكرهوك على القضاء فهل أكرهوك على أخذ الأجر قال هلم شهادتك .

* * *

(٥) دخل اياس بن معاوية الشام وهو غلام فقدم خصماً له إلى القاضي في أيام عبد الملك فقال أما تستحي تخاصم وأنت غلام شيخاً كبيراً فقال الحق أكبر منه فقال اسكت ويحك قال فمن ينطق بحجتي فقال أما أظنك تقول اليوم حقاً حتى تقوم فقال لا إله إلاّ الله فقام القاضي ودخل على عبد الملك وأخبره فقال اقضِ حاجته وأخرجه من الشام كي لا يفسد علينا الناس .

* * *

(٦) رد رجل جارية على رجل اشتراها منه بالحمق فترافعا إلى إياس ابن معاوية فقال لها اياس أي رجليك أطول فقالت هذه فقال أتذكرين ليلة ولدتك أمك قالت نعم فقال اياس رد رد (واياس هذا هو الذي يضرب به المثل في الذكاء) .

* * *

(٧) كان ببغداد رجل يذكر بالصلاح والزهد يقال له رويم فولي القضاء فقال الجنيد من أراد أن يستودع سره من لا يفشيه فعليه برويم فإنه كتم حب الدنيا أربعين سنة إلى أن قدر عليها .

* * *

(٨) دعا رجل لسليمان الشاذكوني فقال أرانيك الله يا أبا أيوب على قضاء أصبهان فقال ويحك ان كان ولا بد فعلى خراجها فإن أخذ أموال

الأغنياء أسهل من أخذ أموال الأيتام .

* * *

(٩) ارتفعت جميلة بنت عيسى بن جراد وكانت جميلة كاسمها مع خصم لها إلى الشعبي وهو قاضي عبد الملك فقضى لها فقال هذيل الأشجعي (وهو الذي هجا عبد الملك بن عمير قاضي الكوفة كما مر) :

فتن الشعبي لمّـــا رفع الطرف إليها
فتنتـــه بثنـــايا ها وقوسي حاجبيها
ومشت مشياً رويداً ثم هزت منكبيها
فقضى جوزاً على الـ ـخصم ولم يقضِ عليها

فقبض الشعبي عليه وضربه ثلاثين سوطاً (قال ابن أبي ليلى) ثم انصرف الشعبي يوماً من مجلس القضاء وقد شاعت الأبيات وتناشدها الناس ونحن معه فمررنا بخادم يغسل الثياب ويقول (فتن الشعبي لما) ولا يحفظ تتمة البيت فوقف عليه ولقنه وقال (رفع الطرف إليها) ثم ضحك وقال ابعده الله والله ما قضيت لها إلاّ بالحق .

* * *

(١٠) جاءت امرأة إلى قاض فقالت مات بعلي وترك أبوين وأبناء وبني عم فقال القاضي لأبويه الثكل ولابنه اليتم ولك الأيمة ولبني عمه الذل واحملي المال إلينا إلى أن ترفع الخصومة .

* * *

(١١) دخل عدي بن أرطأة على شريح القاضي فقال له أين أنت أصلحك الله فقال بيناك وبين الحائط قال استمع مني قال قل اسمع قال اني رجل من

أهل الشام قال من مكان سحيق قال وقد تزوجت عندكم قال بالرفاء والبنين قال وأردت أن أرحلها قال الرجل أحق بأهله قال وشرطت لها دارها قال الشرط أملك قال فاحكم الآن بيننا قال قد فعلت قال فعلى من حكمت قال على ابن أمك قال بشهادة من قال بشهادة ابن أخت خالتك .

* * *

(١٢) قال المأمون لقاضي القضاة يحيى بن أكثم وكان يرمى بفعل قوم لوط أخبرني من الذي يقول :-

قاض يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس

قال يقوله يا أمير المؤمنين الذي يقول :

لا أحسب الجور ينقضي وعلى الأمـ ـة وال من آل عباس

قال ومن يقوله قال أحمد بن أبي نعيم قال ينفى إلى السند وإنما مزحنا معك .

* * *

(١٣) قال الثعالبي في اليتيمة في ترجمة القاضي التنوخي وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز ما لفظه : ويحكى أنه كان في جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة والتبسط في القصف والخلاعة وهم ابن أبي قريعة وابن معروف والقاضي التنوخي وغيرهم وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها وكذلك كان الوزير المهلبي فإذ تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه وهبو ثوب الوقار للعقار وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش ووضع في يد كل منهم كاس من ذهب من ألف مثقال إلى ما دونها مملوءاً شراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه بل ينقعها حتى تتشرب أكثره ويرش

بها بعضهم على بعض ويرقصون أجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم والمنشور ويقولون كلما كثر شربهم هرهر وإياهم عنا السري الرفا بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها إذا انتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجنون لنا بشيمة حلوة من الشيم
تخضب بالراح شيبه عبثاً أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته شيبة عثمان ضرجت بدم

(أقول) فإذا كانت هذه حال قضاة المسلمين فعلى الإسلام السلام .

* * *

(١٤) ذكر نصر الهوريني في ترجمة القاضي ابن خلكان انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولون انك تكذب في نسبك وكان ينتسب إلى البرامكة وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال اما النسب والكذب فيه فإذا كان لا بد منه كنت انتسب إلى العباس أو إلى علي بن أبي طالب أو إلى واحد من الصحابة وأما النسب إلى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما منه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم وإذا كان ولا بد فكنت أشرب الخمر لأنها ألذ وأما محبة الغلمان فإلى غداجيبك عن هذه المسألة (أقول) تأخير جوابها لأنه لا جواب له عنها .

* * *

(١٥) عن ابن الأعرابي قال خاصم أبو دلامة رجلاً إلى عافية بن زيد القاضي وكان المهدي ولاه قضاء بغداد فقال أبو دلامة :

لقد خاصمتني غواة الرجال وخاصمتهم سنة وافيـة
فما أدحض الله لي حجة وما خيب الله لي قافية
فمن كنت من جوره خائفاً فلست أخافك يا عافية

فقال له عافية لأشكونك لأمير المؤمنين قال لم تشكوني قال لأنك هجوتني قال لئن شكوتني إليه ليعزلنك قال لماذا قال لأنك لا تعرف الهجو من المدح .

* * *

(١٦) قال عبد الرحمن بن مسهر ولاني القاضي أبو يوسف القضاء (بجبّل) وبلغني ان الرشيد منحدر إلى البصرة فسألت أهل جبّل ان يثنوا علي فوعدوني وتفرقوا فلما يئست منهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت له فوافى وأبو يوسف في الحراقة فقلت يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل قد عدل فينا وفعل وصنع وجعلت أثني على نفسي فرآني أبو يوسف وطأطأ رأسه وضحك فقال له هرون مم تضحك فقال ان المثني على نفسه هو القاضي فضحك هرون حتى فحص برجليه وقال هذا شيخ سخيف سفلة فأعزله فعزلني .

* * *

(١٧) عن علي بن هشام قال كان للحجاج قاض بالبصرة من أهل الشام يقال له أبو حمير فحضرت الجمعة فمضى يريدها فلقيه رجل من العراق فقال أين تذهب قال إلى الجمعة قال أما بلغك ان الأمير قد أخر الجمعة اليوم فرجع فلما كان الغد قال له الحجاج أين كنت يا أبا حمير لم تحضر معنا الجمعة قال أخبرني بعض أهل العراق ان الأمير اخر الجمعة فضحك الحجاج وقال أما علمت ان الجمعة لا تؤخر .

* * *

(١٨) تقدم رجل إلى أبي العطوف قاضي حران فقال اصلح الله القاضي هذا ذبح ديكا لي فخذلي بحقي فقال القاضي عليكما بصاحب الشرطة .

* * *

(١٩) سأل المأمون رجلاً من أهل حمص عن قضاتهم فقال يا أمير المؤمنين إن قاضينا لا يفهم وإذا فهم وهم قال كيف هذا قال ادعي عنده رجل على آخر أربعة وعشرين درهماً فأقر له الآخر فقال اعطه قال أصلح الله القاضي لي حمار اكتسب عليه كل يوم أربعة دراهم أنفق على الحمار درهماً وعلي درهماً وأدفع له درهمين فإذا اجتمع ماله غاب عني فأنفقها فليحبسه القاضي اثني عشر يوماً حتى أجمعها له فحبس صاحب الحق حتى جمعها له فضحك المأمون وعزله .

* * *

(٢٠) كان في (تاهرت) قاض من أهلها فحنى رجل جناية ليس لها في كتاب الله حد منصوص ولا في السنة فأحضر الفقهاء وقال ما ترون فقالوا الأمر لك قال فإني رأيت أن أضرب المصحف بعضه ببعض ثلاث مرات ثم افتحه فما خرج من شيء عملت به قالوا وفقت ففعل بالمصحف ما ذكر ثم فتح فخرج قوله تعالى (سنسمه على الخرطوم) فقطع أنف الرجل وخلى سبيله .

* * *

(٢١) كان قاض في البادية يسمى الشيخ زرّيج (زريق) فمات اعرابي وترك بنتين وثلاث جاموسات فأرادتا القسمة فجعلتا جاموستين سهماً وجاموسة سهماً فكل من أخذت الجاموسة الواحدة ترى سهمهما أقل فترافعا إلى الشيخ زريج ليقسم بينهما فقال جاموسة لفلانة وجاموسة لأختها وجاموسة للشيخ زريج فرضيتا بذلك .

* * *

(٢٢) تقدم رجلان إلى أبي ضمضم القاضي فادعى أحدهما على الآخر

طنبوراً فأنكر المدعى عليه فقال للمدعي الك بينة قال نعم فأتى بشاهدين فقال المدعى عليه سلهما ما صناعتهما فإذا أحدهما نباذ والآخر قواد فقال القاضي تريد على طنبور أعدل من هذين قم فاعطه طنبورة .

* * *

(٢٣) ترافعت امرأة مع زوجها إلى الشعبي فقضى عليها فجعلت تبكي فرق لها بعض الحاضرين وسأل الشعبي أن يعيد النظر في أمرها فأبَى فقال أما تراها تبكي قال ان اخوة يوسف جأوا أباهم عشاء يبكون .

* * *

(٢٤) ادعى رجل على آخر مالاً فجحده فترافعا إلى القاضي فقال الك شهود فقال نعم وأتى بشاهدين معروفين بالصلاح فشهدا له فأراد أن يحكم على خصمه فجزع جزعاً شديداً وضج وبكى وأنكر أن يكون دفع إليه شيئاً فعلم القاضي من حاله أنه بريء وتحير في وجه شهادة الشهود مع علمه بصلاحهما وعدم احتمال كذبهما فتوقف عن الحكم وجعل يفكر في ذلك ثم قال لهما هل دفع له هذا المال أمامكما قال لا وإنّما أحضرنا وقال اشهدوا ان لي عند فلان كذا ولم يكن غريمه حاضراً فشهدنا فكبر وعلم أنهما مغفلان وان كانا صالحين ولذلك قيل انا لنرد شهادة من نرجو شفاعته .

* * *

(٢٥) ولي رجل قضاء الأهواز فأبطأت عليه أرزاقه وحضر عيد الأضحى وليس عنده ما يضحي به فأخبر زوجته فقالت عندنا ديك عظيم سمين فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه فبلغ الخبر جيرانه فأهدوا له ثلاثين كبشاً فقال لزوجته احتفظي بديكنا فلهو أكرم على الله من اسحق بن إبراهيم انه فدي بكبش واحد وديكنا فدي بثلاثين كبشاً .

* * *

(٢٦) تنازع رجل مع زوجته وكانت تخبز وبين يديها بقية دقيق فوضعته في صرة وجعلتها تحت حزامها وذهبا إلى القاضي فلما رأى الصرة ظنها دراهم جاءت بها معها لتعطيه إياها فجعل القاضي كلما جاء الزوج بحجة أبطلها وكلما جاءت الزوجة بحجة أيدها حتى حكم لها عليه ثم خرجا فلما رأى أنها لم تعطه شيئاً أرسل وراءها وأشار انه يريد الصرة فأخرجتها فإذا فيها دقيق فقالت أأخبزه لك أو تأكله دقيقاً فقال بل انثريه على لحية من يحكم قبل أن يقبض .

* * *

(٢٧) أوصى رجل بالشام أن ينفق عنه خمسمائة قرش لمن لا يخاف الله فلما مات استفتى ولده في ذلك فقيل له ادفعها للصوص فذهب إلى مكان يأوي إليه اللصوص في البرية ومعه المال فما شعر اللصوص إلا وهو معهم فذعروا منه فقال لهم لا تخافوا وخذوا هذا المال فعجبوا من ذلك وسألوه فأخبرهم ان أباه أوصى به لمن لا يخاف الله فأبوا أن يأخذوه وقالوا نحن نخاف الله وإذا خرجنا من بيوتنا نطلب من الله الستر ولا نرضى لأنفسنا أن نكون ممن لا يخاف الله فرجع متحيراً فأشير عليه أن يسأل القاضي ويأخذ بما يقوله فسأله فقال ان في دار الحكمة ثرايا حصل من ترميمها فاستأجر على نقله بذلك المال تبرأ ذمتك (انش) فاستأجر عليه فلما تم نقله وأراد الانصراف قال له القاضي إلى أين قال إلى منزلي قال وأين ثمن التراب وألزمه بدفع ثمنه فعلم حء ان المال صار إلى من لا يخاف الله .

* * *

(٢٨) كان في بغداد قاض وفي بعض الأيام لم يكن عنده ما ينفق فقال لخادمه اذهب فانظر هل تجد أحداً له دعوى ولو ميتة أو دين على أحد ولو

هالكاً أو شيء يتشبث به فأتني به فذهب الخادم فلم يجد أحداً فقال اذهب وائتني بأول من تراه أياً كان فذهب فرأى رجلاً فقال أجب القاضي فقال ليس لي معه شغل فقال لا بد من ذهابك إليه فجاء فقال له القاضي هل لك دعوى على أحد قال لا قال هل عليك دعوى لأحد قال لا قال هل لك دين على أحد حتى نحصله لك قال لا قال هل عليك دين لأحد قال لا قال هل ورثت ميراثاً يحتاج إلى قسمة لنقسمه لك قال لا قال هل أنت وصي لأحد حتى تثبت لك وصايتك قال لا فلما أعياه قال لكاتبه اكتب له أعلاماً شرعياً بأنه ليس مدعياً ولا مدعى عليه فقال خذ هذا الإعلام فأخذه وألزمه بدفع رسمه فدفعه فأعطاه للخادم وقال اذهب إلى السوق واشتر به لوازم البيت .

* * *

(٢٩) ترافع خصمان إلى قاض لا يقرأ ولا يكتب فحكم لأحدهما على الآخر فطلب المحكوم له أن يكتب له صورة الحكم فخجل أن يقول انه أمي وأخذ القلم وخط خطوطاً مختلفة في القرطاس ليوهم الخصمين انه يكتب وكانا أميين كقاضيهما وأعطاه للمحكوم له وبعد سنة تنازعا فترافعا إليه فحكم للمحكوم عليه أولاً وكان قد نسي الحكم الأول فقال صاحبه قد ترافعنا إليك في العام الماضي وحكمت لي واراه الورقة فتأملها ملياً ثم قال ذلك حكمي العام الماضي وهذا حكم اليوم .

الفصل الثاني

في نوادر المعلمين وأخبارهم
وبعض ما قيل فيهم من الشعر

(١) عن الشعبي قال سمعت أبا بكر يقول مررت بمؤدب وقد تلا على غلام (فريق في الحبة وفريق في الشعير) فقلت ان الآية هكذا (فريق في الجنة وفريق في السعير) فقال انت تقرأ على حرف أبي عاصم بن العلاء الكسائي وأنا أقرأ على حرف أبي حمزة بن عاصم المدني قلت معرفتك بالقراء أعجب وأغرب .

* * *

(٢) قال بعضهم مررت بدار فإذا على بابها معلم قائم على أربع ينبح نبح الكلاب وإذا صبي قد خرج فقبض عليه المعلم فسألته عن ذلك فقال هذا صبي يبغض التأديب ويفر ويدخل الدار فلا يخرج وله كلب يلعب به فانبح له فيظن أني كلبه فيخرج فاخذه .

* * *

(٣) قال الجاحظ قلت لمعلم مالي لا أرى لك عصا قال لا أحتاج إليها إنما أقول من لا يرفع صوته فامه زانية فيرفعون أصواتهم وهذا أبلغ من العصا وأسلم .

* * *

(٤) قال وقلت لمعلم لم تضرب غلمانك من غير جرم قال جرمهم عظيم انهم يدعون لي بالحج وان حججت تفرقوا في المكاتب فمتى أحج أنا مجنون .

* * *

(٥) قال غلام للصبيان هل لكم أن يتركنا الشيخ اليوم قالوا نعم قال تعالوا نشهد له انه مريض فقال أحدهم أراك مصفر الوجه وقال آخر أراك ضعيفاً وأظنك ستحم فلو مضيت إلى منزلك واستريحت وسأل الباقين فأخبروا بمثل ذلك فقال لهم انصرفوا اليوم وتعالوا غداً وذهب إلى منزله فقال يا بني الفاعلة أنا مريض ولا تخبروني افرشوا لي ودثروني .

* * *

(٦) جاء معلم إلى الجاحظ فقال أنت الذي صنعت كتاب المعلمين تعيبهم قال نعم قال وذكرت فيه ان بعض المعلمين جاء إلى صياد وقال ايش تصطاد طرياً أم مالحاً قال نعم قال ذلك أبله ولو كان ذكياً كان يقف فينظر ان خرج طري علم أو خرج مالح علم .

* * *

(٧) قال الجاحظ مررت بمعلم وقد كتب لغلام وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويداً فقلت له ويحك قد أدخلت سورة في سورة قال نعم إذا كان أبوه يدخل شهراً في شهر فأنا أيضاً أدخل سورة في سورة فلا آخذ شيئاً ولا ابنه يتعلم شيئاً .

* * *

(٨) قال الجاحظ : أتت امرأة إلى معلم بابن لها وقالت إن هذا الصبي

لا يطيعني فأحب أن تخوفه فأخذ المعلم لحيته وكانت طويلة وألقاها في فمه وحرك رأسه وصاح صيحة رجفت لها المرأة من الفزع فقالت له إنما قلت لك ان تخوف ابني لا أن تذهب عقلي فقال لها يا حمقاء إن العذاب إذا نزل أهلك الصالح والطالح .

* * *

(٩) يحكى عن الجاحظ انه قال عملت كتاباً في نوادر المعلمين ثم مررت بمعلم فوجدته في غاية الظرافة والأدب فعزمت على تمزيق الكتاب فلما كان بعد مدة أتيت لزيارة ذلك المعلم فقيل لي هو مريض فاستأذنت عليه لأعوده فلما دخلت وسلمت قلت له ما علتك قال أنا عاشق فقلت ومن تعشق قال أم عمرو قلت وهل رأيتها قال لا ولكني سمعت منشداً يقول :

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة ردي علي فؤادي كالذي كانا

فعلمت أنها لو لم تكن جميلة لم يقل فيها هذا الشعر فتعشقتها ثم سمعت منشداً يقول :

لقد ذهب الحمار بأم عمرو فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها قد ماتت فمرضت جزعاً عليها فلما سمعت منه ذلك عزمت على إبقاء الكتاب وجعلت هذه القصة ختاماً له .

* * *

(١٠) قال أبو العنبس كان ببغداد معلم يشتم الصبيان فدخلت عليه وشيخ معي فقلنا لا تفعل لا يحل لك فقال ما أشتم إلاّ من يستحق الشتم فاسمعوا ما أنا فيه فقرأ صبي عليها ملائكة غلاظ شداد يعصون الله ما أمرهم ولا يفعلون ما يؤمرون فقال ليس هؤلاء ملائكة ولا اعراب ولا أكراد فصحكنا كثيراً وقرأ عليه آخر (هم الذين يقولون لا تنفقوا إلاّ من عند رسول الله) فقال

يا ابن الفاعلة أتلزم النبي بنفقة مال لا تجب عليه .

* * *

(١١) قال بعضهم مررت بمعلم والصبيان يضربونه فتقدمت لأخلصه فقال دعهم بيني وبينهم شرط ان سبقتهم إلى الكتاب ضربتهم وان سبقوني ضربوني واليوم غلبني النوم فتأخرت ولكن وحياتك الابكرت غداً من نصف الليل وتنظر فعلي بهم فقال له صبي أنا أبات الليلة ها هنا .

* * *

(١٢) كان في خراسان قروي له عجل أدخل رأسه في حب الماء ليشرب ولم يقدر أن يخرجه فاستحضر معلم القرية وقال قد وقعت واقعة لعلك تجد لنا منها مخلصاً وأراه العجل فأخذ سكيناً وذبح العجل فوقع رأسه في الحب وأخذ حجراً وكسر الحب فقال القروي بارك الله فيك قتلت عجلي وكسرت حبي .

* * *

(١٣) شكا بعض الصبيان إلى المعلم ان رفيقه عضه في أذنه فقال رفيقه لا تصدقه أيها الشيخ هو عض أذنه فقال له المعلم كذبت أهو جمل حتى يقدر أن يعض أذنه .

* * *

(١٤) عن ابن خلف المقري قال أنشدني بعض المعلمين وقد جلس حديث عهد بتعليم :

ما طار بين الخافقين أقل عقلاً من معلم
ولقد دخلنا في الصنا عة عن قريب رب سلم

* * *

(١٥) قيل لمعلم ابن معلم مالك أحمق فقال لو لم أكن أحمق لكنت ولد زنا .

* * *

(١٦) قال بعضهم :

كفى المرء نقصاً أن يقال بأنه معلم صبيان وإن كان فاضلا

* * *

(١٧) قرأ صبي على معلم فأخرج منها فإنك رجيم فقال ذاك أبوك الكشخان فقرأ وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين وأخذ يكرر ويقف فقال عليك وعلى أبويك فقال الصبي ليس على أبويك ولكن عليك .

* * *

(١٨) قال صبي لمعلمه اني رأيت في المنام كأنّي مطلي بعذرة وأنت مطلي بعسل فقال هذا عملك السوء وعملي الصالح ألبسنا الله إياهما قال الصبي فاسمع تمام الرؤيا وكنت تلحسني وأنا ألحسك فقال اعزب لعنك الله .

الفصل الثالث

في نوادر المتنبئين وأخبارهم المستطرفة

(١) ادعى رجل النبوة أيام المهدي فأدخل عليه فقال له أنت نبي قال نعم قال وإلى من بعثت قال أو تركتموني أذهب إلى أحد ساعة بعثت وضعتموني في الحبس فضحك منه وخلى سبيله .

* * *

(٢) ادعى رجل النبوة بالبصرة فأتى به سليمان بن علي مقيداً فقال له أنت نبي مرسل قال اما الساعة فإني مقيد قال من بعثك قال أبهذا تخاطب الأنبياء يا ضعيف والله لولا اني مقيد لأمرت جبرائيل يدمدمها عليكم قال فالمقيد لا تجاب له دعوة قال نعم الأنبياء خاصة إذا قيدت لم يرتفع دعاؤها فضحك سليمان وقال أنا أطلقك وأمر جبرائيل فإن أطاعك آمنا بك قال صدق الله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم فضحك سليمان وقيل له انه ممرور فخلى سبيله .

* * *

(٣) قال ثمامة بن أشرس أتى المأمون برجل ادعى النبوة وانه إبراهيم الخليل فقلت أكلمه قال شأنك به فقلت له ان إبراهيم أضرمت له نار وألقي فيها فصارت برداً وسلاماً فنحن نضرم لك ناراً ونلقيك فيها فإن كانت عليك برداً آمنا بك فقال هات ما هو ألين علي من هذا قلت براهين موسى ألقى عصاه فصارت حية تلقف ما يأفكون وضرب بها البحر فانفلق وبياض يده

من غير سوء قال هذا أصعب قلت براهين عيسى كان يحيي الموتى ويمشي على الماء ويبرىء الأكمه والأبرص قال جئت بالطامة الكبرى قلت لا بد من برهان قال ما معي شيء من هذا قد قلت لجبرائيل انكم توجهونني إلى شياطين فأعطوني حجة فغضب وقال بدأت أنت بالشر قبل كل شيء اذهب الآن فانظر ما يقول لك القوم فقلت هذا هاج به مرار فتركه .

* * *

(٤) ادعى رجل النبوة في أيام المهدي فقال له أنت نبي قال نعم قال متى نبئت قال وما تصنع بالتاريخ قال ففي أي المواضع جاءتك النبوة قال ليس هذا من مسائل الأنبياء فقال المهدي لشريك القاضي ما تقول في هذا النبي قال شاورته في أمري ولم تشاورني قال هات ما عندك قال أكافر أنا عندك أم مؤمن قال كافر قال ان الله يقول ولا تطع الكافرين ودع أذاهم فلا تطعني ولا تؤذني ودعني أذهب إلى الضعفاء والمساكين فإنهم أتباع الأنبياء وادع الملوك والجبابرة فإنهم حطب جهنم فضحك وخلى سبيله .

* * *

(٥) ادعى رجل النبوة في زمن خالد القسري وعارض سورة الكوثر بقوله انا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر وكافر فما يؤذيك إلاّ فاجر فأمر به خالد فضربت عنقه وصلب على خشبة فمر به خلف بن خليفة الشاعر وقال انا أعطيناك العمود فصل لربك على عود بلا ركوع ولا سجود وأنا ضامن أن لا تعود .

* * *

(٦) ادعى رجل النبوة في أيام المأمون فقال ليحيى بن أكثم امضِ بنا ننظر إليه فذهبا متنكرين فجلس المأمون عن يمينه ويحيى عن يساره فقال له المأمون إلى من بعثت قال إلى الناس كافة قال فيوحى إليك أم ترى في المنام

ام ينفث في قلبك أم تناجي وتكلم قال بل أناجي وأكلم قال ومن يأتيك بذلك قال جبريل قال فمتى كان عندك قال قبل أن تأتيني بساعة قال فما أوحى إليك قال أوحى إلي انه يدخل علي رجلان فيجلس أحدهما عن يميني والآخر عن يساري والذي عن يساري الوط خلق الله قال المأمون أشهد أنك نبي وخرجا يتضاحكان .

* * *

(٧) أتى المأمون بإنسان متنبي فقال له الك آية قال نعم أعلم ما في نفسك قال ما في نفسي قال في نفسك اني كذاب قال صدقت وأمر به إلى الحبس ثم أخرجه بعد أيام فقام أوحي إليك بشيء قال لا لأن الملائكة لا تدخل الحبس فضحك وأطلقه .

* * *

(٨) تنبأ إنسان وادعى انه نوح ومعه صاحب آمن به فاستتابه الوالي فلم يتب فأمر به فصلب واستتاب صاحبه فتاب فناداه من الخشبة أتسلمني الآن فقال يا نوح قد علمت انه لا يصحبك من السفينة إلا الصاري .

* * *

(٩) ادعى رجل النبوة في عصر بعض الخلفاء فذهب إليه مع قاضيه ووزيره فقال له أنت نبي قال نعم قال ادع الله بأن يجعل هؤلاء الشبان شيوخاً فإذا جعلهم شيوخاً آمنا بك قال بل أجعل لك هؤلاء الشيوخ شباناً قال افعل فاخرج الموسى من جيبه وتقدم نحو القاضي فقال القاضي أشهد أنك رسول الله فادع غيري فتقدم نحو الوزير فقال وأنا أشهد أنك رسول الله فضحكوا وانصرفوا .

* * *

(١٠) قال الجاحظ كان مسيلمة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق يتعلم الحيل

والنيرنجيات واحتيالات أصحاب الرقى والعزائم والنجوم وكان أحكم علم الجرأة وأصحاب الزجر والخط فعمد إلى بيضة فصب عليها خلاً حاذقاً قاطعاً فلانت حتى إذا مدها الإنسان استطالت ودقت كالعلك ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس ثم تركها حتى انضمت واستدارت كهيئتها الأولى فأخرجها إلى قوم من الأعراب فأغواهم بها (وكان) يعمل راية من القرطاس الرقيق كما يفعله الصبيان ويجعل لها ذنباً وجناحين ويرسلها يوم الريح ليلاً بخيط طويل ويعلق عليها الجلاجل ويقول هذه خشخة الملائكة وزجلها تنزل علي (وكان) يصل جناح الطائر المقصوص بريش معه فيطير ويستغوي به الاعراب (وكان) في زمن النبي (ص) وألف كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه (ويقال) انه عارض سورة الذاريات فقال : والزارعات زرعاً فالحارثات حرثاً فالحاصدات حصداً فالدارسات درساً فالطاحنات طحناً فالعاجنات عجناً فالخابزات خبزاً فالآكلات أكلاً (فتممه) بعضهم فقال فالخاريات خرياً وتنبأ في زمانه امرأة يقال لها سجاح كحذام وفيها يقول الشاعر :

أمست نبيتنا أنثى نسر بها وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وحاربها مسيلمة ثم أرسل إليها هل لك في أن أتزوجك فيقال نبي تزوج نبية فقالت نعم فتزوجها وقال لها قومها أمثلك يتزوج بغير مهر فقال لهم مسيلمة قد وضعت عنكم صلاة العصر مهراً لها .

* * *

(١١) أتى المأمون بأسود ادعى النبوة وقال أنا موسى بن عمران فقيل له ان موسى أخرج يده من جيبه بيضاء فأخرج يدك بيضاء فقال إنما فعل ذلك موسى لما قال فرعون أنا ربكم الاعلى فقل أنت كما قال حتى أفعل أنا كما فعل .

* * *

(١٢) تنبأ حائك بالكوفة فاجتمع عليه الناس وقالوا اتقِ الله خف الله رأيت حائكاً نبياً قال ما تريدون أن يكون نبيكم إلاّ صيرفي .

* * *

(١٣) ادعى رجل النبوة فقيل له اخرج لنا من الأرض بطيخة قال امهلوني ثلاثة أيام قالوا ما نريدها إلاّ الساعة فقال ان الله تعالى يخرج البطيخة في ثلاثة أشهر فلا تصبرون ثلاثة أيام .

الفصل الرابع

في نوادر الطفيليين وأخبارهم المستطرفة وما قيل فيهم من الشعر

(الطفيلي) هو الذي يأتي إلى وليمة لم يدع إليها (والذي) يدخل على القوم في شرابهم ولم يدع إليه يسمى الواغل (والطفيلي) قيل مأخوذ من الطفل وهو إقبال الليل على النهار بظلمته وقيل منسوب إلى (طفيل) رجل من أهل الكوفة من غطفان كان يأتي الولائم من غير أن يدعى إليها فقيل له طفيل الأعراس والعرائس (وقيل) منسوب إلى طفيل ابن زلال رجل من بني هلال كان ينزل حفر أبي موسى وهو منزل من منازل العرب حفر فيه أبو موسى الأشعري ركايا على جادة البصرة إلى مكة فكان إذا سمع بقوم عندهم دعوة أتاهم وهو أول من طفل وأبوه أول من زل أي حمل الطعام من الولائم ونحوها فسمي التطفيل به والزل بأبيه (والذي) يجيء مع الضيف ولم يدع يسمى (الضيفن) .

(والتطفيل) حرام ما لم يعلم برضا صاحب المنزل وكيف كان فهو دناءة وجاء في عدة أحاديث من طريق الجمهور من دعي فليجب ومن لم يجب فقد عصى الله ورسوله و من دخل من غير دعوة دخل سارقاً وخرج مغيراً اه وتسمية عدم إجابة الدعوة معصية محمول على شدة الكراهة والضيف إذا أطال المقام عند مضيفه حتى يحرجه ويشق عليه كان بمنزلة الطفيلي .

ما قيل في الطفيليين من الشعر

(١) لبعضهم :

يحب الراح من مال النداما ... ويأكل أكل شداد بن عاد
ولا يروي من الأشعار شيئاً ... سوى بيت لا برهة العبادي
قليل المال تصلحه فيبقى ... ولا يبقى الكثير على الفساد

* * *

(٢) لآخر :

طفيلي يرى التطفيل ديناً ... وقرة عينه غشيان عرس
إذا قبضت يداه على رغيف ... يقسم نهبه بيـــد وضرس

* * *

(٣) وقال آخر :

لو طبخت قـــدر بمطمورة ... أو في ذرى قصر بأقصى الثغور
وكنت في الصين لو افيتها ... يا عالم الغيب بما في القدور

* * *

(٤) وقال آخر :

أسرف في التطفيل من ذباب ... على طعام وعلى شراب
لو أبصر الرغفان في السحاب ... لطار في الجو مع العُقاب

* * *

(٥) لأبي علي سليمان بن الفتح الموصلي :

مطفل أطفل من ذباب ... على طعام وعلى شراب

يمرّ مرّ الريح والسحاب ينزل تطفيلاً بباب باب
لا يخشى الرد من البواب وان له أغلظ في الخطاب
يحمل حملات أبي تراب في يوم صفين وفي الأحزاب
بالجدي منه أثر الذئاب من كفه وظفره والناب
وصاحب المنزل في عذاب لسوء ما يأتي من الآداب

* * *

(٦) وله أيضاً :

طفيلي على فرس يدور يقدر عند من غلت القدور
بأوقات الموائد حين يؤتى بها للأكل عـلام خبير
له في الغيب أسطر لاب وحي بمائدة إذا وضعت نذير
فبطليموس في تحديد وقت إليه بغير ما غلظ يشير
ولو قالوا (بتاهرت) طعام لمر إليـه تطفيلاً يشير

* * *

(٧) وقال آخر في طفيلي :

يعجبه من عنده دعوة فهو يراها أبداً في المنام
قد كتب التطفيل في وجهه هذا حبيس في سبيل الطعام

* * *

(٨) لعلي بن العباس الرومي في طفيلي :

يخالف إخوانه في الطريق إلى أن تضمهم المائده
فبينا كذاك إذا هم به مع القوم كالحية الراصده
يلين الطعام على ضرسه ولو كان من صخرة جامده
ويأكل زاد الورى كله ولكنها أكلة واحده
فلو عاينتـه حجيم الأله لخرت لمعدتـه ساجده

(٩) وقال بعض أهل العصر :

إن المشائخ لا تحصى مناقبهم ... ولو نظمنا بها كل الأراجيز
قوم إذا سمعوا بالرز في جبل ... دكوا النعال ودقوا بالعكاكيز

* * *

(١٠) لأبي روح ظفر بن عبد الله الهروي :

إن الطفيلي له حرمـة ... زادت على حرمه ندمان
لأنه جاء ولم أدعـه ... مبتدئاً فيـه بإحسان
مائدتي للناس منصوبة ... فليأتها القاصي مع الداني
أحبب بمن أنساه لا عن قلى ... وهو يجيء ليس ينساني

أشعار الطفيليين

(١) قال طفيلي :

لذة التطفيل دومي ... وأقيمي لا تريمي
أنت تشفين غليلي ... وتسلين همومي

* * *

(٢) وقال آخر :

دعوت نفسي حين لم تدعني ... فالحمد لي لا لك في الدعوه
وكان ذا أحسن من موعد ... اخلافه يدعو إلى الجفوه

* * * *

(٣) وقال طفيلي آخر :

نحن قوم إن جفا النا ... س وصلنا من جفانا
ما نبالي صاحب الدا ... ر نسينا أو دعانا

* * *

(٤) وقال طفيلي آخر :

إن شكري لمنة التطفيـــل وأياديه منذ دهر طويل
كم تراني قد نلت من لذة العيـ ـش بأسبابه وحظ جزيـــل
فإذا ما عرفت مجتمع الإخـ وان في بيت صاحب أو خليل
كان اتيانه صواباً على الأنـ ـس ولم أجتنب كفعل الثقيل
وجعلت السعي السبيل إلى ذا ك ولم أنتظر مجيء الرسول

* * *

(٥) وقال آخر :

نحن قوم إذا دعينا أجبنا ثم إن ننس يدعنا الطفيل
ونقل علنا دعينـــا فغبنـــا فأتانا فلم يجدنا الرسول
نصرف القول نحو أجمل فعل مثلما يفعل الودود الوصول

* * *

(٦) وقال آخر :

ولما ان كتبت فلم تجبني ولم تنظر إلي بعين أنس
رأيت الحزم أن أمضي ركابي إليك وان أكون رسول نفسي

* * *

(٧) وقال آخر :

أتأذن لي حين لا دعوة وتحجبني حين ذبح الجمل
جعلت فداك فماذا الجفا الست طفيليكم لم أزل

* * *

(٨) وقال بعض الطفيليين :

نحن قوم نحب هدي رسول الـ ـله هدياً به الصواب أصبنا
فادعنا كلما بسطت فإنّا لو دعينا إلى كراع أجبنا

* * *

(٩) وقال آخر :

نحن قوم نحسن الإقـ ـدام في وقت الزحام
هكذا فليكـــن التط فيل تطفيـــل الكرام

* * *

(١٠) وقال بعض الطفيليين :

قل لأهل التطفيل اني امام لكم بين شيبكم والشباب
كل يوم أجول في عرصة المص ر أشم القتار شم الذباب
فإذا ما رأيت آثار عرس أو ختان أو دعوة الأصحاب
لم أعرج دون التقحم فيها غير مستأذن ولا هياب
لا تراني أخيم من نبحة الكلـ ـب ولا من سفاهة البواب
يرهب الناس من ثيابهم الشق وهمي هناك شق الثياب
لا أبالي حللت بالسادة القا دة أم بالعلوج والاعراب
فتراني ألف بالرغم منهم كل ما قدموه لف العقاب
ذاك أهنى من التكلف والكد ونقـــد البقـــال والقصاب
قابل ان جرى علي امتهان في سبيل الحلواء والحوذاب

ما نقشه الطفيليون على خواتيمهم

(١١) كان نقش خاتم بنان (وما لكم لا تأكلون) ونقش بعضهم على خاتمه (أكلها دائم) ونقش آخر (آتنا غداءنا) ونقش آخر (لا تبقي ولا تذر) .

وصايا الطفيليين نظماً

(١) أنشد بنان وكان طفياياً مشهوراً :

يا صفي النفس يا خير جليس ونديم
قل إذا ما جئت قوماً زائراً قول حكيم
قد أتيناكم بحسن الظن والود القديم
ما نخاف الرد والحر مان إلاّ من لئيم
نحن قوم وهب الله لنا فضل الحلوم
قد بلونا الناس ما جا هل أمر كعليم
ليت من لام على التط فيل في نار الجحيم

* * *

(٢) وقال آخر :

لا تسمعن بدعوة ووليمة في السند إلاّ كنت ممن يجمع
حتى تفوز بما لديهم عنوة وقلوبهم حقاً عليك تصدع
وعليك بالفالوذ عند حضوره ودع البقول فإنها لا تنفع
والجدي فاضرب فيه ضربك بالعدى لا تقلعن عنه إذا قالوا ارفعوا
وهريسة الخباز فاقصد نحوها فهي الأمان من الخوى يا مربع
واترك موائدهم بأكلك بلقعا تشكو الخواء ومن دعوا لم يشبعوا

* * *

(٣) كان طفيل العرائس الذي ينسب إليه الطفيليون يوصي ابنه عبد الحميد في علته فيقول : إذا دخلت عرساً فلا تتلفّت تلفّت المريب وتخير المجالس فإن كان العرس كثير الزحام فأمر وانه ولا تنظر في عيون أهل المرأة

ولا في عيون أهل الرجل ليظن هؤلاء أنك من هؤلاء ويظن هؤلاء انك من هؤلاء فإن كان البواب غليظاً وقاحاً فابدأ به ومره وانهه من غير أن تعنفه وعليك بكلام بين النصيحة والإدلال ثم قال :

لا تجزعن من القري ب ولا من الرجل البعيد
وادخل كأنك طابخ بيديك مغرفة الثريد
متدلياً فوق الطعا م تدلي البازي الصيود
لتلف ما فوق الموا ئد كلها لف الفهود
واطرح حياءك إنّما وجه المطفل من حديد
حتى إذا جاء الطعا م ضربت فيه بالشديد
وعليك بالفالوذجا ت فإنها بيت القصيد
والعرس لا يخلو من ال لوزينج الرطب العتيد
فإذا أتيت به محو ت محاسن الجام الجديد

ثم أغمي عليه ساعة عند ذكر اللوزينج فلما أفاق رفع رأسه وقال :

وتنقلن على الموا ئد فعل شيطان مريد
وإذا انتقلت عبثت بال كعك المجفف والقديد
يا رب أنت رزقتني هذا على رغم الحسود
واعلم بأنك إن قتلـ ت نعمت يا عبد الحميد

وصايا الطفيليين نثراً

(١) مرض طفيلي فقال له غلامه أوصني قال من الله عليك بصحة الجسم وكثرة الأكل ودوام الشهوة ومتعك بضرس طحون ومعدة هضوم . إذا قعدت على مائدة ولم تجد ماء فغصصت فضع يدك اليمنى فوق رأسك

وحركها كانك تسوي كمك فإنها تنزل بإذن الله واذا كان موضعك ضيقاً فقل للذي إلى جانبك لعلي ضيقت عليك فإنه يتأخر إلى خلف ويقول لا والله موضعي واسع فيتسع عليك موضع رجل ولا تصادفن من الطعام شيئاً فترفع يدك عنه وتقول لعلي أصادف أطيب منه قال زدني قال إذا وجدت خبزاً فيه قلة فكل الحروف فإذا كان كثيراً فكل الأوساط ولا تكثر شرب الماء وأنت تأكل فإنه يمنعك الأكل وهذا عين الحماقة .

* * *

(٢) أوصى بنان رجلاً كان معه على المائدة فقال له لا تخالفني على كل ما أقول لك قال فأتينا بالهريسة فقال لي كل منها لقمة أو لقمتين أو ثلاثاً ثم أتينا بالقلايا اليابسة فقال لي لا تأكل إلاّ لقمة أو لقمتين ولا تكثر ثم أتينا بالبقلية فقال لي كل لقمة أو لقمتين ثم أتينا بالشواء فقال لي لا تأكل منه وبق نفسك فانا في كل يوم نصيب الشواء بدانق يقوم مقام هذا ثم أتينا بالفالوذج وكان كثيراً شبيهاً بالصومعة فقال لي ائت من تحت حتى ينهار ففعلت فقال كل وأكثر فإنك لا ترى هذا في كل يوم ثم أتينا باللوزينج فقال لي ازوج وثلث فإن مت في ذامت شهيداً ثم أتينا بطبق عليه دجاج مسمن مشوي فأكل أكل اثنين أو ثلاثة وقال لي كل ولا تقصر فإن قيمة هذه ثلاثة دنانير ولا تأكل إلاّ ما له قيمة .

هذا يدل على أنهم كانوا يستعملون في المائدة مثل ما يستعمله الأتراك والافرنج اليوم من المجيء بالألوان واحداً بعد واحد .

* * *

(٣) قال بعض الظفيليين إذا كنت على مائدة فلا تتكلمن في حال أكلك وإن اضطررت إلى الجواب فلا تجب إلاّ بنعم فإنها مضغة .

* * *

(٤) أوصى بنان رجلاً فقال إذا دعيت إلى وليمة انشاء الله فإياك أن تتأخر إلى آخر الوقت وتقول الساعة اذهب وإلى ساعة وايش فاتني وبعد ما جاء أحد ولم أكون أنا أول الناس فهذا فعال الحمقى القليلي الحزم فإذا دعيت فاستخر الله وكن من السبق اعلم انه ليس يجيء في أول الأوقات الا جلة الناس وسراتهم فقعودك مع هؤلاء فائدة تسمع كل حديث حسن وخبر ظريف وأنت واسع الموضع قاعد على أول مائدة واعلم يا أخي ان آخر مائدة يضيق عليهم الطعام ويقل ولا يقدر الرجل أن يأكل من اللون أكثر من لقمة لقلته وكثرة الأيدي عليه فموضعك أضيق من جوفك فإذا قال لهم صاحب الوليمة قوموا سارعوا إلى الخوان فانبسطوا في ميدان المضغ والزقوا الأكتاف بالأكتاف كأنهم بنيان مرصوص يأكلون ميمنة وميسرة وقلباً وتسمع لهم في حلوقهم معمعة لأنه لا يقعد على آخر مائدة إلاّ ضعفاء الجيران ومساكين المحلة والخدام يقدم الجدي أضلاع بلا لحم وحوله خس وهندبا كأنه كوخ ناطور قد وقع خشبه وبقي القصب قائماً وإنما شرحت لك لتفهم ونصحتك غاية النصيحة وبينت لك ما بين سفيان الثوري في جامعة متعك الله بسعة الصدر وطيب الأكل والصبر على المضغ انها دعوة مغفول عنها .

ما جاء في الضيف الذي يطيل المقام

فإنه في معنى الطفيلي :

(١) قال المبرد : ضاف رجل قوماً فطال مقامه فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا بعلم مقدار مقامه قالت القي بيننا شراً حتى نتحاكم إليه ففعلا فقالت للضيف بالذي يبارك لك في غدوك غداً أينا الظالم فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهراً ما أعلم .

* * *

(٢) نزل بعض أهل البصرة على مديني فأطال المقام فقال المديني لامرأته إذا كان غداً فإني أقول لضيفنا كم ذراعاً تقفز فأقفز أنا من العتبة إلى باب الدار فإذا قفز الضيف اغلقي الباب خلفه فلما كان من الغد قال له المديني كيف قفزك يا أبا فلان قال جيد فوثب المدني من العتبة إلى خارج الدار أذرعا وقال له ثب فوثب إلى داخل الدار ذراعين فقال له أنا وثبت إلى الخارج الدار أذرعاً وأنت تثب إلى داخل الدار ذراعين قال ذراعان إلى داخل خير من أربعة إلى برا .

* * *

(٣) ضاف رجل قوماً في الشتاء فأطال المقام وكان إذا أرادوا كنس البيت يجلس على الخشب الذي يداس به البيدر فبينا هو جالس عليه يوماً إذ جعل يبكي فسألوه عن سبب بكائه فقال تذكرت انه إذا جاء الصيف وأخرجتم هذا الخشب لدياس البيدر فعلى أي شيء أجلس .

* * *

(٤) ضاف رجل قوماً فأطال المقام فتبرموا به فقال الرجل لامرأته إذا وضعت له الطعام فكلما أكل رغيفاً قولي قتل فارس في المعركة ففعلت ذلك وفطن لها الضيف فجعل يأخذ عدة أرغفة ويأكل منها جميعاً فقالت المرأة قد حصلت حملة عنيفة لم يعرف فيها القاتل من المقتول .

أخبار الطفيليين ونوادرهم

(١) قيل لطفيلي ويلك أتأكل حراماً قال ما أكلت قط إلاّ حلالاً لأني إذا دخلت أقصد باب النساء فيقولون ها هنا ها هنا فهذه دعوة .

* * *

(٢) حمل إلى المأمون عشرة من الزنادقة من أهل البصرة وأبصرهم طفيلي فقال ما اجتمع هؤلاء إلاّ لدعوة فانسل فدخل وسطهم ومضى بهم الموكلون إلى زورق فقال الطفيلي هي نزهة ثم قيدوا وقيد معهم الطفيلي ثم سير بهم إلى بغداد فأدخلوا على المأمون فجعل يدعو بأسمائهم رجلاً رجلا فيأمر بضرب رقابهم حتى وصل إلى الطفيلي وقد استوفى عدة القوم فقال للموكلين بهم ما هذا قالوا والله ما ندري غير انا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال المأمون ما قصتك ويلك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أقوالهم شيئاً وإنما أنا رجل رأيتهم مجتمعين فظننت صنيعاً يغدون إليه فضحك المأمون وقال يؤدب .

وكان إبراهيم بن المهدي حاضراً فقال يا أمير المؤمنين هب لي أدبه احدثك بحديث عجيب عن نفسي خرجت يوماً في سكك بغداد حتى انتهيت إلى موضع كذا فشممت ريح أبازير قدور فتاقت نفسي إليها فقلت لخياط لمن هذه الدار قال لرجل من التجار قلت ما اسمه قال فلان بن فلان وأحسب عنده اليوم دعوة فإني كذلك إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدرب فقال الخياط هؤلاء منادموه فقلت ما أسماؤهما وما كناهما فأخبرني فحركت دابتي وداخلتهما وقلت جعلت فداكما قد استبطأكما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى أتينا إلى الباب فاجلاني وقدماني فدخلت ودخلا فلما رآني معهما صاحب المنزل لم يشك اني منهما بسبيل أو قادم قدمت عليهما فرحب بي وأجلسني في الصدر فجيء بالمائدة وعليها ألوان الطعام ثم جيء بالوضوء ثم صرنا إلى منزل المنادمة وجعل صاحب المنزل يلطفني ويقبل علي بالحديث وجعلوا لا يشكون ان ذلك منه لي عن معرفة متقدمة وإنما كان ذلك منه لما ظن اني منهما بسبيل ثم جيء بآلة الغناء فاستأذنته في الغناء فأذن لي فاندفعت أغني وطرب القوم طرباً شديداً فقال لي صاحب المنزل ان صدق ظني فأنت

سيدي ابراهيم بن المهدي فقلت نعم فسألني عن قصتي فأخبرته فسرّ سروراً عظيماً فعجب المأمون من كرم ذلك الرجل وسعة صدره وأطلق الطفيلي وأجازه .

* * *

(٣) رأى طفيلي جماعة ذاهبين فظن انهم يذهبون إلى وليمة فدخل معهم فإذا هم قد طلبهم السلطان في جناية فلما دخلوا عليه أمر بضربهم فضربوا فلما وصلت النوبة إلى الطفيلي قال للجلاد اضربني على بطني فلولاها لم أصل إلى هذه الحال فسأل عن قصته فأخبرهم أنه ليس من هؤلاء الجانين وإنما رآهم مجتمعين فظن أنهم ذاهبون إلى دعوة فدخل معهم فبحثوا عن أمره فوجدوه صادقاً فأطلقوه .

* * *

(٤) اجتمع قوم من الطفيليين فأرادوا وليمة فقال رئيسهم اللهم لا تجعل البواب لكازاً في الصدور دفاعاً في الظهور طراحاً للفلانس هب لنا رأفته وبشره وسهل لنا اذنه فلما دخلوا تلقاهم الخباز فقال رئيسهم غرة مباركة موصول بها الخصب معدوم معها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال لأصحابه افتحوا أفواهكم وأقيموا أعناقكم وأجيدوا اللف وأشرعوا الأكف ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب.

* * *

(٥) قال بعض الطفيليين في قوله تعالى (ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم) هو الأكل من الحاصل وقال بعضهم في قوله تعالى (هل أنبؤكم بالأخسرين اعمالاً) هم الذين يردون ولا يأكلون وغيرهم يأكل وقال آخرهم الذين لا سكاكين معهم في أيام البطيخ وقال بعضهم في وصية الخضر لموسى ولا تكن مشاء في غير حاجة قال لا تمش إلى موضع لا تمضغ فيه شيئاً .

* * *

(٦) قيل لطفيلي ما بالك أصفر اللون قال من الفترة بين القصعتين أخاف أن يكون الطعام قد فني .

* * *

(٧) صحب طفيلي رجلاً في سفر فقال له الرجل امضِ فاشترِ لنا لحماً قال لا والله ما أقدر فمضى هو فاشترى ثم قال قم فاطبخ قال لا أحسن فطبخ هو ثم قال قم فاثرد قال أنا والله كسلان فثرد الرجل ثم قال قم فاغرف قال أخشى ان ينقلب القدر على ثيابي فثرد هو ثم قال قم الآن فكل قال الطفيلي قد والله استحييت من كثرة خلافي عليك وجعل يأكل .

* * *

(٨) قيل لطفيلي كم اثنان في اثنين قال أربعة أرغفة وقيل لآخركم أربعة في أربعة قال ستة عشر رغيفاً .

* * *

(٩) دخل طفيلي منزلاً فقال له صاحب المنزل من أنت قال أنا الذي لم أحوجك إلى رسول وأنشد :

سواء عليهم قدموا أو تأخروا أجيء مع الطباخ ساعة يغرف

* * *

(١٠) أقبل طفيلي إلى وليمة فوجد الباب قد ارتج فسأل عن صاحب الدعوة هل له ولد غائب فقيل له ولد ببلد كذا فأخذ رقا أبيض وطواه وطبع عليه ودق الباب دقاً عنيفاً واستفتح وقال انه رسول من عند ولد الرجل ففتحوا له وتلقاه الرجل فرحاً وسأله عن ابنه فقال بخير وما أقدر أكلمك من الجوع فقدم إليه الطعام وجعل يأكل فقال له هل كتب معك كتاباً قال نعم ودفع إليه الكتاب فوجد الطين طرياً فقال له أرى الطين طرياً فقال وأزيدك

انه من العجلة ما كتب فيه شيئاً فقال اطفيلي انت قال نعم أصلحك الله قال كل لا هنأك الله .

* * *

(١١) دخل طفيلي على قوم يأكلون فقال ما تأكلون فقالوا من بغضه سماً فمد يده وقال لا خير في العيش بعدكم .

* * *

(١٢) دخل طفيلي في دعوة قبطي فقال له من أرسل إليك فأنشأ :

أزوركم لا أكافيكم بجفوتكم إن المحب إذا ما لم يُزر زارا

فقال له القبطي زر زار لا ندري من هو اخرج من بيتي .

* * *

(١٣) مر طفيلي بقوم يتغدون فقال سلام عليكم معشر اللئام فغضبوا فقال كذبوني فدعوه إلى طعامهم فثنى ركبته وجعل يأكل معهم .

* * *

(١٤) قال أبو عمرو نصر بن علي الجهضمي كان لي جار طفيلي وكان من أحسن الناس منظراً وأعذبهم منطقاً وأطيبهم رائحة وأجملهم لباساً فكان إذا دعيت إلى مدعاة تبعني فيكرمه الناس من أجلي ويظنون أنه صاحب لي فأراد جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة ان يختن بعض أولاده فقلت في نفسي كأني برسول الأمير قد جاءني وكأني بهذا الرجل قد تبعني والله لئن تبعني لأفضحنه فأنا على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني فما زدت ان لبست ثيابي وخرجت وإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داري قد سبقني بالتأهب فتقدمت وتبعني فلما دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة ودعي بالطعام فقدمت إلي مائدة والطفيلي معي فلما مد يده إلى الطعام قلت حدثنا دُرست بن زياد عن ابان بن

طارق عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله (ص) (من دخل دار قوم بغير اذنهم فأكل طعامهم دخل سارقاً وخرج مغيراً) فلما سمع ذلك قال انفت لك والله يا أبا عمرو من هذا الكلام فإنه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظن انك تعرض به دون صاحبه أو لا تستحي ان تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام وتبخل بطعام غيرك على من سواك ثم لا تستحي ان تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف عن ابان بن طارق وهو متروك الحديث تحكم برفعه إلى النبي (ص) والمسلمون على خلافه لأن حكم السارق القطع وحكم المغير ان يعزر بما يراه الامام وأين أنت عن حديث حدثناه أبو عاصم النبيل عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله (ص) طعام الواحد يكفي الإثنين وطعام الاثنين يكفي الأربعة وطعام الأربعة يكفي الثمانية) وهو إسناد صحيح ومتن صحيح قال نصر فافحمني فلما خرجنا فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي وسمعته يقول :

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

* * *

(١٥) دخل طفيلي على قوم فقالوا له ما دعاك أحد قال إذا لم تدعوني ولم اجي انا وقعت بيننا وحشة فضحكوا منه وقربوه .

أخبار ابن دراج الطفيلي

(١٦) كان ابن دراج الطفيلي من أهل حران قدم بغداد فمر بباب قوم عندهم وليمة فدخل فإذا صاحب الدار قد وضع سلماً فكلما رأى إنساناً لا يعرفه قال اصعد يا أبي قال ابن دراج فصعدت إلى غرفة مفروشة حتى وافينا

فيها ثلاثة عشر طفيلياً ثم رفع السلم ووضعت الموائد فبقي أصحابي متحيرين وقالوا ما مر بنا مثل هذا قط فقلت ايش صناعتكم قالوا التطفيل قلت انا احتال لكم حتى تنزلوا وتأكلوا فأشرفت على صاحب الدار والناس يأكلون فقلت ايما أحب إليك تصعد إلينا بخوان كبير نأكل وننزل أو أرمي بنفسي على رأسي فيخرج من دارك قتيل ويصير عرسك مأتماً وجعلت أجر سراويلي كأني أريد أن أعدو وأرمي بنفسي فقال اصبر ويلك لا تفعل وقال هذا مجنون فأصعدوا إلينا خوانا فأكلنا ونزلنا .

* * *

(١٧) قال يحيى الفراء كنت قاطعت ابن دراج الطفيلي على أن يملي علي ثلاثين نادرة بدرهم فكان إذا ذكر نادرة باردة لم أحسبها له فقال ان أردت النقاوة فعشرة بدرهم .

أخبار بنان الطفيلي مضافاً لما مر

(١٨) قيل لبنان الطفيلي ما تحفظ من القرآن قال آية واحدة (قال موسى لفتاه آتنا غداءنا) قيل فمنَ الشعر قال بيتاً واحداً :

نزوركم لا نكافيكم بجفوتكم إن المحب إذا لم يستزر زارا

* * *

(١٩) قيل لبنان ما تقول في الفالوذج فقال هو والله من طعام أهل الجنة . في الدنيا أحد يرجع إلى عقل ومعرفة يسأل عن هذا يا مغفل كل أبداً حتى تموت فإن مت مت شهيداً ووقع أجرك على الله عز وجل .

* * *

(٢٠) قال رجل لبنان الطفيلي ادع لي فرفع يديه وقال من الله عليك

بصحة الجسم وكثرة الأكل ودوام الشهوة ونقاء المعدة وامتعك بضرس طحون ومعدة هضوم ثم قال هذه دعوة مغفول عنها :

* * *

(٢١) قال بنان الطفيلي رأيت ابني يوماً يتلمظ فجعلت أعوذه وأقول أرجو أن يكون خلفاً صالحاً يعني في التطفيل .

* * *

(٢٢) أتى بنان قوماً ليدخل إليهم فقالوا من أنت قال الذي كفيتكم مؤنة الإرسال إلي .

* * *

(٢٣) سمع بنان رجلاً يقول ان الدجال يخرج في سنة قحط معه أنواع المأكولات فقال هذا عافاك الله رجل يستحق أن يسمع له ويطاع .

* * *

(٢٤) كان بنان في دعوة ومعه قوم مجان فأتوا بعصيدة فأخذ بعضهم لقمة فألقاها في السمن وقال (فكبكبوا فيها هم والغاوون) وجر السمن إليه وقال الآخر (إذا القوا فيها سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) وجر السمن إليه فقال بنان (وبئر معطلة وقصر مشيد) وخرق السمن إليه فقال الآخر (اخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً أمرا) وجر السمن إليه فقال بنان (انا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) وخرق السمن إليه فقال آخر (فيها عينان نضاختان) وجر السمن إليه فقال بنان (فيهما عينان تجريان) وخرق السمن إليه فقال آخر (والتقى الماء على أمر قد قدر) وجر السمن إليه فقال بنان (وسقناه إلى بلد ميت) وخرق السمن إليه فلم يرَ أحداً يتكلم فقال (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعد اللقوم الظالمين) وخلط السمن بما بقي من العصيدة فضحكوا واختنق واحد منهم فما زالوا يلطمونه حتى نزلت اللقمة فحمدوا الله على سلامته .

* * *

(٢٥) جاء ابان إلى وليمة فأغلق الباب دونه فاكترى سلماً وتسور على الحائط فاشرف على عيال الرجل وبناته.فقال يا هذا أما تخاف الله رأيت أهلي وبناتي قال (لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد) فضحك الرجل وقال انزل فكل .

* * *

(٢٦) قيل لبنان الطفيلي من دخل إلى طعام لم يدع إليه دخل لصاً وخرج مغيراً فقال ما أكاه إلاّ حلالاً أليس صاحب الوليمة إذا دعا مائة قدر لمائة وعشرين ويقول للخباز وللطباخ زد في كل شيء فإنه يجيئنا من نريد ومن لا نريد فأنا ممن لا يريد .

أخبار اشعب -

(٢٧) قال أشعب يوماً للصبيان ان في بيت فلان وليمة فاذهبوا إليه فلما ذهبوا قال لعله يكون هناك وليمة فذهب خلفهم .

* * *

(٢٨) وقف أشعب إلى رجل يعمل طبقاً فقال له أسألك بالله الا ما زدت في سعته طوقاً أو طوقين قال وما نفعك في ذلك قال لعله يهدى إلي فيه شيء .

* * *

(٢٩) كان قوم في دعوة يأكلون سمكاً فاستأذن عليهم أشعب فوضعوا الحيتان الكبيرة في قصعة في ناحية البيت وأبقوا الصغار وأذنوا له فقالوا كيف رأيك في الحيتان قال اني عليها لحنق لأن أبي مات في البحر وأكلته الحيتان قالوا فدونك خذ بثأر أبيك فأخذ سمكة صغيرة ووضعها عند أذنه وقد رأى القصعة وما فيها فقال أتدرون ما تقول هذه السمكة قالوا لا قال انها تقول انها لم تحضر موت أبي لأن سنها صغير ولكن قالت لي عليك بالكبار التي في زاوية البيت فهي أدركت أباك وأكلته (١) .

(١) سيأتي له نوادر في الفصل الثامن المؤلف

في نوادر البخلاء وأخبارهم المستطرفة
وما قيل فيهم من الشعر

(١) في معاهد التنصيص قال دعبل كنا يوماً عند سهل بن هرون الكاتب البليغ وكان شديد البخل فأطلنا الحديث واضطره الجوع إلى أن دعا بغداء له فأتي بقصعة فيها ديك جلس هرم لا تخرقه سكين ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ كسرة خبز فخاض بها مرقته وقلب جميع ما في القصعة ففقد الرأس فبقي مطرقاً ساعة ثم رفع رأسه وقال للطباخ أين الرأس فقال رميت به فقال ولم قال ظننتك لا تأكله قال بئس ما ظننت والله اني لا مقت من يرمي برجليه فكيف من يرمي برأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع ومنه يصيح ولولا صوته لما فضل وفيه فرقه الذي يتبرك به وفيه عيناه اللتان يضرب بهما المثل فيقال شراب كعين الديك و دماغه عجيب لوجع الكليتين ولم ير عظم قط اهش من عظم رأسه أما علمت انه خير من طرف الجناح ومن الساق ومن العنق فإن كان قد بلغ من نبلك انك لا تأكله فانظر أين هو قال لا أدري والله أين هو رميت به قال لكني أدري أين هو رميت به في بطنك فالله حسيبك .

* * *

(٢) قال رجل يوماً لسهل بن هرون هبني ما لا مرزأة عليك فيه قال وما ذاك يا ابن أخي قال درهم واحد قال لقد هونت الدرهم وهو طابع الله في أرضه الذي لا يعصى والدرهم ويحك عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الألف والألف دية المسلم ألاترى يا ابن أخي إلى أين انتهاء الدرهم الذي هونته وهل بيوت المال إلاّ درهم على درهم .

* * *

(٣) ترافق خراسانية في منزل وصبروا عن الاستضاءة بالمصباح ما أمكن الصبر ثم جمعوا دراهم ليشتركوا في الضياء وأبى واحد منهم أن يدفع لهم شيئاً فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح فيطلقوا عينيه .

* * *

(٤) كان رجلان من خراسان متزاملين ولا يجتمعان في الأكل فقال أحدهما لصاحبه لم لا نأكل سوية فإن يد الله مع الجماعة وفي الاجتماع البركة وطعام الاثنين يكفي الثلاثة وطعام الثلاثة يكفي الأربعة فقال له صاحبه معك رغيف ومعي رغيف ولولا انك تريد أن تأكل أكثر مني ما حرصت على مؤاكلتي تريد الحديث والمؤانسة اجعل الطبق واحداً ويكون رغيف كل منا قدام صاحبه (قال الجاحظ) رأيت زهاء خمسين رجلاً من أهل مرو يتغدون في طريق الكوفة وهم حجاج فلم أر رجلين منهم يأكلان معاً وهم متقاربون يحدث بعضهم بعضاً .

* * *

(٥) كان رجل من أهل مرو لا يزال يحج ويتجر وينزل على رجل من اهل العراق فيكرمه وكان كثيراً ما يقول للعراقي ليتك تأتي مرو حتى أكافيك فعرضت للعراقي حاجة في مرو فسأل عن منزل صاحبه المروزي فوجده قاعدا في أصحابه فأكب عليه وعانقه فرأى أنه لم يعرفه ولم يسأل به سؤال من رآه قط فقال العراقي لعل انكاره اياي لمكان القناع فألقى قناعه فكان له انكر فقال لعله من قبل العمامة فنزعها فكان أشد انكاراً له فقال لعله من قبل القلنسوة فنزعها فقال المروزي بالفارسية (اكراز بوستت بيرون بيائي نشناسيم) وترجمته لو خرجت من جلدك لم أعرفك .

* * *

(٦) زعموا ان أهل مرو إذا ترافقوا واشتروا اللحم قسموه قبل الطبخ وشك كل إنسان نصيبه في خيط أو خوصة وعلمه بعلامة ثم وضعوه في القدر ثم قسموا المرق فان أعادوا المشاركة أعادوا تلك الخيوط لأنها تشربت الدسم .

* * *

(٧) رؤي رجلان من أهل تستر يأكلان بيد كل منهما رغيف وأمامهما اناء فيه مخيض فيأخذ أحدهما منه ملعقة ويشربها ويأخذ الآخر ملعقتين فسئلا عن ذلك فقالا ان هذا دفع فلسين من ثمن المخيض فهو يأخذ منه ملعقتين وهذا دفع فلساً واحداً من ثمنه فهو يأخذ منه ملعقة واحدة .

* * *

(٨) يقال ان ناساً من المراوزة إذا لبسوا الخفاف في الستة الأشهر التي لا ينزعون فيها خفافهم يمشون على صدور أقدامهم ثلاثة أشهر وعلى أعقاب أرجلهم ثلاثة أشهر حتى يكونوا كأنهم لم يلبسوا خفافهم إلاّ ثلاثة أشهر .

* * *

(٩) دخل رجل على آخر وإذا المائدة موضوعة والقوم قد فرغوا من الأكل فمد يده ليأكل فقال له صاحب المنزل أجهز على الجرحى ولا تتعرض للأصحاء . يقول كل مما أكل منه ولا تتعرض لما لم يؤكل منه من دجاجة أو رغيف أو إناء .

* * *

(١٠) احتقن عمر بن يزيد الأسدي بحقنة فيها ادهان فلما حركته بطنه كره أن يأتي الخلاء فتذهب تلك الادهان فكان يجلس في الطست ويقول صفوا هذا فإنه يصلح للسراج .

* * *

(١١) كان لأبي الأسود الدئلي دكان لا يسع إلاّ مقعده وطبقاً يوضع

بين يديه وجعله مرتفعاً وليس له درج كي لا يرتقي إليه أحد فكان اعرابي يتحين وقته ويأتيه على فرس فيصير كأنه معه على الدكان فأخذ دبة وجعل فيها حصى واتكأ عليها فإذا رأى الاعرابي قد أقبل اراه كأنه يحول متكأه فإذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس فلم يزل الاعرابي يدنيه ويقعقع هو به حتى نفر به الفرس فصرعه فلم يعد بعد ذلك .

* * *

(١٢) كان رجل فقير وله أخ مفرط الغنى شديد البخل فقال الفقير لأخيه ويحك أنا فقير معيل وأنت غني لا تعينني على الزمان والله ما رأيت أبخل منك فقال أخوه ليس الأمر كما تظن ولا أنا كما تقول في اليسر والبخل والله لو ملكت ألف ألف درهم لوهبت لك منها ألف درهم يا هؤلاء فرجل يهب في ضربة واحدة ألف درهم يقال له بخيل .

* * *

(١٣) كان رجل من البخلاء عنده لبن كثير فسمع به رجل ظريف فقال الموت أو اشرب من لبنه فأقبل مع صاحب له حتى إذا كان بباب صاحب اللبن تغاشى وتماوت فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع فخرج صاحب اللبن وقال ما باله قال هذا سيد بني تميم أتاه أمر الله ها هنا وكان قال لي اسقني لبناً قال هذا هين ائتني يا غلام بعلبة من لبن فأتاه بها فأسنده صاحبه إلى صدره وسقاه حتى أتى عليها ثم تجشأ فقال صاحبه أترى هذه جشأة راحة الموت قال أماتك الله واياه .

* * *

(١٤) قال عمر بن ميمون تغديت عند الكندي فدخل عليه رجل كان جاراً وصديقاً لي فلم يعرض عليه الطعام فاستحييت منه ودعوته فقال والله قد أكلت فقال الكندي ما بعد الله شيء .

* * *

(١٥) رؤي رجل يخاصم جاراً فقيل ما بالك قال ان صديقاً لي زارني واشتهى علي رأساً فاشتريته له وتغدينا فوضعت عظامه عند باب داري أتجمّل بها عند جيراني فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي أكل الرأس .

* * *

(١٦) كان رجل من البخلاء يأتي ابن المقفع ولا يزال يلح عليه ان يتغدى عنده فلا يجيبه فقال له مرة أتراني أتكلف لك شيئاً لا والله لا أقدم لك إلاّ ما عندي فظن ابن المقفع انه يقول ذلك تسهيلاً للإجابة فذهب إليه فجاءه بكسر يابسة وملح جريش ووقف سائل بالباب فقال له بورك فيك فألح في السؤال فقال والله لئن خرجت إليك لادقن ساقيك فقال ابن المقفع للسائل ارح نفسك وانج والله لو علمت من صدق وعيده ما أعلم ما وقفت ساعة .

* * *

(١٧) انتقل بخيل إلى دار ابتاعها فوقف عليه سائل فقال صنع الله لك ثم وقف ثان فقال له مثل ذلك ثم ثالث فقال له مثل ذلك فقال لابنته ما أكثر السؤال في هذا المكان فقالت له ما تمسكت بهذا القول فلا تبالي كثروا أم قلوا .

* * *

(١٨) زار عالم نجفي عالماً في أصفهان وكان بينهما صلة رحم وذلك في الشتاء فكان الأصفهاني يقول له دائماً جئتنا في الشتاء الذي ليس فيه فواكه ولا خضر ولو زرتنا في الصيف لرأيت الخوخ العجيب والتفاح النادر المثيل والعنب الذي لا يشبهه عنب والبطيخ الذي كاد يكون عسلاً ورأيت كذا وكذا ويعد عليه أصنافاً من ذلك فلما أكثر عليه القول قال له النجفي أخبرني متى فصل اللحم عندكم حتى أزوركم فيه .

* * *

(١٩) كان في بغداد عالم وبجواره بقال يقال له عباس فجاء العالم إلى عباس البقال ليشتري منه دهناً بدرهم فسأله البقال ان يحدثه بحديث ينتفع به فروى له حديثاً مسنداً مضمونه انه كان للحسن بن علي عليهما السلام بستان قد جعل فيه بعض عبيده وعنده كلب فأشرف الحسن عليه يوماً من حيث لا يراه وقد أتى له بالطعام فوجده يأكل رغيفاً ويلقي إلى الكلب رغيفاً فلما فرغ جاء الحسن (ع) فسأله عن ذلك فقال له انني وهذا الكلب ملكك ونأكل من طعامك وما أحببت أن ينظر إلي وأنا آكل ولا أطعمه وهذا دأبي معه أشاطره نصف طعامي فقال له الحسن (ع) أنت حر لوجه الله وقد وهبتك هذا البستان فشكره العبد وقال قد قبلت هبتك يا ابن رسول الله وقد جعلت البستان وقفاً في سبيل الله فطرب عباس البقال كثيراً لهذا الحديث وقال يا غلام زن له بدرهم والقصه حبتين فحلف العالم ان لا يأخذ من الدرهم شيئاً وحلف البقال إلا أن يرد له منه حبتين لما أفاده وسره برواية هذا الحديث .

* * *

(٢٠) كان رجل من عائلة (بيهم) من أهل بيروت الشهيرين نازلا في دار بعض الأجلاء من أهل مدن الساحل فدعاهم رجل من أجلاء تلك المدينة لتناول طعام العشاء عنده فأجابوه فلما ازف الوقت حمل العبد القنديل أمامهم وتوجهوا إلى الدار المعمورة فلما وصلوا وجدوا الباب مغلقاً ولم يروا للدعوة أثراً فطرقوا الباب فأبطأ عليهم الجواب فأعادوا طرقه مراراً فخرجت الخادمة فقالت من أنتم قالوا نحن المدعوون إلى العشاء فذهبت ثم عادت فقالت لهم ان مولاي لم يجد لبناً في السوق فعادوا من حيث أتوا .

ما قيل في البخلاء من الشعر

(١) قال بعضهم :

رغيف أبي علي ظل خوفاً ... من الضيفان في أعلى السماك
إذا كسروا رغيف أبي علي ... بكى يبكي بكاء فهو باكي

(٢) وقال آخر :

لو ان قصرك يا ابن يوسف ممتل ... ابرا يضيق بها فناء المنزل
وأتاك يوسف يستعيرك ابرة ... ليخيط قد قميصهِ لم تفعل

(٣) وقال آخر :

يا أيها الجالس في بيتـــه ... من غير ما معنى ولا فائده
قد ضج أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائده

(٤) وقال أبو نواس :

خبز إسماعيل كالوش ... ي إذا ما شق يرفا
عجباً منَ اثر الصـ ... ـنعه فيه كيف يخفى

(٥) وقال :

وما خبزه إلاّ كليب بن وائل ... ليالي يحمي عزه منبت البقل
ويغضب أحياناً فيشتم عبده ... واعلم انالضرب والشتم من أجلي

(٦) وقال أبو الشمقمق :

رأيت الخبز عز لديك حتى ... حسبت الخبز في جو السحاب
وما روحتنـــا لتذب عنا ... ولكن خفتَ مرزءة الذباب

(٧) وقال آخر :

فإن سمعت بهلك للبخيل فقل ... بعداً وسحقاً له من هالك مودي
تراثــه جنــة للوارثين إذا ... أودى وجثمانه للترب والدود

(٨) وقال آخر :

تبلى محاسن وجهه في قبره ... والمال بين عدوه مقسوم

(٩) وقال النمر بن تولب :

وذي ابل يسعى ويحسبها له ... أخي نصب في شقها ودؤوب
غدت وغدا رب سواه يسوقها ... وبدل أحجاراً وحال قليب

(١٠) وقال آخر :

آثر بالجدي وبالمائده ... من كان يرجو عنده الفائده
لو كان مكوكان في كفه ... من خردل ما سقطت واحده

(١١) وقال أبو نواس :

رأيت قدور الناس سودا على الصلى ... وقدر الزقاشيين زهــراء كالبد
ولو جئتها ملأى عبيطا مجزلا ... لاخرجت ما فيها على طرف الظفر
يثبتهــا للمعتفي بفنائهم ... ثلاث كخط الثاء من نقط الحبر
تبين في محراثهــا ان عوده ... سليم صحيح لم يصبه أذى الجمر
تروح على حي الرباب ودارم ... وسعد وتعروها قراضبة الفزر
وللحي عمرو نفحة من سجالهــا ... وتغلب والبيض اللهاميم من بكر
إذا ما تنادوا بالرحيل سعى بها ... أمامهم الحولي من ولــد الذر

(١٢) وقال بعض التميميين في ابن حبار :

لو ان قدراً بكت من طول ما حبست ... من الجفوف بكت قدر ابن حبار
ما مسها دسم مذ فض معدنهـا ... ولا رأت بعد نار القين من نار

(١٣) وقال آخر :

أبو نوح أتيت إليه يوماً ... فغداني برائحة الطعام
وقدم بيننا لحماً سميناً ... أكلناه ـ على طبق الكلام
فلما ان رفعت يدي سقاني ... كؤوساً حشوها ريح المدام
فكنيت كمن سقى ظمآن ماء ... وكنت كمن تغدى في المنام

(١٤) وقال آخر :

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم ... إذا يكون لهمّ عيد وافطار
ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يبلغنا ما تنضج النـار

(١٥) وقال آخر :

يحذر ان تتخم اخوانه ... إن أذى التخمة محذور
ويشتهي أن يؤجروا عنده ... بالصوم والصائم مأجور

(١٦) وقال آخر :

ارفع يمينك من طعامه ... إن كنت ترغب في كلامه
سيان كسر رغيفـه ... أو كسر عظم من عظامه

الفصل السادس

في نوادر الحمقى والمغفلين (١)

(١) قال هشام بن عبد الملك يوماً لأصحابه ان حمق الرجل يعرف بخصال أربع طول لحيته وبشاعة كنيته ونقش خاتمه وافراط نهمه فدخل شيخ طويل العثنون فقال هشام أما هذا فقد جاء بواحدة فانظروا أين هو من الباقي قالوا له ما كنية الشيخ قال أبو الياقوت فسألوه عن نقش خاتمه فقال وجاءوا على قميصه بدم كذب فقيل له أي الطعام تشتهي قال الدبا بالزيت فقال هشام ان صاحبكم قد كمل (الدبا) القرع .

* * *

(٢) وصف بعضهم إنساناً أحمق فقال والله للحكمة أزل عن قلبه من المداد عن الأديم الدهين .

حمقى قريش

(٣) ومن حمقى قريش معاوية بن مروان بن الحكم بينما هو واقف بباب دمشق ينتظر أخاه عبد الملك على باب طحان وحمار الطحان يدور بالرحى وفي عنقه جُلْجُل فقال للطحان لم جعلت في عنق هذا الحمار جُلْجَلاً

(١) استدراك . مر في صفحة ٢٠ ان واصل بن عطاء قال عن بشار (المشنف) ولم يقل المرعث تفادياً من النطق بالراء . وذلك لأن بشاراً كان يلقب بالمرعث لأنه كان في أذنه رعاث والرعثة بالكسر القرط .

فقال ربما أدركتني نعسة أو سأمة فإذا لم أسمع صوت الجلجل علمت انه قد قام فصحت به فقال أرأيته ان قام وحرك رأسه ما علمك به انه قائم فقال ومن لحماري بمثل عقل الأمير .

* * *

(٤) وضاع له بازي فقال اغلقوا أبواب المدينة لا يخرج البازي .

* * *

(٥) من حمقى قريش سليمان بن يزيد بن عبد الملك قال يوماً لعن الله أخي الوليد فلقد كان فاجراً أرادني على الفاحشة فقال له قائل من أهله اسكت ويحك فوالله ان كان همَّ لقد فعل .

* * *

(٦) دخل كعب البقر الهاشمي على عبد الله بن طاهر يعزيه بأخيه فقال له اعظم الله مصيبة الأمير فقال أما فيك فقد فعل والله لقد هممت ان احلق لحيتك فقال انما هي لحية الله ولحية الأمير فليفعل ما أحب .

القبائل المشهورة بالحمق

(٧) من القبائل المشهورة بالحمق الأزد . كتب مسلمة بن عبد الملك إلى يزيد بن المهلب لما خرج عليهم انك لست بصاحب هذا الأمر ان صاحبه مغمور موتور وأنت مشهور غير موتور فقام إليه رجل من الأزد فقال قدم ابنك مخلداً حتى يقتل فتصير موتوراً .

* * *

(٨) وقام رجل من الازد إلى عبيد الله بن زياد لعنه الله فقال اصلح الله الأمير ان امراتي هلكت وقد أردت أن أتزوج امها وهذا عريفي فاعني في

الصداق فقال في كم أنت من العطاء فقال في سبعمائة فقال حطوا من عطائه أربعمائة يكفيك ثلاثمائة . . .

* * *

(٩) ومدح رجل منهم المهلب فقال :

نعم أمير الرفقـــة المهلب أبيض وضّاح كتيس الحُلّب

فقال المهلب حسبك يرحمك الله « والحلب » نبت تأكله الظباء .

حمقى العرب ومن اشتهر بالحمق منهم

(١٠) من حمقى العرب وجهلائهم كلاب بن صعصعة خرج اخوته يشترون خيلاً فخرج معهم فجاء بعجل يقوده فقيل له ما هذا فقال ثرتش اشتريته فقالوا يا مائق هذه بقرة أما ترى قرنيها فرجع إلى منزله فقطع قرنيها ثم قادها فقال لهم قد أعدتها فرساً كما تريدون فأولاده يدعون بني فارس البقرة .

* * *

(١١) وممن اشتهر بالحمق منهم هبنقة حتى ضرب به المثل فقيل (أحمق من هبنقة) يقال انه شرد له بعير فجعل ينادي لمن أتى به بعيران فقيل كيف تبذل بعيرين في بعير فقال لحلاوة الوجدان .

* * *

(١٢) ومن حمقى العرب الأخرص بن جعفر بن عمرو بن حريث قال له يوماً مجالسوه ما بال وجهك أصفر أتشتكي شيئاً فرجع إلى أهله وقال يا بني الخيبة أنا شاك ولا تعلمونني اطرحوا علي الثياب وابعثوا إلى الطبيب .

* * *

(١٣) ومنهم عجل بن لجيم أرسل ابن له فرساً في حلبة فجاء سابقاً فقال لابنه سمه باسم يعرف به ففقأ عينه وقال سميته الأعور فقال شاعر يهجوه :

رمتني بنـو عجل بداء أبيهم ... وأي عباد الله انوك من عجل
أليس أبوهم عـار عين جواده ... فأضحت به الأمثال تضرب في الجهل

* * *

(١٤) ومن حمقى بني عجل حسان بن الغضبان من أهل الكوفة ورث نصف دار أبيه فقال أريد أن أبيع حصتي من الدار وأشتري بالثمن النصف الآخر فتصير الدار كلها لي .

نوادر الاعراب

(١٥) كان الربيع العامري والياً باليمامة فأتي بكلب قد عقر كلباً فأقاده فقال فيه الشاعر :

شهدت بأن الله حق لقاؤه ... وان الربيع العامري رقيع
أقاد لنا كلباً بكلب فلم يدع ... دماء كلاب المسلمين تضيع

* * *

(١٦) رأى بعضهم اعرابياً يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال بلغني ان جالوت قتل مظلوماً .

* * *

(١٧) استعمل معاوية عاملاً من كلب فخطب يوماً فذكر المجوس فقال لعنهم الله ينكحون أمهاتهم والله لو أعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت أمي فبلغ ذلك معوية فقال قبحه الله أترونه لو زادوا فعل وعزله .

* * *

(١٨) سرق لأعرابي حمار فقيل له اسرق حمارك قال نعم وأحمد الله فقيل له على ماذا تحمد فقال حيث لم أكن عليه .

* * *

(١٩) ومما يناسب المقام ما يحكى انه جاء شاب من الريف إلى الجامع الأزهر لطلب العلم وبعد أيام كتب إلى أهاه كتاباً وكتب فيه نخبركم لا خبر تم بمكروه انني غسلت ثيابي ونشرتها على السطح فهبت ريح ألقت قميصي إلى صحن الدار والحمد لله إذ لم أكن فيه وإلاّ لتكسرت .

* * *

(٢٠) ومما يناسبه انه دعا بعض أمراء العجم خادمه ليلاً وكان نائماً فقام مدهوشاً فسقط فلما جاء قال له ما هذا الصوت الذي سمعته قال عباءتي وقعت فقال لم يكن الصوت صوت عباءة قال أنا كنت في جوفها .

* * *

(٢١) خرج قوم من قريش إلى أرض لهم ومعهم أعرابي فأصابتهم ريح عاصفة يئسوا معها مِن الحياة ثم سلموا فأعتقَ كل منهم مملوكاً شكرا لله على سلامتهم فقال الاعرابي اللهم لا مملوك لي فاعتقه ولكن امرأتي طالق ثلاثاً لوجهك .

* * *

(٢٢) جاء اعرابي إلى المسجد يصلي فسرقت نعله فلزم المؤذن وقال أنت دعوت الناس حتى سرقوا نعلي .

* * *

(٢٣) عض ثعلب أعرابياً فأتى راقياً فقال له ما عضك فاستحيا ان يقول ثعلب وقال كلب فجعل يرقيه فقال له الاعرابي واخلط بها شيئاً من وقية الثعالب .

* * *

(٢٤) سمع أعرابي بمكة يدعو لأمه فقيل له وأبوك فقال ذاك يحتال لنفسه .

* * *

(٢٥) حج عرابي فدخل مكة قبل الناس وتعلق بأستار الكعبة وقال اللهم اغفر لي قبل أن يدهمك الناس .

* * *

(٢٦) تذاكر قوم قيام الليل وعندهم اعرابي فقالوا له أتقوم بالليل قال اي والله قالوا فما تصنع قال أبول وأرجع أنام .

* * *

(٢٧) خرج من أبي النجم صوت في ليلة مرتين فخاف أن تكون امرأته قد سمعته فقال أسمعت شيئاً فقالت لا ما سمعت منهما شيئاً قال لعنك الله فمن أعلمك أنهما اثنتان .

نوادر أهل حمص

(٢٨) يحكى أن رجلاً غريباً دخل حمص فسمع المؤذن يقول أهل حمص يشهدون أن محمداً رسول الله فتعجب من ذلك فلما وصل إلى باب المسجد وجد رجلاً يبيع الخمر وبجانبه مصحف وهو يحلف به ان هذا الخمر ما داخله ماء ولا غش فدخل المسجد فوجد الإمام يصلي على رجل واحدة ورجله الثانية مرفوعة وعليها نجاسة فازداد عجباً فذهب ليخبر القاضي بما رأى فوجد على ظهره غلاماً فرفع صوته بالشتم فسمعه القاضي فقال له ما شأنك فأخبره بما رأى فقال له لا تعجل فإن جميع الذي رأيته له وجه صحيح أما المؤذن فإن مؤذننا مريض ولم نجد صبياً غير يهودي وهو لا يشهد أن محمداً رسول الله وأما الخمر فإن في المسجد شجرة عنب لا يصلح ثمرها لغير الخمر

وأما الإمام فإنه لم دخل في الصلاة تلوثت رجله فرفعها لئلا يصلي بالنجاسة وأما الغلام فإنه كان صغيراً وله مال فجاء الآن وادعى البلوغ فأردت اختباره .

* * *

(٢٩) وذهب رجل من حمص ليشتري زيتاً فلم يسع الإناء فقلبه وقال للزيات صب الفاضل ها هنا فأريق الزيت وصب له الزيات الباقي على أسفل الإناء فلما رجع إلى امرأته أراد أن يحكي لها القصة فقال لها قلبت الإناء هكذا ليصب لي الباقي فأريق الجميع .

* * *

(٣٠) حكي عن بعض القراء قال دخلت مسجداً بحمص فرأيت رجلاً مكشوف الرأس فقلت سلام عليكم فلم يرد علي جواباً فكررت عليه السلام فنظر إلي مغضباً وقال لعلك من هؤلاء الصفاعنة الذين يأتون من أسفل الشام قلت ما شأنهم قال انهم يقرأون السبع الطوال ويبغضون أبا بكر الصناديقي وعمر القواريري بن عفان وعثمان بن أبي سفيان ومعاوية بن أبي الخطاب أحد حملة العرش قلت ومن معاوية قال هو رجل أرسله الله إلى قوم يعلمهم ان عصى موسى كانت من شجر التوت فلقيه محمود النبي فزوجه ابنته عائشة فولدت له الحسن والحسين في أيام الحجاج بن المهدي فقلت له أراك خبيراً بالتواريخ وأنا قد أفنيت عمري في هذا الفن وما عرفت هذا أتحفظ القرآن قال أقرأ باللغات السبع قلت اقرأ لي شيئاً منه فقال بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا إذا جاءهم بشير أو نذير استغششوا استغشاشاً وقاموا إلى ناقة الله فذبحوها ومكروا مكراً كباراً فبأي آلاء بابكما تكذبان فقلت له يا شيخ كيف ترضى بهذه الحالة مع جوزك هذه الفضائل هل سكنت بغداد ليعرفوا قدرك وفضلك فقال بغداد دار الجهلة والمجانين ما أصنع بها فقلت صدقت وتركته وانصرفت .

* * *

(٣١) عن معمر قال دخلت مسجد حمص فإذا قوم لهم رواء فظننت فيهم الخير فجلست إليهم فإذا هم ينتقصون علي بن أبي طالب (ع) فقمت عنهم فإذا شيخ يصلي فجلست إليه فلما سلم قلت ما ترى هؤلاء ينتقصون علياً ويشتمونه وجعلت أحدثه بمناقبه وانه زوج بنت رسول الله (ص) وأبو الحسنين وابن عم الرسول فقال يا عبد الله ما لقي الناس من الناس لو ان أحداً نجا من الناس لنجا منهم أبو محمد رحمه الله هوذا يشتم وحده قلت ومن أبو محمد قال الحجاج بن يوسف وجعل يبكي فقمت عنه وقلت لا يحل لي أن أبيت في هذه البلدة فخرجت من يومي .

* * *

(٣٢) تذاكر جماعة من حمص في الاعضاء ومنافعها فقالوا الأنف للشم والفم للأكل واللسان للكلام ولم يهتدوا إلى فائدة الأذنين فقصدوا القاضي فوجدوه في شغل فجلسوا على باب داره وإذا خياط فتل خيوطاً ووضعها على أذنه فقالوا أتانا الله بما جئنا نسأل عنه القاضي إنما خلقت للخيوط .

* * *

(٣٣) قال الجاحظ مررت بحمص فمر عنز يتبعه جمل فقال رجل لآخر هذا الجمل من هذا العنز قال لا ولكنه يتيم في حجرها .

* * *

(٣٤) عرض هشام بن عبد الملك الجند فأتاه حمصي بفرس كلما قدمه نفر فقال هشام ما هذا قال يا سيدي هو جيد لكنه شبهك ببيطار كان يعالجه فنفر .

* * *

(٣٥) أوفد أهل حمص شيخاً لهم لم يكن فيهم أعقل منه ولا أكمل مع ابنين له معروفين عندهم بالعقل إلى الرشيد لمظلمة كانت بهم فلما دخل الشيخ قال السلام عليك يا أبا موسى فعلم أنه أحمق ثم قال أحسبك يا شيخ

طلبت العلم وجالست العلماء قال نعم قال من جالست منهم قال ما كان يقول في عذاب القبر قال كانَ يكرهه فضحك الرشيد ومن حضر ثم قال من حفر البحار فقال أحد ولديه حفرها موسى حين استطرق البحر قال فأين ترابها فقال أخوه الجبال ففرح الشيخ بحسن جواب ولديه وقال والله ما علمتهما ما هو إلا الهام من الله تعالى وله الحمد .

* * *

(٣٦) وفد على الرشيد ثلاثة من حمص فرأى أحدهم على رأسه غلاماً فظنه جارية فقال السلام عليك يا أبا الجارية فصفع واخرج فقال الثاني السلام عليك يا أبا الغلام فصفع واخرج فقال الثالث السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال له كيف صحبت هَذين الأحمقين فقال لا تتعجب منهم فانهم لما رأوك بهذا الزي ورأوا لحيتك طويلة قدروا أنك أبو فلان فقال الرشيد اخرجوه قبح الله بلدة هؤلاء خيارها .

نوادر حمزة بن بيض

(٣٧) دعا حمزة بن بيض وكان يوصف بالحماقة حجاما وكان الحجام ثقيلاً كثير الكلام فلما أرهف المشاريط قال له الساعة توجعني قال لا قال فانصرف اليوم قال لا تفعل فانك محتاج إلى اخراج الدم وذلك بين في وجهك وهي سنة نبوية قال انصرف وعد إلي غدا قال لست تدري ما يحدث إلى عد والمشاريط حادة وانما هي لحظة قال ان كان كما تقول فاعطني اجدى خصيتيك في يدي رهينة أن أوجعتني أوجعتك فقال الحجام أرى أن تدع الحجامة في هذا العام وانصرف .

* * *

(٣٨) قال حمزة بن بيض لغلامه أي يوم صلينا الجمعة في الرصافة ففكر ساعة ثم قال يوم الثلاثاء .

نوادر جحا

ويكنى أبا الغصن واختلف فيه فقيل انه كان أحمق وقيل لم يكن أحمق ولكنه كان يظهر ذلك وأكثر الذي وضع عليه مكذوب وقيل انه اسم لشخص غير موجود .

(٣٩) دخل جحا إلى بستان ليسرق منه فجعل يقلع الفجل والجزر واللفت ويضعها في كيس معه فرآه البستاني فقال له ما تصنع هنا قال حملتني ريح عاصفة فالقتني في بستانك قال فلماذا قلعت هذا الجزر والفجل واللفت فقال كانت الريح تارة ترفعني وتارة تقلبني يميناً وشمالاً فاتمسك بأغضان هذه الأشياء فتنقلع بيدي قال سلمنا فلماذا وضعتها في الكيس قال اما هذه فقد صار لي مدة أتفكر كيف وضعت في الكيس فلم أعرف .

* * *

(٤٠) أوصى جحا عند موته أن يدفن قائماً فسئل عن السبب فقال اذا قامت القيامة وصارت الدنيا مختلطة أكون واقفاً من دون مشقة .

* * *

(٤١) لما دخل شهر رمضان أحضر جحا جرة وجعل كلما مضى منه يوم يلقي فيها حصاة كيلا يغلط في حساب الشهر فرأته ابنة له صغيرة يلقي الحصى في الجرة فارادت أن تعمل مثله فجعلت تلقي فيها الحصى بكثرة فسأله يوماً سائل كم مضى من الشهر فدخل داره وعد الحصى فبلغت مائة وعشرين فاستكثر ذلك وقال اسقط منه النصف فخرج وقال له مضى من الشهر ستون يوماً فقال له وهل يكون الشهر أكثر من ثلاثين فقال كيف لو أخبرتكم بحساب الجرة فانها مائة وعشرون .

* * *

(٤٢) ودخلت بقرة إلى مزرعته فلحقها بالعصى فهربت ثم رآها يوماً تجر عربة فانهال عليها بالضرب فانتهره صاحبها فقال لا تدخل فيما لا لا يعنيك البقرة تعرف ذنبها .

* * *

(٤٣) ودخل يوماً إلى قبر قديم فنام فيه ليجرب هل يأتيه الملكان فسمع صوت أجراس وضوضاء فظن القيامة قامت وكانت قافلة مارة بالقرب منه فخرج من القبر منهزماً فلما رأته البغال أجفلت والقت أحمالها فانهال عليه المكارية بالضرب حتى أغمي عليه فلما أفاق ذهب إلى داره فسألته امرأته أين كان فقال كنت في المقابر ورأيت القيامة قالت وماذا رأيت قال لا شيء عليك في الآخرة إذا لم تجفل منك البغال .

* * *

(٤٤) وجاءه يوماً ضيوف فقال قفوا هنا أفسح لكم طريقاً فدخل الدار وقال لزوجته في الباب ضيوف فاصرفيهم بحكمتك فقالت لهم من وراء الباب ما تريدون قالوا نريد الشيخ قالت انه ليس هنا قالوا الآن دخل ليفسح لنا طريقاً فقالت ليس هنا واحتدم الجدال بينها وبينهم فتضايق جحا من ذلك فأطل عليهم من النافذة وقال إلى متى تجادلون هذه المسكينة لعل للدار بابين وقد خرج من احدهما

* * *

(٤٥) وسأله رجل فقال اذا كان الإنسان يغتسل من الجنابة في البحيرة فالى اي جهة يجب ان يوجه قال إلى الجهة التي فيها ثيابه .

* * *

(٤٦) مات جار لجحا فارسل الى الحفار فتنازعا في اجرة الحفر فاشترى جحا خشبة بدرهمين فقيل ما تصنع بها قال اصلب الميت عليها لان الحفار لا

يحفر باقل من خمسة دراهم فنربح ثلاثة دراهم ويستريح الميت من ضغطة القبر ومسالة منكر ونكير .

* * *

(٤٧) هبت يوما ريح شديدة فاقبل الناس يدعون ويتوبون فصاح جحا يا قوم لا تعجلو بالتوبة انما هي زوبعة وتسكن .

* * *

(٤٨) اشترى جحا دقيقاً واعطاه لحمال فهرب به ثم رآه جحا بعد ايام فاستتر منه فقيل له لم فعلت كذا قال اخاف ان يطالبني بالاجرة .

* * *

(٤٩) ارسل جحا ابوه ليشتري رأساً مشوياً فأكل عينيه وأذنيه ولسانه ودماغه في الطريق وحمل الباقي إلى أبيه فقال له ما هذا قال الرأس الذي طلبته قال اين عيناه قال كان اعمى قال اين أذناه قال كان أصم قال اين لسانه قال كان اخرس قال اين دماغه قال كان اقرع قال ويحك رده وخذ بدله قال باعه صاحبه بالبراءة من كل عيب .

* * *

(٥٠) دفن جحا يوماً دراهم في الصحراء ثم جاء يفتش عليها فقيل له لوجعلت عليها علامة قال قد فعلت قيل فما هي قال سحابة كانت فوقها .

* * *

(٥١) قيل لجحا اتحسن الحساب باصبعيك قال نعم قيل خذ جريبين حنطة فعقد الخنصر والبنصر فقيل خذ جريبين شعير فعقد السبابة والابهام واقام الوسطي فقيل لم اقمت الوسطى قال لئلا يختلط الحنطة بالشعير .

نوادر ازهر الحمار

(٥٢) قدم على الامير عمرو بن الليث رسول من عند السلطان فقال لازهر الحمار وكان احمق لاتتكلم اليوم وتجمل لهذا الرسول فسكت ساعة فعطس الرسول فأراد ان يقول له رحمك الله فقال صبحك الله فقال عمرو ألم أتقدم اليك أن لا تتكلم فقال اردت ان لا يرجع الرسول إلى بغداد فيقول هؤلاء لا يعرفون العربية .

* * *

(٥٣) مضى ازهر يوماً إلى السوق ليشتري لابنه نعلا فقيل له كم سنه فقال ما ادري ولكنه ولد اول ما جاء العنب الداراني ومحمد ابني استودعه الله اكبر منه بشهرين ونصف سنة .

نوادر ابن الجصاص

ويقال انه لم يكن أحمق بل كان عاقلاً حازماً وإنما كان يظهر ذلك لغرض

(٥٤) دخل ابو عبد الله ابن الجصاص يوما على ابن الفرات الوزير وفي يده بطيخة كافور فأراد ان يعطيها الوزير ويبصق في دجلة فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة فارتاع الوزير وانزعج ابن الجصاص وتحير وقال الله العظيم لقد اخطأت وغلطت اردت ان ابصق في وجهك وارمي البطيخة في دجلة فقال له الوزير كذلك فعلت يا جاهل فغلط فعلا وقولا .

* * *

(٥٥) نظر ابن الجصاص يوماً في المرآة فقال اللهم بيض وجوهنا يوم تبيض وجوه وسود وجوهنا يوم تسود وجوه .

* * *

(٥٦) ونظر يوماً في المرآة فقال لانسان عنده ترى لحيتي طالت فقال المرآة في يدك قال صدقت ولكن الشاهد يرى مالا يرى الغائب .

* * *

(٥٧) وكسر يوماً لوزا فطفرت لوزة فقال لااله إلا الله كل شيء يهرب من الموت حتى البهائم .

* * *

(٥٨) كان الناس عند الزجاج يعزونه بامه وفيهم الرؤساء والكتاب .ذا اقبل ابن الجصاص فدخل ضاحكاً وقال الحمد لله قد سرني والله يا ابا اسحق موتها فقيل له كيف سرك ما غمه وغمنا قال بلغني انه هو الذي مات فلما صح عندي ان امه التي ماتت سرني ذلك فضحك الناس جميعاً .

نوادر القراء والمصحفين

(٥٩) قيل لسعيد بن هشيم وكان ابوه محدثاً : لو حفظت عن ابيك عشرة احاديث سدت الناس وقيل هذا ابن هشيم فجاءوك فسمعوا منك قال شغلني عن ذلك القرآن . ثم قال جبير كان نبياً أو صديقاً قيل من جبير قال الذي في قوله تعالى واسأل به جبيرا .

* * *

(٦٠) قرأ عثمان بن ابي شيبة فضرب بينهم سنور له ناب فقيل له انما هو (بسور له باب) فقال انا لا اقرأ قراءة حمزة هي عندنا بدعة .

* * *

(٦١) وقرأ ايضاً واذا بطشتم بطشتم خبازين .

* * *

(٦٢) وقرأ ايضاً فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رجل اخيه فقل له في رحل اخيه فقالى انا واخي لا نقرأ لعاصم .

* * *

(٦٣) قرأ شيخ ولله ميزاب السموات والارض فقيل ما ميزابهما قال هذا المطر .

* * *

(٦٤) قال ابو عبيدة كنا نجلس إلى ابي عمرو بن العلاء فنخوض في فنون من العلم ورجل يجلس الينا لايتكلم فقال له رجل ليختبره في أي سورة هذه الآية .

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

فأطرق ساعة ثم قال في حم الدخان .

* * *

(٦٥) اصطحب ناس فكانوا يتذاكرون الآداب والأخبار وسائر العلوم ومعهم شاب لا يتكلم سوى انه كان يقول رحم الله ابي ما كان يعدل بالقرآن وعلمه شيئاً فظنوه اعلم الناس بالقرآن فسأله بعضهم في أي سورة هذه الآية :

وفينا رسول الله يتلو كتابه كما لاح مبيض من الصبح ساطع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه اذا استثقلت بالكافرين المضاجع

فقال سبحان الله من الذي لا يعرف هذا هذا في حمعسق فقالوا ما قصر ابوك في ادبك فقال افكان يتغافل عني كتغافل آبائكم عنكم .

* * *

(٦٦) شكا رجل ولده إلى القاضي انه يشرب الخمر ولا يصلي فقال له

القاضي ما تقول فقال اصلي ولا اشرب فقال ابوه تكون صلاة بلا قراءة قال القاضي يا غلام تقرأ من القرآن قال نعم واجيد قال اقرأ فقال بسم الله الرحمن الرحيم :

علق القلب الربابا بعد ما شابت وشابا
ان دين الله حق لا أرى فيه ارتياباً

فقال ابوه والله ما تعلم هاتين الآيتين الا البارحة سرق مصحفا من الجيران وتعلمهما قال القاضي قبحكم الله احدكم يقرأ القرآن ولا يعمل به .

* * *

(٦٧) خرج رجل إلى قرية فأضافه خطيبها فقال له الخطيب انا مند مدة اصلي بهؤلاء الناس وقد اشكلت علي آية في الفاتحة اياك نعبد واياك اي شيء تسعين أو سبعين اشكلت علي فانا اقرأها تسعين اخذا بالاحتياط .

* * *

(٦٨) كتب عبد الملك بن مروان إلى ابي بكر بن حزم عامل المدينة ان احص من قبلك من المخنثين فصحف الكاتب وزاد نقطة على الحاء فخصاهم.

* * *

(٦٩) قال المأمون لثمامة بن اشرس ما جهد البلاء يا ابا معن قال عالم يجري عليهْ حكم جاهل قال من اين قلت هذا قال حبسني الرشيد عند مسرور الكبير فضيق علي انفاسي فسمعته يوماً يقرأ ويل يومئذ للمكذبين بفتح الذال فقلت له لا تقل ايها الامير هكذا قل للمكذبين وكسرت له الذال لان المكذبين بالفتح هم الانبياء فقال قد كان يقال لي عنكَ انك قدري فلا نجوت الليلة مني فعاينت منه تلك الليلة الموت من شدة ما عذبني .

* * *

(٧٠) قرأ بعض الفرس (وخر عيسى صعقاً وعصى موسى ربه) فقيل

له ليست الآيتان هكذا بل هما (وخر موسى صعقاً. وعصى آدم ربه) فقال هذا غلط لان الخر كان لعيسى ولم يكن لموسى والعصا كانت لموسى ولم تكن لآدم (وخر)بالفارسية الحمار .

* * *

(٧١) قرأ بعضهم (فريق في الجنة وفريق في الشعير) فقال له بعضهم ان الآية (فرية في الجنة و فريق في السعير) فقال انت تقرأ على حرف ابي عمرو وانا اقرأ على حرف عاصم .

* * *

(٧٢) سأل رجل بعض المحدثين فقال ما تروي عن نافع عن النبي (ص) في (الذي نشرت في ابيه القصة) قال ويحك هو (الذي يشرب في آنية الفضة) .

* * *

(٧٣) حدث بعض المحدثين المغفلين فاسند عن النبي (ص) عن جبرئيل عن الله عن رجل فقيل له من هذا الذي يصلح ان يكون شيخ الله تعالى فاذا هو عزوجل .

* * *

(٧٤) حدث رجل اسمه صالح انه كان لابي اسامة جزرة يرقي بها المريض وانما هي خرزة فصفحها فسمي صالح جزرة .

* * *

(٧٥) كان حيان بن بشر تولى قضاء بغداد واصبهان وكان من رواة الحديث فروى يوماً ان عرفجة قطع انفه يوم الكلام فقال مستلميه انما هو الكلاب فأمر بحبسه فدخل الناس اليه فقالوا ما دهاك قال قطع انف عرفجة في الجاهلية وابتليت انا به في الإسلام .

نوادر الأمراء والولاة

(٧٦) كان عيسى بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس يحمق وكان ابنه عبد الله من عقلاء الناس فارسل اليه في بعض الليل فظن انه لامر مهم فلبس سواده وركب إلى دار ابيه فسأل الحجاب والخدام هل ورد كتاب من الخليفة أو حدث امر فقالوا لافدخل على ابيه فقال له اني سهرت الليلة وفكرت في امر قلت اصلح الله الامير ما هو قال اشتهيت ان يصيرني الله من الحور العين ويجعل في الجنة زوجي يوسف النبي قلت اصلح الله الامير فالله جعلك رجلا فارجو ان يدخلك الجنة ويزوجك من الحور العين فاذا وقع هذا في فكرك فهلا اشتهيت محمداً وهو سيد الاولين والآخرين واحق بالقرابة فقال يا بني لا تظن اني لم افكر في هذا لكن كرهت ان اغيظ السيدة عائشة .

* * *

(٧٧) جاء رجل من اشراف الناس إلى بغداد فأراد أن يكتب إلى ابيه فلم يجد احداً يعرفه فانحدر بالكتاب إلى ابيه وقال كرهت أن يبطىء عليك خبري ولم اجد احداً يجيء بالكتاب فجئت انا به .

* * *

(٧٨) امر بعض الولاة كاتبه ان يكتب إلى رجل ويعنفه ويقول له بئس ما فعلت يا عذرة فكتب ثم قال الكاتب اعزك الله هذا لا يحسن في المكاتبة فقال الحسه بلسانك .

* * *

(٧٩) شغب رجام على الحسين بن مخلد وطالبوه بالمال فقال انا ما معي مال حتى اخرجه وانما انا للسلطان كالمزملة انّ صب في اعلاي شيئاً اخذتموه من اسفلي فان صبرتم إلى ان ترد الاموال فرقت عليكم .

نوادر الكتاب والحجاب

(٨٠) كان بانطاكية عامل له كاتب أحمق فغرق في البحر (شلنديتان) من مراكب المسلمين التي يقصد بها العدو فأمره العامل أن يكتب إلى أمير حلب بالخبر فكتب أعلم أيها الأمير أن شلنديتين أعني مركبين صفقا من جانب البحر أي غرقا من شدة أمواجه فهلك من فيهما أي تلفوا فكتب اليه أمير حلب ورد كتابك أي وصل وفهمناه أي قرأناه أدب كاتبك أي أصفعه واستبدل به أي اعزله فانه مائق أي أحمق والسلام أي انقضى الكتاب.

* * *

(٨١) قيل لعبد الله بن مسعود القاضي تجيز شهادة التقي الأحمق قال لا وسأريكم يا غلام ادع أبا الورد حاجبي فدعاه فقال أخرج فانظر ما الريح فخرج ورجع فقال شمال يشوبها جنوب فقال كيف اجيز شهادة مثل هذا.

نوادر المؤذنين

(٨٢) قيل لمؤذن ما يسمع اذانك فلو رفعت صوتك قال اني لأسمع صوتي من ميل .

* * *

(٨٣) رأى بعضهم مؤذناً يؤذن ثم عدا فقال له إلى أين قال أريد أن أعرف إلى أين يبلغ صوتي .

نوادر أئمة الجماعة

(٨٤) قرأ امام في الصلاة : ألم غلبت الترك فلما فرغ قيل له انما الآية غلبت الروم فقال كلهم أعداء لا نبالي من ذكر منهم .

* * *

(٨٥) قرأ امام في صلاته إذا الشمس كورت فلما بلغ قوله فأين تذهبون ارتج عليه وجعل يرددها وكان خلفه رجل معه جراب فضرب به رأس الامام وقال اما أنا فأذهب إلى دارنا واما هؤلاء السفهاء فلاأدري إلى أين يذهبون.

* * *

(٨٦) صلى رجل خلف امام بمكة فقرأ ومالي لا أعبد الذي فطرني فقال الرجل ما أدري والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة .

* * *

(٨٧) صلى أعرابي مع امام في الصف الأول وكان اسمه مجرماً فقرأ الإمام ألم نهلك الأولين فتأخر الأعرابي إلى الصف الثاني فقرأ ثم نتبعهم الآخرين فتأخر إلى الصف الثالث فقرأ كذلك نفعل بالمجرمين فقال والله ما أراد غيري فأخذ نعله وهرب من المسجد .

* * *

(٨٨) اشترك ثلاثة اخوة في بناء مسجد اسم أحدهم إبراهيم والثاني موسى والثالث الحاج أحمد وعينوا له إماماً فقرأ الإمام في الصلاة ان هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى فلما فرغ من الصلاة دعاه الحاج أحمد فقال ألم تعلم انني أنا واخوتي إبراهيم وموسى بنينا هذا المسجد من مالنا جميعاً ونقوم بنفقتك كلنا فقال نعم قال فلماذا تذكر أسماء اخوتي في الصلاة ولا تذكر اسمي قال ان هذا قرآن ولا تجوز الزيادة فيه قال بل هذه محاباة منك لإخوتي والله لئن لم تذكر اسمي بعد هذه المرة لأوجعنك ضرباً فلما كانت الصلاة الثانية قرأ الإمام ان هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى والحاج أحمد فلما فرغ سأله الناس عن ذلك وقالوا هذه الزيادة ليست في القرآن قال انها نزلت البارحة بعصا غليظة .

* * *

(٨٩) قرأ إمام في الصلاة (انا أرسلنا نوحاً إلى قومه) وارتج عليه فجعل يرددها فلما طال الأمر قال له اعرابي من خلفه إذا لم يذهب نوح فأرسل غيره وأرحنا .

* * *

(٩٠) ضاف فقيه أهل قرية في جبل لبنان فلما كان وقت المغرب قال له صاحب المنزل تريد أن تتعشى قبل الصلاة أو تصلي فقال بل نصلي فتوجه للصلاة وائتم به الحاضرون وكان المنزل ضيقاً فاضطر صاحب البيت إلى وضع الزاد أمامهم في زاوية البيت وبعد ما شرعوا في الصلاة جاءت هرة لتأكل من الزاد فصاح بها أحد المأمومين فقال له الذي إلى جانبه تكلمت في الصلاة بطلت صلاتك فقال له الثالث وأنت أيضاً بطلت صلاتك فقال الرابع كذلك وهكذا فحصلت ضجة وقطع الجميع الصلاة ولم يبق غير الإمام فلما فرغ لامهم على ذلك قالوا فما نصنع قال أعيدوا الصلاة قالوا نعيدها من أولها أو من محل القطع فقال بل من أولها .

* * *

(٩١) اشترى إمام سطلاً فاستحيى أن يجعله قدامه في الصلاة فجعله خلفه فلما ركع شغل قلبه به فظن انه سرق فأراد أن يقول ربنا لك الحمد فقال ربنا لك السطل فقال له بعض المأمومين السطل خلفك لا بأس عليه .

* * *

(٩٢) كان رجل يصلي خلف إمام فقرأ الإمام الفاتحة ثم ارتج عليه فجعل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويكررها فقال رجل من خلفه ليس للشيطان ذنب إلا أنك لا تحسن أن تقرأ .

نوادر النحويين

(٩٣) قال رجل لنحوي قد عرفت النحو إلاّ أنني لا أعرف هذا الذي يقولون أبو فلان أبا فلان أبي فلان قال هذا أسهل الأشياء في النحو أبو لمن عظم قدره وأباً للمتوسطين وأبي للرذلة .

* * *

(٩٤) وقف نحوي على صاحب بطيخ فقال بكم تلك الفاردة وذانك المجتمعتان فنظر يميناً وشمالاً ثم قال اعذرني فما عندي شيء يصلح للصفع .

* * *

(٩٥) دخل أحمد بن محمد القزويني السوق بالكوفة فقال لنخاس اطلب لي حماراً لا بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان أقللت علفه صبر وإن أكثرته شكر إذا خلا في الطريق تدفق وإذا كثر الزحام ترفق فقال له النخاس بعد ما نظر إليه ساعة إذا مسخ الله القاضي حماراً اشتريه لك .

* * *

(٩٦) كان بسجستان شيخ يتعاطى النحو فقال لابنه إذا أردت التكلم بشيء ففكر فيه بجهدك حتى تقومه ثم أخرج الكلمة مقومة فبيناهما جالسان في الشتاء والنار تتقد وقعت شرارة في جبة خز كانت على الأب وهو غافل والابن يراها ففكر ملياً ثم قال يا أبت أريد أن أقول لك شيئاً فتأذن فيه قال ان كان حقاً فتكلم قال أراه حقاً فقال قل قال اني أرى شيئاً أحمر قال وما هو قال شرارة وقعت في جبتك فنظر إلى جبته وقد احترق منها قطعة فقال لم لم تعلمني سريعاً قال فكرت فيه كما أمرتني ثم قومت الكلام وتكلمت .

* * *

(٩٧) ركب نحوي في زورق فقال للملاح تعلمت النحو قال لا قال

ذهب نصف عمرك فلما كان بعد مدة هاج البحر فقال الملاح للنحوي تعلمت السباحة قال لا قال ذهب عمرك كله .

* * *

(٩٨) وقف سائل على باب نحوي فقال النحوي من كان بالباب فلينصرف فقال السائل ان اسمي أحمد فقال النحوي يا جارية اعطي سيبوية كسرة.

نوادر الشعراء

(٩٩) دخل رجل على سيف الدولة بن حمدان وقد انصرف من غزوة له ظفر فيها فأنشد :

فكانوا كفأر وسوسوا خلف حائط وكنت كسنور عليهم تسلقاً

فأمر باخراجه فقام على الباب يبكي فأخبر سيف الدولة ببكائه فأمر برده فقال مالك تبكي فقال قصدت مولانا بكل ما اقدر عليه فلما خاب أملي بكيت فقال من يكون له هذا النثر يكون له هذا الشعر فكم أملت قال خمسمائة درهم فأمر له بألف درهم

* * *

(١٠٠) قال أبو سجادة الفقية في شعر له

ومنا الوزير ومنا الأمير ومنا المشير ومنا أنا

نوادر القصاص

(١٠١) وقف سيفويه القاص وهو راكب على حمار عند قبر فنفر حماره فقال ينبغي أن يكون صاحب هذا القبر بيطاراً

* * *

(١٠٢) وقرأ سيفويهٔ ثم في سلسلة ذرعها تسعون ذراعاً فاسلكوه فقيل له قد زردت عشرين فقال هذه خلقت لبغا ووصيف (وهما من رؤساء الاتراك في زمن العباسيين) أما أنتم فيكفيكم شريط بدانق ونصف .

* * *

(١٠٣) وقيل له ان اشتهى أهل الجنة عصيدة كيف يعملون قال يبعث الله لهم انهار دبس ودقيق وارز ويقال اعملوا وكلوا واعذرونا .

* * *

(١٠٤) دخل أبو الحسن السماك على قوم وهم يتكلمون في الفأبابيل هل هو ألف وصل او قطع فقال لا ألف وصل ولا ألف قطع انما هو الف سخط .

* * *

(١٠٥) قال بعض القصاص أن الشيطان إذا سمي على الطعام والشراب لم يقربه فكلوا خبز الأرز المالح ولا تسموا فيأكل معكم ثم اشربوا الماء وسموا حتى تقتلوه عطشاً .

* * *

(١٠٦) سرق باب أبي سالم القصاص فجاء إلى باب المسجد وقلعه وقال ان صاحبه يعلم من قلع بابي .

* * *

(١٠٧) سئل بعض القصاص لم لم تنصرف أشياء فلم يفهم ثم قال انت تسأل سؤال الملحدين لان الله تعالى يقول (لا تسألوا عن اشياء) .

* * *

(١٠٨) كتب رجل إلى بعض القصاص رقعة يسأله الدعاء لامرأة حامل فقر

الرقعة ثم قلبها وفي ظهرها صفة دواء كتبه طبيب وفيه شونيز أفتيمون عاقر قرحاً . ونحو هذا فظنها كلمات يسأل بها فقال يا رب شونيز وافتيمون وعاقر قرحا إلى أن أتم المكتوب احفظ حمل هذه الحامل .

* * *

(١٠٩) سمع رجل قاصاً يقرأ (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) فقال اللهم اجعلنا ممن يتجرعه ويسيغه .

* * *

(١١٠) قال أبو كعب القصاص مرة في قصصه اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا فقيل له أن يوسف لم يأكله الذئب فقال فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف .

نوادر الأطباء

(١١١) دخل طبيب أحمق على مريض فقال خذ مثل رأس الفأرة كلنجين وصب عليه مقدار محجمة ماء واضربه حتى يصير مثل المخاط واشربه فقال قم لعنك الله فقد قذرت إلي كل دواء في الأرض .

* * *

(١١٢) سرقت ثياب رجل من الحمام فخرج وهو عريان وعلى باب الحمام طبيب أحمق فقال له ما قصتك قال سرقت ثيابي قال بادر وافتصد تخف عنك حرارة الغم .

* * *

(١١٣) سرق لرجل حمار فشكا أمره إلى طبيب فقال اشرب مسهلا فشربه فتحرك بطنه فدخل إلى خربة يتبرز فوجد حماره فيها فأخذه ودعا للطبيب .

* * *

(١١٤) شكا رجل إلى طبيب وجع بطنه فقال ما الذي أكلت قال رغيفاً محترقاً فدعا الطبيب بذرور ليكحله به فقال إنما أشتكي وجع بطني لا عيني قال قد عرفت ولكن أكحلك لتبصر المحترق فلا تأكله .

* * *

(١١٥) جاء رجل مريض إلى الطبيب يستوصفه دواء فقال هل أكلت شيئاً قال لا فجس نبضه فعلم أنه أكل شيئاً ثقيلاً حتى امتلا فقال بلى أكلت قال لم آكل شيئاً فلما الح عليه قال أكلت طبيخاً كان فضل من طعام العشاء قال بل أكلت غير هذا قال لم أأكل قال بلى أكلت قال كان عندي شيء من كرش شاة محشو فأكلته ولم أأكل غيره قال بلى أكلت غيره قال كان عندي يسيرتين فاكلته قال وأكلت غيره قال لم أأكل قال بلى أكلت أتظن اني لا أعلم قال قال أكلت ثلاثة أرغفة قال وغيره ماذا أكلت قال أكلت شيئاً من الحلوى قال كل هذا ولم تأكل شيئاً قم عني فاني أخاف أن تأكلني .

* * *

(١١٦) قال طبيب لتلميذه إذا دخلت إلى مريض وجسست نبضه فانظر إلى أثر ما عنده من طعام أو شراب فقل له أكلت كذا مثل أن تجد عنده قشور خيار فقل أكلت خياراً أو قشور بطيخ فقل أكلت بطيخاً فدخل الغلام يوماً على مريض فوجد في ناحية البيت جل حمار فجس نبضه ثم قال له أكلت حماراً .

* * *

(١١٧) شكا أبو واسع إلى طبيب ريحاً في بطنه فقال له خذ الصعتر فقال يا غلام دواة وقرطاس فاحضرهما فقال ماذا أصلحك الله قال كف صعتر ومكوك شعير فقال لم تذكر الشعير أولا قال ما علمت انك حمار إلا الساعة.

نوادر المرضى

(١١٨) مرض رجل فلما اشتد به المرض أمر بجمع آلات اللهو عنده فسئل عن ذلك فقال أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه شيء من آلة اللهو .

* * *

(١١٩) مرض مغفل فأتي له بطبيب فقال إذا كان غدا فاحفظوا البول حتى أجيء وانظره فبقي المريض حابساً بوله إلى الغد فلما جاء الطبيب قال له يا عبد الله كادت مثانتي تنشق من حبسي للبول قال إنما أمرتك أن تحفظ البول في اناء فلما كان الغد إذا هو قد أخذ في برنية خضراء فقال الطبيب أخطأت ألم يكن في الدنيا شيء من الزجاج كنت تأخذ في قارورة أوقدح فلما كان الغد أخذ البول في قدح خشب فقال لم لا أخذته في قدح زجاج فقال أنت في حرج إلانظرت إلي هذا الماء فاصدقني هل يخاف علي من هذه العلة فقال يخاف عليك من هذا العقل لا من هذه العلة .

* * *

(١٢٠) أخذ رجل زوجته إلى الطبيب ليداويها فكتب لها دواء في ورقة وقال لزوجها أغل لها هذا واسقها اياه فمضى الزوج وغلى الورقة في الماء وسقاها إياه فلم تبرأ فرجع إلى الطبيب فرآها بحالها فقال له هل سقيتها الدواء قال نعم غليت الورقة بماء حتى ذابت وسقيتها الماء فضحك الطبيب وقال له أنا طبيب ولست براقي .

نوادر الزهاد والمتعبدين

(١٢١) كان بجبل اللكام رجل زاهد يسمى أبو عبد الله المزابلي لكنه ضعيف العقل وكان يقتات من المزابل ومن النبات وكان بانطاكية رجل

يسمى موسى الزكوري وله جار يغشى المزابلي فجرى بين موسى وجاره شر فشكاه الجار إلى المزابلي فلعنه في دعائه فكان الناس يقصدون المزابلي كل جمعة فيتكلم عليه ويدعو فلما سمعوه يلعنه جاؤا إلى داره لقتله فهرب ونهبت داره وطلبته العامة فاستتر ثم انه لبس ثوباً جديداً واخذ معه مسكاً وبخوراً وذهب إلى الجبل فلما كان نصف الليل صعد فوق الكهف الذي فيه المزابلي فبخر بالند ونفخ المسك فدخلت الرائحة إلى كهف المزابلي فقال من أنت عافاك الله قال أنا جبرئيل أرسلني اليك ربي فلم يشك في صدق القول واجهش بالبكاء وقال يا جبرئيل ومن أنا حتى يرسلك الله إلي فقال الرحمن يقرئك السلام ويقول لك موسى الزكوري رفيقك في الجنة فصعق المزابلي فتركه موسى ورجع فلما كان من الغد أقبل المزابلي يخبر الناس برسالة جبرئيل ويقول تمسحوا بابن الزكوري واسألوه أن يجعلني في حل.

* * *

(١٢٢) قال بعضهم كنت في جامع واسط ورجلان يذكران جهنم فقال أحدهما بلغني أن الله يعظم خلق الكافر حتى يكون ضرسه مثل جبل أحد فقال شيخ إلى جانبهما كثير الصلاة لا تنكروا هذا فان الله على كل شيء قدير وتصديق ما كنتما فيه كتاب الله قال الله تعالى أولئك يبدل الله سنانهم خشبات فالذي يبدل السن خشبة قادر أن يجعله مثل جبل أحد .

* * *

(١٢٣) كان لأبي العتاهية تلميذ تصوف وتزهد وقير أحدى عينيه وقال النظر إلى الدنيا بعينين اسراف .

* * *

* * *

(١٢٤) جرى ذكر لوط امام بعض المتزهدين فشتمه فقيل له اتشتم

الأنبياء فقال ما علمت أنه نبي وتاب ثم جرى ذكر فرعون فقالوا ما تقول فيه فقال الآن تبنا فلا ندخل بين الأنبياء .

* * *

(١٢٥) جرى بين رجل وامرأته شر فقال لها أنت مثل امرأة لوط فقالت له أنت لوط بعينه .

* * *

(١٢٦) كان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل مملوء حصى للتسبيح فكان يسبح بواحدة فاذا مل طرح ثنتين ثنتين ثم ثلاثا ثلاثا فاذا ازداد ملاله قبض قبضة وقال سبحان الله عددك فاذا ضجر أخذ بعرى الزنبيل وقلبه وقال سبحان الله بعدد هذا .

نوادر الفقهاء ومدعي الفقه

(١٢٧) عاد فقيه عليلاً ومعه آخر فقال له هل اتيت بطبيب قال نعم قال أخطأت وما الذي وصف لك قال مسهلاً قال أخطأ وهل شربته قال نعم قال أخطأت وما الذي وصف لك من الغذاء قال مرق اللحم قال أخطأ وهل شربته قال نعم قال أخطأت فامتلأ رفيقه غيظاً لكنه لم يجد محلا للكلام ثم ذهبا إلى مجلس فيه علماء البلد فسألوا رفيقه اين كنت قال كنت اعود فلانا وكان معي رجل فقال للعليل كذا ورد عليه بكذا حتى حكى لهم القصة بتمامها وكلما ذكر لهم خطاباً أو جواباً شتموا الرجل بقولهم ما أقل فهمه وادبه ما أثقله وأبرده هذا قليل العقل والمعرفة هذا حمار وليس من بني آدم وشبه ذلك وهم لا يعلمون أن الرجل هو السامع وهو ساكت يظن أن رفيقه لا يخبرهم باسمه ثم قال لهم هل تعرفون هذا الرجل من هو قالوا لا قال هو هذا الشيخ فخجل الشيخ والحاضرون .

* * *

(١٢٨) كان لأبي اسحق الجوني جار نحاس اسمه عباس عمره خمس وثمانون سنة فسألته امرأة فقالت ان زوجي طلقني ثلاثا قال ارضي ابواك قالت لا قال يجوز العود حتى يرضيا قالت سألت ابا اسحق فقال لي قد بنت منه قال وما يدري ابا اسحق انا ابصر منه واكبر منه انا القيت عليه مسألة فلم يخرج منها .

* * *

(١٢٩) سئل رجل كان ينظر في الفرائض عن فريضة لم يعرفها فالتمسها في كتابه فلم يجدها فقال لم يمت هذا الرجل بعد ولو مات لوجدت فريضته في كتابي .

نوادر من سأل الفقهاء

(١٣٠) سأل رجل ابا حنيفة متى يحرم الطعام على الصائم قال إذا طلع الفجر قال وان طلع من نصف الليل .

* * *

(١٣١) وكان يجلس اليه رجل يطيل الصمت فقال له مالك لا تخوض فيما نخوض فيه فقال متى يحرم على الصائم الطعام قال إذا طلع الفجر قال فان لم يطلع الى إلي الظهر فقال انت كنت اعرف بنفسك حيث لم تتكلم .

* * *

(١٣٢) وكان يجلس إلى أبي يوسف رجل يطيل الصمت فقال له الا تتكلم قال بلى متى يفطر الصائم قال إذا غابت الشمس قال فان لم تغب إلى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت في صمتك واخطأت أنا في استدعائي نطقك ثم قال :

عجبت لإزراء العيي بنفسه وصمت الذي قد كان بالصمت اعلما
وفي الصمت ستر للعيي وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما

* * *

(١٣٣) سأل رجل فقيهاً فقال الرجل إذا خرج منه الريح تجوز صلاته قال لا قال أنا قد فعلت وجازت صلاتي .

* * *

(١٣٤) وسأل آخر فقيها فقال أم الزوجة هل تصير زوجة قال لا قال أنا قد فعلت ذلك فصارت .

نوادر المغفلين على الاطلاق

(١٣٥) خرج رجل إلى السوق يشتري حماراً فسألته زوجته إين تذهب قال إلى السوق أشتري حماراً قالت قل انشاء الله قال ليس هاهنا موضعها الدراهم معي والحمار في السوق فبينما هو يطلب الحمار سرقت منه الدراهم فرجع خائباً فدق الباب على زوجته فقالت من هذا قال زوجك ان شاء الله قالت ما صنعت قال سرقت الدراهم إن شاء الله قالت ليس هنا موضعها قال موضعها في كل مكان .

* * *

(١٣٦)جاءت عجوز إلى لحام وقالت اعطني لحما بدرهم وطيبة واخبرني باسمك حتى أدعو لك فاعطاها شر لحم وقال اسمي (من تمد) فلما افطرت جعلت تمد اللحم فلا تقدر عليه فجعلت تقول لعن الله (من تمد) فتلعن نفسها ولا تعلم .

* * *

(١٣٧) كان رجل من دارا معه عشرة احمرة فركب واحدا وعدها

فاذا هي تسعة فنزل ليفتش عليه فعدها فاذا هي عشرة فركب وعدها فاذا هي تسعة فنزل وعدها فاذا هي عشرة حتى فعل ذلك مراراً فقال المشي خير من ضياع حمار فمشى حتى كاد أن يتلف إلى أن وصل .

* * *

(١٣٨) اشترى ابو عبد الحميد سمكة ونام إلى أن تستوى فاكلتها امرأته مع نساء ومسحت شفتيه واطراف اصابعه منها فانتبه وقال هاتوا السمكة فقالت امرائه يا مخبل الست قد اكلتها ونمت ولم تغسل يديك فشم يده فوجد ريح السمك فغسل يده وقال ما رأيت سمكة امرأ من هذه قد جعت فهيئوا لي الغداء.

* * *

(١٣٩) اشترى غندر سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فاكلوا السمك ولطخوا يده به فلما انتبه قال قدموا السمك قالوا اكلته قال صدقتم ولكني ما شبعت .

* * *

(١٤٠) قال المأمون لرجل اختر اسماً اسمي به جاريتي قال سمها (جامع دمشق) فانه احسن شيء .

* * *

(١٤١) مات جار لمكي فلم يتبع جنازته فليم على ذلك فقال انتم مجانين اذكر بنفسي .

* * *

(١٤٢) سقط أخ لعثمان بن سعيد في البئر فقال له اخوه أنت في البئر قال اما تراني قال لا تذهب حتى أجيئك بمن يخرجك .

* * *

(١٤٣) نزل الموت بزوج امرأة فقيل لها لودخلت عليه وودعته قالت

اخاف أن يعرفني ملك الموت .

* * *

(١٤٤) جاءت امرأة إلى القاضي وادعت ان زوجها طلقها فقال الك بينة قالت نعم جارنا فاحضرته فقال القاضي سمعت طلاق هذه المرأة فقال يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت خبزاً ولحماً ودبساً وزعفراناً فقال القاضي ما سالتك عن هذا هل سمعت طلاق هذه المرأة فقال ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلا فقال دع هذا عنك فقال ما اعرف اتكلم بالحديث الا من اوله ثم جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فما ادري اهي طلقته أم هو طلقها .

* * *

(١٤٥) نظر مغفل إلى منارة فقال ما كان اطول من بناها فقال له آخر ما اجهلك ترى ان في الدنيا احداً طولها انما بنوها على الارض ثم رفعوها .

* * *

(١٤٦) رؤي رجل راكباً على حمار وهو يضربه فقيل له ارفق به فقال اذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً .

* * *

(١٤٧) مرض صديق لحامد بن العباس فأرسل ابنه يعوده واوصاه فقال إذا دخلت فاجلس في ارفع المواضع وقل للمريض ما تشكو فان قال كذا وكذا فقل له سليم إن شاء الله وقل من يجيئك من الاطباء فإذا قال فلان فقل ميمون وقل ما غذاؤك فإذا قال كذا وكذا فقل طعام محمود فدخل على العليل وبين يديه منارة فجلس عليها فوقعت على صدر العلل فاوجعته ثم قال له ما تشكو قال علة الموت قال سليم إنشاء الله فمن يجيئك من الاطباء قال ملك الموت قال مبارك ميمون فما غذاؤك فال سم الموت قال طعام طيب محمود .

اخاف أن يعرفني ملك الموت .

* * *

(١٤٤) جاءت امرأة إلى القاضي وادعت ان زوجها طلقها فقال الك بينة قالت نعم جارنا فاحضرته فقال القاضي سمعت طلاق هذه المرأة فقال يا سيدي خرجت إلى السوق فاشتريت خبزاً ولحماً ودبساً وزعفراناً فقال القاضي ما سالتك عن هذا هل سمعت طلاق هذه المرأة فقال ثم تركته في البيت وعدت فاشتريت حطباً وخلا فقال دع هذا عنك فقال ما اعرف اتكلم بالحديث الا من اوله ثم جلت في الدار جولة فسمعت زعقاتهم وسمعت الطلاق الثلاث فما ادري اهي طلقته أم هو طلقها .

* * *

(١٤٥) نظر مغفل إلى منارة فقال ما كان اطول من بناها فقال له آخر ما اجهلك ترى ان في الدنيا احداً طولها انما بنوها على الارض ثم رفعوها .

* * *

(١٤٦) رؤي رجل راكباً على حمار وهو يضربه فقيل له ارفق به فقال اذا لم يقدر يمشي فلم صار حماراً .

* * *

(١٤٧) مرض صديق لحامد بن العباس فأرسل ابنه يعوده واوصاه فقال إذا دخلت فاجلس في ارفع المواضع وقل للمريض ما تشكو فان قال كذا وكذا فقل له سليم إن شاء الله وقل من يجيئك من الاطباء فإذا قال فلان فقل ميمون وقل ما غذاؤك فإذا قال كذا وكذا فقل طعام محمود فدخل على العليل وبين يديه منارة فجلس عليها فوقعت على صدر العلل فاوجعته ثم قال له ما تشكو قال علة الموت قال سليم إنشاء الله فمن يجيئك من الاطباء قال ملك الموت قال مبارك ميمون فما غذاؤك فال سم الموت قال طعام طيب محمود .

(١٤٨) جاءت امرأة تستعير من جارتها ازارا فقالت قد غزلت منه عشرة اساتير فاصبري حتى اتم غزله واسلمه إلى الحائك ويفرغ منه ثم اعطيك اياه ولكن احذري ان تمري بمسمار فيعلق به فيخرقه فانه جديد .

* * *

(١٤٩) مر رجل بقوم يضربون رجلا فقال لبعضهم ما ذنب هذا قال والله ما ادري لكني رأيتهم يضربونه فضربته معهم لوجه الله وطلباً للثواب.

* * *

(١٥٠) كان لرجل آخر اربعة دراهم فجاء يقتضيه فقال غدا اعطيك فقال لا اذهب حتى تحلف لي انك تعطينيها غداً فحلف له انك ان جئت لا تذهب إلا وهي معك فجاء من الغد فقال ما عندي شيء وانما حلفت انك لا ترجع إلا ولحيتك معك فذهب إلى الحجام وحلق لحيته وما برح حتى اخذ الدراهم .

* * *

(١٥١) قيل لرجل من اهل طرسوس ما نجمك قال التيس فقيل ليس في النجوم ما اسمه التيس قال قد قيل لي وانا صبي نجمك الجدي فلا شك انه قد صار تيساً .

* * *

(١٥٢) كان مغفل يقود حمارا فرآه رجلان فقال احدهما للاخر اريد أن آخذ هذا الحمار فتقدم ونزع الرسن من رأس الحمار وتركه في رأس نفسه وقال لرفيقه خذ الحمار واذهب فاخذهُ ومشي الرجل خلف المغفل والرسَن في رأسه وبعد مدة وقف فجذبه فما مشى فالتفت فرآه رجلا فقال اين حماري فقال انا هو قال وكيف هذا قال كنت عاقا لوالدتي فمسخت حماراً والان رضيت عني فعدت آدمياً فقال لاحول ولا قوة إلا بالله وكيف

كنت استخدمك وانت آدمي قال قد كان ذلك قال فاذهب في دعة الله واجعلني في حل ومضى المغفل إلى بيته فقال لزوجته اتدرين ان حمارنا كان آدميا مسخ ثم عاد آدميا ثم انه ذهب إلى السوق ليشتري حمارا فوجد حماره ينادى عليه فاشتراه ثم ساره وقال يا مدبر عدت إلى عقوق املك .

* * *

(١٥٣) شهد رجل عند بعض القضاة فقال المشهود عليه كيف تقبل شهادته وعنده عشرون الف دينار ولم يحج فقال بلى قد حججت قال فاسأله عن زمزم فقال حججت قبل ان تحفر .

* * *

(١٥٤) تقدم المتوكل إلى صاحب خزانة السلاح ليبتاع الفي رمح طول كل اربعة عشر ذراعاً فقال هذا الطول فكم يكون العرض .

* * *

(١٥٥) تضجر عمر بن عبد العزيز من كلام رجل بين يديه فقال له صاحب شرطته قم فقد اوذيت الامير فقال عمر والله انك لاشد أذى لي بكلامك هذا منه .

* * *

(١٥٦) خطب وكيع بن ابي سوار بخراسان فقال ان الله خلق السماوات والارض في ستة اشهر فقيل انها ستة ايام فقال الله لقد قلتها وانا استقلها .

* * *

(١٥٧) اجريت خيل فطلع فيها فرس سابق فجعل رجل من النظارة يكبر ويثب فقال له رجل إلى جانبه يا فتى اهذا الفرس السابق لك فقال لا ولكن اللجام لي .

* * *

(١٥٨) ذهب رجل ليشتري لامه كفنا فقال للبائع لا تنتخبه فإنها رحمها الله كانت رديئة الملبس .

* * *

(١٥٩) كان بالبصرة ثلاثة اخوة من بنى عتاب بن اسيد فكان احدهم يحج عن حمزة بن عبد المطلب ويقول استشهد قبل أن يحج والآخر يضحي عن ابي بكر وعمر ويقول غلطا في ترك الاضحية والثالث يفطر عن عائشة ويقول غلطت في صومها ايام التشريق .

* * *

(١٦٠) سئل خطيب ايما افضل معوية ام عيسى بن مريم فقال سبحان الله نقيس كاتب الوحي بنبي النصارى .

* * *

(١٦١) كان ابن عمر يمازح جاريته فيقول خلقني خالق الكرام وخلقك خالق اللئام فتغضب وتصيح وهو يضحك .

* * *

(١٦٢) قال ابن الماشجون كان لي صديق مدني اقام بالكوفة فقلت كيف اقمت بها وهم ينتقصون الشيخين فقال قد رأيت منهم اعجب من ذلك انهم يفضلون الكباشي على معبد في الغناء فسمع المهدي بذلك فضحك حتى استلقى.

* * *

(١٦٣) سمع عمر بن عبد العزيز رجلا ينادي يا ابا العمرين فقال لو كان له عقل لكفاه احدهما

* * *

(١٦٤) لما كان الحجاج يحارب ابن الزبير بمكة ايام عبد الملك بن مروان وكان عبد الملك وضع رجالا بينه وبين مكة بين احدهم والآخر قدر ما يسمع

صوته إذا صاح فكانت الاخبار تاتيه في حينها بواسطة هؤلاء فلما ملك الحجاج جبل ابي قبيس المشرف على الكعبة أرسل يخبر عبد الله بذلك فكبر عبد الملك فسمعه أهل الدار فكبروا فسمعهم أهل السوق فكبروا فسمعهم من في المسجد فكبروا حتى علا التكبير من جميع أهل دمشق وسألوا عن السبب فقيل لهم أن الحجاج ملك أبا قبيس فقالوا لا نرضى حتى يؤتى بهذا الترابي الخبيث مكتوفا ويطاف به على جمل (يعنون ابا قبيس) .

* * *

(١٦٥) قيل لرجل أنت أسن أم أخوك قال إذا جاء رمضان تساوينا .

* * *

(١٦٦) جاء رجل إلى جاره يستعير منه حبلا فقال نشرنا عليه البرغل المسلوق.

* * *

(١٦٧) طلب بعض الخلفاء أمراً من رجل فامتنع عليه فحبسه فقام يصلي في الحبس ويدعو فجلس اليه شيخ وجعل يبكي فظن أن بكاءه لما لحقه من الحشية لله تعالى فسأله ذلك فقال انني راع وحبست في جناية وعندي تيس له لحية تشبه لحيتك فلما رأيتك تحرك لحيتك تذكرت التيس فبكيت فأرسل إلى الخليفة قد اجبتك إلى كل ما تريد لئلا احبس مع مثل هذا الراعي.

* * *

(١٦٨) كان رجل يهتم لكل ما يسمع من مصيبة تقع حتى يمتنع عن الطعام والشراب فسمي أبو الهموم فاشترى يوماً رأساً وكرشاً وكراعاً وقال لزوجته اطبخيها لنأكل اليوم في هناء فاني لم أسمع بشيء مزعج فطبختها فلما نضجت ووضعتها في الصفحة ارادت أن تستأثر بأكلها فقالت له أما سمعت ما حدث عند جيراننا قال لا قالت ولدت حمارتهم فلوا بلا ذنب ولا أذنين فقال لا حول ولا قوة إلا بالله إذا حملوه وبرك بالحمل فبأي شيء يقيمونه وهو لا ذنب له ولا اذنان ارفعي الطعام فرفعته واكلته وحدها .

الفصل السابع

في نوادر الأذكياء ومستطرف أخبارهم

(١) جاء رجل إلى سليمان عليه السلام فقال إن لي جيران يسرقون أوزي فنادى الصلاة جامعة ثم خطبهم فقال في خطبته وأحدكم يسرق أوز جاره ثم يدخل المسجد والريش على رأسه فمسح رجل رأسه فقال خذوه فانه صاحبكم .

* * *

(٢) أتت امرأة عمر بن الخطاب فقالت ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الزوج زوجك فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب فقال له كعب بن سور الأسدي انها تشكو زوجها في مباعدته إياها عن فراشه فقال كما فهمت كلامها فاقض بينهما فقال علي بزوجها فأتى به فقال إن امرأتك هذه تشكوك فقال أفي طعام أو شراب قال لا فقالت المرأة :

إلهي خليلي عن فراشي مسجده ... زهده في مضجعي تعبده
نهـــاره وليلـــه ما يرقده ... فلست في أمر النساء أحمده

فقال الرجل :

زهدت في فراشها وفي الخجل ... إني امرؤ أذهلني ما قد نزل
في سورة النمل وفي السبع الطول ... وفي كتاب الله تخويف جلـــل

فقال كعب :

إن لها حقاً عليك يا رجل نصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنها العلل

ثم قال إن الله عز وجل أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام تعبد فيهن ربك ولها يوم وليلة فقال عمر والله ما أدري من أي أمريك أعجب أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك قضاء البصرة فبقي إلى حرب الجمل وقتل مع عائشة .

الأذكياء من الملوك والولاة والأشراف

(٣) رأى المنصور رجلاً مهموماً فسأله عن حاله فأخبره أنه كان عنده مال دفعه إلى امرأته فذكرت أنه سرق ولم تر نقباً فقال له منذ كم تزوجتها قال منذ سنة قال أبكراً تزوجتها قال لا قال ألها ولد من سواك قال لا قال فشابة هي أم مسنة قال شابة فدعا له بقارورة طيب حاد الرائحة غريب النوع وقال تطيب منها فإنه يذهب همك فلما خرج قال المنصور لأربعة من ثقاته ليقعد كل واحد منكم على باب من أبواب المدينة فمن شممتم منه رائحة هذا الطيب فأتوني به ودفع الرجل الطيب إلى زوجته وقال لها وهبه لي أمير المؤمنين وكانت دفعت المال إلى رجل تحبه فلما جاء طيبته من الطيب فلما مر ببعض أبواب المدينة شم الموكل بالباب منه رائحة الطيب فأخذه وأتى به المنصور فقال من اين لك هذا الطيب قال اشتريته قال ممن فتلجلج وخلط في كلامه فدعا صاحب الشرطة وقال خذ هذا فإن أحضر كذا من الدنانير فخل سبيله وان امتنع فاضربه ألف سوط ثم أوصاه سراً بأن يهول عليه ولا يضربه فلما سجنه وجرده للضرب أقر وأحضر الدنانير فأعطاها للرجل وأمره بطلاق امرأته وخبره خبرها .

* * *

(٤) سرق لرجل خمسمائة دينار فحمل المتهومين إلى الوالي فقال لهم أنا لا أضرب أحداً منكم بل عندي خيط ممدود في بيت مظلم إذا أمر السارق يده عليه التف على يده فليمر كل منكم يده عليه من أوله إلى آخره ويلف يده في كمه ويخرج وكان سوّد الخيط بما يلتصق على اليد فدخلوا ثم خرجوا فوجد أيديهم مسودة إلاّ واحداً فعلم انه السارق .

* * *

(٥) قال بعض العلماء المجتهدين لأحد الملوك الصفوية في إيران يجب أن تكون جميع أمور المملكة بيد المجتهدين لأنهم حملة الشريعة فأجابه الملك إلى ذلك وفي اليوم الثاني جيء بقتيل ذبح بسكين لا يعلم قاتله فأخبروا الملك به فأمر أن يرجعوا فيه إلى المجتهد فأخبروه فقال هل تتهمون أحداً قالوا لا علم لنا قال فاذهبوا فادفنوا قتيلكم فأخبروا الملك فأمر بإحضار القتيل بمحضر المجتهد وتأمل في ثياب القتيل وقال علي بالجزارين فأحضروا فأقامهم صفين وجعل يتفرس في وجوههم ويستمع إلى دقات قلوبهم ثم دعا بواحد منهم وهدده فأقر بالجناية فسأل عن ذلك فقال نظرت إلى ثياب القتيل فوجدت الذي ذبحه قد مسح السكين بثيابه فعلمت أنه جزار لأن عادة الجزار أن يمسح السكين بجلد الشاة بعد الفراغ من ذبحها ولما جمعت الجزارين رأيت أحدهم قد اصفر وجهه وسمعت خفقات قلبه فعلمت انه القاتل وقررته فأقر .

* * *

(٦) كان بعض البغداديين من التجار ساكناً في همذان زمن الملوك القاجارية وكان مشهوراً بالصلاح فبينما هو عائد إلى داره ليلاً لقيه جماعة فقالوا اقبض طرف عباءتك فقبضه فوضعوا فيه رأس إنسان وهربوا فتحير في أمر الرأس ثم عزم أن يدفنه ولا يخبر أحداً فدفنه وأصبح الخبر انه وجد قتيل بدون رأس والعادة في إيران انه إذا وقع مثل ذلك يكلف بكشفه مدير

البوليس ويسمى (الداروغة) ويطلق له الدخول إلى أي محل أراد فكان الداروغة يجيء إلى الخان الذي فيه التاجر البغدادي أثناء تفتيشه ويدعو بكرسي ويجلس عليه مقابل حجرة التاجر ففعل ذلك أياماً ثم أتى إلى دار التاجر ليلاً وقال له أنت لك علم بهذا القتيل ولست بقاتل فأخبرني ما تعلمه فأنكر التاجر ذلك فلم يقبل منه إلى أن أخبره بما جرى له فسأله عن هيئة الذين لقوه فأخبره ان هيئتهم تدل على أنهم من خارج المدينة فبحث عنهم حتى عرفهم وسئل الداروغة ما الذي رأيت من التاجر حتى علمت بأن عنده علماً بالقتيل مع اشتهاره بالصلاح قال كنت كلما دخلت الخان الذي هو فيه يجتمع جميع أهل الخان للنظر إلي ويطلون من أبواب حجرهم إلاّ هو فإنه يتشاغل عني ولا ينظر إليّ ما دمت في الخان فعلمت ان عنده علماً مما جرى ولكنه ليس بقاتل لشهرته بالصلاح .

* * *

(٧) لطم رجل الأحنف بن قيس فقال لم لطمتني قال جعل لي جعل على لطم سيد بني تميم قال لست بسيدهم إنما سيدهم حارثة بن قدامة فذهب فلطمه فقطع يده وذلك ما أراد الأحنف .

أخبار اياس بن معوية

الذي يضرب به المثل في الذكاء

(٨) دخل على اياس بن معوية ثلاث نسوة فقال واحدة مرضع والأخرى بكر والثالثة ثيب فسئل عن ذلك فقال أما المرضع فلما قعدت أمسكت ثدييها بيدها وأما البكر فلما دخلت لم تلتفت إلى أحد وأما الثيب فلما دخلت رمقت بعينيها يميناً وشمالاً .

* * *

(٩) استودع رجل رجلاً معروفاً بالاماتة مالاً وذهب إلى مكة فلما رجع طالبه بالمال فجحده فأخبر اياساً قال علم انك أتيتني قال لا قال فنازعته عند أحد قال لا قال انصرف واكتم أمرك وعد إلي بعد يومين ودعا اياس أمينة فقل حضر مال كثير أريد أن أسلمه لك افحصين منزلك قال نعم قال فأعد موضعاً للمال وقوماً يحملونه وعاد الرجل فقال له اياس انطلق إلى صاحبك واطلبه بالمال فإن دفعه وإلاّ فقل له اني أخبر القاضي فأتى الرجل صاحبه فقال مالي وإلاّ أخبرت القاضي فدفعه إليه فرجع الرجل إلى إياس فقال أعطاني المال وجاء الأمين إلى اياس فزبره وانتهره وقال لا تقربني يا خائن .

* * *

(١٠) رأى أياس سمدعاً في الأرض فقال تحت هذا دابة فنظروا فاذا حية فقيل من اين علمت قال رأيت ما بين الآجرتين نديا دون غيره فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس .

* * *

(١١) سمع اياس نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أطلق فسئل عنه فقال كان نباحه وهو موثق من مكان واحد ثم صار يقرب مرة ويبعد أخرى .

* * *

(١٢) مر اياس ليلة بماء فقال اسمع نباح كلب غريب فقيل كيف عرفته قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين فسألوا فاذا كلب غريب والكلاب تنبحه .

* * *

(١٣) استودع رجل رجلا مالا ثم طلبه فجحده فخاصمه إلى اياس بن معوية فقال له هل حضرك احد قال لا قال في أي موضع دفعته له قال

في موضع كذا قال أي شيء في ذلك الموضع قال شجرة قال انطلق إلى الموضع وانظر الشجرة لعلك تتذكر شيئاً ولعلك دفنت مالك عند الشجرة وتتذكر إذا رأيتها فمضى ثم التفت إلى خصمه وقال تراه بلغ موضع الشجرة قال لا قال يا عدو الله إنك لخائن قال اقلني أقالك الله فلما رجع الرجل قال قد اقر بحقك فخذه .

* * *

(١٤) رأى أياس رجلا فقال هذا غريب من أهل واسط ابق له غلام اسود فسئل الرجل فكان كذلك فقالوا مم علمت قال أما أنه غريب فلأنه يلتفت يميناً وشمالا واما أنه من أهل واسط فلان عليه من ترابها واما أنه أبق له غلام أسود فلانه كلما رأى جماعة من السودان وقف ينظر اليهم .

الأذكياء من العلماء

(١٥) كان ابراهيم النخعي إذا طلبه انسان لا يحب أن يلقاه خرجت الخادم فقالت اطلبوه في المسجد .

* * *

(١٦) كان بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام إذا طلبه من لا يحب لقاءه يأمر الجارية أن تخط دائرة وتضع يدها في وسطها وتقول ليس هنا ليس هنا أي في الدائرة .

* * *

(١٧) كان محمد بن الحسن الفقيه ابن خالة الفرا النحوي المشهور فقال له محمد يوماً يا أبا زكريا قد انعمت النظر في العربية فاسألك عن باب من الفقه قال هات على بركات الله تعالى قال ما تقول في رجل صلى فسها فسجد سجدتين للسهو فسها فيهما ففكر الفرا ساعة ثم قال لا شيء عليه قال لا شيء عليه قال

له محمد ولم قال لان التصغير عندنا لا تصغير له وانما السجدتان تمام الصلاة فليس للتمام تمام قال محمد ما ظننت آدمياً يلد مثلك .

أخبار أبي حنيفة

(١٨) كان الربيع حاجب المنصور يعادي ابا حنيفة فقال يوما للمنصور هذا أبو حنيفة يخالف جدك كان عبد الله بن عباس يقول إذا حلف الرجل ثم استثنى بعد يوم أو يومين جاز وهو يقول لا يجوز الإستثناء إلا متصلا فقال أبو حنيفة يا أمير المؤمنين الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة لأنهم يحلفون ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فضحك المنصور وقال يا ربيع لا تعرض لابي حنيفة .

* * *

(١٩) كان أبو العباس الطوسي سيء الرأي في أبي حنيفة فدخل أبو حنيفة على المنصور وكثر الناس فقال الطوسي يا أبا حنيفة أمير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل لا يدري ما هو ايسعه أن يضرب عنقه فقال أمير المؤمنين يأمر بالحق أو بالباطل قال بالحق قال انفذ الحق حيث كان ثم قال لرجل بجانبه هذا اراد أن يوثقني فربطته .

* * *

(٢٠) قال ابو حنيفة احتجت إلى ماء بالبادية فجاء اعرابي معه قربة فأبى أن يبيعها إلا بخمسة دراهم فاشتريتها منه ثم قلت ما رأيك في السويق فقال هات فاعطيته سويقاً بزيت فأكل حتى امتلأ فعطش فقال شربة فقلت بخمسة دراهم فشرب قدحاً واستردت الخمسة الدراهم وبقي الماء .

* * *

(٢١) استودع رجل من الحجاج رجلا بالكوفة وديعة فلما رجع

جحدها فأخبر أبا حنيفة فقال لا تخبر احدا بجحوده وكان الجاحد يجالس ابا حنيفة فقال له إن هؤلاء بعثوا يستشيرونني في رجل يصلح للقضاء فهل تنشط لذلك فتمانع الرجل قليلا وجعل ابو حنيفة يرغبه ثم جاء صاحب الوديعة فقال له اذهب وقل له احسبك نسيتني اودعتك في يوم كذا والعلامة كذا فدفع اليه الوديعة ورجع إلى أبي حنيفة فقال له إني نظرت في أمرك فاردت أن أرفع قدرك ولا اسميك حتى يحضر ما هو اجل من هذا .

* * *

(٢٢) جاء فتى إلى أبي حنيفة فقال إني أريد التزوج وليس عندي مال قال اخطب من شئت وارض بما يطلبون من المهر فخطب فلما عقدوا النكاح بينهم قال له اظهر انك تريد الخروج إلى بلد بعيد وتسافر بأهلك فاذا طلبوا الطلاق فقل لهم لا اطلق إلا بأربعة آلاف درهم فاكثرى دواباً واحضرها فلما علم أهل المرأة شق عليهم ذلك فاخذوه إلى أبي حنيفة فقال له أن يخرجها إلى حيث شاء قالوا ما يمكننا أن ندعها تخرج قال فارضوه وادفعوا له أربعة آلاف درهم ليطلقها قالوا نعم قال طلقها وخذ الدراهم فأبى وقال لا أطلقها إلا بعشرة آلاف درهم فغمزه فأبى قال اذهبوا الآن وائتوني غدا فذهبوا فقال له لم لم تطلقها فقال لا أقبل إلا بعشرة آلاف فقال ان لم يقبل قلت لها أن تعترف لرجل بدين فلا يمكنك السفر بها حتى تدفع ما عليها من الدين فقال الله الله لا يسمعوا بهذا فارسل اليهم واخذ منهم المال وطلقها فقال اذهب الآن وتزوج من شئت .

* * *

(٢٣) ابتلي رجل بمحبة امرأة فاتى أبا حنيفة فأخبره أن ماله قليل وانهم إذا علموا ذلك لم يزوجوه قال اتبيعني ذكرك باثني عشر الف درهم قال لا قال فاخبرهم اني أعرفك فمضى فخطبها قالوا من يعرفك قال ابو حنيفة

فسألوه عنه فقال أعطي في سلعة اثني عشر الف درهم فلم يبع فزوجوه فلما علمت المرأة حاله جاءت إلى أبي حنيفة في حليها وحللها فقالت فتوى فدخلت واسفرت عن وجهها وابدت محاسنها فقال تسّري قالت ما يمكن قد وقعت في أمر لا يخلصني منه إلا أنت أنا بنت هذا البقال الذي على رأس هذا الدرب وقد بلغت عمرا واحتجت إلى الزوج وهو لا يزوجني ويقول لمن يخطبني ابنتي عوراء قرعاء شلاء ثم حسرت عن وجهها ورأسها ويديها ويقول بنتي زمنة وكشفت عن ساقيها واريد أن تدبرني فقال ترضين أن تكوني لي زوجة فقبلت قدميه وقالت من لي بغلامك فاحضر البقال وقال زوجني ابنتك فقال يا سيدي استر ما ستر الله أنا لي بنت تصلح للتزويج عندي بنت عوراء قرعاء شلاء قال رضيت بها على ما وصفت فزوجه بها على مائة وخمسين دينارا وأمره أن يحملها اليه فوضعها ابوها في محفة وحملها اليه بين اثنين فلما رآها ابو حنيفة قال ما هذا قال أمها طالق ان كانت لي بنت غيرها فعلم أنه خدع فطلقها ثم جاءت تلك المرأة الية فقال ما حملك على ما فعلت قالت وانت ما حملك على أن غررتنا برجل فقير .

الأذكياء من الاعراب

(٢٤) اسرت بنو شيبان رجلا من بلعنبر فقال لهم ارسل إلى اهلي ليفدوني قالوا لا تكلم الرسول إلا بين يدينا فجاؤه برسول فقال له ائت قومي فقل لهم ان الشجر قد أورق وان النساء قد اشتكت ثم قال له تعقل قال نعم اعقل قال فماهذا واشار بيده قال الليل قال اراك تعقل انطلق وقل لاهلي عروا جملي الاصهب واركبوا ناقتي الحمراء وسلوا حارثة عن امري فأتاهم الرسول فارسلوا إلى حارثة فقال لهم اما قوله ان الشجر قد اورق فانه يريد ان القوم قد تسلحوا وقوله النساء قد اشتكت اي اتخذن الشكاء للغزو وهي

الاسقية وقوله هذا الليل يريد يأتونكم مثل الليل او في الليل وقوله عروا جملي الاصهب يريد ارتحلوا عن الصمان وقوله اركبوا ناقتي الحمراء يريد انزلوا الدهناء فتحملوا من مكانهم فأتاهم القوم فلم يجدوا احدا .

* * *

(٢٥) ضاف إعرابي حضريا وللحضرى زوجة وابنان وبنتان فذبح له دجاجة وقال اقسمها بيننا يريد ان يضحك منه فقال الرأس للرئيس والجناحان للولدين والساقان للبنتين والعجز للعجوز والزور للزائر فلما كان الغد ذبح الحضري خمس دجاجات وقال اقسم بيننا فقال شفعاً او وترا قال وترا قال انت وامرأتك ودجاجة ثلاثة وابناك ودجاجة ثلاثة وابنتاك ودجاجة ثلاثة وانا ودجاجتان ثلاثة قالوا فاقسمها شفعاً فقال انت وابناك ودجاجة اربعة والعجوز وابنتاها ودجاجة اربعة وانا وثلاث دجاجات اربعة ثم رفع رأسه إلى السماء وقال الحمد لله انت فهمتهالي .

* * *

(٢٦) استأذن حاجب بن زرارة على كسرى فقال له الحاجب من انت قال رجل من العرب فلما دخل قال له من انت قال سيد العرب قال الم تقل للحاجب انا رجل منهم قال وقفت بباب الملك وانا رجل منهم فلما صرت اليه سدتهم قال زه احشوا فاه درا.

* * *

(٢٧) قيل لاعرابي اتهمز اسرائيل قال اني اذاً لرجل شؤ قيل اتجر فلسطين قال اني إذاً لقوي .

* * *

(٢٨) نزل اعرابي في سفينة فاحتاج إلى البراز فصاح الصلاة الصلاة فقربوا إلى الشط فخرج فقضى حاجته ثم رجع وقال ادفعوا فعليكم بعد وقت.

* * *

(٢٩) حضر اعرابي مائدة سليمان بن عبد الملك فجعل يمد يديه فقال له الحاجب كل مما بين يديك فقال من اجد ب انتجع فشق ذلك على سليمان وقال لايعد الينا (ودخل) اعرابي آخر فمد يديه فقال له الحاجب كل مما يليك فقال من اخصب تخير فاعجب ذلك سليمان وقضى حوائجه .

* * *

(٣٠) قال المهدي لعجوز من طيء مامنع طيأ ان يكون فيهم آخر مثل حاتم قالت الذي منع الملوك ان يكون فيهم مثلك فعجب من جوابها ووصلها .

* * *

(٣١) خطب المغيرة بن شعبة امرأة من بنى الحارث بن كعب فقال له شاب منهم لا خير لك فيها ايها الامير رأيت رجلاً يقبلها ثم بلغه ان الفتى تزوجها فقال الم تعلمني انك رأيت رجلا يقبلها قال بلى اباها .

* * *

(٣٢) كان عند بعض الاعراب ناقة فضجر منها وحلف ليبيعهنا بدرهم ثم ندم فأخبر زوجته فقالت خذ السنور وناد عليه بثلاثمائة درهم وعلى الناقة بدرهم وقل لا ابيعها الا سوية ففعل وتخلص من يمينه .

* * *

(٣٣) تنكر الحجاج وخرج فمر على المطلب غلام ابي لهب فقال له أي شيء خبر الحجاج قال عليه لعنة الله قال فمتى يخرج قال اخرج الله روحه من بين جنبيه قال اتعرفني قال لا قال انا الحجاج قال له اتعرفني قال لا قال انا المطلب غلام ابي لهب اصرع في كل شهر ثلاثة ايام هذا اولها فتركه .

* * *

(٣٤) ولى الحجاج رجلا من الاعراب بعض المياه فانكسر عليه بعض خراجه فاحضره ثم قال له يا عدو الله اخذت مال الله قال فمال من آخذ انا

والله مع الشيطان منذ اربعين سنه حتى يعطيني حبة ما اعطاني .

* * *

(٣٥) انفرد الحجاج يوما من عسكره فلقي اعرابيا فقال كيف الحجاج فقال ظالم غاشم فقال هلا شكوته إلى عبد الملك فقال لعنه الله اظلم منه واغشم ثم جاء العسكر وعلم انه الحجاج فصاح به يا حجاج السر الذي بيني وبينك لا يطلع عليه احد فضحك وتركه .

الأذكياء من الصبيان

(٣٦) قال ابو محمد الترمذي كنت اؤدب المامون فأتيته يوما وهو داخل فوجهت اليه فأبطأ ثم وجهت اليه فأبطا فلما خرج ضربته سبع درر فانه ليدلك عينيه من البكاء اذ قيل اقبل جعفر بن يحيى فمسح عينيه من البكاء وجمع ثيابه وقام إلى فراشه فقعد عليه متربعاً ثم قال ليدخل فقمت عن المجلس وخفت ان تشكوني اليه فأقبل بوجهه وحدثه حتى اضحكه وضحك اليه فلما هم بالخروج دعابدابته ودعا غلمانه فسعوا بين يديه ثم سأل عني فجئت قال خذ علي بقية وردي فقلت ايها الأمير اطال الله بقاءك لقد خفت ان تشكوني إلى جعفر بن يحيى فقال تراني يا أبا محمد كنت اطلع الرشيد على هذا فكيف بجعفر انني احتاج إلى أدب اذن يغفر الله لك بعدا لظنك ووجيب قلبك خذ في امرك فقد خطر ببالك ما لا تراه ابدا ولو عدت في كل يوم مائة مرة .

* * *

(٣٧) لما ولي عمر بن عبد العزيز وفد عليه الوفود من كل بلد فوفد عليه الحجازيون فتقدم منهم غلام للكلام حدث السن فقال عمر لينطق من هو اس منك فقال الغلام انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ولو كان الامر بالسن لكان في هذه الامة

من هو احق منك بمجلسك فتعجب عمر من كلامه وسأل عن سنه فإذا هو ابن احدى عشرة سنة .

الأذكياء من النساء

(٣٨) كان رجل متزوجاً بالاهواز فسار إلى البصرة مرة فتزوج بها وكان للبصرية إبن عم يكاتبه فوقع كتاب منه في يد الاهوازية فعلمت الحال فكتبت اليه من حميه البصري بأن امرأتك قد ماتت فاراد الخروج فقالت الاهوازية اراك مشغول القلب واظن ان لك بالبصرة امرأة قال معاذ الله قالت فاحلف بطلاق كل امرأة لك غيري غائبة او حاضرة فحلف فأخبرته بالحال .

* * *

(٣٩) قال عمر بن الخطاب لا تزيدوا في مهور النساء على اربعمائة درهم فمن زاد القيت الزيادة في بيت المال فقالت امرأة ما ذاك لك ان الله تعالى يقول (أو آتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئاً) فقال امرأة اصابت ورجل اخطأ .

* * *

(٤٠) قالت امرأة لزوجها وكانت حسناء وهو قبيح دميم ابشر فاني واياك في الجنة قال ولم قالت لانك اعطيت فشكرت وابتليت فصبرت .

* * *

(٤١) جاءت دلالة إلى رجل فقالت عندي امرأة كأنها طاقة نرجس فتزوجها فإذا هي عجوز قبيحة فقال لها غششتني فقالت انما شبهتها بطاقة نرجس لان شعرها ابيض ووجهها اصفر وساقها اخضر .

(٤٢) مر حائك على طبيب فرآه يصف لهذا النقوع ولهذه التمر الهندي ولهذا الزبيب فقال من لا يحسن مثل هذا فذهب إلى زوجته وقال اعطيني عمامة كبيرة قالت ما طرأ عليك قال اريد ان أكون طبيبا قالت لا تفعل فإنك تقتل الناس فيقتلوك قال لا بد من ذلك فقعد يصف للناس فحصل قراريط فقال لزوجته انا كنت اعلم كل يوم بحبه فانظري ما حصلت فلما كان اليوم الثاني مرت به زوجة الملك وجاريتها والجارية مريضة فقالت سيدتها اشتهي ان يد اويك هذا الطبيب الجديد فوصف لها دجاجة مطبوخة فقويت فبلغ ذلك الملك وكان به مرض فاتفق انه وصف له شيئاً صلح به فقيل للملك هذا حائك لا يعرف الطب قال قد صلحت وصلحت الجارية على يديه فلا اقبل قولكم قالوا نمتحنه بمسائل فامتحنوه فقال ان اجبتكم لم تعلموا جوابها اذ لا يعلمه إلا طبيب ولكن هنا بيمارستان (مستشفى) فان داويت من فيه وشفيتهم في ساعة واحدة والا فلست بطبيب قالوا انصف فدخل البيمارستان ومعه القيم فقال له إنك والله ان تحدثت بما اعمل صلبتك وإن سكت اغنيتك قال ما انطق بشيء فأحلفه ثم قال عندك زيت قال نعم فأتى بزيت كثير ووضعه في قدر كبير واوقد تحته فلما غلى جعل يدعو المرضى فيقول لأحدهم لا يصلح لمرضك الا ان تنزل في الزيت فيقول الله الله في امري فيقول لا بد من ذلك فيقول المريض انا شفيت انما كان بي قليل صداع وذهب فيقول له إذاً فما يقعدك هنا فاخرج واخبرهم فيخرج وهو يعدو ويقول شفيت باقبال هذا الطبيب ثم يدعو آخر فيقول له مثل ذلك فيقول انا في عافية واردت ان اخرج من امس فيقول فاخرج وأخبر الناس انك في عافية فيخرج عدواً ويقول شفيت ببركة هذا الطبيب وهكذا حتى أخرج الجميع .

من استعمل التورية والمعاريض في كلامه

(٤٣) عن عبد-الرزاق عن ابيه ان حجرا المدري امره محمد بن يوسف ان يلعن عليا (ع) فقال ان الامير محمد بن يوسف امرني ان العن عليا فالعنوه لعنة الله فعماها على اهل المسجد فما فطن لها الا رجل واحد .

* * *

(٤٤) قامت الخطباء إلى المغيرة بن شعبة بالكوفة فقام صعصعة بن صوحان فتكلم فقال المغيرة اخرجوه فاقيموه على المصطبة فيلعن علياً فقال لعن الله من لعن الله ولعن علي بن ابي طالب فأخبر بذلك فقال لصعصعة اقسم بالله لتقيدنه فخرج فقال ان هذا يأبى الا علي بن ابي طالب فالعنوه لعنه الله فقال المغيرة اخرجوه اخرج الله نفسه .

* * *

(٤٥) (ضرب الحجاج عبد الرحمن بن ابي ليلى واقامه للناس ومعه رجل يحثه ويقول العن عليا فيقول اللهم العن الكذابين ثم يسكت ويقول آه علي بن ابي طالب ثم يسكت ثم يقول المختار بن الزبير (١) .

* * *

(٤٦) خطب رجل امرأة وتحته أخرى فقالوا لا نزوجك حتى تطلق ففال اشهدوا اني قد طلقت ثلاثا فزوجوه فأقام على امرأته فادعوا الطلاق فقال اما تعلمون انه كانت تحتي وفلانة فطلقتها وفلانة فطلقتها وفلانة فطلقتها قالوا بلى قال فقد طلقت ثلاثا .

* * *

(١) الثلاثة منقولة عن أخبار الظراف لابن الجوزي .

(٤٧) كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي فقال عيسى للرجل من يعرفك قال ابن شبرمة قال اتعرفه قال اني لأعلم ان له شرفاً وبيتاً وقدماً فسئل عن ذلك فقال اعلم ان له اذنين مشقوقتين وبيتاً يأوي اليه وقدما يطأ بها .

* * *

(٤٨) قال زياد لرجل اين منزلك قال وسط البصرة قال فمالك من الولد قال تسعة فقيل لزياد ان داره في اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال الرجل داري بين اهل الدنيا والآخرة فهي وسط البصرة وكان لي عشرة بنين فقدمت تسعة فهم لي وبقي واحد لا ادري هو لي ام انا له .

* * *

(٤٩) سئل بعضهم ماذا تملك من الارض فقال املك ارضاً تسع الف مد من الحنطة فعجب الحاضرون من كلامه لعلمهم انه لا يملك ارضاً بهذه السعة وانما اراد انها تسع ذلك وضعاً لا زرعاً .

الفصل الثامن

في نوادر الظرفاء وأخبارهم

(١) قيل لرجل من يحضر مائدة فلان قال اكرم الخلق والأمهم (يعني الملائكة والذباب) .

* * *

(٢) سقي رجل ماء بارداً ثم طلب فسقي ماء حاراً فقال لعل مزملتكم يعتريها حمى الربع .

* * *

(٣) مرض مولى لسعيد بن العاص فبعث اليه انه ليس لي وارث غيرك وهاهنا ثلاثون الفاً مدفونة فإذا مت فخذها فقال سعيد ما ارانا الا قصرنا في حقه وهو من شيوخ موالينا فبعث اليه بفرش وتعاهده فلما مات اشترى له كفناً بثلثمائة درهم وشهد جنازته فلما رجع امر ان يحفر الموضع الذي ذكره فلم يجد شيئاً ثم حفر موضعاً آخر فلم يجد شيئاً فحفر البيت كله فلم يجد شيئاً وجاءه صاحب الكفن يطلب الثمن فقال لقد هممت ان انبشه لما تداخله من الغيظ .

* * *

(٤) قيل لبعضهم أي وقت تحب ان تموت قال ان كان ولا بد فاول يوم من شهر رمضان .

* * *

(٥) وقف اعمى بنخاس فقال له اطلب لي حمارا ليس بالكبير المشتهر ولا بالصغير المحتقر ان خلا الطريق تدفق وان كثير الزحام ترفق اذا اقللت علفه صبر وإذا اكثرته شكران ركبته هام وان ركبه غيري قام فقال له ان مسخ الله القاضي حماراً ظفرت بحاجتك .

* * *

(٦) كان بمكة رجل يجمع بين الرجال والنساء فشكوه إلى اميرها فنفاه إلى عرفات فبنى بها منزلا وارسل إلى حرفائه ما يمنعكم ان تعاودوا ما كنتم فيه حمار بدرهمين وقد صرتم إلى الامن والنزهة فكانوا يركبون اليه فعادوا يشكونه إلى الوالي فأرسل اليه وقال يا عدو الله طردتك من حرم الله فصرت بفسادك إلى المشعر الاعظم فقال يكذبون علي فقالوا دليلنا حمير مكة فتجمع ويرسل بها إلى عرفات فان لم تقصد منزله فنحن مبطلون ففعل ذلك فصارت إلى منزله فأمر بضربه فقال والله ما علي في ذلك اشد من ان يضحك منا اهل العراق ويقولوا اهل مكة يحكمون بشهادة الحمير فضحك الوالي وتركه .

* * *

(٧) قيل لرجل تحب ان تموت امرأتك فقال لا قيل ولم قال اخاف ان اموت من الفرح .

* * *

(٨) ادخل مخنث على العريان بن الهيثم امير الكوفة فقال يا عدو الله تخنث وانت شيخ فقال مكذوب علي كما كذب على الامير فقال وما قيل فيّ قال يسمونك العريان ولك عشرون جبة .

* * *

(٩) قال المتوكل لجلسائه اتدرون ما الذي نقم على عثمان قالوا لا قال اشياء منها انه قام ابو بكر دون مقام النبي (ص) بمرقاة وقام عمر دون ابي

بكر بمرقاة فصعد عثمان ذروة المنبر فقال عبادة ما احد اعظم منة عليك يا امير المؤمنين من عثمان لانه لو كان كلما قام خليفة ينزل مرقاة كنت تخطبنا من بئر جلولاء فضحك المتوكل ومن حوله .

* * *

(١٠) قيل لطويس ما بلغ من شؤمك قال ولدت يوم توفي رسول الله (ص) وفطمت يوم توفي ابو بكر وختنت يوم مات عمر وراهقت يوم قتل عثمان وتزوجت يوم قتل علي وولد لي يوم قتل الحسين .

* * *

(١١) تظلم أهل الكوفة إلى المأمون من عاملهم فقال ما علمت في عمالي اعدل منه فقال رجل منهم قد لزمك ان تجعل لسائر البلدان نصيباً من عدلة لتكون قد ساويت بين رعاياك فضحك وصرفه .

* * *

(١٢) دفعت امرأة لرجل يقرأ عند القبور رغيفاً وقالت اقرأ عند قبر ابي فقرأ (يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر) قالت له فهكذا يقرأ عند القبور قال فايش اردت برغيف (متكئين على فرش بطائنها من استبرق) ذاك بدرهم .

* * *

(١٣) ادعى جماعة على رجل بدين عند القاضي فاقر به وسأل ان يمهلوه إلى ان يبيع عقاره فقالوا ليس له عقار ولا يملك شيئاً فقال سمعت ايها القاضي فأمر القاضي ان يركب على بغل ويطاف به في البلد لئلا يعامله احد الا بالنقد فلما كان المساء نزل عن البغل فقال له المكاري هات الاجرة فقال وفي اي شيء كنا من الصباح إلى الآن يا احمق .

* * *

(١٤) قيل لرجل تحفظ القرآن قال نعم قيل ايش أول الدخان قال الحطب الاخضر .

* * *

(١٥) استأجر رجل داراً فجعل خشب السقوف يتفرقع فقال للمالك اصلح هذا السقف فإن خشبه يتفرقع قال لا بأس عليه فإنه يسبح قال اخشى أن تدركه الرقة فيسجد .

* * *

١٦) ضحى رجل عن امرأته ستين سنة فسمع محدثاً يحدث انه يحشر الناس يوم القيامة وبين ايديهم ضحاياهم فقال ان كان كما تقول فامرأتي يوم القيامة تحشر راعياً بعصاوين .

* * *

(١٧) قيل لمزيد إذا نبح الكلب عليك فاقرأ يا معشر الجن والإنس إلى آخر الآية فقال الوجه عندي ان يكون معك عصى فليس كل الكلاب يحفظ القرآن .

* * *

(١٨) كان الحاج موسى فريدي العاملي في فلسطين عند شيخ القرية فاجتمع أهل القرية ليلا وبينهم الخطيب فجعل الخطيب يحدثهم فسألوه عن يزيد فقال لهم إذا كان يوم القيامه يؤمر به إلى النار فيتشفع بالنبي (ص) فيحيله على علي (ع) فيتشفع به فيحيله على الزهراء (ع) فتصفح عنه ويؤمر به إلى الجنة فقال له الحاج موسى تعم يا شيخ الحديث كما ذكرت ولكن له تتمة لم تذكرها قال وما هي قال بعد ما يؤمر بيزيد إلى الجنة يأتي به الملائكة إلى الجنة ويدقون الباب فيقول رضوان من هذا فيقولون يزيد فيقول لعلكم غلطتم يزيد ليس من أهل الجنة فيقولون تشفع بالزهراء فشفعت له فيفتح له باب الجنة

فيسمع أهل الجنة ذلك فيقولون يا رضوان نحن قضينا اعمارنا في الطاعة والعبادة والمشقة وتريدون الآن أن تجعلونا مع يزيد الذي قضى عمره في الموبقات قل لربك جنتكم مباركة عليكم ويحمل كل منهم امتعته على ظهره ويهمون بالخروج فيخبر رضوان الباري تعالى بذلك فيقول له انا لا أخرب جنتي لأجل يزيد ارجعوا هذا الفاسق إلى النار فيرجعونه اليها فقال الشيخ ليس اللوم علي ولكن على هؤلاء الذين لم يخبروني بوجودك هنا .

* * *

(١٩) جاء رجل إلى جاره يستعير منه حماره فقال له الحمار غائب فهم ان يخرج وإذا بالحمار ينهق فقال زعمت أن الحمار غائب قال اتصدق الحمار وتكذبني .

* * *

(٢٠) سئل مختار في مجلس القرعة أيام الدولة العثمانية عن رجل فقال إنه ميت وإذا بالرجل قد دخل فقيل له زعمت أنه ميت قال ان الله قادر على أن يحيى الموتى .

* * *

(٢١) ارسل رجل إلى صديق له عشر شياة وكتب له كتاباً فالتقى الرسول في الطريق بجماعة من اصدقائه فذبح لهم شاة منها واكلوها ثم قالوا له ما تصنع إذا وجدها ناقصة قال لكل ساعة تدبير فلما وصل واعطاه الكتاب وسلمه الشياة عدها فإذا هي تسع فقال للرسول هذه تسع قال نعم هي تسع فقال في الكتاب انها عشر قال هي عشر قال هذه تسع قال هي تسع فقال هذا رجل ابله جيئونا بعشرة رجال فجيء بهم فقال كم هؤلاء قال لا ادري قال هؤلاء عشرة رجال قال نعم هم عشرة قال فأعط كل واحد منهم شاة قال ليأخذوا فأخذوا وبقي واحد بدون شاة فقال له هذا بقي بدون شاة قال ولم لم

يأخذ من أول الأمر حتى بقي بدون شاة .

* * *

(٢٢) تزوج اعمى امرأة فقالت له لو رأيت حسني وبياضي لعجبت فقال لو كنت كما تقولين ما تركك لي البصراء .

* * *

(٢٣) انهزم رجل في الحرب فقيل له لم انهزمت ايغضب عليك الامير قال إذا غضب علي وانا حي خير من أن يرضى عني وأنا ميت .

* * *

(٢٤) قال رجل لآخر أنت اثقل عني من نصف حجر الطاحون قيل لم لم تقل من الحجر كله قال انه إذا كان صحيحاً تدحرج فان كان نصفاً لم يرفع إلا بجهد .

* * *

(٢٥) سمع أبو الاسود الدئلي سائلا يقول من يعشى الجائع فأتاه بعشاء كثير وقال كل حتى تشبع فلما اكل ذهب ليخرج فقال اين تريد قال اريد أهلي قال لا ادعك تؤذي المسلمين الليلة بسؤالك اطرحوه في الادهم فبات عنده مكبولا حتى اصبح .

* * *

(٢٦) دخل محمد بن الحسن الحرجاني الحمام وكان يتقعر في الكلام فقال للقيم اين الحديدة التي يمتلخ بها الطوطوة من الاخفيق فصفق القيم قفاه بجلد النورة وهرب فأنفذ إلى صاحب الشرطة فحبسه فكتب اليه من الحبس ايها الاستاذ قد ابرمني المحبوسون بالمسألة عن السبب الذي حبست له فاما اطلقتني واما اعرفهم فبعث من اطلقه فاتصل الخبر بالفتح فحدث به المتوكل فضحك ضحكاً عجيباً وقال هذا والله ظريف مليح يجب أن نغنيه عن الخدمة

في الحمام فوهب له مائتي دينار .

* * *

(٢٧) تزوج رجل امرأة قد مات عنها اربعة ازواج فمرض مرض الموت فجلست عند رأسه تبكي وقالت إلى من توصي بي قال إلى السادس الشقي .

* * *

(٢٨) غضب بعض الولاة على ابي اسحق المدني واسمه مزيد فأمر الحجام بحلق لحيته فقال له الحجام انفخ شدقيك حتى اتمكن من الحلاقة قال الوالي امرك بحلق لحيتي أو ان تعلمني الزمر .

الظرفاء من الاعراب

(٢٩) قيل لاعرابي هل عندكم في البادية طبيب فقال حمر الوحش لاتحتاج إلى بيطار .

* * *

(٣٠) اشترى اعرابي غلاماً فقيل له انه يبول في الفراش فقال ان وجد فراشاً فليبل فيه .

* * *

(٣١) نظر اعرابي إلى البدر في رمضان فقال سمنت واهزلتني اراني الله فيك السل .

* * *

(٣٢) حضر اعرابي مائدة الحجاج فأكل مع الناس ثم قدمت الحلوى فأكل الاعرابي منها لقمة فقال الحجاج من أكل منها ضربت عنقه فامتنع الناس وجعل الاعرابي ينظر إلى الحجاج مرة وإلى الفالوذج مرة ثم قال ايها

يسميه لعاب المنية فسمع ليلة حساً في البيت فظنه لصاً فوقف على باب البيت وقال ايها المغتر بنا والمجترىء علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمعت به مشهورة ضربته لا تخاف نبوته أخرج بالعفو عنك لا ادخل بالعقوبة عليك فلما طال عليه الامر جاءت امرأة وفتحت الباب فإذا كلب قد خرج فقال ابو حية الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حربا .

نوادر أشعب (١)

(٣٨) قيل لاشعب حدثنا فقال سمعت عكرمة يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله (ص) يقول (خلتان لايجتمعان في مؤمن) نسي عكرمة واحدة ونسيت انا الاخرى .

* * *

(٣٩) وجد اشعب ديناراً فقيل له عرفه فقال بل اشتري به قميصاً واعرفه قيل اذن لا يعرفه احد قال فذلك اريد .

* * *

(٤٠) كان اشعب مولى فاطمة بنت الحسين (ع) فاسلمته إلى البزازين فقيل له اين بلغت معرفتك بالبز قال احسن النشر وما احسن الطي .

الظرفاء من العلماء والأدباء

(٤١) قال يونس النحوي ثلاثة اشتهي ان اناظرهم يوم القيامة . آدم فاقول له قد مكنك الله من الجنة وحرم عليك الشجرة فأكلت منها حتى

---

(١) مرت له نوادر في أخبار الطفيليين المؤلف

طرحتنا في هذا المكروه . ويوسف فأقول له كنت بمصر وابوك بكنعان وبينك وبينه عشر مراحل يبكي عليك حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم ترسل اليه اني في عافية وتريحه . وطلحة والزبير اقول لهما ان علي بن ابي طالب بايعتماه بالمدينة وخلعتماه بالعراق فأي شيء احدث .

* * *

(٤٢) كان ابو الفتح بن جني يوماً عند ابي اسحق الصابي وكانت له عادة إذا تحدث يلوي شفته ويشير بيده فجعل أبو الحسين الكاتب يشخص اليه ويتعجب منه فقال له مالك تتعجب مني قال شبهت الشيخ وهو يقول بشفته كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم يفعل هكذا فتغير ابن جني وقال يا هذا متى رأيتني امزح معك فتمزح معي قال المعذرة إلى الله وإلى مولاي الشيخ وقد صانه الله عن ان اشبهه بالقرد وقد شبهت القرد به فضحك ابو الفتح .

* * *

(٤٣) سئل الزبير بن بكار منذ كم زوجتك معك قال ليس يرد القيامة اكثر كباشاً منها ضحيت عنها بسبعين كبشاً .

* * *

(٤٤) سئل عمر بن فنن عن الحصاة من حصى المسجد يجدها الانسان في ثوبه قال ارم بها قال زعموا انها تصيح حتى ترد إلى المسجد قال دعها تصيح حتى ينشق حلقها قال اولها حلق قال فمن اين تصيح .

* * *

(٤٥) جاء شاعران إلى نحوي فقالا اسمع شعرنا واخبرنا باجودنا شعراً فسمع شعر احدهما وقال ذاك اجود قال فما سمعت شعره قال لا يكون شعر اردأ من هذا الشعر ولا مثله قط .

* * *

(٤٦) الف رجل كتاباً واعطاه لعالم لينتقده وقال كلما تراه غير موافق علم عليه بخط فعلم بخط من أول الكتاب وخط من آخره .

* * *

(٤٧) كان الشيخ عبد الله البلاغي العاملي يوماً في بيروت في منزل بعض الأكابر وعنده رجل من كسروان وهو لا يعرف البلاغي فجرى ذكر الشيعة فقال الكسرواني كل الناس عرفت مذاهبهم الا الشيعة فليس لهم مذهب يعرف فقال البلاغي أنا أعرف مذهبهم قال وما هو قال إنهم يقولون أن الآلهة ثلاثة واحد للسماء وواحد للارض وواحد لكسروان فاذا فرغ آله السماء من تدبير الملائكة والكواكب والغيوم والأمطار وسائر أمور السماء نزل إلى الأرض ليساعد الهها فاذا فرغا من تدبير الأرض وما فيها من البحار ذهبا إلى كسروان ليساعدا الهها فيجدانه لم يصنع مع اهلها شيئاً وهو في خصام ومقاومة معهم وهو لا يستطيع ان يعمل فيهم عملا فيتعاون الآلهة الثلاثة على أهل كسروان إلى نصف الليل فلا يستطيعون أن يتموا اعمالهم فضحك الحاضرون وخجل الكسرواني واعتذر إلى البلاغي .

* * *

(٤٨) دعاء العهد للشيخ عبد الحسين ابن الشيخ محمد سليمان العاملي .

رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن كتاباً وبمحمد نبياً وبعلي إماماً ووليا وبالفقر صاحباً (وبعيسى) راكباً .

(عيسى) يكنى به عن الفقر واصله أن أميراً من بني سيفا امراء طرابلس اسمه عيسى كان ظالماً فاذا تسلط على رجل افقره فصار يكنى به عن الفقر .

* * *

(٤٩) كلف رجل ابا العيناء أن يأخذ له كتاباً من الجاحظ لبعض

اصدقائه من الأمراء في حاجة له فكتب ثم خطر لابي العيناء أن يفتحه خوفاً أن لا يكون فيه ما يحب فوجد فيه كتابي اليك مع من لا أعرفه وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك وان لم تقضها لم أذمك والسلام فرجع إلى الجاحظ فلما رآه مقبلا عرف انه قد فتح الكتاب ونظر ما فيه فقال له أظنك قد فتحت الكتاب وانكرت ما فيه قال نعم قال هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به قال أنا قد قلت للرجل ذلك فقال لي عشرة آلاف في أم الجاحظ وام من يسأله فقلت له اتشتم صديقنا قال هذه علامتي إذا اردت شكر احد قلت له هذا فضحك الجاحظ وكتب له ما اراد.

نوادر الأعمش

(٥٠) كان الأعمش جالساً بقرب خليج من ماء المطر وعليه فروة حقيرة فجاء رجل عليه سواد فقال للاعمش قم عبرني هذا الخليج وجذب بيده فأقامه وركبه وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمضى به الأعمش حتى توسط به الخليج ثم رمى به وقال رب انزلني منزلا مباركاً وانت خير المنزلين وخرج وترك المسود يتخبط في الماء .

* * *

(٥١) قيل للاعمش مما عمشت عيناك قال من النظر إلى الثقلاء .

* * *

(٥٢) قال الأعمش قال جالينوس لكل شيء حمى وحمى الروح النظر إلى الثقلاء .

* * *

(٥٣) قال الاعمش إذا كان عن يسارك ثقيل في الصلاة فتسليمه عن اليمين تجزئك .

* * *

(٥٤) كان الاعمش اذا رأى ثقيلا قال كم عزمك ان تقيم في هذا البلد .

* * *

(٥٥) دخل على الاعمش ثقيل يعوده فقال ما اشد ما مربك في علتك هذه قال دخولك علي .

* * *

(٥٦) ودخل عليه رجل يعوده فقال يا أبا محمد لولا اني اكره ان اثقل عليك لزدت في عيادتك فقال له الاعمش انك تثقل علي وانت في بيتك فكيف إذا دخلت علي .

* * *

(٥٧) كان للاعمش جار لايزال يقول له لو دخلت منزلي فأكلت كسرة وملحا فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فدخل فقرب اليه كسرة وملحاً إذ سأل سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فأعاد المسألة فقال له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال اذهب والا الله خرجت اليك بالعصا فناداه الاعمش اذهب ويحك ولا والله ما رأيت احداً اصدق مواعيد منه هو منذ سنة يعدني على كسرة وملح ولا والله ما زادني عليهما .

* * *

(٥٨) قال الاعمش لجليس له تشتهي كذا وكذا من الطعام فوصف طعاماً طيباً قال نعم قال فانهض بنا فدخل به منزله وقدم رغيفين يابسين وكامخا وقال كل قال اين الذي قلت قال انما قلت لك تشتهي ولم اقل لك انه عندي .

* * *

(٥٩) دعي الاعمش إلى عرس فلبس فروته فرده الحاجب فرجع فلبس قميصاً وازارا وجاء فاذن له فدخل وجيء بالمائدة فبسط كمه عليها وقال كل

فانما انت المدعو لا انا وقام ولم يأكل .

* * *

(٦٠) جاء رجل بابنه إلى الاعمش فقال يا ابا محمد هذا ابني ان من علمه بالقرآن ان من علمه بالفرائض وان من علمه بالشعر ان من علمه بالنحو ان من علمه بالفقه والاعمش ساكت ثم سأل الاعمش عن شيء فقال سل إبنك .

* * *

(٦١) عوتب الاعمش في دخوله على بعض الأمراء فقال هم بمنزلة الكنيف دخلت فقضيت حاجتي ثم خرجت .

* * *

(٦٢) نشزت امرأة الأعمش فقال لبعض تلامذته ادخل اليها واخبرها بمكاني من الناس فدخل اليها وقال ان الله احسن قسمك هذا شيخنا وسيدنا وعنه نأخذ اصل ديننا وحلالنا وحرامنا لا يغرك عموشة عينيه وحموشة ساقيه فقال الاعمش اعمى الله قلبك قد اخبرتها بعيوبي كلها اخرج من بيتي فأخرجه .

* * *

(٦٣) قال الاعمش لابنه اذهب فاشتر لنا حبلا يكون طوله ثلاثين ذراعاً فقال يا ابة في عرض كم قال في عرض مصيبتي فيك .

* * *

(٦٤) اتى يوم الشك من شهر رمضان فكثر الناس عند الأعمش يسألونه عن الصوم فضجر ثم أتى برمانة فشقها ووضعها بين يديه فكلما اقبل رجل يريد ان يسأله تناول حبه فأكلها .

نوادر محمد بن مطروح الأعرج

(٦٥) قال له رجل ما تقول فيمن مات يوم الجمعة ايعذب عذاب القبر قال يعذب يوم السبت .

* * *

(٦٦) وقال له آخر اتجد في الحديث ان جهنم تخرب قال ما اشقاك ان اتكلت على خرابها .

* * *

(٦٧) وكان لزرياب خصي قد حج وتنسك ولزم الجامع فقال لابن مطروح ايجوز الأضحية بالكبش الاعرج قال نعم والخصي ايضاً مثلك .

نوادر الشعبي

(٦٨) كان الشعبي في مسجد الكوفة فأقبل حمال على كتفه كودن فوضعه ودخل اليه فقال يا شعبي إبليس كانت له زوجة قال ذاك عرس ما شهدته قال هذا عالم العراق يسأل عن مسألة فلا يجيب فقال نعم له زوجة قال الله عز وجل افتتخذونه وذريته اولياء من دوني ولا تكون الذرية الامن زوجة قال ما كان اسمها قال ذاك املاك ما شهدته .

* * *

(٦٩) قال رجل للشعبي اني كنت اصلي فادخلت اصبعي في انفي فخرج عليها دم فما ترى احتجم ام اقتصد فقال الحمد لله نقلنا من الفقه إلى الحجامة .

* * *

(٧٠) روى الشعبي يوماً ان النبي (ص) قال (تسحروا ولو ان يضع

احدكم اصبعه على التراب ثم يضعه في فيه) فقال رجل أي الأصابع فتناول الشعبي ابهام رجله وقال هذه .

* * *

(٧١) ولقيه رجل وهو يكلم امرأة فقال ايكما الشعبي فاومأ الشعبي إلى المرأة وقال هذه .

* * *

(٧٢) وسأله رجل عن المسح على اللحية في الوضوء قال خللها بأصابعك قال اخاف ان لا تبلها قال فانقعها من أول الليل .

* * *

(٧٣) دخل الشعبي على عبد الملك فقال له كم عطاءك بفتح الهمزة قال الفي درهم لحن العراقي ثم قال كم عطاؤك بضم الهمزة قال الفا درهم قال الم تقل الفي فقال لحن امير المؤمنين فلحنت لاني كرهت ان يكون راجلا واكون فارساً .

الظرفاء من الشعراء

(٧٤) كان ابو الشمقمق الشاعر اديباً ظريفاً محارفا فقال له بعض اصحابه لما رأى حاله رثة ابشر يا ابا الشمقمق فأنا روينا ان العارين في الدنيا هم الكاسون يوم القيامة فقال ان صح هذا الحديث كنت في ذلك اليوم بزازا (وله):

اتراني ارى من الدهر يوماً ... لي فيه مطية غير رجلي
كلما كنت في جميع فقالوا ... قربوا للرحيل قربت نعلي
حيثما كنت لا اخلف رحلا ... من رآني فقد رآني ورحلي

* * *

(٧٥) سرقت عجوز مخيط سراج من اهل الحلة فقال . :

رب عجوز سرقت مخيطي ثم انثنت تسحب اذيالها
فليت شعري ما ارادت به اظنها خاطت به مالها

* * *

(٧٦) كان رجل اقبح اهل بلده صورة فرحل إلى اليمن فرأى نفسه احسن اهلها فقال :

لم ار وجهاً حسنا منذ دخلت اليمنا
فيا شقاء بلدة احسن من فيها انا

* * *

(٧٧) قيل كان الشريف الرضي في علية له تشرف على الطريق فنظر إلى ابن المطرز الشاعر وفي رجليه نعل بالية تثير الغبار فأمر باحضاره فأحضر فقال انشدني ابياتك التي تقول فيها :

إذا لم تبلغني اليك ركائبي فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده فقال أمن مثل هذا كانت ركائبك وأشار إلى نعله فأطرق ابن المطرز ساعة ثم رفعَ رأسه وقال لما عادت هبات سيدنا الشريف إلى مثل قوله :

وخذ النوم من جفوني فاني قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي إلى مثل هذه فانه وهب ما لا يملك على من لا يقبل فاستحيى الشريف واجازه .

* * *

(٧٨) كان في بغداد شاعر يسمى (الحيص بيص) فنظم بعض الشعراء ابياتاً وكتبها في رقعة وعلقها في عنق كلبة واطلقها عند باب الخليفة فأخذت فاذا فيها :

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى بخزية أو رثته العار في البلد
أبدى شجاعتة في الليل مجتريأ على جزي ضعيف البطش والجلد
فأنشدت أمه من بعد ما احتسبت دم الابيلق عند الواحد الصمد
(أقول للنفس تأساء وتعزية احدى يدي اصابتني ولم ترد)
(كلاهما خلف من فقد صاحبه هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي)

والبيتان الأخيران لامرأة من العرب قتل اخاها ولدها .

* * *

(٧٩) كان قرواش بن بدر العقيلي أمير الموصل جالساً مع ندمائه فأمر بعض الشعراء ان يهجوهم ويعبث بهم فامتنع فقال لا بد من ذلك فقال :

وليل كوجه البرقعيدي ظلمة وبرد اعانيه وسود قرونه
سريت ونومي فيه نوم مشرد كعقل سليمان بن وهب ودينه
على اولق فيه التفات كانه ابو احمد في طيشه وجنونه
إلى ان بدا وجه الصباح كأنه سنا وجه قرواش وضوء جبينه

* * *

(٨٠) كان بشار بن برد ينشد المهدي شعراً وعند المهدي بعض أخواله فلما فرغ قال لبشار ما صناعة الشيخ قال اثقب اللؤلؤ فضحك المهدي وقال له تهزأ بخالي قال يرى شيخاً اعمى ينشد شعراً ثم يسأله ما صناعتك .

نوادر أبي دلامة

(٨١) خرج روح بن حاتم إلى حرب الخوارج فأمر أبا دلامة أن يخرج معه فأبى فقال لا بد من الخروج فخرج معه وبرز في بعض الأيام فارس من الخوارج يطلب المبارزة فقال لأبي دلامة ابرز إليه فقال لا أستطيع واني لجبان وأنشأ يقول :

اني أعوذ بروح ان يقدمني إلى القتال فتخزى بي بنو أسد
إن المهلب حب الموت أورثكم ولم أرث انا حب الموت عندأحد

فقال لا بد لك من مبارزته قال اني جائع وهذا آخر أيامي فأمر له بخبز ودجاجة فوضعه في خرجه وبرز فلما رآه الخارجي تقدم إليه فقال له أبو دلامة أتقاتل من لا يقاتلك قال لا قال اني لا أريدّ قتالك فهم الخارجي بالرجوع فقال له أبو دلامة هل لك في أن تتغدى معي ليعلم الناس ما حصل بيننا من الصداقة قال نعم فتغديا جميعاً والناس يرونهما ويتعجبون ثم قال له أقسمت عليك أن لا تبرز هذا اليوم فأجابه إلى ذلك ثم رجع أبو دلامة وقال انا قد كفيتكم قرني فليكف كل واحد منكم قرنه .

* * *

(٨٢) لما ماتت حمادة بنت عيسى زوجة المنصور وقف المنصور والناس معه على حفرتها ينتظرون مجيء الجنازة وفيهم أبو دلامة فقال له المنصور ما أعددت لهذه الحفرة يا أبا دلامة قال زوجة أمير المؤمنين فضحك المنصور وضحك الناس .

* * *

(٨٣) قال أبو دلامة للمهدي اقطعني قطيعة أعيش بها قال قد اقطعتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال وما الغامرة قال الخراب قال قد اقطعت أمير المؤمنين ألف جريب من فيافي بني أسد فجعلها كلها عامرة ثم قال هل بقي لك حاجة قال نعم تأذن لي ان أقبل يدك قال ليس إلى هذا سبيل قال والله ما رددتني عن حاجة أهون علي منها .

* * *

(٨٤) كانت أم سلمة زوجة السفاح لا تضحك بعد موته فأدخلوا إليها أبا دلامة فأنشدها مرثية رثاه بها فقالت ما وجدت أحداً حزن على أمير المؤمنين

حزني وحزنك قال لا سواء رحمك الله لك منه ولد وليس لي منه ولد فضحكت وقالت لو حدثت الشيطان لأضحكته .

* * *

(٨٥) كان ابو دلامة مع المهدي في الصيد فرمى المهدي ظبياً فقتله ورمى علي بن سليمان الحاجب فأصاب كلباً من كلاب الصيد فقتله فقال ابو دلامة :

قد رمى المهدي ظبياً شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كل فتى يأكل زاده

* * *

(٨٦) كان ابو دلامة يوماً في مجلس المهدي فقال له المهدي لا بد من أن تهجو أحد الجالسين في المجلس فاستعفاه فلم يعفه فنظر إلى الوزير فأشار اليه ان يصرف ذلك عنه وكلما نظر إلى واحد توسل اليه بالإشارة ان يصرف ذلك عنه ووعده الصلة فتحير ابو دلامة ثم قال لا أجد اوفق من هجو نفسي وانشأ يقول :

الا ابلغ لديك أبا دلامة فليس من الكرام ولا كرامه
إذا نزع العمامة قلت قرد وخنزير إذا لبس العمامه

* * *

(٨٧) اصبح ابو دلامة يوماً وليس عنده شيء فقال لام دلامة اذهبي أنت واحتالي على الخبزران واذهب انا واحتال على المهدي لعله يحصل لنا شيء فذهب أبو دلامة إلى المهدي باكياً قال ما شأنك قال يسلم لنا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة فأمر له المهدي بمال لتجهيزها واصلاح حاله وذهبت ام دلامة إلى الخيزران باكية وقد شقت ثيابها فقالت لها ما شأنك قالت بحياتك البقاء توفي أبو دلامة فأمرت لها بمال لتجهيزه واصلاح حالها فرجعا إلى البيت

بمال كثير وجاء المهدي إلى داره فقالت له الخيزران هل علمت ان أبا دلامة مات قال لم يمت ولكن زوجته ماتت قالت بل هو قد مات قال لم يمت وقد كان عندي آنفا واخبرني ان زوجته توفيت قالت وكانت عندي زوجته واخبرتني بموته فعلما انهما احتالا عليهما .

* * *

(٨٨) استدان ابو دلامة من رجل مالا فلما طالبه به قال انه ليس عندي قليل ولا كثير ولكن ادع على فلان اليهودي بهذا المال واشهد لك انا وابني فادعى الرجل على اليهودي بالمال عند ابن أبي ليلى القاضي فسأل اليهودي فأنكر فقال للمدعي اعندك بينة قال نعم فأتى بابي دلامة وابنه فلما صار ابو دلامة في الدهليز انشد رافعاً صوته بحيث يسمعه القاضي . :

إذا الناس غطوني تغطيت عنهم وان بحثوا عني ففيهم مباحث
وان حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوماً كيف تلك النبائث

فلما حضر أمام القاضي قال تغطيك يا أبا دلامة ولا نبحث عنك واعطى المشهود له ما ادعاه من ماله .

الظرفاء من الغلمان

(٨٩) كان مع رجل عبد ينادي عليه من يشتري العبد الحسابي فسمعه آخر فاشتراه وأخذه إلى داره فعطش المولى وبجانبه ابريق فقال خذ هذا الابريق واملأه ماء وائت به فقال من هنا إلى الابريق مسافة ومن الابريق إلى هنا ثنتان ومن هنا اليك ثلاث ومنك إلى هنا اربع مسافات فالأوفق ان تقوم أنت وتشرب ثم تعود فيكون مسافتان فقط يتوفر علينا النصف .

* * *

(٩٠) كان غلام إذا امره مولاه بشيء اتى به ناقصاً فإذا قال ائتني بالابريق يأتي به خالياً من الماء فيقول له اين الماء فيقول له لم تقل لي املأه ماء وهكذا فلما ابرمه قال له يوماً اذا امرتك بشيء فأت به وبلازمه فقال حباً وكرامة فاتفق ان المولى مرض فأرساه خلف الطبيب فجاء به وبالمغتسل والمغسل والكفن والسدر والكافور والحفار فانتهروه لذلك قال انتم اوصيتموني ان آتي بالشيء ولوازمه فلما طلبتم الطبيب قلت لعله قضى على مولاي فنكون قد احضرنا لوازم التجهيز ورفعنا عن انفسنا كلفة العود .

* * *

(٩١) كان لبعض الناس غلام فكان مولاه يأكل الخبز الخاص ويطعمه الخشكار فطلب البيع فباعه من رجل يأكل الخشكار ويطعمه النخالة فطلب البيع فباعه من رجل يأكل النخالة ولا يطعمه شيئاً ويضع السراج على رأسه ليلاً عوض المسرجة فلم يطلب البيع فقيل له في ذلك قال اخاف أن طلبت البيع ان يشتريني من يضع الفتيلة في عيني عوض السراج .

الظرفاء من المجانين

(٩٢) دخل قوم من بني تيم الله على مجنون من بني اسد فاكثروا العبث به فقال لهم ما اعلم خيراً منكم بنو اسد ليس فيهم مجنون غيري قد قيدوني وانتم كلكم مجانين وليس فيكم مقيد .

* * *

(٩٣) كان الصبيان يعبثون ببهلول فيكر عليهم بعصاه وهو يقول :

اكر على الكتيبة لا ابالي افيها كان حتفي ام سواها

فينهزمون عنه فيقعد ويقول :

فألقت عصاها واستقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

* * *

(٩٤) مر بهلول بقوم عشرة في أصل شجرة فقالوا تصعد هذه الشجرة وتأخذ عشرة دراهم قال نعم فأعطوه اياها فجعلها في كمه ثم قال هاتوا سلماً فقالوا لم يكن هذا في الشرط فقال كان شرطي دون شرطكم .

* * *

(٩٥) وحمل عليه الصبيان يوماً فدخل دارا فدعا له صاحبها بطعام فجعل يأكل والصبيان يصيحون على الباب وهو يقول فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قلبه العذاب .

* * *

(٩٦) دخل بهلول وعليان على موسى بن المهدي فقال لعليان ايش معنى عليان فقال ايش معنى موسى فقال خذوا برجل ابن الفاعلة فقال عليان لبهلول كنا اثنين صرنا ثلاثة .

الفصل التاسع

في الأجوبة المسكتة

أجوبة أمير المؤمنين علي (ع)

(١) قال يهودي لأمير المؤمنين علي عليه السلام ما مات نبيكم حتى اختلفتم فيه فقال علي (ع) انما اختلفنا عنه لا فيه (١) ولكنكم ما جفت اقدامكم من البحر حتى قلتم لنبيكم اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون .

(٢) وقال له ابن الكواكم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة .

(٣) وقيل له كم بين المشرق والمغرب قال مسير يوم للشمس .

(٤) ولما بلغه الانصار منا أمير ومنكم أمير قال فهلا ذكرت الانصار قول النبي (ص) يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الأمر فيهم والوصاة بهم .

(٥) وقيل له ما طعم الماء قال طعم الحياة .

(٦) واثنى عليه رجل وكان متهماً فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك .

---

(١) أي اختلفنا عن جهته فقال بعضنا نحن أولى به وقال بعضنا أنا أولى به ولم نختلف عن ارتداد فيه .

أجوبة عقيل بن أبي طالب لمعاوية وغيره

(٧) قال معاوية لعقيل بن ابي طالب وكان جيد الجواب حاضره : انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان اخي آثر دينه على دنياه وانك آثرت دنياك على دينك فأخي خير لنفسه منك وأنت خير لي منه .

* * *

(٨) وقال له يوماً ان علياً قطع قرابتك وما وصلك فقال له عقيل والله لقد اجزل العطية واعظمها ووصل القرابة وحفظها وحسن ظنه بالله اذ ساء به ظنك وحفظ امانته واصلح رعيته اذ خنتم وافسدتم وجرتم فاكفف لا ابالك فإنه عما تقول بمعزل .

* * *

(٩) وقال له يوماً ان فيكم لشبقا يا بني هاشم قال هو منا في الرجال ومنكم في النساء .

* * *

(١٠) وقال له يوماً : هذا عقيل عمه أبو لهب فقال عقيل وهذا معوية عمته حمالة الحطب (وهي ام جميل بنت حرب بن امية عمة معاوية وكانت زوجة ابي لهب) .

* * *

(١١) وقال له يوماً يا أبا يزيد اين ترى عملك ابا لهب فقال له عقيل إذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترساً عمتك حمالة الحطب فأنظر ايهما اسوأ حالاً الناكح ام المنكوح .

* * *

(١٢) وقال له ليلة الهرير بصفين يا أبا يزيد أنت معنا الليلة قال ويوم بدر كنت معكم .

* * *

(١٣) دخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في ابصاركم قال وانتم معشر بني امية تصابون في بصائركم .

* * *

(١٤) قال معوية يوماً لعقيل هل من حاجة فاقضيها لك قال جارية عرضت علي بأربعين الفاً. قال وما تصنع بجارية قيمتها أربعون الفاً وأنت اعمى تجتزي بجارية قيمتها خمسون درهماً قال ارجو ان تلد لي غلاماً إذا اغضبته يضرب عنقك بالسيف فضحك معاوية وقال ما زحناك يا ابا يزيد وابتاع له الجارية فاولدها مسلما فلما اتت عليه ثماني عشرة سنة وقد مات أبوه عقيل باع من معوية ارضاً له بالمدينة بمائة الف درهم وقبض المال فبلغ ذلك الحسين (ع) فكتب إلى معاوية انك غررت غلاماً فابتعت منه ارضاً لا يملكها فأقبض منه ما دفعت له واردد الينا ارضَنا فاخبر معوية مسلماً بذلك وقال اردد علينا مالنا وخذ ارضك فقال اما دون ان اضرب رأسك بالسيف فلا فضحك معوية وقال هذا قول أبيك حين ابتعت له املك ورد الارض وسوغ مسلماً المال .

* * *

(١٥) قالت امرأة عقيل له وهي بنت عتبة بن ربيعة خالة معوية : يا بني هاشم لا يحبكم قلبي ابداً اين ابي اخي اين عمي كأن اعناقهم اباريق فضة قال عقيل إذا دخلت جهنم فخذي على شمالك .

أجوبة ابن عباس لعائشة بعدحرب الجمل

(١٦) روى الكشي بسنده قال بعث أمير المؤمنين (ع) عبد الله بن عباس بعد وقعة الجمل إلى عائشة يأمرها بالرحيل قال فاستأذنت عليها فلم تأذن فدخلت بغير إذن وتناولت طنفسة فجلست عليها فقالت من وراء الستر يا ابن عباس اخطأت السنة دخلت بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا قال انما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله (ص) فإذا رجعت اليه لم ندخله إلا بإذنك ولم نجلس على متاعك إلا بإذنك ان أمير المؤمنين يأمرك بالرحيل إلى المدينة قالت رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب قال هذا والله أمير المؤمنين قالت ابيت ذلك قال ان كان إباؤك فيه لقصير المدة كما قال القائل :

ما زال اهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الالقاب
حتى تركت كان قولك فيهم في كل مجمعة طنين ذباب

قالت أخرج عنكم فما في الارض بلد ابغض الي من بلد تكونون فيه فقال ما كان هذا جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أما قالت اتمنون علي برسول الله (ص) قال ولم لا نمن عليك بمن لو كان منك قلامة منه مننت به علينا كما قال اخو بني فهر :

مننت على قومي فابدوا عداوة فقلت لهم كفوا العداوة والشرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقه واحج بكم ان تجمعوا البغي والكفرا

فأخبرت أمير المؤمنين (ع) بذلك فقال أنا كنت اعلم بك حيث بعثتك .

أجوبة ابن عباس لمعاوية

(١٧) حج معاوية فلما اتى المدينة لم تستقبله الانصار فلقي ابن عباس

فقال له ما بال الانصار لم تستقيلني قال ليس عندهم دوابّ هن واين نواضحهم(١) قال افنوها يوم بدر يوم قاتلوك واباك على الاسلام حتى ظهر امر الله وانتم كارهون قال اعلمت انا نهينا ان يذكر هذا الرجل بخير (يعني عليا) قال افتنهانا عن قراءة القرآن قال لا ولكن عن تفسيره قال افنقرؤه ولا نفهم معناه قال لا ولكن عن تفسيره بما تفسره أنت وأهل بيتك قال انما انزل القرآن علينا افنأخذ تفسيره عن آل ابي سفيان فسكت معاوية فلما كان الليل ارسل إلى ابن عباس بجائزة .

* * *

(١٨) لما اتى معوية نعي الحسن بن علي عليهما السلام وكان ابن عباس بالشام بعث اليه معوية وهو لا يعلم الخبر فقال اتانا نعي الحسن واظهر سروراً فقال ابن عباس إذن لا ينسىء في اجلك ولا يسد حفرتك قال احسبه قد ترك صبية صغاراً قال كلنا كان صغيراً وكبر قال واحسبه قد بلغ سناً قال مثل مولده لا يجهل قال لو قال قائل انك اصبحت بعده سيد قومك ما اخطأ قال اماوأبو عبد الله الحسين بن علي حي فلا وعقد ابن عباس بالشام حزناً على الحسن (ع) وجلس في المسجد وجاء الناس يعزونه .

أجوبة أبي الأسود الدئلي

(١٩) دخل أبو الاسود على معاوية بالنخيلة فقال له معاوية اكنت ذكرت للحكومة قال نعم قال فما كنت صانعاً قال كنت اجمع الفاً من المهاجرين وابنائهم والفاً من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر أرجل من المهاجرين احق أم رجل من الطلقاء فلعنه معاويه وقال الحمد لله الذي كفانا .

* * *

(١) جمع ناضح وهو البعير يستقى عليه عيرهم بأنهم أصحاب نواضح يستقون عليها لمزارعهم المؤلف

(٢٠) قال زياد لابي الاسود لولا أنك قد كبرت لاستعنا بك في بعض أمورنا قال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي وان كنت تريد رأيي وعقلي فهما أوفر ما كانا .

* * *

(٢١) قال المبرد كان أبو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان أبا الأسود كان علوياً وبنو قشير عثمانية فكانوا يرمونه بالليل فإذا اصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال فيهم :

يقول الارذلون بنو قشير	طوال الدهر لاتنسى عليا
احب محمداً حباً شديداً	وعباساً وحمزة والوصيا
هوى اعطيته منذ استدارت	رحى الاسلام لم يعدل سويا
احبهم لحب الله حتى	اجيء إذا بعثت على هويا
بنو عم النبي واقربوه	احب الناس كلهم اليا
فان يك حبهم رشدا اصبه	ولست بمخطىء ان كان غيا

فقالوا شككت يا ابا الأسود فقال الم تسمعوا الله تعالى يقول (وانا واياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) افترون الله شك (قوله) سو يا وهو يا اصله سواي وهواي قلبت الالف ياء وادغمت في ياء المتكلم وهذه لغة هذيل في كل مقصور قال أبو ذؤيب الهذلي :

سبقوا هوي واعنقوا لسبيلهم	فتخرموا ولكل جنب مصرع

ويحكى ذلك أيضاً عن قريش وعن طيء (ومعنى) لم يعدل سو يا لم يعدل إلى سواي أو لم يعدل سواي بي ففيه حذف (قوله)ولست بمخطىء ان كان غياقد يسأل فيقال ان كان غيا فهو عين الخطأ فكيف لا يكون مخطئاً (والجواب)

ان مراده على الظاهر انهم ذوو صفات كريمة شريفة عالية جديرة بأن يحب صاحبها فمن أحب مثلهم لم يكن مخطئاً لو فرض محالا ان حبهم غي .

* * *

(٢٢) دخل أبو الاسود يوماً على معاوية فقال له اصبحت جميلا يا أبو الأسود فلو علقت تميمة تدفع العين عنك فقال :

افنى الشباب الذي فارقت بهجته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئاً اخاف عليه لدغة الحدق

* * *

(٢٣) دخل أبو الأسود السوق يشتري ثوباً فقال له رجل هلم اقارباك فقال ان لم تقاربني باعدتك ثم قال له بكم هو قال اعطيت به كذا وكذا قال انما تخبرني عما فاتك .

* * *

(٢٤) كان أبو الأسود ماشياً في طريق فقال له راكب الطريق الطريق قال عن الطريق تعدلني .

* * *

(٢٥) مرض أبو الأسود فقيل هو أمر الله فقال ذاك اشد له .

* * *

(٢٦) خاصمت أبا الأسود امرأته إلى زياد في ولدها (فقالت) انه يريد ان يغلبني على ولدي وقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء (فقال أبو الأسود) بهذا تريدين ان تغلبيني على ابني فوالله لقد حملته قبل ان تحمليه ووضعته قبل ان تضعيه (فقالت) ولا سواء انك حملته خفيفاً وحملته ثقيلاً ووضعته شهوة ووضعته كرها (فقال) له زياد انها امرأة عاقلة يا أبا الأسود فادفع اليها ابنها فأخلق بها ان تحسن ادبه ويأتي في محاكمة رجل وامرأته

عند عمليق ما فيه شيء من هذا .

* * *

(٢٧) قال رجل لأبي الأسود أنت والله ظريف لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل قال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه .

* * *

(٢٨) وسلم عليه اعرابي فقال أبو الأسود كلمة مقولة قال اتأذن لي في الدخول قال وراءك أوسع لك قال فهل عندك شيء قال نعم قال اطعمني قال عيالي احق منك قال ما رأيت الأم منك قال نسيت نفسك .

* * *

(٢٩) وسأله رجل شيئاً فمنعه قال ما اصبحت حاتمنا قال بلى قد اصبحت حاتمكم من حيث لا تدري اليس حاتم الذي يقول :

اماويّ اما مانع فمبين واما عطاء لاينهنهه الزجر

أجوبة الناس لمعاوية

(٣٠) دخل عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي على معاوية وعنده ابن الزبير فقال ابن الزبير يا أبا طريف متى فقئت عينك (وكانت عينه ذهبت يوم الجمل) فقال يوم فر أبوك منهزما فقتل وهربت عن خالتك وضربت على قفاك وأنت هارب وأنا مع الحق وأنت مع الباطل فقال له معاوية ما فعل الطرفات (يعني طريفاً وطرافاً وطرفة ابناءه) قال عدي قتلوا مع علي بن ابي طالب قال معوية ما انصفك علي اذ قدم ابناءك واخر ابناءه قال عدي بل ما انصفته انا إذ قتل وبقيت بعده قال معوية اما انه قد بقيت قطرة من دم عثمان مالها إلا كذا واومأ بيده اليه قال عدي ان السيوف التي اغمدت على حسك

في الصدور ولعلك تسل سيفاً تسل به سيوف فقال معوية لعمرو بن العاص كلمة شدها في قرنك ثم خرج عدي وهو يقول :

يحاولني معوية بن صخر وليس إلى التي يبغي سبيل
يذكرني ابا حسن علياً وخطبي في ابي حسن جليل
وقال ابن الزبير وقال عمرو عدي بعد صفين ذليل
ولكني على ما كان مني اخبر صاحبي بما اقول
فقلت صدقتما قد هدركني وفارقني الذين بهم اصول
وان اخاكما في كل يوم من الايام محمله ثقيـــل

* * *

(٣١) في القعد الفريد حج معوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون يقال لها دارمية الحجونية وكانت سوداء كثيرة اللحم فأخبر بسلامتها فبعث اليها فجاءت فقال ما جاءبك يا ابنة حام قالت لست لحام ادعى انا امرأة من بني كنانة قال اتدرين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب إلا الله قال لأسألك علام احببت عليا وابغضتني ووالبته وعاديتني قالت أو تعفيني قال لا قالت احببت عليا على عدله في الرعية وقسمه بالسوية وابغضتك على قتالك من هو اولى منك بالأمر وطلبتك ما ليس لك بحق ووالبت عليا على ما عقد له رسول الله (ص) من الولاء وحبه المساكين واعظامه لأهل الدين وعاديتك على سفكك الدماء وجورك في القضاء وحكمك بالهوى قال فلذلك انتفخ بطنك وعظم ثدياك وربت عجيزتك قالت يا هذا بهند والله كان يضرب المثل في ذلك لابي قال هل رأيت عليا قالت أي والله قال كيف رأيته قالت رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ولم تشغله النعمة التي شغلتك قال فهل سمعت كلامه قالت نعم والله فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست قال صدقت فهل لك من حاجة قالت

أو تفعل إذا سألتك قال نعم قالت تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها قال تصنعين بها ماذا قالت اغذو بالبانها الصغار واستحيي بها الكبار واكسب بها المكارم واصلح بها بين العشائر قال فان اعطيتك فهل احل عندك محل علي ابن ابي طالب قالت سبحان الله اودونه فانشأ يقول :

إذا لم اعد بالحلم مني عليكم ... فمن ذا الذي بعدي يؤمل للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد ... جزاك على حرب العداوة بالسلم

* * *

(٣٢) حضر الاحنف (واسمه صخر بن قيس) عند معوية فتكلم جلساؤه في يزيد وقد اخذ له البيعة والاحنف ساكت فقال معوية مالك لا تتكلم ياأبا بحر قال اخاف الله ان كذبت وأخافكم إن صدقت .

* * *

(٣٣) وقال معاوية يوماً لجلسائه الستم تعلمون قوله تعالى (وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) فكيف تلومونني بعد هذا فقال الاحنف ما نلومك على ما في خزائن الله انما نلومك على ما انزل الله من خزائنه فاغلقت عليه بابك فسكت معوية ولم يحر جواباً .

* * *

(٣٤) قال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة دخل أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني على معوية فقال له معوية اكنت ممن قتل أمير المؤمنين عثمان قال لا ولكن ممن شهده فلم ينصره قال ولم قال لم ينصره المهاجرون والانصار فقال معوية اما والله ان نصرته كانت عليك وعليهم حقاً واجباً وفرضاً لازما فاذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما انتم اهله واصاركم إلى ما رأيتهم فقال أبو الطفيل فما منعك يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون ان لا تنصره ومعك أهل الشام قال معوية أو ما ترى طلبي لدمه فضحك أبو طفيل فقال بلى ولكنك

واياه كما قال عبيد بن الابرص . :

لا اعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

ودخل مروان بن الحكم واخوه عبد الرحمن وسعيد بن العاص فقال لهم معوية هذا خليل علي بن ابي طالب وفارس صفين وشاعر اهل العراق هذا أبو الطفيل فشتمه القوم فقال معوية مهلا فرب يوم ارتفع عن السباب قد ضقتم به ذرعا ثم قال اتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل فقال ما انكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير وانشد :

فان تكن العداوة قد اكنت فشر عداوة المرء السباب

* * *

(٣٥) خطب معوية يوماً بمسجد دمشق وفي الجامع من الوفود علماء قريش وخطباء ربيعة و صناديد اليمن وملوكها فقال ان الله تعالى اكرم خلفاءه فاوجب لهم الجنة وانقذهم من النار ثم جعلني منهم وجعل انصاري أهل الشام الذابين عن حرم الله المؤيدين بظفر الله المنصورين على اعداء الله وكان في الجامع من أهل العراق الاحنف بن قيس وصعصعة بن صوحان فقال الاحنف لصعصعة اتكفيني ام اقوم اليه انا فقال صعصعة بل اكفيكه انا فقام صعصعة فقال يا ابن ابي سفيان تكلمت فابلغت ولم تقصر دون ما اردت وكيف يكون ماتقول وقد غلبتنا قسرا وملكتنا تجبراً ودنتنا بغير الحق فاما اطراؤك لأهل الشام فما رأيت اطوع لمخلوق واعصى لخالق منهم ابتعت منهم دينهم وابدانهم بالمال فان اعطيتهم حاموا عنك ونصروك وان منعتهم فعدوا عنك ورفضوك فقال معوية اسكت ابن صوحان فوالله لو لا اني لم اتجرع غصة غيظ قط افضل من حلم لما عدت إلى مثل مقالتك فقعد صعصعة فانشأ معوية يقول :

قلبت جاهلهم حلماً ومكرمة والحلم عن قدرة فضل من الكرم

* * *

(٣٦) قدم وفد العراقين على معوية وفيهم صعصعة بن صوحان فقال لهم معوية اهلا وسهلا قدمتم الأرض المقدسة وارض الأنبياء والرسل والحشر والنشر فقال صعصعة وكان من احضر الناس جواباً أما قولك الأرض المقدسة فان الأرض لاتقدس اهلها وانما تقدسهم الاعمال الصالحة واما قولك ارض الأنبياء والرسل فمن بها من أهل النفاق والشرك والجبابرة اكثر من الأنبياء والرسل واما قولك أرض الحشر والنشر فان المؤمن لا يضره بعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربه فقال معاوية لو كان الناس كلهم أولدهم ابو سفيان لما كان فيهم الا كيساً رشيداً فقال صعصعة قد أولد الناس من كان خيراً من ابي سفيان فاولد الاحمق والفاجر والفاسق والمعتوه فخجل معوية .

**

(٣٧) قال معوية يوماً ان الله فضل قريشاً بثلاث فقال لنبيه عليه الصلاة والسلام وانذر عشيرتك الاقربين فنحن عشيرته وقال وانه لذكر ولقومك فنحن قومه وقال لإيلاف قريش ايلافهم إلى قومه الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معوية فان الله يقول وكذب به قومك وانتم قومه وقال ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال لرسوله (ص) يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وانتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك فافحمه .

**

(٣٨) قال معاوية لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله (ص) اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه .

**

(٣٩) قال معاوية لجارية بن قدامة ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية قال ما كان أهونك على أهلك إذ سموك معاوية وهي الأنثى من الكلاب قال لا ام لك قال أمي ولدتني للسيوف التي لقيناك بها قال انك لتهددني قال انك لم تملكنا عنوة ولكنك أعطيتنا عهداً وأعطيناك طاعة فإن وفيت وفينا لك وان فزعت إلى غير ذلك فإنا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وألسنة حداداً قال معاوية لا كثر الله في الناس أمثالك قال جارية قل معروفاً فإن شر الدغاء المحتطب .

* *

(٤٠) دخل حريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه فقال اي ساقين لو انهما على جارية قال في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين قال معاوية واحدة بواحدة والبادي أظلم .

* *

(٤١) قال معاوية لصحار بن العباس العبدي يا أزرق قال البازي أزرق قال يا أحمر قال الذهب أحمر قال ما هذه البلاغة فيكم يا بني عبد القيس قال شيء يختلج في صدورنا فتقذفه ألسنتنا كما يقذف البحر الزبد قال فما البلاغة عندكم قال ان نقول فلا نخطىء ونجيب فلا نبطىء .

* *

(٤٢) قال معاوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب بالأشدق إلى من أوصى بك أبوك فقال ان أبي أوصى إلي ولم يوصِ بي .

* *

(٤٣) قال معاوية لعمرو بن العاص ما أعجب الأشياء قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه قال معاوية أعجب من ذلك أن يعطى من لا حق له ما ليس له بحق بغير غلبة .

* *

(٤٤) دخل شريك بن الحارث الأعور على معاوية فقال له ما اسمك فقال شريك قال ابن من قال ابن الأعور قال انك شريك وما لله شريك وانك لابن الأعور والصحيح خير وانك لئيم سيء الخلق فكيف سدت قومك فقال شريك وانت معاوية وما معاوية إلا كلبة عوت فاستعوت فسميت معاوية وانك لابن صخر والسهل خير وانك لابن حرب والسلم خير وانك لابن أمية وأمية أمة صغر بها فكيف سميتَ أمير المؤمنين فقال معاوية واحدة بواحدة والبادي أظلم .

أجوبة مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد

(٤٥) لما دخل مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد بالكوفة وهو أسير لم يسلم عليه بالإمرة فقال له الحرسي لم لا تسلم على الأمير قال مسلم اسكت ويحك والله ما هو لي بأمير قال ابن زياد لا عليك سلمت أم لم تسلم فإنك مقتول قال ان قتلتني فلقد قتل من هو شر منك من هو خير مني قال قتلني الله إن لم أقتلك قتلة م يقتلها أحد في الإسلام قال اما انك أحق أن تحدث في الإسلام ما لم يكن وانك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولؤم الغلبة لأحد هو أولى بها منك قال يا عاق يا شاق خرجت على أمامك وشققت عصا المسلمين والقحت الفتنة قال إنما شق عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد وأما الفتنة فإنما ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف قال ايه ابن عقيل أتيت هذا البلد وأهله جميع فشتت أمرهم وفرقت كلمتهم قال ما لهذا جئت ولكنكم دفتم المعروف وأظهرتم المنكر وتآمرتم على الناس بغير رضا منهم وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لتأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة قال لم لم تفعل ذلك وأنت بالمدينة تشرب الخمر قال أنا أشرب الخمر

أما والله إن الله ليعلم انك تعلم انك غير صادق وان أحق بشرب الخمر مني من يقتل النفس التي حرم الله ويسفك الدم الحرام على الغضب والعداوة فأخذ ابن زياد يشتمه ويشتم علياً وعقيلاً والحسن والحسين عليهم السلام فقال انت وأبوك أحق بالشتيمة فاقضِ ما أنت قاض يا عدو الله .

جواب علي بن الحسين (ع) لعبيد الله بن زياد

(٤٦) عرض على ابن زياد علي بن الحسين عليهما السلام بعد قتل أبيه فقال من أنت قال أنا علي بن الحسين فقال أليس قد قتل الله علي بن الحسين فقال قد كان لي أخ يسمى علياً قتله الناس قال بل الله قتله قال الله يتوفى الأنفس حين موتها .

جواب زينب بنت أمير المؤمنين (ع) لابن زياد

(٤٧) لما دخلت زينب بنت أمير المؤمنين (ع) على عبيد الله بن زياد بعد قتل الحسين (ع) قال لها الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم قالت الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد (ص) إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا قال كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك قالت ما رأيت إلاّ جميلاً هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن الفلج يومئذ هبلتك امك يا ابن مرجانة .

جواب علي بن الحسين (ع) ليزيد بن معاوية

(٤٨) قال يزيد لعلي بن الحسين (ع) أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت فقال علي بن الحسين (ع) (ما

أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) فقال يزيد ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) فقال علي بن الحسين (ع) ويلك يا يزيد انك لو تدري ماذا صنعت وما الذي ارتكبت لهربت في الجبال وافترشت الرماد فابشر بالخزي والندامة إذا اجتمع الناس ليوم القيامة .

جواب عمرو بن الحسن (ع) ليزيد بن معاوية

(٤٩) قال يزيد يوماً لعمرو بن الحسن (ع) أتضارع ابني خالداً قال له عمرو لا ولكن اعطني سكيناً واعطه سكيناً ثم أقاتله قال يزيد (شنشنة أعرفها من اخزم . هل تلد الحية إلاّ حية) .

أجوبة زيد بن علي بن الحسين لهشام بن عبد الملك

(٥٠) دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك وقد جمع له أهل الشام وامر ان يتضايقوا في المجلس حتى لا يجد موضعا فقال يا أمير المؤمنين انه لا يكبر احد فوق ان يوصى بتقوى الله ولا يصغر احد دون أن يوصي بتقوى الله واني اوصيك بتقوى الله فقال له هشام ما فعل أخوك البقرة قال سماه رسول الله (ص) باقر العلم وانت تسميه بقرة لشد ما اختلفتما في الدنيا ولتختلفان في الآخرة قال انت المؤهل نفسك للخلافة وانت ابن أمة قال اني لا أعلم احدا اعظم منزلة عند الله من نبي بعثه وهو ابن امة فهذا اسماعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن ابن امة بعثه الله بالنبوة فالنبوة عند الله اعظم أم الخلافة وقد خرج من صلبه خير البشر محمد (ص) واسحق بن حرة خرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت وما قصر برجل جده رسول الله (ص) وهو ابن علي بن أبي طالب ان يكون ابن أمة .

أجوبة سعيد بن جبير للحجاج

(٥١) كان سعيد بن جبير خرج على عبد الملك بن مروان فأتي به إلى الحجاج فقال ما إسمك قال سعيد قال ابن من قال ابن جبير فقال بل أنت شقي ابن كسير قال امي اعلم باسمي قال شقيت وشقيت امك قال الغيب يعلمه غيرك قال لاوردنك حياض الموت قال اصابت إذا أمي اسمي قال لابدلنك بالدنيا ناراً تلظى قال لو اعلم أن ذلك بيدك لاتخذتك الهاً قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال ايهم اعجب اليك قال ارضاهم لخالقه قال فايهم ارضاهم لخالقه قال علم ذلك عند من يعلم سرهم ونجواهم قال فما قولك في علي أفي الجنة هو أم في النار قال لو دخلت الجنة والنار فرأيت اهلهما علمت من فيها قال فأي رجل انا يوم القيامة قال أنا اهون على الله من أن يطلعني على الغيب قال ابيت ان تصدقني قال بل لم ارد أن اكذبك قال مالك لم تضحك قط قال كيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار قال فانا اضحك قال كذلك خلقنا الله اطوارا ثم دعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ بالناي بكى سعيد فقال الحجاج ما يبكيك قال أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور واما هذا العود فنبت بحق وقطع لغير حق قال انا قاتلك قال قد فرغ من نسبب موتي قال كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين قال حسن إن قمت بشرطه قال ان تشتري له به الامن من الفزع الأكبر يوم القيامة ولا ينفعه الا ما طاب منه قال اترى جمعنا طيباً قال برأيك جمعته وانت اعلم بطيبه قال أتحب أن لك شيئاً منه قال لا أحب ما لا يحب الله قال ويلك قال الويل لمن زحزح عن الجنة فادخل النار قال اذهبوا به فاقتلوه فلما ادبر ضحك قال ما يضحكك قال عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك قال اضربوا عنقه قال حتى اصلي ركعتين فاستقبل

القبلة قال اصرفوه عن القبلة إلى قبلة النصارى فصرف فقال اينما تولوا فثم وجه الله ثم قال اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي فضربت عنقه .

أجوبة أبي العيناء

كان ابو العيناء (واسمه محمد بن القاسم اليمامي) من احضر الناس جواباً واجودهم بديهة واملحهم نادرة وقال له المنصور ما أحسن الجواب قال ما اسكت المبطل وحير المحق .

* *

(٥٢) حدث ابو العيناء بعض الزبيريين بفضائل اهله فقال له الزبيري اتجلب التمر إلى هجر قال نعم إذا اجدبت ارضها وعاوم نخلها يقال عاومت النخلة إذا حملت سنة ولم تحمل سنة .

(٥٣) قال المتوكل لأبي العيناء بلغني إن فيك شرا فقال يا أمير المؤمنين ان يكن الشر ذكر المحسن باحسانه والمسيىء بإساءته فقد زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية (نعم العبد انه اواب) وقال في الذم (هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم) فذمه الله تعالى حتى قذفه وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعرف لم اك دائبا ولم اذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وان كان الشر كفعل العقرب تلسع النبيي والذمي بطبع لا يتميز فقد صان الله تعالى عبدك عن ذلك .

* *

(٥٤) وقال له المتوكل يوما اني لأفرق من لسانك فقال له أن الشريف فروقة ذو احجام وان اللئيم ذوامنة واقدام .

* *

(٥٥) وقال له المتوكل يوماً وقد دخل عليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال له يا سيدي انما يشتد الشوق على العبد لانه لا يصل إلى مولاه فاما السيد فمتى اراد عبده دعاه .

**

(٥٦) وقال له المتوكل يوما ما بقي في مجلسي احد إلا اغتابك وذمك غيري فقال :

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً علي لئامها

**

(٥٧) وقال له المتوكل كيف ترى داري هذه فقال رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا واميرالمؤمنين جعل الدنيا في داره .

**

(٥٨) وقال له المتوكل من اسخى من رأيت وابخل من رأيت قال ما رأيت اسخى من أحمد بن ابي دؤاد ولا أبخل من موسى بن عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله قال رأيته يحرم القريب كما يحرم البعيد ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة فقال اجئت إلى من اطرحته فسخيته والى من امسكته فبخلته فقال يا أمير المؤمنين ان الصدق ما هو في موضع من المواضع انفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه إلى السخاء فإذا نسب الناس السخاء إلى البرامكة فانما هو من سخاء امير المؤمنين الرشيد واذا نسبو السخاء إلى الحسن والفضل ابني سهل فانما ذلك سخاء امير المؤمنين المأمون واذا نسبوا ابن الزيات إلى السخاء فانما ذلك سخاء امير المؤمنين المعتصم واذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء فانما هو سخاؤك فما بال هؤلاء القوم لا ينسبون إلى السخاء قبل صحبتهم الخلفاء قال صدقت وسري عنه.

**

(٥٩) وقال له المتوكل ما اشد عليك في ذهاب البصر قال فقد رؤيتك مع اجماع الناس على جمالك .

**

(٦٠) وقال له يوما اريدك لمجالستي قال لا اطيق ذلك وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكن انا رجل محجوب والمحجوب تختلف اشاراته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هاتين هلكت فقال صدقت .

**

(٦١) وروي انه قال له لو لا انك ضرير لنادمتك فقال ان اعفيتني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الخواتم فاني اصلح .

**

(٦٢ وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن رستم فقال هما الخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما قال بلغني انك تودهما فقال لقد ابتعت الضلال بالهدى والعذاب بالمغفرة .

**

(٦٣) وقال له يوماً ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك قال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون .

**

(٦٤) وقيل لابي العيناء ابراهيم بن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .

**

(٦٥) ورآه زرقان وهو يضاحك نصرانياً فقال يا أيها الذين آمنوا لا

تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العيناء لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين

**

(٦٦) دخل ابو العيناء على الحسن بن سهل فاثنى عليه فأمر له بعشرة آلاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ايها الأمير لانك اكثر منه ولا استقل قليلك لانه أكثر من كثير غيرك .

**

(٦٧) قال عبد الله بن يحيى بن خاقان يوماً لابي العيناء اعذرني فاني عنك مشغول قال إذا فرغت لم احتج اليك .

**

(٦٨) وقال له يوماً قد تبينت الغضب فيك يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك من غضبي انما يغضب الرجل على من دونه فاما على من فوقه فلا ولكن احزنني تقصيرك بي فسميت حزني غضباً .

**

(٦٩) كان صاعد بن مخلد من أحسن من اسلم ديناً واكثرهم صلاة وصدقة فصار إلى بابه ابو العيناء مرات كثيرة بعقب اسلامه فحجب وقيل له انه مشغول في صلاته فقال ابو العيناء لكل جديد لذة .

**

٧٠) دخل ابو العيناء يوماً إلى أبي الصقر بن بلبل في وزارته فقال له يا أبا عبد الله ما أخرك عنا قال سرق حماري قال وكيف سرق قال لم أكن مع الذي سرقه فاخبر بما كان قال هلا اكتريت او استعرت او اشتريت قال قعد بي عن الشراء عدمي وكرهت منة العواري وذلة المكاري فوهب له حماراً ووصله .

**

(٧١) وادناه ابو الصقر يوماً ورفعه فقال تدنيني حتى كاني بعضك وتبعدني حتى كاني ضدك .

**

(٧٢) وقال ابو العيناء يوماً لعبد الله بن سليمان وقد رفعه ايضاً إلى كم ترفعني ولا ترفع بي رأساً .

**

(٧٣) وقال له يوماً وقد سأله عن حاله انا معك مغبوط الظاهر محروم الباطن.

**

(٧٤) شكا ابو العيناء إلى عبد الله بن سليمان تأخر رزقه فقال إلم نكن كتبنا لك إلى فلان فما فعل قال جرني على شوك المطل قال انت اخترته قال وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلا فأخذتهم الرجفة واختار رسول الله (ص) ابن ابي سرح كاتباً فارتد واختار علي ابا موسى فحكم عليه.

**

(٧٥) شكا بعض الوزراء كثرة الأشغال فقال ابو العيناء لا أراني الله يوم فراغك

**

(٧٦) قيل لابي العيناء بقي من يلقى قال نعم في البئر .

**

(٧٧) سئل ابو العيناء عن حماد بن زيد بن درهم وحماد بن سلمة بن دينار فقال بينهما في القدر ما بين ابويهما في الصرف . ويروى مثل ذلك عن ابي ثور .

أجوبة مؤمن الطاق

(٧٨) في العقد الفريد : عمارة عن محمد بن ابي بكر البصري قال لما مات جعفر بن محمد قال ابو حنيفة لشيطان الطاق مات امامك وذلك عند المهدي فقال شيطان الطاق لكن امامك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم فضحك المهدي من قوله وامر له بعشرة آلاف درهم .

**

(٧٩) قال ابو حنيفة لشيطان الطاق انت تقول بالرجعة فاقرضني اربع مائة درهم واردها عليك في الرجعة اربعمائة دينار قال اعطني كفيلا انك تعود انساناً ولا تعود قرداً (١) .

**

(٨٠) وقال له ابو حنيفة بلغني انكم معشر الشيعة إذا مات منكم ميت كسرتم يده اليسرى ليعطى كتابه بيمينه فقال بلغني عنكم معشر المرجئة انكم إذا مات منكم ميت قمعتم في دبره جرة حتى لا يعطش يوم القيامة

---

(١) في كتاب الظراف والمتماجنين لابن الجوزي طبع دمشق ص ٣٤ : قال محمد بن جعفل الإمامي كان أبو حنيفة يتهم شيطان الطاق بالرجعة وكان شيطان الطاق يتهم أبا حنيفة بالتناسخ فخرج أبو حنيفة إلى السوق فاستقبله شيطان الطاق ومعه ثوب يريد بيعه فقال له : تبيع هذا الثوب إلى رجوع علي فقال إن أعطيتني كفيلا انك لا تمسح قرد أبعتك فبهت أبو حنيفة والصحيح من القصة ما ذكرناه في الأصل لأن شيطان الطاق لم يكن يتهم أبا حنيفة بالتناسخ ولا يتهمه أحد بذلك وإنما أجابه بذلك بقصد الإسكات وشيطان الطاق هو محمد بن النعمان من خواص أصحاب الصادق عليه السلام يلقب بمؤمن الطاق لأنه كان صيرفياً بطاق المحامل في الكوفة (وفي القاموس) انه سكن في حصن بطبرستان فنسب إليه اه وكان أعداؤه يلقبونه بشيطان الطاق وقيل لقب به لأنه جيء إليه بدرهم زيف فعرفه فقيل إنما هذا شيطان . من المؤلف

قال مكذوب علينا قال نحن مكذوب علينا فقال مكذوب علينا وعليكم .

**

(٨١) وكان يمشي معه يوماً فسمع رجلا ينادي من رأى صبيا ضالاً فقال مؤمن الطاق اما الصبي فلم نره وَلكن إذا أردت شيخاً ضالاً فخذ هذا .

**

(٨٢) وقال له ابو حنيفة انتم حيث لا تعملون بالقياس تتحيرون في كثير من الأحكام فقال كلا فقال إذا خرج بعير من البحر هل يحل اكله قال ان كان له فلس اكلناه والا تركناه سواء كان بعيرا او ناقة .

**

(٨٣) وقال له أبو حنيفة ما تقول في المتعة قال حلال نطق بها الكتاب وجرت بها السنة قال فتحب أن يتمتع بناتك واخواتك قال شيء قد احله الله وان كرهته فما حيلتي ولكن ما تقول في النبيذ قال حلال قال افيسرك ان تكون اخواتك وبناتك نباذات فقطعه ومضى .

**

(٨٤) وحبسه الرشيد مرة وجعل يرتقب حجة لقتله فقال له عيسى ابن موسى قل له لما اختصم علي والعباس في ميراث رسول الله (ص) ايهما كان الظالم لصاحبه فايهما قال انه الظالم اقتله به فاحضره وقال له ذلك فقال انا لا أقول انهما اختصما ولكنهما كانا كجبرئيل وميكائيل لما اختصما إلى داود لينبها على خطائه فالتفت الرشيد إلى عيسى وقال زعمت انك تقتله .

أجوبة لجماعة متفرقين

(٨٥) قيل لمحمد بن الحنفية لم يغرر بك أبوك في الحرب ولا يغرر بالحسن والحسين قال انهما عيناه وانا يمينه فهو يدفع عن عينيه بيمينه .

**

(٨٦) انشد عدي بن الرقاع العاملي الوليد بن يزيد قوله في الخمر :

كميت إذا شجت وفي الكأس وردة لها في عظام الشاربين دبيب

فقال له شربتها ورب الكعبة قال ابن الرقاع لئن كان نعتي لها بذلك رابك لقد رابني معرفتك بها .

**

(٨٧) جاءت وفود إلى عمر بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال ليتكلم من هو اسن منك فقال لو كان انفضل بالسن لكان في قريش من هو احق منك بالخلافة فقال له تكلم .

**

(٨٨) قال رجل لكثير الشاعر وقد رآه راكباً وابو جعفر الباقر (ع) يمشي اتركب وابو جعفر يمشي فقال هو امرني بذلك وانا بطاعته في الركوب افضل مني في عصياني اياه بالمشي .

**

(٨٩) اتي سليمان بن عبد الملك بيزيد بن مسلم مولى الحجاج في جامعة وكان دميماً تقتحمه العين فقال لعن الله امرأ اجرك رسنك وولى مثلك فقال رأيتني والأمر عني مدبر ولو رأيتني والأمر علي مقبل لاستعظمت ما استصغرت قال له اين ترى الحجاج ايهوي في النار ام قد استقر فقال ان الحجاج قمع لكم الأعداء ووطأ لكم المنابر وزرع لكم الهيبة في قلوب الناس وانه يأتي يوم القيامة عن يمين ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه من النار حيث شئت .

**

(٩٠) قيل لبعضهم إلى من اوصى بك أبوك فقال ان أبي اوصى إلي ولم يوص بي .

**

(٩١) قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان لابنه وقد حضرته الوفاة قد اوصيت بك فلانا فالقه بعدي فقال يا ابت إذا لم يكن للحي إلا وصية الميت فالحي هو الميت .

* *

(٩٢) دخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال في طاعتك قال وانك لتتحلد قال على اعدائك قال وان فيك لبقية قال هي لك .

* *

(٩٣) قال رجل لعمرو بن العاص لأتفرغن لك قال إذا وقعت في الشغل .

* *

(٩٤) أتى دعاة خراسان ابا عبد الله الصادق عليه السلام فقالوا له اردنا ولد محمد بن علي فقال اولئك بالشراة (١) ولست بصاحبكم فقالوا له لو اراد الله بنا خيراً لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابي عبدالله عليه السلام اردت الخروج علينا فقال نحن ندل عليكم في دولة غيركم فكيف نخرج عليكم في دولتكم .

* *

(٩٥) قال عبد الملك بن مروان لنُصيب هل لك في الشراب فقال له نصيب الشعر مفلفل واللون مرمد وانما قربني اليك عقلي فهبه لي .

* *

(٩٦) قال مروان بن محمد الملقب بالحمار آخر ملوك بني امية لحاجبه وقد ولى منهزماً في وقعة الزاب كر عليهم بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك

---

(١) الشراة موضع بين دمشق والمدينة من أرض البلقاء فيه موضع يسمى الحميمة كان مسكن ولد العباس .

قال والله لأسوءنك إن لم تفعل قال وددت انك تقدر على ذلك .

**

(٩٧) جعل الجعد بن درهم في قارورة تراباً وماء فاستحال دودا وهواما وقال لاصحابه انا خلقت ذلك لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل كم هو وكم الذكران منه والأناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة وليأمر التي تسعى إلى هذا الوجه ان ترجع إلى غيره فانطلق وهرب .

**

(٩٨) فاخر خالد بن صفوان بن الأهتم رجلا من بني عبد الدار فقال له العبدري انت خالد (كمن هو خالد في النار) وانت ابن صفوان (كمثل صفوان عليه تراب) وانت ابن الأهتم والصحيح خير من الأهتم فقال له خالد يا اخا بني عبد الدار تتكلم وقد هشمتك هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وجمحتك بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح إذا دخلوا وتغلق إذا خرجوا فقام العبدري محموماً .

**

(٩٩) انشد الفرزدق سعيد بن العاص وعنده الحطيئة ابياتاً يقول فيها:

ترى الغر الجحاجح من قريش إذا ما الأمر في الحدثان غالا
قيا ما ينظرون إلى سعيد كانهم يرون به هلالا

فقال له الحطيئة هذا والله ايها الأمير الشعر لا ما نعالل به منذ اليوم يا غلام قدمت امك الحجاز قال لا ولكن قدمه ابي .

**

(١٠٠) قال موسى بن عيسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك وما رأينا قاضياً عزل قال هم الملوك يخلعون ويعزلون يعرض بان اباه خلع من ولاية العهد .

**

(١٠١) سمع الأحنف رجلا يقول ما احلم معاوية فقال لو كان حليما ما سفه الحق .

**

(١٠٢) وصف رجل معاوية بالحلم عند الشعبي فقال الشعبي وهل اغمد سيفه وفي قلبه على احد شيء .

**

(١٠٣) رؤي عبد الله بن جعفر يماكس في درهم فقيل له تماكس في درهم وانت تجود بما تجود به فقال ذاك مالي جدت به وهذا عقلي بخلت به .

**

(١٠٤) قال ابو العيناء كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دؤاد ان قوما من أهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوى كثيرة منها اني رافضي فخرجت إلى سر من رأى والقيت نفسي على ابن ابي‌دؤاد فشخصوا إلى سر من رأى فقلت له القوم قد قدموا من البصرة يدا علي قال يد الله فوق ايديهم قلت ان لهم مكراً قال ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين قلت هم كثيرون قال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله قلت لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي ويروى الصموت الكلابية على انها امرأة :

لله درك أي جنة خائف ومتاع دنيا انت للحدثان
متخمط يطأ الرجال غُلُبّة وطء الفنيق دوارج القردان
ويكبهم حتى كان رؤوسهم مامومة تنحط للغربان
ويفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كأنه بابان

فقال لابنه الوليد أكتب هذه الأبيات فكتبها .

**

(١٠٥) كان للمغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة جدي يوضع على مائدته فحضره اعرابي ومد يده إلى الجدي وجعل يسرع فيه فقال له المغيرة انك لتأكله بحرد كان امه نطستك قال وانك لمشفق عليه كان امه ارضعتك .

**

(١٠٦) اجتمع كوسج ومسبل فقال المسبل (والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا) فقال الكوسج (لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث)

**

(١٠٧) ادخل مالك بن اسماء سجن الكوفة فجلس اليه رجل من بني مرة فاتكأ عليه المري يحدثه ثم قال اتدري كم قتلنا منكم في الجاهلية قال اما في الجاهلية فلا ولكن اعرف من قتلتم منا في الاسلام قال ومن قتلنا منكم في الاسلام قال انا قد قتلتني بنتن ابطيك .

**

(١٠٨) كان رجل يحدث باخبار بني اسرائيل فقال له الحجاج بن خيثمة ما كان اسم بقرة بني اسرائيل قال خيثمة فقال له رجل من ولد ابي موسى الاشعري اين وجدت هذا قال في كتاب عمرو بن العاصي .

**

(١٠٩) بعث بلال بن ابي بردة إلى ابي علقمة الممرور فلما اتى قال أتدري لم بعثت اليك قال لا قال بعثت اليك لا ضحك منك قال لقد ضحك احد الحكمين من صاحبه يعرض له بجده ابي موسى فغضب بلال وامر به إلى الحبس فكلمه الناس وقالوا المجنون لا يعاقب فأطلقه واتي به اليه في يوم سبت وفي كمه طرائف اتحف بها في الحبس فقال له ما هذا الذي في كمك قال قال من طرائف الحبس قال ناولني منها قال هو يوم سبت لا يعطي فيه ولا

يؤخذ يعرض بعمة له كانت من اليهود .

* *

(١١٠) قال رجل لابن شبرمة من عندنا خرج العلم اليكم قال نعم ثم لم يرجع اليكم .

* *

(١١١) قالت عاتكة بنت الملاءة لرائض دواب زوجها في طريق مكة ما وجدت عملا شرا من عملك انما كسبك باستك فقال لها جعلت فداك ما بين ما اكتسب به وما تكتسبين به انت الا اصبعان قالت ويلي عليك خذوا الخبيث فطلبه حشهما ففاتهم ركضا .

* *

(١١٢) ولى المنصور سليمان بن دابل الموصل وضم اليه الفا من العجم وقال قد ضممت اليك الف شيطان تذل بهم الخلق فأفسدوا في نواحي الموصل فكتب اليه المنصور كفرت النعمة فكتب اليه وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فضحك المنصور وامده بغيرهم .

* *

(١١٣) قال الفرزدق ما عييت بجواب احد مثل ما عييت بجواب امرأة وصبي ونبطي (أما المرأة) فذهبت إلى النهر اسقي بغلتي فإذا جماعة نسوة فلما همزت البغلة حبقت فاستضحك النسوة فقلت لم تضحكن فوالله ما حملتني انثى الا فعلت مثلها فقالت احداهن فكيف بأمك وقد حملتك تسعة اشهر (واما الصبي) فكنت انشد بجامع البصرة وفي حلقتي الكميت وهو صبي فأعجبني حسن استماعه فقلت كيف سمعت قال حسن قلت فسرك اني أبوك قال أما ابي فلا اريد به بديلا ولكن وددت انك امي (واما النبطي) فلقيته بيثرب فقال انت الفرزدق قلت نعم قال انت الذي يخاف الناس لسانك لملت

نعم قال إذا هجوتني يموت فرسي هذا قلت لا قال فيموت ولدي قلت لا قال فأموت أنا قلت لا قال فأدخلني الله في حرام الفرزدق من رجلي إلى عنقي قلت ولم تركت رأسك قال حتى أرىٰ ما تصنع الزانية .

**

(١١٤) قال المسعودي في مروج الذهب ملك باليمامة رجل يقال له عمليق حكي انه احتكم اليه رجل وأمرأة في مولود بينهما (فقال الزوج) واسمه قابس ايها الملك اعطيتها مهرا كاملا ولم اصب منها طائلا إلا ولداً خاملا فافعل ما كنت فاعلا (فقالت الزوجة) واسمها هزيلة ايها الملك هذا ولدي حملته تسعاً ووضعته دفعاً وارضعته شفعاً ولم أنل منه نفعاً لقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له غطاء حتى إذا تم فصاله واشتدت أوصاله اراد زوجي أخذه كرهاً وتركي ولهي (فقال الزوج) ايها الملك اني حملته قبل أن تحمله ووضعته قبل أن تضعه (فقالت الزوجة) ايها الملك إنه حمله خفاً وحملته ثقلا ووضعه شهوة ووضعته كرهاً فلما رأى عمليق متانة حجتها حكم لها بالولد ومر في محاكمة ابي الأسود وزوجته ما فيه شيء من هذا .

**

(١١٥) دخل المتنبي على بعض الملوك وعنده الشيخ أبو علي الآمدي فقال له الملك واجله ولم يلتفت المتنبي إلى الآمدي فقال الملك هذا الشيخ الآمدي فقال المتنبي لا أعرفه فأسرها الآمدي ثم أخذ المتنبي في قراءة قصيدة له حتى وصل إلى بيت فيه لفظ التهاني والتعازي فقال الآمدي كيف جمعت التهنئة والتعزية وهما مصدران فلم يلتفت اليه المتنبي بل قال لمن بجانبه أو مسلم الرجل فضج أهل المجلس انه الشيخ المعظم فقال المتنبي التحيات المباركات الطيبات لله فخجل الآمدي وكل من في المجلس .

نوادر الكسالى والتنابل (١)

(١) كان التنابل يوماً جالسين على زبل فاحترق فلم يقوموا عنه كسلا فلما وصلت النار اليهم صاح احدهم آه قد احترقت فقال له رفيقه قل عني ورفيقي أيضاً قد احترق .

**

(٢) كان بعض التنابل جالساً في الشمس في حرارة الصيف والظل قريب منه فقيل له قم واجلس في الظل فقال بعد القليل يأتي الظل الي بدون ان اتكلف القيام اليه .

**

(٣) كان اثنان من التنابل نائمين على سطح فابنتها صباحاً فقال احدهما للاخر افتح عينيك وانظر هل طلعت الشمس فقال قاتلك الله ما اصعب تكاليفك (٢) .

**

(٤) زكى رجل آخر عند بعض العلماء لاثبات عدالته فوصفه بالتقوى والزهد فدعا له العالم بالتوفيق ثم قال الرجل في جملة كلامه حتى بلغ من زهده انه يعجن العجين بماء الحوض المتعفن فقال العالم لا لا لست اثبت عدالته هذا رجل من التنابل الحمقى لا من الزهاد .

---

(١) كان حقها أن تذكر في باب الملح والنوادر فأخرت إلى هنا سهواً .

(٢) هذا الثلاثة منقولة عن الفارسية .

الباب السادس

في أمور متفرقة

وفيه فوائد :

أولا : كتاب نادر

(١) عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل القديمة على كتاب مخطوط قديم جداً من بقايا ما أخطأته أيدي الحوادث والفتن وافران عكا في وقعة الجزار ومياه السقاف والارضية والفار وأيدي الجهلة وعوارض الاهمال كما كان حظ الكثير من نفائس كتب جبل عامل وهذا الكتاب من أنفس المخطوطات وعليه اجازات وخطوط قديمة لمشاهير العلماء بعضها قبل سبعة قرون ونصف وبعضها أقل من ذلك وهو :

(كتاب الكفاية في النصوص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام)

(أو كتاب كفاية الاثر في النص على الأئمة الاثني عشر)

ومؤلف هذا الكتاب ، أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز بالخاء المعجمة والزاي قبل الألف وبعدها القمي الرازي من أهل أواسط القرن الرابع من تلامذة الصدوق وأصله قمي وسكن الري (قال النجاشي) ثقة من أصحابنا وكان فقيهاً وجهاله كتاب الإيضاح في أصول الدين على مذهب أهل البيت عليهم السلام (وقال ابن شهرا شوب) في معالم العلماء انه قمي رازي متكلم فقيه له كتب . كتاب الإيضاح . كتاب الأحكام الدينية على

مذهب الامامية . كتاب الكفاية في النصوص (وقال العلامة في الخلاصة) كان ثقة من أضحابنا فقيهاً وجهاً (وقال العلامة المجلسي) في مقدمات البحار وكتاب كفاية الاثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر للشيخ السعيد علي بن محمد بن علي الخزاز القمي ثم قال وكتاب الكفاية كتاب شريف يؤلف مثله في الإمامة وهذا الكتاب ومؤلفه مذكوران في اجازة العلامة وغيرها وتأليفه أول دليل على فضله وثقته وديانته (وقال العلامة البهبهاني) في تعليقاته على رجال الميرزا الكبير رأيت كتاب الكفاية كتاباً مبسوطاً جيداً في غاية الجودة جميعه نصوص عن الرسول (ص) وعن غيره أيضاً في الأئمة الاثني عشر وفيه بعض تحقيقاته يظهر منه كونه في غاية الفضل ويظهر من ذلك الكتاب كونه من تلامذة الصدوق وأبي المفضل الشيباني ومن في طبقتهما (ونقل) عن المجلسي نسبة هذا الكتاب إلى المفيد وعن غيره نسبته إلى الصدوق وهو اشتباه قطعاً مع ان المجلسي صرح كما مر بكونه للخزاز إلاّ أن يكون المنقول عنه هو المجلسي الأول . وهذه النسخة التي رأيناها من نسخة جليلة قديمة بخط وورق وترتيب كلها في غاية الجودة وورقه لم يبله مر القرون وان اثر فيه وتفوق هذه النسخة في حسن الترتيب في كتابتها المطبوعات العصرية الجيدة الترتيب مما دل على ان القدماء لم يقصروا في ترتيب مخطوطاتهم وان المتأخرين منهم أخذوا وبهم اقتدوا وفي آخرها .

تم الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه وعونه ووافق الفراغ منه يوم الثلاثاء مستهل جمادى الأولى من سنة أربع وثمانين وخمسمائة انتهى فتكون كتابتها قبل ٧٦٣ سنة (وعلى ظهرها ما صورته) .

كتاب الكفاية في النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام تأليف الشيخ السعيد علي بن محمد القمي الخزاز رحمه الله تعالى .

وعلى ظهرها أيضاً إجازة بخط شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل القمي

وهو غير والد الفضل بن شاذان بن الخليل (١) وان كان شاذان بن جبرئيل يكنى بأبي الفضل وهذه صورة الإجازة .

قرأ علي السيد الأجل العالم الحسيب النسيب شهاب الدين جمال الإسلام محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني أدام الله سعده جميع كتاب (الكفاية في النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر) قراءة تفهم وتبين وكشف . وسمع بقراءته السيد الأجل العالم العابد الحسيب النسيب جمال الدين عز الإسلام سيد الشيعة أبو القاسم عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني اسبغ الله ظله واجزت لهما ان يروياه عني بحق قراءة وسماع عن الشيخ الفقيه السيد العالم فخر الدين محمد بن سرايا الحسني الجرجاني عن الشيخ الفقيه علي بن علي بن عبد الصمد التميمي عن أبيه عن السيد العالم أبي البركات الحوري عن المصنف رضي الله عنهم وكتب أبو الفضل شاذان بن جبرئيل بن إسماعيل القمي نزيل مهبط وحي الله ودار هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وكان ذلك في أربع مضين من صفر سنة أربع وثمانين وخمسمائة حامداً لله ومصلياً على نبيه محمد صلى الله عليه وآله .

وهذان اللذان أجازهما شاذان بن جبرئيل القمي بهذه الإجازة هما الأب والابن فكان الابن يقرأ عليه والأب يسمع فالأب هو أخو السيد حمزة ابن علي بن أبي المحاسن زهرة بن الحسن بن زهرة الحسيني المنتهي نسبه إلى الإمام الصادق عليه السلام صاحب الغنية المشهورة وأخوه هذا صاحب مؤلفات منها التجريد في الفقه والغنية عن الحجج والأدلة وتبيين المحجة في كون إجماع الإمامية حجة ورسالة الحج وأجوبة المسائل والابن ابن أخي السيد حمزة ويلقب بمحي الدين .

---

(١) وقيل ان شاذان لقب الخليل فشاذان هو الخليل نفسه المؤلف

وعلى ظهرها أيضاً بخط محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني بعد هذه الاجازة ما صورته :

قرأ علي ولدي أبو المكارم علي هذا الكتاب من أوله إلى آخره وأجزت له روايته عن الشيخ الفقيه سديد الدين أبي الفضل شاذان بن جبرائيل بن إسماعيل القمي رضي الله عنه حسبما أثبت في خطة عن المصنف رضي الله عنهم أجمعين وذلك في مدة آخرها ليلة العشرين من (ذهب من الأصل اسم الشهر) سنة أربع وستمائة كتبه محمد بن عبد الله بن علي بن زهرة الحسيني حامداً لله تعالى ومصلياً على رسوله صلى الله عليه وآله .

وعلى ظهرها أيضاً بخط الشيخ الجليل نعمة الله بن خاتون العاملي قدس الله روحه وهو خط جميل ما صورته :

تشرف بمطالعة هذا الكتاب وهو كتاب كفاية النصوص على عدد الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم فقير عفو الله نعمة الله بن أحمد بن خاتون العاملي وذلك في أواسط شهر جمادى الآخرة سنة سبعين وتسمعائة من الهجرة الفاخرة صلوات الله وسلامه على مشرفها وآله الأكرمين حامداً مصلياً .

وعلى ظهرها أيضاً : انتقل هذا الكتاب إلى ملك فقير عفو الله تعالى محمد ابن مكي تجاوز الله عن سيئاته وذلك بالبيع الصحيح الشرعي في نهار الاربعاء سابع شهر ربيع الآخر من شهور سنة تسعمائة وست وسبعين .

وعلى ظهرها أيضاً : هذا الكتاب وهو كتاب الكفاية في النصوص وقفته الحاجة بنت الحاج أحمد بن محارب على ولدها أفقر الورى محمد بن مكي وعلى أولاده وأولادهم ما تعاقبوا وتناسلوا المتصفين بطلب العلم ومن بعدهم على طلبة العلم من الإمامية لا يغير ولا يبدل فمن بدله بعدما سمعه فإنما أثمة على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وكتب بيده محمد بن مكي .

ومحمد بن مكي هذا غير الشهيد الأول لأن بينهما نحواً من مائتي سنة .

وفي أول الكتاب بعد التحميد والصلاة الذي استغرق ورقتين ما لفظه :

أما بعد فإن الذي دعاني إلى جمع هذه الأخبار عن الصحابة والعترة الأخيار في النصوص على الأئمة الأبرار اني وجدت قوماً من ضعفاء الشيعة ومتوسطيهم متحيرين في ذلك متعجرفين يشكون فرط اعتراض الشبه عليهم وزمرات المعتزلة تلبيساً وتمويهاً عاضدتهم عليه حتى آل الأمر بهم إلى أن جحدوا أمر النصوص عليهم من جهة يقطع العذر بمثلها وزعموا ان ورود هذه الأخبار بالنصوص عليهم من جهة لا يقطع بمثلها العذر حتى افراط بعضهم وزعم ان ليس لها عن الصحابة أثر ولا عن أخيار العترة فلما رأيت ذلك كذلك ألزمت نفسي الاستقصاء في هذا الباب موضحاً ما عندي من البينات ومبطلاً ما أورده المخالفون من الشبهات تحدياً لمرضاة الله عز وجل وتقرباً إلى رسوله والأئمة من بعده . وابتدىء بذكر الروايات في النصوص عليهم من جهة أصحاب وسول الله صلى الله عليه وعلى آله المعروفين مثل عبد الله بن العباس . وسلمان الفارسي . وجابر بن سمرة . وجابر بن عبد الله الأنصاري . وأنس بن مالك . وأبي هريرة . وعمر بن الخطاب . وزيد بن ثابت . وزيد بن أرقم . وأبي أمامة . وواثلة بن الأسقع . وأبي أيوب الأنصاري . وعمار بن ياسر . وحذيفة بن أسيد . وعمران بن الحصين . وسعد بن مالك . وحذيفة بن اليمان . وأبي قتادة الأنصاري . وعلي بن أبي طالب . وابنيه الحسن والحسين عليهم السلام (ومن النساء) . أم سلمة . وعائشة . وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله (ثم) اعقبه بذكر الأخبار التي وردت عن الأئمة صلوات الله عليهم ما يوافق حديث الصحابة في النصوص على الأئمة عليهم السلام ونص كل واحد منهم على الذي من بعده ليعلموا ان

انصفوا وتدينوا ولا يكونوا كما قال الله سبحانه (فما اختلفوا إلاّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم) إذ مثل هذه الأخبار تزيل الشك والريب ويقطع بها العذر وان الأمر آكد مما ذهبوا إليه وإلى الله أرغب في التوفيق والتسديد لما يحب ويرضي ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيي عن بينة وإن الله لسميع عليم .

باب ما جاء عن عبد الله بن عباس

عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله في النص على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام . حدثنا شيخنا محمد بن علي رضي الله عنه (يعني أبا جعفر بن بابويه رحمه الله) حدثنا محمد قال حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي قال حدثنا موسى بن عمران النخعي عن عمه الحسين بن بزيد النوفلي عن الحسن بن علي بن سالم عن أبيه عن أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ان الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض اطلاعة فاختارني منها فجعلني نبياً ثم اطلع الثانية فاختار منها علياً فجعله إماماً ثم أمرني ان أتخذه أخاً ووصياً وخليفة ووزيراً فعلي مني وأنا من علي وهو زوج ابنتي وأبا سبطي الحسن والحسين الا وان الله تبارك وتعالى جعلني واياهم حججاً على عباده وجعل من صلب الحسين أئمة يقومون بأمري ويحفظون وصيتي التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله يظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلة فيعلن أمر الله ويظهر دين الله ويؤيد بنصر الله وينصر بملائكة الله فيملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً .

وذكر باقي الأحاديث المروية عن ابن عباس في ذلك ثم نقل ما روي

عن بقية المذكورين من الصحابة والأئمة الأحد عشر من أمير المؤمنين إلى الحسن العسكري عليهم السلام كلا في باب يخصه . ومما لاحظناه في هذا الكتاب انه عند ذكر الصلاة على النبي (ص) يقول صلى الله عليه وعلى آله كما سمعت هكذا من أول الكتاب إلى آخره وبعد ما استكتبنا عنه نسخة لأنفسنا علمنا أنه مطبوع في بلاد ايران حماها الله تعالى فاستحضرنا منه نسخة ولكن أين هي من النسخة المخطوطة في حسن الوضع والترتيب والصحة .

ثانياً : كتاب آخر نادر

عثرنا في بعض مكتبات جبل عامل القديمة على كتاب مخطوط يعد من طرائف الكتب ونفائسها اسم مؤلفه (اختيار بن غياث الدين الحسيني) أما الكتاب فلم يوضع له اسم وهو حقيق أن يسمى :

نشر الطيب فيما يلزم للكاتب والخطيب

فرغ منه مؤلفه سلخ رجب سنة ٨٩٧ هجرية وجعل تاريخه كلمة (بسلخ رجب) وحروفها توافق بحساب الجمل ذلك العام ألّفه للكتاب والخطباء وأصحاب الإنشاء على نهج لم يسبق إليه ونسق لم يزاحم عليه فكان بذلك شبيهاً من بعض الجهات بكتاب (الألفاظ الكتابية) وكان تأليفه لبعض أمراء زمانه وبإشارته كما هو شأن أكثر مؤلفات القدماء الذين كانوا يؤلفونها بأسماء الملوك والأمراء ويأخذون عليها من الجائزة ما يعد ثروة عظيمة في هذا الزمان من الوف الدنانير والدراهم (إذ الناس ناس والزمان زمان) واسم الأمير المؤلف له الكتاب (علي) حيث قال فيه انه علي الاسم سمي اسد الله الغالب كرم الله وجهه من وجهين (١) يشتمل على ١٤٩ ورقة بقطع

(١) كأن مراده ان اسمه علي وكنيته أبو الحسن .

الثمن بخط جيد وورق جيد عملت فيه الأرضة لكنها اجتنبت سطوره واعتمدت حواشيه فكأن في الأرضة ظالم وراحم امثال الآدميين فكان تاماً لم ينقص منه شيء يبتدىء في كل باب منه بما يناسبه من الآيات القرآنية ثم الأحاديث النبوية القصيرة المناسبة ثم بكلمات العلماء والحكماء والامثال ثم بالأشعار مع مراعاة الاختصار في الكل فهو وإن كان موضوعاً للكتاب والخطباء إلاّ أنه مع ذلك مشتمل على فوائد نافعة أخلاقية وأدبية وحكمية وغير ذلك فعسى الله أن يوفق من يبرزه إلى عالم الطبع ليعم نفعه ومما سنورده من فهرسته الذي وضعه له مؤلفه ومن بعض ما نقلناه عنه يمكن للقارىء معرفته ومما قاله في خطبته . :

ومن لك بشيء يجمع القرآن والأخبار والحكم والأشعار والمواعظ والمزاجر والهزل والجد والمضحكات والمبكيات وما أودعت في هذه المجموعة يصلح للمنادمة والمحاضرة وتوشح به ادراج الرسائل يشتمل على نتف من الأخبار والآثار وفيه من الصفات الممدوحة والنعوت المذمومة وطرف من الحكم والأمثال المختصرة المأثورة جمعتها على اختصارها من كتب شتى لتحفظها ولتدخلها في مكاتباتك وتستعين بها في مخاطباتك وجعلت هذا الكتاب مشتملاً على عنوان وافتتاح وتسعة أسطر واختتام وفصل بالخير .

أما العنوان : ففي فهرست الكتاب وهو هذا :

الافتتاح : ثناء الملك الفتاح وذكر الرسول (ص) والكتاب فيه خمس كلمات :

(١) فيما يتعلق بثناء الله وتمجيده . (٢) فيما يناسب كتابه الكريم وكلامه القديم[1] . (٣) فيما يتعلق بمدح النبي (ص) . (٤) في ذكر الأئمة

---

(١) يمكن من هذا معرفة مذهب المؤلف المؤلف

وسادات آل العباء وسائر الأصحاب والأولياء . (٥) في العلم والعلماء .

السطر الأول : في السلاطين والملوك وفيه خمسة عشر حرفاً .

(١) في الخلافة وألقاب الخلفاء . (٢) في نواب السلاطين . (٣) في العدل والرفق والشفقة . (٤) في الظلم . (٥) في الحرب وكرامة الشهداء . (٦) في النهي عن سفك الدم الحرام . (٧) في البغي والغدر والخداع والخيانة والمكر والحيلة . (٨) في الشجعان والأسلحة والقلاع . (٩) في الهيبة والصلابة والهلاك والخراب والغرق والاستئصال . (١٠) في الفرار . (١١) في القصاص والمكافأة والمجازاة والانتقام . (١٢) في العداوة والبغضاء وتحقير العدو والاعتماد على الأعداء . (١٣) في الكتابة والرسالة . (١٤) في الصلح بين المتخاصمين . (١٥) في الفتح والنصرة والقلة والكثرة .

السطر الثاني : في القضايا السماوية وفيه ثلاثة أحرف :

(١) في الهداية والتوفيق . (٢) في القبض والبسط في الأرزاق . (٣) في القضاء والقدر .

السطر الثالث : في الأفعال المرضية والخصال الزكية وفيه عشرون حرفاً :

(١) في الإحسان والإنفاق والاستحياء والكرم . (٢) في الشكر على الانعام . (٣) في الصبر على الشدائد . (٤) في الصدق . (٥) في الوفاء بالعهد والأمانة وإنجاز الوعد واجتناب الخيانة وفيه ذكر الدين وادائه وما ورد في ذمه وثنائه . (٦) في التفويض والتوكل . (٧) في التوبة والاستغفار والشفاعة والاعتذار . (٨) في العفو وكظم الغيظ . (٩) في الحلم والمداراة والوقار والمواساة . (١٠) في التواضع . (١١) في التعفف والقناعة . (١٢) في حسن الخلق والتثبت والرفق . (١٣) في الحياء . (١٤) في الصمت وقلة الكلام . (١٥) في المشاورة . (١٦) في كتمان السر وإظهاره . (١٧) في

انتهاز الفرصة . (١٨) في الجد وعدم السعي في غير المقدور . (١٩) في الاقتصاد ورعاية الحد الوسط وذم الإسراف والتبذير . (٢٠) في النصيحة والدلالة على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

السطر الرابع : في الصفات الذميمة وفيه خمسة عشر حرفاً :

(١) في الكذب . (٢) في خلف الوعد . (٣) في النفاق . (٤) في العجب والتكبر . (٥) في الحقد والحسد . (٦) في البخل . (٧) في الطمع . (٨) في الحرص وطول الأمل . (٩) في الحمق والجهالة . (١٠) في الخفة والتعجيل . (١١) في الكسل والتسويف والتواني . (١٢) في الشك والظن . (١٣) في الغش . (١٤) في الامتنان . (١٥) في الغيبة والنميمة والهجاء .

السطر الخامس : في القرابة والأخوة والأصحاب وفيه تسعة أحرف :

(١) في بر الوالدين وذكر الآباء والأولاد . (٢) في الاخوة والاخاء وأحوال الاخوة والأخوات وصلة الأرحام . (٣) في الجارية والغلام وسائر الخدام . (٤) في النساء والنكاح . (٥) في الأحباب والأصدقاء والأصحاب . (٦) في الصاحب والجليس . (٧) في زيارة الأحباب وملاقاتهم والضيافة والهدية . (٨) في حق الجار . (٩) في التهاجر والشكوى والعتاب .

السطر السادس : في الفصاحة والكياسة والتدبير والفراسة وفيه خمسة حروف :

(١) في الفصاحة والشعر واللسان والبيان والكتب والكتابة . (٢) في ان الشرف بالفضل والأدب لا بالأصل والنسب . (٣) في العقل والحكمة والتفكير والفراسة والحزم والتدبير والاعتبار والتجارب والنظر في العواقب . (٤) في طلاقة الوجه وذكر الأعضاء وما فيها من الحس وفهم الضمير من الوجه واللحظ والكلام . (٥) في آثار الأمور وافضائها وظهور عواقبها

من المقدمات وان دلالة فعل المرء على أصله ونسبه من أعدل الشهادات .

السطر السابع : في الأرض وفيه خمسة أحرف :

(١) في الحج وزيارة النبي (ص) . (٢) في السفر والغربة . (٣) في حب الأوطان . (٤) في العمارة والزراعة والبساتين والرياحين . (٥) في الدواب والانعام .

السطر الثامن : في الزمان وفيه عشرة أحرف :

(١) في الليالي والأيام والشهور والأعوام . (٢) في الفصول الأربعة . (٣) في شكاية الزمان . (٤) في اختلاف الدهر واحتمال المكاره في نيل المكارم . (٥) في الزوال بعد الكمال . (٦) في اليسر بعد العسر والفرج بعد الحرج ونيل المسرة من حيث تخشى المضرة . (٧) في ذكر الدنيا ووصف المال . (٨) في الصحة والمرض والعاقبة والبلاء . (٩) في الشيب والشباب . (١٠) في الموت .

السطر التاسع : في المتفرقات وفيه أربعة أحرف :

(١) في الحق والباطل . (٢) في الفلكيات وما فيها من الآيات . (٣) في المتفرقات التي ليس لها مناسبة تامة لشيء من الحروف والسطور . (٤) في أسامي الكتب المشهورة ومصطلحات العلوم . (٥) في الأدعية .

الفصل بالخير : في الحكايات اللطيفة والمطايبات والمضحكات من الأسئلة والأجوبة وذكر من ارتج عليه وغير ذلك (تم) الفهرس الذي وضعه المؤلف ثم شرع في تفصيل هذا الاجمال فقال :

الافتتاح : في ثناء الملك الفتاح وذكر الرسول والكتاب وما يليق بهذا الباب مشتمل على خمس كلمات (الأولى) فيما يتعلق بثناء الله وتحميـــده وصفاته وتمجيده .

القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك الدين . الحمد لله فاطر السموات والأرض . ولله المشرق والمغرب . فسبحان الله رب العرش عما يصفون . وأورد آيات أخرى من هذا القبيل .

الأحاديث

لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . من تشاغل بالثناء على الله أعطاه الله فوق رغبة السائلين . كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله أقطع . الحمد رأس الشكر . ما شكر الله عبد لم يحمده .

الحِكَم والأمثال

الحمد لله الذي له الحمد والثناء ومنه المنع والاعطاء . الحمد فاتحة كل خير وتمام كل نعمة وبلوغ كل قصد . وأورد كلمات أخرى من هذا القبيل :

الأبيات

بحمد الله تُفتتح الأمور بذكر الله تنشرح الصدور

* *

إن لله علينا نِعما يعجز الشكر عن الشكر لها
فله الحمد على نعمائه وله الشكر على الشكر لها

* *

كيفية المرء ليس المرء يدركها فكيف كيفية الجبار في القدم
هو الذي أنشأ الأشياء مبتدعاً فكيف يدركه مستحدث النسم

* *

وفي كل شيء لـه آية تدل على أنـــه واحد

**

مليك عزيز لا يرد قضاؤه حكيم عليم نافذ الأمر قـاهر

**

كلما ترتقي إليـه بوهمٍ من جلال وقدرة وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى منه سبحان مبدع الأشياء

**

فحمداً له ثم حمداً له على ما كسانا رداء الكرم
وشكراً له ثم شكراً لـه على ما هدانا لشكر النعم

**

اعتصام الورى بمغفرتك عجز الواصفون عن صفتك
تب علينا فإنّنـــا بشر ما عرفناك حقّ معرفتك

الكلمة الثانية : فيما يناسب بكتاب الله الكريم وكلامه القديم .

القرآن

ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه . وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه تنزيل من حكيم حميد . ثم أورد عدة آيات من هذا القبيل .

الأحاديث

أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله . القرآن يحيي القلب الميت . القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق . القرآن هو الدواء . القرآن شفاء القلوب . القرآن شافع مشفع وشاهد مصدق .

الحِكَم والأمثال

إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين . رب تال للقرآن والقرآن يلعنه . كلام الله دواء القلب . إن أحسن الكلام كلام الله الملك العلام .

الأبيات

أهذا كتاب أم هو الحق قد بدا جلياً إلى طرق الهداية مرشدا
وهذي سطور أم امـــام مهذب يفرق ما بين الضلالة والهدى

**

كلام جليل جاء من خير قائل ليوصل أقواماً إلى جنة الخلد

**

كتاب الله روح مستبين هو البرهان والنور المبين
وجامع كل جامعة المعاني ففيه تفقهوا وبه استعينوا

الكلمة الثالثة : فيما يليق بمدائح النبي ونعوت كماله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

القرآن

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب . سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً . وما محمد إلاّ رسول . ومن يطع الرسول فقد أطاع الله . وأورد آيات أخرى من هذا القبيل .

الأحاديث

انا أفصح العرب والعجم . أنا سيد ولد آدم . أوتيت جوامع الكلم . كنت نبياً وآدم بين الماء والطين . أنا أكرم الأولين والآخرين آدم ومن دونه تحت لوائي والله لو كان موسى حياً لما وسعه إلاّ اتباعي . بيدي لواء الحمد ولا فخر . نصرت بالرعب مسيرة شهر . لي مع الله وقت لا يسبقني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل . نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور . ان الله بعثني لتمام مكارم الأخلاق وكمال محاسن الأفعال .

الحِكَم والأمثال

لولاك لما خلقت الأفلاك . صاحب الحوض المورود والمقام المحمود . قائد الغر المحجلين ورسول رب العالمين :

الأبيات

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم
فاق النبيين في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

* *

ليس كلامي يفي نبعت كماله صلى إلهي على النبي وآله

* *

بأي لسان نحمد السيد الذي على منكب الجوزاء من حمده ردا

* *

من كان خالق هذا الخلق مادحه فإن ذلك شيء منه مفروغ
فإن أطل أو أقصر في مدائحه فليس بعد بلاغ الله تبليغ

* *

سبقوك تاريخاً وأنت سبقتهم فضلاً فأنت السابق المسبوق

* *

عليه سلام الله ما لاح أزهر عليه سلام الله ما فاح عبهر

الكلمة الرابعة : في ذكر سادات آل العباء وكبار الأصحاب والأولياء .

القرآن

إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً . قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى . إنما وليكم الله ورسوله والذين

آمنوا . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً . إلاّ أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

الأحاديث

مثل اهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق . معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب (ومن فصل الخطاب) في حق علي عليه السلام . اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار . علي اخي وصاحب لوائي . انت مني بمنزلة هارون من موسى . من كنت مولاه فعلي مولاه . حب علي بن أبي طالب حسنة لا تضر معها سيئة وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة . رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله (١) أكرموا أولادي . احبوا اهل بيتي لحبي اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم . أكرموا اصحابي فانهم خياركم . خير القرون قرني . عند ذكر الأولياء تنزل الرحمة .

الحِكَم والأمثال

قوم بنور الخلافة يشرفون وبلسان النبوة ينطقون . اولى الناس بالمروة من له بنوة النبوة . اوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري .

الأبيات

على الله في كل الأمور توكلي وبالخمس اصحاب العباء توسلي

* *

(١) إلى هنا من فصل الخطاب (كذا بهامش الأصل) .

ما واحد من واحد اولى بمجد من مروه
ممن ابوه وجده بين الخلافة والنبوة

* *

ومالي إلا آل احمد شيعة ومالي إلا مشعب الحق مشعب

* *

واذا الرجال توسلوا بوسيلة فوسيلتي حبي لآل محمد

* *

هم النجباء الغر من رهط أحمد وهم بايعوه طائعين لدى الشجر

* *

عليهم سلام الله ما ناح طائر وما لاح للسارين في الظلم القمر

* *

لله تحت قباب العز طائفة اخفاهم في رداء الفقر اجلالا

* *

على ارواحهم تحف الهدايا من الله الذي خلق البرايا

* *

عليهم من الرحمن كل تحية وصلى عليهم ذو الجلال وسلما

الكلمة الخامسة : في العلم والعلماء والبحث عن فضيلة هؤلاء العظماء

القرآن

شهد الله انه لا آله الا هو الملائكة واولوا العلم قائماً بالقسط قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . واورد آيات اخر من هذا القبيل .

الأحاديث

العلماء ورثة الأنبياء . العلماء امناء الله على خلقه النظر في وجوه العلماء عبادة واورد أحاديث اخر من هذا القبيل .

الحِكَم والأمثال

ما منح والد ولداً افضل من آدب حسن قيمة كل امرء ما يحسنه . رتبة العلم اعلى الرتب . واورد اشياء كثيرة من هذا القبيل .

الأبياتّ

العلم انفس ذخر انت ذاخره من يدرس العلم لم يدرس مفاخره
اقبل على العلم واستقبل مقاصده فاول العلم اقبال وآخره

**

وانما العلم لاربابه ولاية ليس لها عزل

**

ان الأمير هو الذي يضحي اميراً عند عزله
ان زال سلطان الولا ية كان في سلطان فضله

**

اذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الشرع اولى باعتزاز
فكم طيب يطيب ولا كمسك وكم طير يطير ولا كبازي

واورد ابياتاً كثيرة من هذا القبيل ومما جاء في الكتاب .

الحرف التاسع : في العفو والتغافل والتجاوز والتجاهل .

القرآن

فمن عفى واصلح فاجرة على الله . خذ العفو وأمر بالعرف . وان تعفوا اقرب للتقوى . وليعفوا وليصفحوا . فاصفح الصفح الجميل . ولمن صبر وغفران ذلك من عزم الأمور . فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين

والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . وأورد آيات اخرى بهذا المعنى .

الأحاديث

من عفى عن الناس عفى الله عنه . من كظم غيظاً وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا واماناً . احسن العفو عند القدرة . ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً . ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم . من اقال نادما عثرته اقاله الله يوم القيامة . واورد احاديث أخر بهذا المعنى .

الحِكَم والأمثال

العفو عند الاقتدار من علو الأقدار . الكريم إذا قدر غفر واذا عثر بمساءة ستر . واورد اشياء كثيرة بهذا المضمون .

الأشعار

ولقد جمعت من الذنوب فنونها فاجمع من العفو الكريم فنونه
من كان يرجو العفو ممن فوقه عن ذنبه فليعف عمن دونه

* * *

هبني اسأت كما زعمـ ـت فأين عاقبه الأخوه
واذا اسأت كما اسأـ ـتُ فأين فضلك والمروه

* * *

رب رام لي باحجار الاذى لم اجد بداً من العطف عليه

* * *

ان كنت تعفو فاعف عفو مهني احسانه ان الكريم وهوب
قل قول يوسف حين قال لأخوة جاءوه معتذرين لا تثريب

اولا فعاقبني فليس بمنكر من مثلك التقويم والتأديب

* * *

أذنبت ذنباً عظيماً وانت للعفو اهل
فان عفوت فمن وان جزيت فعدل

* * *

فاغضاؤك العينين عن عيب صاحب لعمرك ابقى للاخاء وأشرف

* * *

خل اتى ذنبا إلي وانني لشريكه في الذنب ان لم أغفر

وأورد ابياتاً أخر في هذا المعنى :

الحرف العاشر : في الحلم والمداراة والوقار والمساواة :

القرآن

ان ابراهيم لحليم أواه . وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . وجادلهم بالتي هي احسن . ادفع بالتي هي احسن .

الحديث

ان الحليم كاد يكون نبياً . زين الإسلام الحلم . ان الإنسان ليدرك بالحلم درجة الصائم والقائم . مداراة الناس صدقة . المداراة نصف المعيشة . رآس العمل (١) بعد الإيمان مداراة الناس . ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف . انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم . ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرائض .

(١) وفي رواية أس العمل (كذا في هامش الأصل) .

الحِكَم والأمثال

دعامة العقل الحلم . الحلم حجاب الآفات . جمال المرء في الحلم . اول فائدة الحليم ان الناس اعوانه . واورد اشياء كثيرة من هذا القبيل .

الأشعار

لعمرك ان الحلم زين لأهله وما الحلم إلا عادة وتحلم

* * *

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم انني إلى الجهل في بعض الأحايين احوج
ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقوم ومن شاء تعويجي فاني معوج

وأورد ابياتاً اخرى في هذا المعنى ومما اورده الكتاب المذكور — (الحرف الثاني عشر) في حسن الخلق والتثبيت والرفق واللينة وما فيها من الحسن والزينة .

القرآن

انك لعلى خلق عظيم . فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والمواعظة الحسنة وجادلهم باللتي هي احسن . وقولوا للناس حسناً فقل لهم قولا ميسورا . واورد آيات آخر بهذا المعنى :

الأخبار

حرم الله النار على كل هين لين . من شاء خلقه عذب نفسه . خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق . لا حسن كحسن الخلق . ان الله

سبحانه رفيق يحب الرفق . من يحرم الرفق يحرم الخير كله . واورد احاديث اخرى كثيرة بهذا المعنى :

الحِكَم والأمثال

حسن الخلق غنيمة . في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق . الحسن الخلق ذو قرابة عند الأجانب والسيىء الخلق اجنبي عند الأقارب سوء الخلق وحشة لاخلاص منها . الرفق يمن والخرق شوم . لين الكلام قيد المحبة . واورد اشياء كثيرة من هذا القبيل ثم قال .

لطيفة

قال ابو العيناء يوماً لصاعد بن المخلد : انت ايها الوزير افضل من رسول الله (ص) قال وكيف ويحك قال ان الله عز وجل قال لرسوله مع جلالة قدره ونباهة امره (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) وانت فظ غليظ القلب ولسنا ننفض من حولك .

الأبيات

اني نصحتك وعظي فلا تقل قلّ حظي
ولا تكن قط فظاً فلا صديق لفظ

* * *

خذ العفو وأمر بعرف كما أمرت واعرض عن الجاهلين
ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن لذوي الجاه لين

واورد ابياتاً اخرى في ذلك ومما اورده في الكتاب المذكور .

الحرف التاسع : في الشيب والشباب وما فيهما من العذب والعذاب .

القرآن

ربي اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً . وقد بلغت من الكبر عتياً . ومن نعمره ننكسه في الخلق . واورد آيات اخرى في ذلك .

الأخبار

يقول الله الشيب نوري . من شاب شيبة في الإسلام فله نور يوم القيامة خير شبابكم من تشبه بكهولكم وشر كهولكم من تشبه بشبابكم . يشيب ابن آدم فيشب فيه اثنتان الحرص وطول الأمل . الشباب شعبة من الجنون . واورد اخبار اخر بهذا المعنى .

الحِكَم والأمثال

الشيب مطية الأجل وطريدة الأمل . من بلغ السبعين اشتكى من غير علة . واورد اشياء كثيرة من هذا القبيل .

الأشعار

الشيب ينهض في الشباب كأنّـه ليـل يصيح بجانبيـه نهـار

* * *

تفكرت في شيب الفتى وشبابـه فأيقنت ان الحق للشيب واجب
يصاحبني شرخ الشباب فينقضي وشيبي لي حتى أموت مصاحب

* * *

فإن المشيب كصبح بدا وإن الشباب كظل افل
تولى الشباب كأن لم يكن وحل المشيب كأن لم يزل

* * *

لله أيام السرور كأنّـها كانت لسرعة مرها أحلاما
يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا عاماً ورد من الصبا أياما

ومما ذكر في هذا الكتاب أسامي الكتب فعد فيه أسماء كتب التفسير مصطلحات الحديث . أسماء كتب الفقه أصولاً وفروعاً . مصطلحات الأصول . أسامي كتب التصوف والأخلاق . مصطلحات الصوفية . النحو والمعاني واللغة . مصطلحات المعاني والبيان . كتب الطب . كتب الكلام . كتب الحكمة . كتب المنطق . مصطلحات المنطق . مصطلحات الحساب والهيئة . مصطلحات الشعر . مصطلحات المعمّى .

ثم أورد في آخره أشياء كثيرة جداً من اللطائف والمضحكات (منها) ولي المنصور سليمان بن راشد على الموصل وضم إليه ألفاً من العجم وقال قد ضممت إليك ألف شيطان تذل بهم الخلق فعاثوا في نواحي الموصل فكتب إليه : أكفرت النعمة يا سليمان فأجاب . وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا فضحك المنصور وأمده بغيرهم .

(ومنها) قال أبو عبادة البحتري : دخلت يوماً دار الفتح بن خاقان فوجدت الشعراء في دهليز داره وبينهم صبي صغير قصير القامة فقلت من أنت يا غلام قال شاعر فتبسمت تعجباً منه ثم قلت أجز (ليت ما بين من أحب وبيني) فقال من القرب أم من البعد فقلت من القرب فقال (مثل ما بين حاجبي وعيني) فقلت فإن أردناه من البعد فقال (مثل ما بين ملتقى الخافقين) فأخذت بيده وأوصلته إلى الفتح وأخبرته بما دار بيني وبينه فتعجب منه وأجازه .

ومما نقلناه من هذا الكتاب تعلم انه فريد في بابه عزيز النظير بين أمثاله وفق الله تعالى لطبعه وانتشاره

ثالثاً : كتاب عنوان المعارف وذكر الخلائف

تأليف الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

عثرنا في جملة خبايا الزوايا على مجموع مخطوط فيه كتاب عليه هذا العنوان يشتمل على ذكر النبي (ص) ومن خوطب بالخلافة بعده إلى المطيع العباسي بوجه الاختصار تأليف الوزير كافي الكفاة الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أحد كتاب الدنيا الأربعة فأحببنا إثباته في كتابنا هذا لأنه على اختصاره من الكتب النادرة مع ما لمؤلفه من الشهرة الطائرة واتبعناه بذكر باقي الملوك العباسية ممن خوطب بالخلافة إلى المستعصم قال المؤلف :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الواحد العدل وصلى الله على النبي وخيرة الأهل . قد أسعفتك بالمجموع الذي التمسته في نسب النبي صلى الله عليه وعلى آله وبنيه وبناته وعماته وجمل من غزواته وسائر ما يتصل بذلك من ذكر مولده ومبعثه وهجرته وتسمية أفراسه ونوقه وسيفه ودرعه . واتبعت ذلك بذكر من خوطب بالخلافة على النسق غير مرتب للمفضول والفاضل والجائر والعادل أذلو ابتدأت بأتم الخلفاء فضلاً وأعدلهم عدلاً لافتتحت بسيد المهاجرين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين وذكرت عند انتهائي إلى كل منهم اسم أمه ونبذا من حاله وأسماء خلفائه وكتابه وحجابه ونقش خاتمه بعد أن آثرت الاختصار الذي طلبته والايجاز الذي حاولته ووسمت هذا المختصر (بعنوان المعارف وذكر الخلائف) فإذا أنت حفظتا أتاك ما بعده بشرح وإيضاح وتلخيص وإفصاح إن شاء الله .

النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم (١)

أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن نضر ابن كنانة بن خزيمة بن مدركه بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي . وجدته برة بنت أسد بن عبد العزى .

أولاد النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم

القاسم وعبد الله ويسمى الطيب الطاهر وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم أمهم خديجة بنت خويلد وإبراهيم وأمه مارية القبطية أهداها المقوقس ملك الإسكندرية إلى النبي صلى الله عليه (وآله) .

أزواج النبي صلى الله عليه (وآله)

خديجة بنت خويلد وما تزوج بامرأة حتى ماتت وسودة بنت زمعة وعائشة بنت أبي بكر الصديق ولم يتزوج بكراً غيرها وحفصة بنت عمر وزينب بنت جحش وأم سلمة وزينب بنت خزيمة أم المساكين وأم حبيب بنت أبي سفيان وميمونة بنت الحارث واشترى جويرية بنت الحارث فأعتقها وتزوجها وكذلك فعل بريحانة بنت شمعون وصيفة بنت حُيي .

أعمام النبي صلى الله عليه (وآله)

أبو طالب (٢) والزبير وحمزة والمقوم والعباس وضرار والحارث وقثم وأبو لهب والغيداق .

---

(١) لفظة وآله لم تكن موجودة في الأصل هنا وفي جميع ما يأتي المؤلف

(٢) واسمه عبد مناف .

عمات النبي صلى الله عليه (وآله)

صفية أم الزبير بن العوام وعاتكة وأم حكيم وبرة وأميمة وأروى .
ووزيره ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

افراس النبي صلى الله عليه (وآله)

لزاز والظرب والمرتجز واليعسوب وناقته القصوا والعضبا والصهبا وحماره يعفور وبغلته دلدل وخاتمه من حديد ملوي عليه فضة نقشه (محمد رسول الله) في ثلاثة أسطر ودرعه تسمى ذات الفضول وسيفه ذو الفقار و حاجبه مولاه أنس . ولد رسول الله صلى الله عليه (وآله) عام الفيل ودفعته أمه إلى اظاره من بني سعد بن بكر فكان عندهم خمس سنين ثم ردوه عليها فأخرجته أمه إلى أخواله بالمدينة بعد سنة فتوفيت بالابواء وردته أم أيمن حاضنته إلى مكة وخرج مع أبي طالب إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة وشهد الفجار وهو ابن عشرين سنة وخرج إلى الشام في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها بعد ذلك بشهرين وأيام وبنيت الكعبة ورضيت قريش بحكمه صلى الله عليه (وآله) فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه أبو طالب وهو عليه السلام قد قارب الخمسين وتوفيت خديجة بعده بثلاثة أيام ثم خرج إلى الطائف ومعه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة ثم رجع إلى مكة وأسري به إلى بيت المقدس بعد سنة ونصف من رجوعه إلى مكة ثم هاجر معه أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر وعبد الله بن أريقط وخلف أمير المؤمنين علياً عليه السلام بمكة على ودائع للناس كانت عنده حتى اداها ثم لحق به وكانت هجرته عليه السلام وهو ابن ثلاث وخمسين ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول وكان التاريخ من ذلك ثم رد الى المحرم .

جمل من مغازيه عليه السلام المشهورة

غزوة بدر

بدر اسم بئر كانت لرجل يدعى بدراً وكان المشركون تسع مائة وعشرين والمسلمون ثلاثمائة وبضع (١) عشرة وقتل من المشركين خمسون وأسر أربعة وأربعون وكان العباس بن عبد المطلب فيمن أسرو كذلك عقيل بن أبي طالب وكانا أخرجا مكرهين وكان في الأسرى عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث ابن كلدة فقتلهما النبي صلى الله عليه (وآله) صبراً واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً وكانت بدر في شهر رمضان سنة اثنتين لتسع عشرة ليلة خلت منه .

غزوة أُحُد

كانت سنة ثلاث في شوال صارت قريش لحربه صلى الله عليه (وآله) فخرج في ألف رجل من أصحابه وهم ثلاثة آلاف وكانت على المشركين حتى خالفت الرماة ما رسم لهم رسول الله صلى الله عليه (وآله) واشتغلوا بالغنائم فأصيب المسلمون واستشهد حمزة رضي الله عنه وغيره وقتل الخلق من الكفار .

الخندق وما بعده

كان الخندق في سنة أربع ثم يوم بني قريضة في شوال سنة أربع ثم قاتل بني المصطلق وهي لحيان في شعبان سنة خمس ثم قاتل يوم خيبر سنة ست

(١) البضع بين الثلاث إلى العشر .

(وفيها) كانت الحديبية (وفيها) قدم جعفر بن أبي طالب من الحبشة (وفيها) كانت بيعة الرضوان ثم قاتل يوم الفتح في شهر رمضان سنة ثمان وفتح مكة وأقام بها خمس عشرة ليلة و (فيها) بعث إلى مؤتة فأصيب زيد وجعفر وعبد الله بن رواحة و (فيها) سار إلى حنين ثم صار إلى الطائف فحاصرهم ثم عاد إلى المدينة وأقام إلى سنة تسع و (فيها) خرج عليه السلام إلى تبوك وأقام بها وفتح عليه دومة الجندل ثم رجع إلى المدينة وأقام إلى الموسم وبعث أبا بكر أميراً على الحاج وحج هو عليه السلام سنة عشر ثم عاد إلى المدينة وقبض صلى الله عليه (وآله) يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وقد بلغ من السن ثلاثاً وستين سنة .

الخلفاء

أبو بكر الصديق (رض)

اسمه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة وكان يسمى بعتيق وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر وبويع له في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة يوم توفي النبي عليه السلام وبقي في الخلافة سنتين وأربعة أشهر وعشر ليال وتوفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة وكاتبه عثمان بن عفان وعبد الله بن أرقم وحاجبه سديف مولاه ونقش خاتمه (نعم القادر الله) .

عمر بن الخطاب أبو حفص (رض)

ابن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن فرط بن رياح بن عدي ابن كعب وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة استخلفه أبو بكر في جمادى

الآخرة سنة ثلاث عشرة لما حضرته الوفاة وبقي في خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام وكتب له عبد الله بن أرقم وزيد بن ثابت وكان حاجبه مولاه يرفا ونقش خاتمه (كفى بالموت واعظاً عمر) وقتل يوم الاربعاء لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين للهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة(١) .

عثمان بن عفان (رض)

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يكنى أبا عمرو وأمه أروى بنت كريز وأم أروى البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عما رسول الله (ص) وتوأمة أبيه وهي التي يقال لها البيضاء وبويع له أول سنة أربع وعشرين وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلاّ اثني عشر يوماً وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو ابن تسعين سنة ويقال ابن نيف وثمانين سنة وكان كاتبه مروان بن الحكم وحاجبه حمران ونقش خاتمه (آمنت بالله الذي خلق فسوى) .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أبو الحسن عليه السلام

ابن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه (وآله) لحا وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم أول هاشمية ولدت لهاشمي أسلمت وهاجرت إلى الله ورسوله بالمدينة وماتت بها ودفنها النبي صلى الله عليه (وآله) وقال هي أمي بعد أمي بويع له سنة خمس وثلاثين وكان الجمل سنة ست وصفين سنة سبع وقتل يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين وكانت خلافته خمس سنين إلاّ ثلاثة أشهر صلى عليه الحسن وهو الذي قال النبي صلى الله عليه (وآله) فيه ان ابني هذا سيد وقال فيه وفي الحسين هذان سيدا شباب

---

(١) والأصح انه قتل وهو ابن خمس وستين سنة (كذا بهامش الأصل) .

أهل الجنة وأبوهما خير منهما وقتل وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وقيل ابن خمس وستين سنة وكان نقش خاتمه (الله الملك الحق) وحاجبه قنبر مولاه وكاتبه عبد الله بن أبي رافع .

الحسن بن علي بن أبي طالب أبو محمد عليه السلام

لم يكن من أهل البيت أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه (وآله) ما بين السرة والرأس منه . أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه (وآله) بويع له في سنة أربعين وبقي أربعة أشهر خليفة ثم اعتزل وتوفي سنة خمسى بالمدينة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وكان نقش خاتمه (الله أكبر وبه أستعين) .

معاوية بن أبي سفيان

أبو عبد الرحمن وأبوه أبو سفيان واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس قال النبي صلى الله عليه (وآله) الخلافة بالمدينة والملك بالشام وقال الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم يكون ملكاً أمه هند بنت عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس بويع له سنة إحدى وأربعين في جمادى الأولى وتوفي بدمشق في رجب سنة ستين وقد ناهز الثمانين وكانت مدة غلبته على الأمر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وكان نقش خاتمه (لكل عمل ثواب) وكاتبه سرجون ابن منصور الرومي وحاجبه أبو أيوب زياد مولاه .

يزيد بن معاوية

أبو خالد أمه ميسون بنت بجدل طلقها معاوية وهي حامل بيزيد بويع له في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين توفي لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وستين وكانت مدة غلبته على الأمر ثلاث سنين وتسعة أشهر وكان الذي أخذ له العهد أبوه معاوية ونقش خاتمه (يزيد بن معاوية)

وكاتبه كاتب أبيه وحاجبه صفوان مولاه وكان سبب موته انه سكر فقام يرقص فسقط على رأسه فبدا دماغه .

معاوية بن يزيد أبو ليلى

ويقال أبو عبد الرحمن وأمه أم هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بقي في الأمر أربعين يوماً ومات وكان نقش خاتمه (بالله نفس معاوية) وكاتبه كاتب أبيه وحاجبه حاجب أبيه .

مروان بن الحكم

يكنى أبا عبد الملك مروان بن الحكم بن أبي العاص وأمه آمنة بنت علقمة ابن صفوان بن أمية وبقي له الأمر تسعة أشهر وكان بويع له في ذي القعدة سنة أربع وستين ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة اهلال شهر رمضان سنة خمس وستين وكان نقش خاتمه (العزة لله) وكان كاتبه كاتب معاوية وحاجبه أبو سهيل مولاه .

عبد الملك بن مروان

أبو الوليد أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص وكاتبه كاتب معاوية وبقي له الأمر ثلاث عشرة سنة وأربعة أشهر بويع له ليلة الأحد في شهر رمضان سنة خمس وستين وتوفي للنصف من شوال يوم الخميس سنة ست وثمانين وله اثنان وستون سنة .

الوليد بن عبد الملك

أبو العباس وأمه أم الوليد واسمها ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بويع له للنصف من شوال سنة ست وثمانين وتوفي يوم السبت للنصف من

جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وكان استيلاؤه على الأمر تسع سنين وسبعة أشهر وفي خلافته مات الحجاج ونقش خاتمه (يا وليد انك ميت) وحاجبه سعيد وكاتبه القعقاع العبسي .

سليمان بن عبد الملك

أبو أيوب وأمه ولادة بنت العباس العبسية استخلف يوم توفي الوليد وتوفي في سنة تسع وتسعين لعشر بقين من صفر وكانت مدة استيلائه على الأمر سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام ونقش خاتمه (أومن بالله مخلصاً) وكاتبه سليمان بن نعيم الحميري وحاجبه عبيد مولاه .

عمر بن عبد العزيز بن مروان

أبو حفص أمه أم عاصم واسمها ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب استخلف في صفر سنة تسع وتسعين ومات بدير سمعان لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وكان مدة بقاء الأمر له سنتين وخمسة أشهر وأربعة أيام وكاتبه ليث بن رقية وحاجبه مولاه مزاحم ونقش خاتمه (اغز غزوة تجادل عنك يوم القيامة) .

يزيد بن عبد الملك (١)

أبو خالد أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية استخلف لخمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة وتوفي لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة وبقي له الأمر أربع سنين وشهراً ونقش خاتمه (قِني الحسابَ) وحاجبه مولاه خالد وكاتبه أسامة بن زيد السلمي .

---

(١) إليه ينسب نهر يزيد الذي بصالحية دمشق لا ليزيد بن معوية كما يتوهم البعض المؤلف

هشام بن عبد الملك بن مروان

أبو الوليد ولي شهر رمضان سنة خمس ومائة وتوفي لعشر خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة وكانت مدة غلبته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوماً وهو هشام الأحول أمه عائشة بنت هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة ونقش خاتمه (الحكم للحكَم الحكيم) وكاتبه سالم وحاجبه مولى عبد الملك .

الوليد بن يزيد بن عبد الملك

أبو العباس أمه أم محمد بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بويع له شهر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وبقي له الأمر سنة وشهرين وعشرين يوماً وكاتبه عياض بن مسلم .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك

أبو خالد أمه من ولد يزدجرد واسمها شاها فرند بنت يزدجرد وهو الذي يلقب بالناقص لأنه نقص الناس عطاياهم التي أسرف بها بنو مروان وكانت بيعته مستهل رجب سنة ست وعشرين ومائة ووفاته في ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ومدته خمسة أشهر وليلتين وكاتبه بكير بن شماخ اللخمي .

إبراهيم بن الوليد بن عبد الوليد بن عبد الملك

وأمه بربرية وكان قوم يسلمون عليه بالخلافة وقوم يأبون ذلك حتى قدم مروان بن محمد فخلع ابراهيم وقتل عبد العزيز بن الحجاج وولي الأمر مروان بن محمد بن مروان وكان مدة ولاية إبراهيم سبعين ليلة .

مروان بن محمد بن مروان بن الحكم

يكنى أبا عبد الملك أمه كردية-يقال لها لبانة بويع له في شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائة وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان الأمر بقي له خمس سنين وعشرة أشهر وليلتين وحاجبه صقلان مولاه وكاتبه عبد الحميد بن يحيى (١) .

ذكر من بويع له بالخلافة في مدة بني أمية

أبو عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام

وهو إمام الحق بايع له أهل الكوفة على رأس تسع وخمسين سنة وسبعة أشهر وعشرة أيام من الهجرة وأخرج إليه يزيد من حاربه وقتله بالطف يوم عاشورا سنة إحدى وستين من الهجرة وكانت له سبع وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثلاثة أيام وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه (وآله) تولى قتله وحز رأسه سنان بن أنس لعنه الله

عبد الله بن الزبير بن العوام

أبو بكر أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وهو أول مولود ولد في الهجرة هاجت فتنته بعد قتل الحسين عليه السلام وحج بالناس سنة ستين ولم يبايع له ثم حج بهم سنة إحدى وستين وبعث إليه يزيد بالجنود وحاربه وكان يوم الحرة وبايع الناس ابن الزبير سنة خمس وستين بعد موت معاوية بن يزيد

(١) هو عبد الحميد الكاتب المشهور أحد كتاب الدنيا الأربعة ابن العميد وعبد الحميد والصابي والصاحب المؤلف

ابن معاوية وقتل ابن الزبير يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين .

أبو القاسم محمد ابن أمير المؤمنين عليهم السلام

وهو محمد بن الحنيفة خلع المختار بن عبيد ابن الزبير وبايع لمحمد عليه السلام وكان النبي صلى الله عليه (وآله) أذن لعلي بن أبي طالب ان ولد له ولد بعده ان يكنيه بكنيته ويسميه باسمه دفن بالبقيع سنة إحدى وثمانين من الهجرة في ربيع الأول وهو ابن خمس وستين سنة لم يحسب كملها .

الضحاك بن قيس

ابن خالد الأكبر يكنى أبا أنيس دعا إلى نفسه فحاربه ابن الحكم بمرج راهط فقتله سنة أربع وستين .

عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية

يكنى أبا أمية وهو الأشدق وأمه أم البنين بنت الحكم بن أبي العاص ادعى ان مروان جعل له الخلافة ودعا إلى نفسه فرجع عبد الملك بن مروان (١) فقتلـــه .

عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي

خلع عبد الملك بن مروان في سنة إحدى وثمانين فحاربه الحجاج وكانت بينهما وقائع وهزمه الحجاج بدير الجماجم ثم قتل بعد ذلك .

---

(١) كان عبد الملك متوجهاً إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير فبلغه وثوب الأشدق بالشام فرجع واحتال عليه حتى قتله المؤلف

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة

دعا إلى نفسه وقال أنا القحطاني فسار إليه مسلمة بن عبد الملك في خلافة يزيد بن عبد الملك فقتله سنة اثنتين ومائة .

أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب

أمه أم ولد يقال لها جيداء قال النبي صلى الله عليه (وآله) لأمير المؤمنين انه يكون من ولدك رجل يقال له زيد يطأ هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غراً محجلين . ظهر بالكوفة داعياً إلى الله أيام هشام بن عبد الملك سنة إحدى وعشرين ومائة فقاتله يوسف بن عمر الثقفي وقتله وصلبه وأحرقه بعد ذلك وأذراه في الفرات .

عبد الله بن معوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

ظهر في أيام يزيد بن الوليد وبايع له أهل أصفهان ونواحي فارس وكرمان في سلطان بني العباس يقال ان أبا مسلم قتله في السجن .

ذكر بني العباس بن عبد المطلب

أبو العباس السفاح

عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب أمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد الدار الحارثية بويع له في شهر ربيع الأول وقيل الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكانت مدة بقاء الأمر له أربع سنين وعشرة أشهر توفي في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائة بالأنبار وصلى عليه عيسى بن علي وكان اشترى بردة النبي عليه السلام بأربع مائة دينار ووزيره أبو سلمة الخلال وفيه يقول الشاعر :

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك كان وزير (١)

وبعده خالد بن برمك وكاتبه ابو الجهم بن عطية وحاجبه خالد بن الهيثم مولاه ونقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وقاضيه يحيي بن سعيد الإنصاري .

أبو جعفر المنصور

عبد الله بن محمد بن علي امه سلامة بربرية بويع له سنه ست وثلاثين ومائة وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة قبل التروية بيوم وبقي له الأمر اثنتين وعشرين سنة غير ثلاثة ايام وقتل ابا مسلم صاحب الدولة في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة وكان وزيره خالد بن برمك ثم سليمان بن مجالد ابو ايوب المورياني ثم الربيع وكاتبه عبد الحميد بن يحيى وحاجبه عيسي بن نجيح ثم ابو الخصيب واستولى على امره كله ونقش خاتمه مثل نقش خاتم اخيه وقضاته عبيد الله ابن محمد بن صفوان وشريك بن عبد الله والحسن بن عمارة والحجاج بن ارطاة ومات وقد بلغ سنه ثلاثا وستين سنة واشهراً .

المهدي بن المنصور

ابو عبد الله محمد امه ام موسى بنت منصور بن عبد الله الحميري واستخلف يوم التروية سنة ثمان وخمسين ومائة وتوفي في المحرم سنة تسع وستين ومائة وبقي له الأمر عشر سنين وخمساً واربعين ليلة وكاتبه ابو عبد الله معوية بن عبيد الله بن بشار ثم يعقوب بن داود ثم ابو جعفر الفيض بن أبي صالح وحاجبه الربيع بن الحسن بن عثمان ثم الفضل بن الربيع وكانت بعينه اليمنى نكتة بياض وقاضيه محمد بن عبد الله بن علاثة وعافية بن يزيد .

(١) كان أبو سلمة هو الذي قام بالدعوة لبني هاشم في الكوفة وكان يلقب وزير آل محمد وكان هواه في آل أبي طالب فقتله السفاح وهذا هو الذي أراده الشاعر الما ؤلف

الهادي بن المهدي

ابو محمد موسى بن المهدي امه الخيزران من مولدات المدينة استخلف سنة تسع وستين ومائة وتوفي في سنة سبعين وبقي له الأمر سنة واربعة اشهر ووزيره الربيع بن يونس ونقش خاتمه (الله العظيم) وقاضيه ابو يوسف وسعيد بن عبد الرحمن وحاجبه الفضل بن الربيع .

الرشيد

ابو جعفر هرون بن المهدي امه الخيزران استخلف شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة وبقي له الأمر ثلاثاً وعشرين سنة ومات بطوس في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائة ووزيره يحيى بن خالد وابناه الفضل وجعفر البرامكة إلى ان حدث بهم ما حدث واستولى عليه الفضل بن الربيع وكان من قبله حاجبه فوزر له وكان نقش خاتمه (بالله يثق هرون) وكان قاضيه الحسين بن الحسن العوفي ثم عون بن عبد الله المسعودي وحفص بن غياث وكان الرشيد عقد العهد لابنه محمد وسماه الأمين وبعده لعبد الله وسماه المأمون وبعده للقاسم ابنه وسماه المؤتمن .

الأمين

ابو عبد الله محمد بن الرشيد امه ام جعفر زبيدة ابنة جعفر الأكبر ابن ابي جعفر المنصور بويع له ليلة الخميس للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة وقتل ليلة الأحد لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وبقي له الأمر اربع سنين وتسعة اشهر ووزيره الفضل بن الربيع وكاتبه اسماعيل بن صبيح ونقش خاتمه (حسبي القادر) وقاضيه اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة ثم عزله وولي ابا البختري .

المأمون بن الرشيد

ابو العباس عبد الله امه مراجل من اهل باذغيس توفيت في ولادها للمأمون ولي يوم الإثنين لاربع بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة وتوفي يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ببلاد الروم وبقي له الأمر عشرين سنة وخمسة أشهر وخمسة عشر يوماً دفن بالبذندون من ارض طرسوس وقضاته الواقدي ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ثم بسر بن الوليد ثم يحيى بن اكثم وكان له عدة حجاب ووزيراه الفضل بن سهل ذو الرياستين ثم أخوه الحسن بن سهل ثم أحمد بن أبي خالد الأحول ثم ابو جعفر احمد بن يوسف ثم أبو عباد ثابت بن يحيى بن محمد بن يزداذ ونقش خاتمه (الله ثقة عبد الله وبه يؤمن) وفي ايامه بويع لابراهيم بن المهدي المعروف بابن شكلة سنة اثنتين ومائتين ولقب بالمبارك وظفر به المأمون في شهر ربيع الآخر سنة عشرين ومائتين فعفا عنه .

المعتصم بالله

ابو اسحق محمد بن الرشيد امه ماردة مولدة كوفية ولي في رجب لإثنتي عشرة ليلة خلت منه سنة ثماني عشرة ومائتين ومات سنة سبع وعشرين ومائتين وخلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وحاجبه وصيف التركي ووزيره الفضل بن مروان ثم أحمد بن عمار ثم محمد بن عبد الملك الزيات وقاضي قضاته احمد بن أبي دؤاد .

الواثق بن المعتصم

ابو جعفر هارون امه قراطيس رومية بويع له للنصف من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين وتوفي لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين

وثلاثين ومائتين وبقي له الأمر خمس سنين وتسعة اشهر وحاجبه وصيف ووزيره محمد بن عبد الملك وقاضيه احمد بن ابي دؤاد ونقش خاتمه « الواثق بالله » .

المتوكل على الله

ابو الفضل جعفر بن المعتصم امه شجاع ام ولد بويع له يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي الحجة سنة اثنتين ومائتين قتل ليلة الأربعاء لثلاث خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وكانت خلافته اربع عشرة سنة وتسعة اشهر وثمانية ايام وقتل بسر من رأى وقاضيه جعفر بن عبد الواحد بن سليمان الهاشمي ووزيراه محمد بن عبد الملك ثم محمد بن الفضل الجرجرائي وعبيد الله بن يحيى بن خاقان وحاجباه وصيف وبغا الكبير ونقش خاتمه (المتوكل على الله) وكان قد جعل العهد من بنيه لمحمد المنتصر وابي عبد الله المعتز ولابراهيم المؤيد .

المنتصر بالله

ابو جعفر محمد بن المتوكل امه روميه اسمها حبيبة بويع له في الليلة التي قتل فيها المتوكل وهي ليلة لأربعاء لاربع خلون من شوال سنة سبع واربعين ومائتين وكانت خلافته خمسة اشهر واياماً وقاضيه جعفر بن عبد الواحد ووزيره احمد بن الخصيب وحاجباه وصيف وبغا ونقش خاتمه (محمد بالله ينتصر) .

المستعين بالله

ابو العباس احمد بن محمد بن ابي اسحاق امه مخارق ام ولد بويع له في شهر ربيع الآخر لست خلون منه ثمان واربعين ومائتين وخلع نفسه بعد

ثلاث سنين وثمانية اشهر وثمانية وعشرين يوماً وبويع للمعتز وكان قاضي المستعين جعفر بن محمد بن عمار ووزراؤه احمد بن الخصيب ثم ابو صالح ابن يزداذ ثم محمد بن الفضل الجرجائي ثم شجاع بن القاسم ثم ابو صالح بن يزداذ ثانياً ثم محمد بن الفضل الجرجرائي ثانياً ونقش خاتمه (احمد بن محمد).

المعتز بالله

ابو عبد الله وقد قيل في اسمه الزبير ومحمد وهو ابن المتوكل امه قبيحة(١) بويع له يوم السبت لست خلون من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين وخلع نفسه بعد ثلاث سنين وستة اشهر واثنين وعشرين يوماً وما زال يعذب بعد الخلع حتى مات وكان قاضيه الحسن بن محمد بن ابي الشوارب وحاجبه سعيد بن صالح ووزراؤه جعفر بن محمود الإسكافي ثم عيسى بن فرخا نشاه ثم احمد بن اسرائيل ونقش خاتمه (المعتز بالله) .

المهتدي بالله

ابو عبد الله محمد بن الواثق امه قرب بويع له لثلاث بقين من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل بعد احد عشر شهراً وتسعة عشر يوماً ونقش خاتمه (امير المؤمنين) وحاجباه صالح بن وصيف وموسى ابن بُغا ووزراؤه جعفر بن محمود وابو صالح بن عمار ثم عمار بن سليمان ابن وهب وقاضيه الحسن بن محمد بن ابي الشوارب .

المعتمد أبو العباس

احمد بن المتوكل امه فتيان بويع له بالخلافة في رجب سنة ست وخمسين

---

(١) لقبت بذلك لشدة جمالها من باب تسمية الجثي ء باسم ضده المؤلف

ومائتين وتوفي في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة واحد عشر شهرا وخمسة عشر يوماً وكاتبه عبيد الله ابن يحيى بن خاقان والحسن بن مخلد وسليمان بن وهب والحسن بن مخلد ثانياً واسماعيل بن بلبل والحسن بن مخلد ثالثاً واحمد بن صالح بن شيرزاد واسماعيل بن بلبل ثانياً وصاعد بن مخلد وابراهيم بن محمد بن المدبر واسماعيل ابن بلبل ثالثاً وقاضيه ابن ابي الشوارب ثم أخوه وكان المستولي على الإمر أكثر أيام خلافته والمدبر لها اخوه (ابو احمد الموفق) وامه اسمها اسحق واسمه طلحة وقيل محمد وكان يلقب بالناظر لدين الله وتوفي في يوم الخميس لثمان بقين من صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين وكان المعتمد جعل العهد لابنه جعفر المفوض ثم نقض ذلك وجعله لاحمد ولقب بالمعتضد (١) .

المعتضد أبو العباس

احمد بن ابي احمد الموفق بن المتوكل امه ضرار ام ولد بويع له يوم الإثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وتوفي ليلة الإثنين لثمان بقين من شهر ربيع الآخر تسع وثمانين ومائتين وكانت خلافته عشر سنين وتسعة اشهر وثلاثة ايام ووزيره ابو عبيد الله بن سليمان والقاسم بن عبيد الله وقاضية اسماعيل بن اسحق ويوسف بن يعقوب وابن ابي الشوارب وحاجبه خفيف السمرقندي .

المكتفي بالله

ابو محمد علي بن المعتضد امه تركية اسمها جنجلك بويع له لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وتوفي لثلاث عشرة ليلة خلت

(١) وفي أيام المعتمد ظهر صاحب الزنج وحاربه الموفق اثنتي عشرة سنة حتى قتله المؤلف

من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين و بقي له الأمر ست سنين وستة اشهر واحد وعشرين يوماً ووزيره القاسم بن عبيد الله ثم العباس بن الحسن وقاضيه يوسف بن يعقوب وابنه محمد بن يوسف .

المقتدر

ابو الفضل جعفر بن المعتضد امه شعث بويع له يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين ومولده شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين ووزراءه العباس بن الحسن وابن الفرات ثم ابو القاسم علي بن عبد الله بن محمد الخاقاني دُق صدره (١) وعلى بن عيسى وابن الفرات ثانياً وحامد بن العباس وابن الفرات ثالثاً وابو القاسم الخاقاني ثانياً وابو العباس الخصيبي وعلي بن عيسى ثانياً وابو علي بن مقلة وسليمان بن الحسن وابو القاسم الكلواذاني والحسن بن القاسم بن عبيد الله وابو الفتح بن خنزابة وحاجبه سوسن ونصر القشوري وياقوت وقاضيه محمد بن يوسف وابو عمر وابو محمد الحسن بن ابي الشوارب وعمر بن محمد ابو الحسين ونقش خاتمه (محمد رسول الله) وقتل يوم الأربعاء لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة وبقي له الأمر اربعاً وعشرين سنة وشهرين وعشرة ايام وكانت في ايامه فتنة .

ابن المعتز

وذلك لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين وبايع له كثير من الناس ولقب بالمنتصف بالله ولم يلبث امره ان انحل في اليوم الثاني واحضر دار المقتدر بالله ووُجد بعد ذلك ميتاً .

---

(١) لقب بذلك لأنه كان كلما طلبت منه حاجة دق على صدره إجابة للطالب المؤلف

وفي ايام المقتدر سنة سبع عشرة وثلثمائة سعي نازوك في خلعه واحضر ابو منصور محمد بن المعتضد ولقب بالقاهر وسلم عليه بالخلافة فلم يلبث امره ان انتقض من جهة مؤنس والرجالة واعيد المقتدر إلى موضعه .

القاهر بن المعتضد

اسمه محمد يكنى ابا منصور امه قتول بويع له في شوال سنة عشر وثلثمائة وبقي له الأمر سنة وستة اشهر وخمسة ايام وخلع يوم الأربعاء لست خلون من جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وكان حاجبه سلامة اخا نجح ووزيره محمد بن علي بن مقلة ثم ابو جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله ثم ابو العباس الخصيبي وقاضيه ابو الحسين بن ابي عمير .

الراضي بن المقتدر

محمد ابو العباس امه ظلوم بويع له يوم خلع القاهر واستوزر محمد بن علي بن مقلة ثم عبد الرحمن بن موسى ثم ابا جعفر الكرخي ثم سليمان بن الحسن ثم ابا الفتح ثم البريدي ثم سليمان بن الحسن وقاضي قضاته ابو الحسين ثم يوسف والحسين ابناه وتوفي ليلة السبت لاربع عشرة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وبقي له الأمر ست سنين وعشرة اشهر وعشرة ايام .

المتقي بن المقتدر

ابو اسحق ابراهيم امه رومية اسمها خلوب بويع له يوم الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وكان حاجبه سلامة روزراؤه سليمان بن الحسن ثم ابو الحسين بن ميمون ثم البريدي ثم القراريطي ثم الكرخي ثم البريدي ثانياً ثم القراريطي ثانياً ثم ابو العباس الأصفهاني ثم ابو

الحسن بن مقلة ثم ولى ابا عبد الله البريدي وخلع وكحل يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وكانت مدته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً وقضاته يوسف والحسين ابنا ابي الحسين ثم احمد بن عبد الله الخزفي ابو الحسن .

المستكفي بن المكتفي

ابو قاسم عبد الله امه غصن بويع له يوم السبت لتسع بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وقاضيه أبو عبد الله بن ابي موسى واحمد بن عبد الله بن نصر ووزيره ابو الفرج السامري ثم ابو احمد الشيرازي وحاجبه احمد بن خاقان وخلع وكحل يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة وكانت مدته ستة عشر شهراً ويوماً .

المطيع بن المقتدر

ابو القاسم الفضل امه مشعلة بويع له يوم الخميس لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين وثلثمائة . ووجد في آخر الأصل المنقول عنه ما صورته .

تم الكتاب والحمد الله وصلواته ورحمته على نبيه وخيرته من خلقه محمد وعترته الطاهرة وحسبنا الله وحده ونعم الوكيل وكتب في رجب سنة عشرين واربعمائة .

ووجد بآخره أيضا ما صورته : نسخه ابو النجيب عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكريم الكرخي في شهور سنة ثمان وعشرين وخمسمائة بلغ مناه في آخرته ودنياه .

* * *

واتماماً للفائدة نذكر ما بقي من اخبار الخلفاء العباسيين بوجه الإختصار على نحو ما ذكره الصاحب رحمه الله في هذا الكتاب فنقول :

كان امر الخلافة في عهد المطيع ضعيفاً وفي ايامه رد القرامطة الحجر الأسود بعد ما مكث عندهم في هجر اثنتين وعشرين سنة . وكان قاضي قضاته ابا الحسن محمد من ولد ابي الشوارب ثم ابا العباس عبد الله ابن الحسن بن ابي الشوارب والتزم ان يؤدي كل سنة مائتي ألف درهم وهو أول من ضمن القضاء . ولم يبق للخليفة وزير انما كانت الوزراء لآل بويه . وخلع المطيع نفسه بطلب من سبكتكين التركي حاجب معز الدولة وكان قد اصابه فالج وثقل لسانه وذلك منتصف ذي القعدة سنة ٣٦٣ وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة اشهر إلا اياماً وتوفي سنة ٣٦٤ .

الطائع لله بن المطيع

ابو بكر عبد الكريم ولد سنة ٣١٧وبويع له سنة ٣٦٣ وخلع سنة ٣٨١. ونهبت دار الخلافة وكان الشريف الرضي حاضراً فبادر بالخروج فسلم وقال قصيدة منها :

من بعدما كان رب الملك مبتسماً إلي ادنوه في النجوى ويدنيني
امسيت أرحم من قد كنت اغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكيني
هيهات اغتر بالسلطان ثانية قد ضل ولاج ابواب السلاطين

وتوفي الطائع سنة ٣٩٣ وكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية اشهر وأياماً وصلى عليه القادر وكبر خمساً وكان محسناً إلى الشريف الرضي فرثاه بقصيدة أولها :

ما بعد يومك ما يسلو به السالي ومثل يومك لم يخطر على بالي

القادر بالله

أبو العباس أحمد بن الأمير اسحق بن المقتدر وأمه ام ولد اسمها دمنة بويع له في ثاني عشر شهر رمضان سنة ٣٨١ وفي أيامه جدد أمر الخلافة وعظم ناموسها وسلم اليه الطائع فأحسن اليه وتزوج بنت بهاء الدولة بن عضد الدولة وتوفي سنة ٤٢٢ وعمره ست وثمانون سنة وعشرة اشهر وخلافته احدى واربعون سنة وكسر .

القائم بأمر الله

أبو جعفر عبد الله بن القادر امه ام ولد أرمينة تسمى قطر الندى بويع له بعد موت ابيه بعهد منه سنة ٤٢٢ وأول من بايعه الشريف المرتضى وأنشد :

فاما مضى جبل وانقضى ... فمنك لنا جبل قد رسا
واما فجعنا ببدر التمام ... فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن في محل السرور ... وفم ضحك في خلال البكا
فيا صارماً اغمدته يد ... لنا بعدك الصارم المنتضي

وهي اكثر من هذا ، وفي أيامه كانت فتنه البساسيري فاستولى على بغداد وخطب للعلويين المصريين وحبس الخليفة في الحديثة حتى اعاده طغرل بك السلجوقي وقتل البساسيري سنة ٤٥٠ واستوزر القائم ابا طالب محمد بن أيوب وابا الفتح بن دارست ورئيس الرؤساء وفخر الدولة ابا نصر بن جهير وكان قاضيه ابن ماكولا وأبو عبد الله الدامغاني وفي أيامه انقرضت الدولة البويهيه وظهرت الدولة السلجوقية وتوفي ثالث عشر شعبان سنة ٤٦٧ وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة اشهر وخمسة عشر يوماً وفي أيامه زاد وقار الخلافة ونمت قوتها .

المقتدي بأمر الله

أبو القاسم عبد الله بن محمد بن القائم امه ارمنية تسمى أرجوان بويع له بعهد من جده سنة ٤٦٧ وكان أبوه قد توفي في حياة جده ولم يكن له غيره وامه حامل به فاخبرت جده بالحمل فسر به وزرله فخر الدولة بن جهير ثم ابنه عميد الدولة ثم حبس واخرج ميتاً فوزر له ظهير الدين محمد بن الحسين الهمذاني ثم عزل (وقضاته) أبو عبد الله الدامغاني ثم أبو بكر الشامي وعظمت الخلافة في أيامه اكثر من قبل وعمرت في بغداد عدة محال ومنع المقتدي عدة منكرات وتوفي فجأة خامس عشر المحرم ٤٨٧ وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية اشهر وأيام وخلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر .

المستظهر بالله

أبو العباس أحمد بن المقتدي بالله بويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٤٨٧ وعمره ست عشرة سنة وشهران وفي أيامه تفاقم حال الباطنية واستولوا على القلاع والحصون بخراسان (١) ولم يكن للوزارة في أيامه كبير ابهة ووزرله السيد الدولة أبو منصور بن جهير ثم عزل وحبس وسديد الملك المفضل بن عبد الرزاق الاصبهاني وزعيم الرؤساء أبو القاسم علي بن فخر الدولة بن جهير ثم عزل وهدمت داره ونظام الدين الحسين بن محمد وأبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله وأبو المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب (وقضاته) أبو بكر محمد بن المظفر الشامي ثم أبو الحسن علي بن قاضي القضاة ابي عبد الله محمد الدامغاني وفي سنة ٤٩٤أمر المستظهر بالجهر بالبسملة في الصلاة ولم تجر به عادة وتوفي سنة ٥١٢ وعمره أحدى واربعون سنة وستة أشهر واربعة أيام

(١) ومن قلاعهم قلعة (ألموت) بهزة أصلية وليست ال فيها للتعريف كما قد يتوهم المؤلف

وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر واحد عشر يوماً وكانت أيامه أيام سرور للرعية .

المسترشد بالله

أبو منصور الفضل بن المستظهر بالله وأمه ام ولد بويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٥١٢ وهرب أخوه أبو الحسن إلى الحلة مستجيرا بدبيس بن صدقة وكان مأوى الطريد فأكرمه كثيراً فبعث الخليفة في طلبه فابى دبيس أن يسلمه ثم ظفر به المسترشد فسجنه واستوزر أبا شجاع محمد بن الربيب ثم عزله واستوزر عميد الدولة أبا علي بن صدقة ثم قبض عليه واستنيب في الوزارة نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ثم استوزر نظام الملك احمد ثم أنو شروان بن خالد بن محمد القاشاني وفي سنة ٥١٧ جرى خلاف بين دبيس بن صدقة صاحب الحلة السيفيه وبين الخليفة أفضى إلى الحرب فأنكسر عسكر دبيس واسرت نساؤه وذراريه ولما عاد الخليفة إلى بغداد ثار العامة فيها ونهبوا مشهد باب التبن (مشهد الكاظمين ع) وقصد دبيس عرب المنتفق ثم التحق بالفرنج ثم الملك طغرل وجرت له أحوال يطول شرحها حتى قتله السلطان مسعود السلجوقي غيلة سنة ٥٢٩ وحصل بين المسترشد والسلطان مسعود السلجوقي حرب فاسره مسعود ثم وثب عليه الباطنية فقتلوه ومثلوا به في سابع عشر ذي العقدة بظاهر مراغة سنة ٥٢٩ وعمره ثلاث واربعون سنة وثلاثة أشهر وخلافته سبع عشرة سنة وستة أشهر وعشرون يوماً .

الراشد بالله

أبو جعفر المنصور بن المسترشد بويع له في السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ٥٢٩ بعهد من أبيه واستوزر جلال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة وجهز عسكراً لمحاربة مسعود السلجوقي وتوجه مسعود نحو العراق فوصل

بغداد بخمسة آلاف فارس فخرج الراشد إلى الموصل وكتب مسعود محضراً بخلع الراشد وأخذ خطوط للقضاة والشهود بالقدح فيه وفتوى العلماء بخلعه وحكم بذلك القاضي فخلع في منتصف ذي القعدة سنة ٥٣٠ وكانت خلافته أحد عشر شهراً وثمانية عشر يوماً ثم سار من الموصل إلى اصبهان فوثب عليه جماعة من الملاحدة فقتلوه على باب اصفهان سنة ٥٣٢ ودفن بظاهر اصفهان بشهرستان .

المقتفي لأمر الله

أبو عبد الله محمد بن المستظهر مولده ثاني عشر ربيع الأخر سنة ٤٨٩ وأمه ام ولد بويع له بعد خلع الراشد سنة ٥٣٠ واستوزر شرف الدين علي بن طراد الزينبي واحضر قاضي القضاة أبا القاسم على بن الحسين الزينبي وأعاده إلى منصبه ثم استوزر نظام الدين المظفر بن علي محمد بن جهير ثم أبا القاسم علي بن صدقة ثم عون الدين يحيى بن هبيرة وتوفي سنة ٥٥٥ وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة اشهر وستة عشر يوماً وهوأول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أول الديلم إلى الأن وأول خليفه تمكن من الخلافة وحكم على عسكره واصحابه من عهد المستنصر إلا أن يكون المعتضد وكان شجاعاً يباشر الحروب بنفسه وكان يبذل الاموال العظيمة لاصحاب الأخبار في جميع البلاد حتى لا يفوته شيء منها .

المستنجد بالله

أبو المظفر يوسف بن المقتفي وأمه ام ولد تدعى طاوس ولد مستهل ربيع الاخر سنة ٥١٠ وبويع له بعد وفاة أبيه بعهد منه سنة ٥٥٥ وكان للمقتفي حظية هي أم ولده أبي علي فلما اشتد مرض المقتفي احتالت على قتل المستنجد

فعلم بذلك وحبسها وولدها واقر ابن هبيرة على وزارته ثم استوزر بعد وفاته محمد بن ابي الفتح ابن البلدي وازال المكوس والضرائب وعزل قاضي القضاة علي بن احمد الداماني ورتب مكانه أبا جعفر عبد الواحد الثقفي وحل المقاطعات واعادها إلى الخراج فشق ذلك على العلويين بالكوفة والمشاهد ونسبوه إلى ابن هبير ولعنوه بالمشاهد وتوفي سنة ٥٥٦ م وكان مريضاً فخافه اكابر دولته على انفسهم فتواطؤا مع الطبيب على أن يصف له دخول الحمام فوصفه له فامتنع فادخلوه الحمام واغلقوا عليه حتى مات .

المستضيء بأمر الله

أبو محمد الحسن بن المستنجد بالله أمه ام ولد أرمنية تسمى غضة ولد سنة ٥٣٦ ولم يل الخلافة من اسمه حسن غيره وغير الحسن بن علي بن ابي طالب (ع) بويع بالخلافة يوم مات أبوه سنة ٥٦٦ واستدعى الوزير ابن البلدي ليبايع فلما حضر الدار عدل به إلى مكان وضربت عنقه والقي على مزبلة ثم سحب والقي في الدجله وقبض على القاضي بن المرخم وأخذ منه مالاً كثيراً فأعاده على اصحابه وكان ابن المرخم ظالماً جائزا في احكامه وفي ايامه وردت البشائر إلى بغداد بفتح مصر وانقراض الدولة الفاطمية وتوفي ثاني ذي العقدة سنة ٥٧٥ وخلافته نحو تسع سنين وسبعة أشهر وكان عادلاً حسن السيرة كان الناس معه في أمن عام واحسان شامل ووزراؤه عضد الدين أبو الفرج محمد بن ابي الفتوح عبد الله ابن رئيس الرؤساء إلى أن قتل سنة ٥٧٣ ثم ظهير الدين أبو بكر منصور بن نصر المعروف بالعطار .

الإمام الناصر لدين الله

أبو العباس أحمد بن المستضيء أمه ام ولد تركية اسمها زمرد بويع له عند وفاة أبيه سنة ٥٧٥ فأقر ابن العطار وزير أبيه أياماً يسيره ثم نكبه وحبسه

ثم أخرج بعد أيام ميتاً على رأس حمال فرجمه العامة واخرجوه من التابوت ومثلوا به بما يقبح ذكره ثم وزر له جلال الدين أبا المظفر عبد الله ثم معز الدين سعيد بن علي بن حديدة الانصاري ثم مؤيد الدين أبو المظفر محمد بن أحمد بن القصاب ثم نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي الرازي ثم مؤيد الدين محمد ابن محمد بن عبد الكريم القمي وكان الناصر يتشيع ولم يكن في أهل بيته من يتشيع غيره سوى ما كان من المأمون كما أنه لم يكن في بني حمدان من ليس بشيعي سوى ناصر الدولة الذي ذهب إلى مصر وهو من نسل ناصر الدولة الحمداني الشهير والناصر هو الذي كتب اليه علي بن صلاح الدين الايوبي لما استبد عليه أخوه عثمان وعمه أبو بكر بن أيوب :

مولاي أن ابا بكر وصاحبه عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وبايعاه وحلا عقد بيعته والامر بينهما والنص فيه جلي
فانظر إلى حظ هذا الإسم كيف لقي من الاواخر مالاقى من الاول

فأجابه الإمام الناصر :

وافى كتابك يا ابن يوسف معلناً بالحق يخبران اصلك طاهر
غصبوا علياً حقه إذ لم يكن بعد النبي له بيثرب ناصر
فاصبر فان غداً عليه حسابهم وابشر فناصرك الإمام الناصر

وهو الذي بنى سرداب الغيبة في سامرا وجعل فيه شباكاً من الآبنوس الفاخر كتب عليه اسمه وتاريخ عمله وهو باق لهذا الوقت كانما فرغ منه الصناع الآن وتوفي الناصر في أول شوال سنة ٦٢٢ بالدوسنطاريا وكان عمي في آخر عمره وعمره نحو سبعين سنة ومدة خلافته ست واربعون سنة وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً ولم يل الخلافة من أهل بيته أطول مدة منه وكان قد طلب الشريف قتادة أمير مكة ليحضر عنده فجاء حتى وصل الكوفة فاستقبله الناس

ومعهم أسد في قفص حديد فتطير من ذلك وقال لا أدخل بلداً تؤسر فيه الأسود ورجع فأرسل اليه الناصر يعاتبه فأجابه بابيات منها :

ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها ... بيوم الوغى أشري بها وأبيع
تظل ملوك الأرض تلثم ظهرها ... وفي وسطها للمجد بين ربيع
أأجعلها تحت الرحى ثم ابتغي ... خلاصا لها أني إذاً لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة ... يضوع واما عندكم فيضيع

فأرسل اليه الناصر يتهدده وكان بينه وبين أمير المدينة الشريف الحسيني منازعة فكتب إلى أمير المدينة أبياتاً منها :

بني عمنا من آل موسى وجعفر ... وآل علي كيف صبركم عنا
إذا ما أخ خلى أخاه لآكل ... بدا بأخيه الاكل ثم به ثنى

فأتفق الأميران على حرب الناصر فكف عنهما .

الظاهر بأمر الله

أبو نصر محمد بن الإمام الناصر بويع له سنة ٦٢٢ وكان أبوه عهد له بالخلافة ثم خلعه وأقام ولداً صغيراً في ولاية العهد فمات الولد فاضطر إلى إعادته واظهر العدل والاحسان وابطل المكوس ولم تطل أيامه وفي عهده احترقت القبة الشريفة بمشهد الكاظمين عليهما السلام فشرع في عمارتها فمات قبل تمامها فاتمها المستنصر واقر القمي وزير أبيه على وزارته ولم يستوزر غيره وتوفي سنة ٦٢٣ .

المستنصر بالله

أبو جعفر المنصور بن الظاهر بويع له عند وفاة أبيه سنة ٦٢٣ وكان شهماً جواداً فمن آثاره المدرسة المستنصرية ببغداد وخان حجربى وقنطرتها وغير

ذلك وكانت أيامه طيبة والدنيا في زمانه ساكنة توفي بكرة الجمعة لعشر خلون من جمادي الاخرة سنة ٦٤٠ ومدة خلافته سبع عشرة سنة الا شهراً أقر القمي وزير أبيه وجده على وزارته سنوات ثم قبض عليه وحبسه فمرض وأخرج مريضاً فمات ثم استوزر نصير الدين أبا الازهر أحمد بن محمد الناقد .

يقال أنه هجي ببيتين فلما سمعهما استحسنهما وهما :

وزيرنا زاهد والناس قد زهدوا فيه فكل عن اللذات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم خالية من المعاصي وفيها الجوع والعطش

المستعصم بالله

أبو أحمد عبد الله بن المستنصر بويع له سنة ٦٤٠ كان ضعيف الرأي قليل الخبرة بأمور الملك يقضي اكثر زمانه بسماع الاغاني والتفرج على المساخر وكان اصحابه مستولين عليه وهم جهال من اراذل العوام الا وزيره مؤيد الدين محمد بن العلقمي فانه كان من اعيان الناس وعقلاء الرجال لكنه مكفوف اليد مردود القول يترقب العزل والقبض ولابن العلقمي صنف ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة وصنف له الصغاني كتاب العباب في اللغة فاجازهما جائزة سنية ولم يجر في أيام المستعصم شيء يؤثر سوى نهب الكرخ وبئس الاثر فقد جرى فيه من النهب والقتل والتعدي على الاعراض أمر فظيع وكان الذي أشار به ولده الكبير أبو العباس أحمد وفي أيامه كان ظهور التتر واستيلاءهم على بلاد الإسلام فلم يبال بذلك وكان وزيره ابن العلقمي يحذره ويشير عليه بالاستعداد فلا يسمع وخواصه يوهمونه أنه ليس فيه كبير خطر وان الوزير يعظم الأمر لتبرز اليه الأموال لتجنيد العساكر فيقتطع منها لنفسه حتى وصل عسكر المغول إلى همذان مع هلاكو وتواترت رسله إلى بغداد فأرسل اليه رسول من بغداد فلما سمع هلاكو جوابه علم أنه جواب مغالطة ومدافعة فأرسل

زيادة على ثلاثين الفاً من عسكره مع قائد اسمه (باجو) فعبروا من تكريت وقصدوا بغداد من غربيها فاجفل الناس امامهم ودخلوا بغداد بنسائهم وأولادهم وقذفوا انفسهم في الماء وكان الملاح يأخذ اجرة من يعبره سواراً من ذهب أو عدة دنانير فلما وصلوا دجيل أرسل الخليفية لقتالهم عسكراً في غاية القلة فاقتتلوا قريباً من بغداد فكانت الغلبة أولا لعسكر الخليفة ثم صارت المغول فأبادوهم قتلا واسراوا عانهم نهر فتحوه ليلا فكثرت الوحول في طريق المنهزمين ودخل باجو بعسكره البلد من غربيه وجاء هلاكو بباقي العسكر من شرقي بغداد يوم الخميس رابع محرم سنة ٦٥٠ فاحاطوا ببغداد وحاصروها وشرع عسكر الخليفة في المدافعة إلى التاسع والعشرين من المحرم فما شعر الناس إلا ورايات المغول على السور وجرى من القتل والنهب ما يعظم سماعه واحضر المستعصم بين يدي هلاكو واستشهد رابع صفر سنة ٦٥٠ ومدة خلافته نحو ست عشرة سنة واما ابن العلقمي فقيل ان هلاكو قتله وفي كتاب الفخري انه سلم بغداد اليه وإلى رجل آخر ثم مرض ومات في جمادى الأول سنة ٦٥٦ وفي الفخري ونسبه الناس إلى انه خامر وليس ذلك بصحيح (اقول) ومنه يعلم براءة ابن العلقمي مما نسب اليه من انه كان السبب في قتل الخليفة واخذ التتر بغداد وان السبب لم يكن الا ضعف الخليفة وعدم اطاعته وزيره. وبقتل المستعصم انقرضت الدولة العباسية من بغداد وكانت مدة ملكهم خمسمائة سنة واربعاً وعشرين سنة وعدة خلفائهم سبعة وثلاثون ثم ظهر قوم من بني العباس بمصر وبويع لهم بالخلافة وليس لهم من الأمر شيء.

الخلفاء العباسيون بمصر

المستنصر بالله أحمد بن الظاهر بالله بن الإمام الناصر

في سنة ٦٥٩ احضر جماعة من العرب إلى مصر شخصاً اسود زعموا انه احمد ابن الظاهر فاثبت نسبه بيبرس صاحب مصر وبايعه بالخلافة وغرم عليه الف ألف دينار وجهزه وارسله إلى بغداد رجاء إن يستولي عليها فقتله التاتار قبل دخولها .

الحاكم بامر الله أبو العباس أحمد بن أبي بكر من نسل المسترشد

وفي سنة ٦٦٠ احضر بيبرس ايضاً شخصاً كان قدم مصر واسمه احمد من نسل بني العباس وبايعه بالخلافة ولقب الحاكم بأمر الله وانزله في برج محترزاً عليه واشركه في الدعاء والخطبة وتوفي سنة ٧٠١ .

المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن أحمد

قرر في الخلافة بعد موت ابيه سنة ٧٠١ وفي سنة ٧٣٨ اخرج من مكانه بمصر عنفاً إلى قوص وتوفي سنة ٧٤٠ في قوص وخلافته الوهمية ٣٩ سنة .

الواثق بالله أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن الحاكم بأمر الله وهو ابن أخي المستكفي

بويع له سنة ٧٤٠ وفي سنة ٧٤٢ امر الملك المنصور ابو بكر بن قلاوون ملك مصر بخلعه ومبايعة .

الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي

وكان قد عهد له ابوه بالخلافة وتوفي سنة ٧٥٣ فكانت خلافته عشر سنين ونصفاً .

المعتضد بأمر الله أبو بكر العباس بن المستكفي بالله

بويع له بعد وفاة الحاكم سنة ٧٥٣ وتوفي سنة ٧٦٣ فبويع :

أخوه الحاكم بأمر الله أبو محمد عبد الله بن المستكفي

وتوفي في هذه السنة فبويع .

المتوكل على الله محمد

وفي سنة ٧٨٥ قبض عليه الملك الظاهر برقوق وسجنه إلى ان توفي سنة ٨٠٨ واقام بدلا عنه .

عمر بن الواثق

وتوفي سنة ٧٨٨ فولي بعده .

المعتصم بالله أبو يحيى

وتوفي سنة ٨٠٨ وبويع بالخلافة بعده .

المستعين بالله العباس بن المتوكل على الله محمد

وفي سنة ٨١٤ قتل الملك الناصر وبويع المستعين بالخلافة والسلطنة فقبض الشيخ المحمودي وهو من الجراكسة على المستعين ولم يخلعه وحبسه في القلعة وجلس على تخت الملك وتلقب بالملك المؤيد وفي سنة ٨١٨ خلع المستعين ونفي إلى الإسكندرية واقيم مقامه .

أخوه المعتضد بالله داود

وابتدأ ببناء جامع وتوفي سنة ٨٤٦ واوصى بالخلافة لأخيه .

المستكفي بالله

وتوفي سنة ٨٥٤ فبويع أخوه .

القائم بأمر الله

وبعد موته بويع (١) .

المتوكل على الله الثاني

وبعد موته بويع .

المتوكل على الله محمد الثالث

وهو آخرهم وهو الذي تنازل عن الخلافة الإسمية للسلطان سليم العثماني سنة ٩٢٣ .

وإتماماً للفائدة نذكر مختصر تاريخ العلويين المصريين ثم سلاطين بني عثمان ثم ملوك إيران من الصفوية والزندقية والقاجارية .

الدولة العلوية الفاطمية بمصر وافريقية

هذه الدولة بلغت شأواً بعيداً واستولت على افريقية ومصر والشام وخطب لها بالحجاز والعراق وبنت المدن والمدارس والمساجد العظام واكرمت العلماء ومن آثارها الجامع الأزهر والجامع الأقمر بمصر وكان لها دار كتب عظيمة تجمع نفائس الكتب وكان فيها عدة نسخ من كتاب العين للخليل بن أحمد احداها بخطه ودار السلاح ودار الضيافه وغير ذلك وأكثر المؤرخين

---

(١) لم نعلم على التحقيق انه ليس بين القائم والمتوكل الثالث إلا المتوكل الثاني ولم يتيسر لنا الآن تحقيق ذلك فليراجع المؤلف

استيفاء لذكر أحوالها المقريزي صاحب خطط مصر والمنصفون من العلماء والعالمون بالأنساب من العلويين صححوا نسبهم ويشهد بصحته قول الشريف الرضي وكفى به شاهداً .

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صادق وانف حمي
واباء محلق بي عن الضيـ ... ـم كما زاغ طائر وحشي
احمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومولاه مولا ... ي إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً محمد وعلي
ان ذلي بذلك الجد عز ... واوامي بذلك الربع ري

وإنما لم يودعه ديوانه خوفاً ولما بلغت الأبيات القادر أرسل القاضي أبا بكر الباقلاني إلى والد الرضي يعاتبه ويقول على أي مقام ذل أقام وهو ناظر في النقابة والحج وهما من أشرف الأعمال فحلف والده انه ما علم بذلك وأنكر الرضي الشعر فقال أبوه اكتب للخليفة بالاعتذار والقدح في نسب المصري فامتنع واعتذر بالخوف من الديلم ودعاة المصريين فقال أبوه تخاف من البعيد عنك ولا تخاف من القريب فلم يقبل فغضب منه أبوه . وقاطعه وحلف ان لا يساكنه في بلد ثم حلف الرضي انه لم يقل الشعر . وكتب في زمن القادر محضر يتضمن القدح في نسبهم كتب فيه المرتضى والرضي وأبوهما والشيخ المفيد وسائر العلماء والقضاة ولا حجة فيما كتبه الرضي في المحضر فان الخوف يحمل على أكثر من هذا كما قال ابن الأثير في تاريخه وامتناع الرضي من أن يكتب للقادر قدحاً في نسبهم وان يتبرأ من الأبيات حتى آل الحال مع أبيه إلى ما آل دليل قوي على صحة نسبهم وكتابة من كتب في المحضر ليست إلا للخوف كما ان كتابة المحضر كان سببها الخوف منهم على الملك وإذا كان الخوف عليه يحمل الملوك على قتل آبائهم واخوانهم أفلا

يحمل على كتابة محضر مكذوب (قال ابن الأثير) وسألت أنا جماعة من أعيان العلويين فلم يرتابوا في صحة نسبهم وقد بالغ من أنكر نسبهم فزعم ان عبيد الله أول خلفائهم هو ولد يهودي حداد (قال ابن الأثير) ليت شعري ما الذي حمل أبا عبد الله الشيعي وغيره حتى يخرجوا هذا الأمر من أنفسهم ويسلموه إلى ولد يهودي وهل يسامح نفسه بهذا الأمر من يعتقده ديناً يثاب عليه (أقول) وانضاف إلى ما فعله بنو العباس العصبية المذهبية لأنهم شيعة اسماعيلية حتى ان الجلال السيوطي في تاريخ الخلفاء جعل ذلك سبباً لفساد خلافتهم وهذه اسماء خلفائهم على التفصيل .

(١) أبو محمد عبيد الله المهدي

ابن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

(وقيل) هو عبيد الله بن أحمد بن اسماعيل الثاني بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .

بويع له بالخلافة في المغرب سنة ٢٩٦ هـ وكان ارسل مؤسس دولته وصاحب دعوته أبا عبد الله الشيعي الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا من أهل صنعاء إلى المغرب فاجتمع بالمغاربة في مكة وسار معهم إلى بلادهم في أيام زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب بافريقية فكثر اتباعه وسار عبيد الله وابنه محمد من سلمية إلى سجلماسة بزي التجار وبلغ خبرهما صاحبها اليسع ابن مدرار فحبسهما وحارب أبو عبد الله زيادة الله فهزمه بعد حروب طويلة ثم سار إلى سجلماسة فقاتله اليسع ثم هرب فدخلها أبو عبد الله واخرج عبيد الله وابنه من الحبس وبايع لعبيد الله بالخلافة واستولى على افريقية وزال عنها ملك بني الأغلب وبني مدرار وبني رستم ونزل بقصر من قصور

رقادة وخطب له في البلاد وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين وبعد سنتين قتل أبا عبد الله الشيعي وأخاه لأنه بعد ما استقامت له البلاد باشر الأمور بنفسه فعظم عليهما القطام عن الأمر والنهي فتآمرا عليه فبلغه ذلك فقتلهما ثم غزا مصر مرتين وفتح الإسكندرية وغيرها فأرسل المقتدر العباسي عسكراً إليها وجرت بينهم عدة حروب انتهت بهزيمة المغاربة وقتل المهدي قائد الجيش لهربه وفي سنة ٣٠٣ بنى المهدية على لسان في البحر وقال الآن أمنت على الفاطميات وتوفي بالمهدية سنة ٣٢٢ وعمره ثلاث وستون سنة ومدة ملكه أربع وعشرون سنة وكسر واخفى ولده موته بعد سنة كاملة .

(٢) أبو القاسم محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله

بويع بالخلافة بعد ظهور موت أبيه سنة ٣٢٣ فسير جيشاً في البحر ففتح مدينة جنوة وأوقع بأهل سردانية وجهز جيشاً إلى المغرب فانتهى إلى فاس وتكرور وهزم خارجياً هناك وأسر ولده وجهز جيشاً إلى مصر فدخلوا الإسكندرية فحاربهم جيش محمد الاخشيد فرجعوا وفي سنة ٣٣٣ اشتدت شوكة أبي يزيد الخارجي وهو من زناتة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واستباحة الأموال والدماء والخروج على السلطان (وهذا هو مذهب الخوارج) ففتح عدة بلاد وأخرج القائم جيوشاً لحفظ رقادة والقيروان فهزمهم واستولى عليها وعلى تونس وحصر المهدية نحو عشرة أشهر ثم رحل عنها ثم توفي القائم في شوال سنة ٣٣٤ فأخفى ولده موته حتى فرغ . من أمر أبي يزيد الخارجي .

(٣) أبو طاهر اسماعيل المنصور بالله بن محمد القائم بأمر الله

ولما مات أبوه جهز العساكر لحرب أبي يزيد الخارجي وقادها بنفسه فاسترجع القيروان منه سنة ٣٣٤ ودام القتال بينهما إلى سنة ٣٣٥ فهزم

المنصور عساكر أبي يزيد وتتبعه حتى قبض عليه جريحاً وحبسه فمات محبوساً سنة ٣٣٦ فسلخ جلده وحشي تبناً وفيها اتسم بالخلافة وعمل آلات الحرب والمراكب وضبط الملك والبلاد وولى جزيرة صقلية للحسن بن علي الكلبي فاستمر يغزو ويفتح فيها وتوفي المنصور سنة ٣٤١ وعمره تسع وثلاثون سنة ومدة خلافته سبع سنين وستة عشر يوماً وكان خطيباً بليغاً يتشيء الخطبة لوقته وكان شهماً شجاعاً وظهرت له شجاعة عظيمة وتدبير في قتال أبي يزيد الخارجي .

(٤) أبو تميم معد المعز لدين الله بن اسماعيل المنصور بالله

ولد بالمهدية في شهر رمضان سنة ٣١٩ وامه ام ولد وعهد اليه أبوه بولاية العهد وبايعه الناس يوم مات أبوه سلخ شوال سنة ٣٤١ وعمره أربع وعشرون سنة وولى جزيرة صقلية أحمد بن الحسن واليها من قبل أبيه لأن الحسن استخلف ولده عليها وسار إلى افريقية إلى المعز ثم وفد أحمد على المعز في وجوه الجزيرة فبايعه وخلع عليها المعز وفي سنة ٣٤٤ انشأ عبد الرحمن الناصر الأموي صاحب الأندلس مركباً كبيراً وسير فيه تجارة فالتقى بمركب فيه رسول من صقلية إلى المعز فأخذهم المركب الأندلسي فجهز المعز أسطولاً إلى المرية فاحرقوا المراكب التي في ميناها وأخذوا ذلك المركب الكبير وصعدوا إلى البر فقتلوا ونهبوا فجهز عبد الرحمن أسطولاً إلى افريقية فقاتلهم عسكر المعز فعادوا وفي سنة ٣٤٦ صعد المعز بعسكره جبل اوراس وهو ملجأ كل منافق وفيه قبائل لم تدخل في طاعة من قبله فأطاعوه وفي سنة ٣٤٧ سير المعز غلام والده جوهرا وكان قد صار في رتبة الوزارة بجيش كثيف إلى أقاصي المغرب ففتح فاسا وغيرها حتى انتهى إلى البحر المحيط فاصطاد من سمكه وجعله في قلال وارسلها إلى المعز وفي سنة ٣٥١ كتب المعز إلى عامل

صقلية أن يختن جميع أولاد الجزيرة في اليوم الذي يختن فيه المعز ولده ويخلع عليهم وبعث إليه مائة ألف درهم وخمسين حملا من الصلات فختن خمسة عشر ألف طفل وفيها فتح المعز حصن طبرمين من جزيرة صقلية بعد حصار سبعة أشهر وسميت طبرمين المعزية وفي سنة ٣٥٣ اجتمعت الروم بصقلية فجهز المعز اسطولا عظيماً فجرى بينهم قتال شديد نصر الله فيه المسلمين وقتل من الروم ما يزيد على عشرة آلاف وكان في الغنائم سيف نقش عليه هذا سيف هندى وزنه ١٧٠ مثقال طالما ضرب به بين يدي رسول الله (ص) .

وفي سنة ٣٥٨ سير المعز جوهرا الرومي في جيش كثيف إلى مصر فهربت العساكر الاخشيدية قبل وصوله وذلك عقيب موت كافور واقيمت الدعوة للمعز الجامع العتيق واذن يحيي على خير العمل فيه وفي جامع ابن طولون وجهروا في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وشرع في بناء القاهرة وفي ذلك يقول محمد بن هاني الأندلسي شاعر المعز :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر تسير به البشرى ويقدمه النصر

ثم سير جوهر عسكراً مع جعفر بن فلاح إلى الشام فملك الزملة بعد قتال وطبرية سلما ثم فتح دمشق وأقام الخطبة العلوية فيها سنة ٣٥٩ وجرت بين جعفر وأهل دمشق فتنة وحرب وقطعوا الخطبة العلوية ثم استظهر عليهم واستقرت دمشق للمعز وفتح السواحل الشامية طرابلس وصيدا وغيرها وبنى قلعة صيدا فنسبت إليه وفي سنة ٣٦٠ دخل القرامطة دمشق وقتلوا جعفر بن فلاح وملكوا الرملة ثم عادوا عنها مغلوبين ثم سار المعز من إفريقية إلى مصر سنة ٣٦١ بأهله وخزانته وفيها أموال عظيمة حتى سبك الدنانير كالطواحين وحملها على الجمال كل طاحونتين على جمل ولما وصل برقة ومعه شاعره

محمد بن هاني الأندلسي قتل بها ابن هاني غيلة لا يدري من قتله وولى على افريقية يوسف بلكين الصنهاجي الحميري عدا صقلية وطرابلس واجدابية ودخل مصر سنة ٣٦٢ وفيها غزت القرامطة مصر ثم انهزموا وقتل منهم كثير وفارقوا الشام فملكها المعز وفي سنة ٣٦٣ خطب للمعز بمكة والمدينة في الموسم وفي سنة ٣٦٤ كان مملوك اسمه افتكين من موالي آل بويه هرب من بغداد إلى دمشق وأميرها ريان الخادم من جهة المعز فاتفق معه أهل دمشق وأخرجوا ريان منها .

وتوفي المعز بمصر في ربيع الأول سنة ٣٦٥ وعمره نحو خمس واربعين سنة وستة أشهر ومدة ملكه ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر وعشرة أيام وكان يعمل بالنجوم وكان عالماً فاضلاً جواداً شجاعاً جارياً على منهاج أبيه من حسن السيرة وانصاف الرعية وأخفى ولده العزيز موته وأظهره في عيد النحر من هذه السنة .

(٥) أبو منصور نزار العزيز بالله بن المعز لدين الله

ولد بالمهدية سنة ٣٤٤ وبويع سنة ٣٦٦ وخطب له بمكة وأقر يوسف بلكين على ولاية إفريقية وأضاف إليه طرابلس وغيرها مما كان أبوه استعمل عليه غير يوسف فعظم أمره واستبد بالملك وكان يظهر الطاعة محاملة وفي سنة ٣٧١ سير العزيز جيشاً مع بكتكين إلى الشام فوصلوا فلسطين فحاربهم مفرج بني الجراح فغلبوه ثم سار بكتكين إلى دمشق فقاتله قاسم المتولي عليها فغلبه بكتكين واستولى على دمشق ثم طلب بكجور مولى قرعويه غلام سيف الدولة دمشق من العزيز فأمر بكتكين أن يسلمها له ثم أرسل العزيز سنة ٣٧٧ جيشاً مع منير الخادم ليتسلم دمشق من بكجور فخرج منها وقاتله عند داريا فانهزم بكجور واستولى عليها منير وفي سنة ٣٧٣ توفي يوسف بلكين وتولى إفريقية

ولده المنصور واهدى إلى العزيز ما قيمته ألف ألف دينار وفي سنة ٣٨١ توفي جوهر القائد فاتح مصر للمعز معزولاً وتوفي العزيز سنة ٣٨٦ في آخر رمضان وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر بمدينة بلبيس وكان برز إليها لغزو الروم ومدة ملكه احدى وعشرون سنة وخمسة أشهر ونصف وكان يحب العفو ويستعمله .

(٦) أبو علي المنصور الحاكم بأمر الله بن العزيز بالله

بويع له بعد موت أبيه بعهد منه إليه وعمره إحدى عشرة سنة وقام بتدبير ملكه خادم أبيه ارجوان فضبط الملك وحفظه حتى كبر الحاكم ثم قتله الحاكم وفي سنة ٣٨٦ توفي المنصور بن يوسف بلكين أمير افريقية وتولى بعده ابنه باديس واتته الخلع والعهد من الحاكم وفي سنة ٤٠٦ توفي باديس وولي ابنه المعز وفي عهده سنة ٤٠٧ قتلت الشيعة بإفريقية في القيروان وغيرها وكان ذلك شهوة العسكر طمعاً في النهب وأغراهم به حاكم القيروان لأنه بلغه أن المعز يريد عزله فأراد إفساد البلد وفي سنة ٣٩٧ خرج على الحاكم انسان من ولد هشام بن عبد الملك يسمى أبا ركوة لحمله ركوة على كتفه فملك برقة وهزم جيشاً للحاكم واستولى على الصعيد فاستحضر الحاكم عساكر الشام فجهزها وغيرها حتى أسر أبا ركوة وقتله وفي سنة ٤٠١ خطب قرواش بن المقلد العقيلي للحاكم بأعماله وهي الموصل والأنبار والمدائن والكوفة وغيرها ثم قطعها وخطب للحاكم بحلب وكانت له صيدا وبيروت وغيرها وفي سنة ٤٠٢ كتب محضر ببغداد يتضمن القدح في نسب العلويين ومر تفصيل ذلك في أول الكلام على ملكهم وقتل الحاكم غيلة سنة ٤١١ بمصر وعمره ست وثلاثون سنة وتسعة أشهر وولايته خمس وعشرون سنة وأيام .

(٧) أبو الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله بن منصور الحاكم بأمر الله

بويع له في اليوم السابع من قتل الحاكم وهو صبي وقامت بتدبير الملك عمته ست الملك وتوفي سنة ٤٢٧ وعمره ثلاث وثلاثون سنة ومدة ملكه خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وأيام وكان له مصر والشام والخطبة بإفريقية وكان جميل السيرة حسن السياسة منصفاً للرعية .

(٨) أبو تميم معد المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله

ولد بالقاهرة سنة ٤١٠ وفي سنة ٤٢٩ هادن المستنصر ملك الروم على أن يطلق خمسة آلاف اسير من المسلمين ليمكن من عمارة قمامة التي كان قد خربها الحاكم فأطلق الاسرى وأرسل من عمرها ، وفي سنة ٤٣٥ قطع المعز ابن باديس خطبة العلويين من إفريقية ولم تعد بعد ذلك وخطب للقائم العباسي ووردت اليه الخلع والتقليد واحرقت أعلام العلويين فعظم ذلك على المستنصر فأصلح بين زغبة ورباح قبيلتان من العرب كان بينهما حرب ، وجهزهما إلى إفريقية فهزموا ابن باديس واستولوا على عدة مدن ، وفي سنة ٤٤٩ قبض المستنصر على وزيره الحسن بن عبد الله اليازوري وكان حنفياً فوجد له مكاتبات إلى بغداد ، وفي سنة ٤٥٠ دخل البساسيري ومعه قريش بن بدران العقيلي بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر العلوي وأمر فأذن (بحي على خير العمل) وقتل رئيس الرؤساء وأرسل إلى المستنصر بذلك فلم يستحسنه وحمل قريش القائم العباسي إلى حديثة عانة وبقي البساسيري سنة كاملة في بغداد ثم قتل البساسيري وهو مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة البويهي اسمه (ارسلان) ، وفي سنة ٤٦٢ كان بمصر غلاء شديد حتى أكل الناس بعضهم بعضاً وإحتاج المستنصر إلى بيع الآلات النفيسة وفي سنة ٤٦٣ قطع محمود بن مرداس صاحب حلب خطبة العلويين وخطب للقائم العباسي ، وفي سنة

٤٦٤ جرت فتنة بمصر بين العبيد والأتراك لان والدة المستنصر كانت قد استولت على الأمر وضعف أمر الدولة فقتل ناصر الدوله بن حمدان من اكبر قواد مصر وكان يظهر التسنن ، وفي سنة ٤٦٨ ملك (أتز) دمشق وقطع الخطبة العلوية فلم يخطب بعدها لهم في دمشق وأقام الخطبة العباسية ومنع من الآذان (بحي على خير العمل) وفي سنة ٤٨٢ تسلم عسكر المستنصر صور وصيدا وعكا ، وفي سنة ٤٨٧ ثامن ذي الحجة توفي المستنصر العلوي وعمره سبع وستون سنة وكانت مدة ملكه ستين سنة وأربعة أشهر ولقي شدائد واهوالاً أخرج فيها أمواله وذخائره وهو مع هذا صابر غير خاشع .

(٩) أبو القاسم أحمد المستعلي بالله بن المستنصر بالله

ولد في شعبان أو المحرم سنة ٤٦٧ وبويع له بعد وفاة أبيه سنة ٤٨٧ وفي سنة ٤٨٩ استولى عسكره على القدس وأخذوه من أبناء (أرتق) وفي سنة ٤٩٠ خطب الملك رضوان صاحب حلب للمستعلي أربع جمع ثم خشي عاقبة ذلك فأعاد الخطبة العباسية وفي سنة ٤٩٢ ملك الفرنج بيت المقدس وأخذوه من العلويين المصريين وفي سنة ٤٩٥ لسبع عشرة خلت من صفر توفي المستعلي وكانت خلافته سبع سنين وقريب شهرين .

(١٠) أبو علي منصور الآمر بأحكام الله بن المستعلي بالله

بويع له بعد وفاة أبيه وكان عمره خمس سنين وقام بتدبير الدولة الأفضل ابن بدر الجمالي أمير الجيوش مدبر دولة أبيه وفي سنة ٥٠٣ ملك الفرنج مدينة طرابلس الشام وكانت لخليفة مصر العلوي فلما حصروها أرسل اليها اسطولا فرده الهواء ولم يقدر على الوصول اليها وفي سنة ٥٠٤ ملكوا مدينة صيدا بالامان وفيها قصد (بردويل) الفرنجي صاحب بيت المقدس مصر فانتهى إلى الفرما

واحرقها ثم عاد إلى الشام فهلك في الطريق وفي سنة ٥١٤ قتل أمير الجيوش الأفضل بن بدر الجمالي وثب عليه ثلاثة نفر بسوق الصياقلة فضربوه بالسكاكين وادركهم أصحابه فقتلوا الثلاثة وحمل إلى داره فمات وبقي الآمر ينقل من داره الاموال والتحف ليلا ونهاراً أربعين يوماً وقيل أن الآمر هو الذي دس اليه من قتله وولى الوزارة بعده أبا عبد الله البطائحي وفي سنة ٥١٨ ملك الفرنج مدينة صور بعد حصار طويل وكانت للعلوي المصري ، وفي سنة ٥٢٤ قتل الآمر بأحكام الله . قتله الباطنية وكانت ولايته تسعاً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً وعمره أربعاً وثلاثين سنة وهو العاشر من ولد المهدي عبيدالله والعاشر من خلفاء العلويين .

(١١) عبد المجيد الحافظ لدين الله ابن الأمير أبي القاسم بن المستنصر

وهو ابن عم الآمر ولما قتل الآمر لم يكن له ولد فولي بعده ابن عمه هذا ولم يبايع أولاً بالخلافة بل كان على صورة نائب لانتظار حمل أن ظهر للآمر فاستوزر أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فاستبد بالآمر وتغلب على الحافظ وحجر عليه ونقل ما كان بالقصر من الأموال إلى داره حتى أنه قطع خطبة العلويين ، وخطب لنفسه خاصة وقطع من الآذان (حي على خير العمل) فنفرت منه شيعة العلويين فقتله جماعة من المماليك ونهبت داره ونقل ما فيها إلى القصر وبويع الحافظ يوم قتله بالخلافة وذلك سنة ٥٢٦ واستوزر يانس الحافظي ثم مات فاستوزر إبنه الحسن بن الحافظ وخطب له بولاية العهد فأساء السيرة واكثر من قتل الأمراء وغيرهم ومصادرة الناس ظلماً فأراد العسكر الايقاع به وبأبيه فسقاه أبوه سماً فمات فاستوزر تاج الدولة بهرام فتحكم واستعمل الأرمن وفي سنة ٥٣١ عزله الحافظ لذلك واستوزر رجلاً اسمه رضوان ولقبه الملك الأفضل وهو أول وزير للمصريين لقب بالملك ثم فسد

ما بينه و بين الحافظ فقتله الحافظ ولم يستوزر بعده أحداً وباشر الأمور بنفسه حتى مات سنة ٥٤٤ وكانت خلافته عشرين سنة الا خمسة أشهر وعمره نحو سبع وسبعين ولم يل الخلافة منهم من أبوه غير خليفة غير الحافظ والعاضد .

(١٢) أبو منصور إسماعيل الظافر بأمر الله بن الحافظ لدين الله

بويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٤٤ فاستوزر إبن مصال فبقي أربعين يوماً وحضر من الاسكندرية العادل بن السلار يريد الاستيلاء على الوزارة وكان ابن مصال قد خرج من القاهرة في طلب بعض المفسدين فأرسل العادل ربيبه عباساً الصنهاجي في عسكر اليه فقتله واستولى العادل على الوزارة ولم يكن للظافر معه حكم وفي سنة ٥٤٨ قتل العادل ربيبه عباس وتولى الوزارة وكانت الوزارة لمن غلب وفي سنة ٥٤٩ قتل الظافر قتله وزيره عباس الصنهاجي فيقال أنه اتهم الظافر بنصر بن عباس وكان حسن الصورة فأمر عباس إبنه نصراً فدعى الظافر إلى بيته وقتلاه وجميع من معه وسلم خادم صغير فحضر إلى القصر وأعلمهم بقتله ثم حضر عباس وطلب الظافر من أهل القصر وقال انتم قتلتموه وقتل أخوين للظافر .

(١٣) أبو القاسم عيسى الفائز بنصر الله بن الظافر

أحضره عباس ثاني يوم قتل أبيه وله من العمر ثلاث سنين فحمله على كتفه وأجلسه على سرير الملك وبايع له وأخذ عباس من القصر من الأموال والجواهر شيئاً كثيراً واستغاث أهل القصر من النساء والخدم بطلائع بن رزيك وكان والياً على منية إبن الخصيب وفيه شهامة فقصد عباساً فهرب عباس إلى الشام بالأموال والتحف فخرجت عليه الفرنج في الطريق فقتلوه وأخذوا ما معه واسروا ابنه نصراً واستقر طلائع في الوزارة ولقب الملك الصالح

فبذل للفرنج مالاً وأخذ منهم نصراً وقتل في القصر وصلب على باب زويلة واوقع طلائع بأعيان الديار المصرية فابادهم قتلا وهربا وفي سنة ٥٥٥ توفي الفائز بنصر الله وكانت خلافته ست سنين ونحو شهرين .

(١٤) أبو محمد عبد الله العاضد لدين الله ابن الأمير يوسف بن الحافظ

بويع له بعد وفاة الفائز وكان مراهقاً ولما مات الفائز دخل إبن رزيك القصر وسال عمن يصلح فأحضر له إنسان منهم كبير السن فقال له بعض اصحابه لا يكن عباس أحزم منك فأعاد الرجل وأحضر العاضد فبايعه وزوجه بإبنته ونقل معها من الجهاز مالم يسمع بمثله . وفي سنة ٥٥٦ قتل إبن رزيك وزير العاضد جهزت عليه عمة العاضد من قتله وهو داخل إلى القصر ولم يمت في تلك الساعة بل حمل إلى بيته وأرسل يعتب على العاضد فحلف أنه لم يرض بذلك ولا علم به وأرسل عمته إلى طلائع فقتلها وسأل العاضد أن يولي إبنه رزيك الوزارة فولاه ولقب بالعادل ؛ وفي سنة ٥٥٨ كان شاور واليا على على الصعيد وكانت ولاية الصعيد اكبر المناصب بعد الوزارة ولما جرح طلائع أوصى ولده رزيك أن لا يتعرض لشاور لعلمه بقوته فلم يعمل رزيك بوصية أبيه وكتب إلى شاور بالعزل فجمع شاور جموعه وسار إلى القاهرة فهرب رزيك ولحقه شاور حتى قتله واستقر في الوزارة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بني رزيك ثم أن الضرغام جمع جمعاً ونازع شاوراً في الوزارة وقوي عليه فهرب شاور إلى الشام مستنجداً بنور الدين واستقر ضرغام في الوزارة وقتل كثيراً من الأمراء المصريين لتخلو له البلاد فضعفت الدولة لهذا السبب حتى خرجت البلاد من أيديهم وأما شاور فإنه بذل لنور الدين ثلث أموال مصر بعد رزق جندها ان أعاده إلى الوزارة فأرسل معه عسكراً ومقدمه أسد الدين شيركوه بن شاذي فوصل إلى مصر وهزم عسكر ضرغام وقتله وأعاد شاورا إلى الوزارة فلم يف لنور الدين بالشرط فسار أسد الدين واستولى على

بلبيس والشرقية فأستنجد شاور بالفرنج فحضر الفرنج وعسكر مصر شيركوه ببلبيس ثلاثة أشهر وبلغ الفرنج أخذ نور الدين حارم فصالحوا شيركوه وخرج من مصر إلى الشام وفي سنة ٥٦٢ أرسل نور الدين شيركوه إلى مصر في الف فارس فإستولى على الجيزة فأستنجد شاور بالفرنج وسار في أثر شيركوه فإنهزم للفرنج والمصريون وإستولى شيركوه على بلاد الجيزة والإسكندرية وجعل فيها إبن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب فاجتمع عسكر مصر والافرنج وحصروا الاسكندرية ثلاثة أشهر ثم اصطلحوا على مال يحملونه إلى شيركوه وان يكون للافرنج بالقاهرة شحنة وكل سنة مائة الف دينار وفي سنة ٥٦٤ تمكن الافرنج من البلاد المصرية فملكوا بلبيس وقتلوا واسروا وحاصروا القاهرة فأحرق شاور مدينة مصر خوفاً أن يملكوها وانتقل أهلها إلى القاهرة فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً فاستغاث العاضد بنور الدين وأرسل في الكتب شعور النساء وصانع شاور الافرنج على الف الف دينار دفع منها مائة الف وجهز نور الدين عسكراً مع شيركوه ومعه إبن أخيه صلاح الدين ولما قارب مصر رحل الافرنج إلى بلادهم ودخلها شيركوه وخلع عليه العاضد وأجرى عليه وعلى عسكره الاقامات الوافرة ثم قتل شيركوه شاورا وأرسل رأسه إلى العاضد وخلع عليه العاضد خلع الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش ثم مات شيركوه سنة ٥٦٤ وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام فولى العاضد صلاح الدين الوزارة ولقبه بالملك الناصر (ويقول) أبو الفدا في تاريخه انه تاب عن شرب الخمر وضعف أمر العاضد وعزل صلاح الدين قضاة المصريين وكانوا اشيعة اسماعيلية ورتب قضاة شافعية وفي سنة ٥٦٧ قطع خطبة العاضد وخطب للعباسين وكان العاضد مريضاً فتوفي ولم يعلم بقطع خطبته وإستولى على قصر الخلافة وجميع ما فيه وكان يخرج عن الإحصاء وكانت مدة ملكهم مائتين واثنتين وسبعين سنة وحبس صلاح الدين العلويين ومنع الرجال من النساء حتى لا يتناسلوا وهو أول من جعل يوم عاشورا عيد بمصر .

الدولة العثمانية

نذكر مختصر تاريخ ملوكها نقلاعن الكتب المعربة عن التركية (فنقول):

أصل ملوكها من التركمان الرحل التي كانت تقطن أواسط آسيا من جهات بحر قزبين ثم هاجرت إلى بلاد الروم خوفاً من جنكيز خان ملك المغول ثم ارتحلت إلى خلاط وارزنجان فلبثت سبع سنوات ولما سكنت فتنة جنكيز عادت إلى بلادها ولما عبرت الفرات عند قلعة جعبر غرق رئيسها سليمان شاه فدفن بالموضع المعروف (بترك مزاري) سنة ٦٢٦ وكان له أربعة أولاد عاد اثنان منهما إلى وطنهم ورجع إثنان إلى بلاد الروم وهما (ارطغرل) و(دوندار).

(١) ارطغرل بك بن سليمان شاه

لما رجع أرطغرل إلى بلاد الروم أرسل إلى (علاء الدين كيقباذ) السلجوقي صاحب قونية أن يؤويهم في بلاده وصادف محاربة السلجوقيين مع التاتار فانتظر حتى رأى الغلبة للسلجوقيين فأعانهم وقيل لما رأى ضعفهم أعانهم فانتصروا على التاتار فأعطاه الملك السلجوقي أراضي في (اسكيشهر) وغيرها وجعل يحارب زعماء الروم الذين حوله ويظفربهم فأشتهر أمره وعظم في عين الملك السلجوقي وتوفي سنة ٦٨٠ وعمره تسعون سنة.

(٢) عثمان بك ابن ارطغرل

واليه تنسب الدولة ولد سنة ٦٥٦ وتولى رياسة القبيلة بعد أبيه وعمره ٢٤ سنة وحارب (نيقولا) عامل (اينه كول) من قبل الروم وهزمه واستولى على قصبة (قره جه حصار) فأعطاه السلجوقي لقب أمير بك وأرسل اليه علماً وطبلا وتوغاً (والتوغ) عبارة عن قناة في رأسها ظفائر متدلية تكون أشكال

متعددة وكان عامل (بيله جك) من قبل الروم يتودد إلى عثمان بك ظاهراً ويتحين الفرص للفتك به فدعاه إلى عرس وعزم على اغتياله فأخبره بذلك (كوسه ميخال) حاكم (خر من قيا) من قبل الروم فأرسل إلى العرس أربعين رجلا من شجعانه بزي النساء مسلحين تحت ثيابهم فأستولى على البلد واسر العروس وزوجها بابنه أورخان ولما قضى التاتار على الدولة السلجوقية سنة ٦٩٩ أعلن العمال التابعون لها استقلالهم ومنهم عثمان بك وأمر أن يخطب باسمه في (قره حصار) وجعل (يكيشهر) قاعدة إمارته وعين القضاة وخافه القضاة وخافه ملك القسطنطينية فارسل جيشاً لمحاربته فهزم الجيش فاستمد الروم التاتار فأمدوهم فهزمهم واستولى على ازنيق وغيرها وانشأ حصونا وقلاعاً وحاصر مدينة (برصة) وتوفي وهو يحاصرها سنة ٧٢٦ وعمره سبعون سنة ودفن في برصة وكانت تركته بعض خيول وجبة وسيفا وثلاثة قطعان غنم وكان يلبس عمامة كبيرة من الجوخ الأحمر وجبة عريضة الأكمام .

(٣) أورخان ابن عثمن

(تولى الإمارة بعد وفاة ابيه وبقي يحاصر برصة بذلك الجيش حتى بمعاونة (كوسه ميخال) حاكم خر من قيا الذي اسلم ودخل في خدمة العثمانيين وافتدى اهلها انفسهم بثلاثين ألف دينار وجعلها قاعدة ملكه وكثرت فتوحاته على ساحل البحر الأسود وفتح حصن (ايدوس) ومدينتي (ازميد وازنيق) واتخذ الثانية قاعدة السلطنة وكان له أخ أكبر منه يسمى علاء الدين باشا ولقب باشا كان يطلق على اولاد السلاطين خاصة ثم اطلق على الوزراء والأمراء واطلق على اولاد السلطان لقب جلبي ثم صار يطلق عليهم لقب افندي فصار علاء الدين وزيراً لاخيه ووضع بعض نظامات وجعل للعلماء والجنود شارات مخصوصة والفوا جنودا من المسلمين والمسيحيين

ميت (بالانكشارية) واطلق على المشاة (عزب) وعلى الفرسان (سباهي) الغيت سكة السلاجقة وضربت سكة جديدة باسم (اورخان الغازي) من ذهب والفضة والنحاس وانشأوا الجوامع والمدارس والجسور وغيرها في نحاء المملكة وزوج ملك القسطنطينية من الروم ابنته بأورخان وفي سنة٧٥٨ بر سليمان باشا أكبر اولاد اورخان البحر بنحو خمسين من رجاله على وارب من الخشب وخرج إلى جهة كليبولي في الروم ايلي وفتح بولاير كليبولي وتكفور طاغي وفتح عدة بلاد في الأناضول واستولى على سواحل لأناضول ومضيق الدردنيل وفي سنة ٧٦٠ كان سليمان باشا يتصيد فوقع ن جواده فمات وبعد شهرين من وفاته مات ابوه حزناً عليه وعمره ٨٣ سنة ومدة سلطنته ٣٥ سنة .

(٤) السلطان مراد الأول ابن أورخان

وهو اصغر اولاده ملك سنة ٧٦١ وعمره ٣٥ سنة فنقل مركز السلطنة ن ازنيق إلى برصة وكان في الأناضول عدة امارات مستقلة منها (قره مان) اعتدى اميرها على الدولة العثمانية باتفاق مع طائفة من الدراويش بنواحي نقرة فاغار عليهم مراد فهزمهم وفرقهم ثم فتح (ادرنة) ودخلت جيوشه (صوفية) من بلاد البلغار ثم عين قاضي العسكر المسمى (قره خليل) صدراً اعظم باسم (خير الدين) وهو اول صدر عين في الدولة العثمانية واحدث الطغراء العثمانية ثم اجتمع ملوك المجر والصرب والبلغار وغيرها على حرب الدولة العثمانية بتحريض البابا فزحفوا حتى وصلوا نهر ادرنة فباغتهم حاجي (ايل بك) احد قواد ليلاً وهزمهم وفي سنة ٧٦٧ جعلت ادرنة قاعدة الروم ايلي وبقيت برصة قاعدة الأناضول ثم فتح صوفية وسلانيك ونيكبولي وبلاد البلغار وتزوج بايزيد أكبر اولاد مراد

ببنت أمير (قره مان) فاعطيت مدينتا كوتاهية واسباطرة للعثمانين نقوطا وافتتحت مدينتا مناستر وبرلبة وكان أمير قره مان قلقاً من اشتداد شوكة العثمانيين فهجم على بلادهم في غياب السلطان إلى الروم إيلي فعاد السلطان إلى الأناضول وهزم جموعه وحصره في قونية فبعث بزوجته شقيقة مراد فشفعت فيه فعفا عنه . ثم ان ملك الصرب جمع مائة ألف مقاتل والتحق به كثير من الملوك المجاورين له فالتقى بهم مراد في صحاري قوصوه فهزمهم وغنم منهم وبينما هو يتفقد الجرحي طعنه صربي جريح بخنجر فقتله سنة ٧٩١ وكانت مدة ملكه ٣١ سنة .

(٥) السلطان بايزيد ييلديرم بن مراد

ومعنى ييلديرم الصاعقة وهو أكبر اولاد مراد ولي الملك في ميدان قوصوة بعد قتل ابيه فقتل اخاه يعقوب جلبي وزوجه ملك الصرب اخته استرضاء له ودخلت حكومة الصرب في حمايته وبعد فتح قوصوة حاصر القسطنطينية لان ملكها كان سبب الفساد فخلع ملكها ونصب غيره واخذ منه مدينة الأشهر واستولى على امارات الأناضول كإمارة قره مان واسر اميرها وامارة صلروخان وآيدين ومنتشا فالتجأ أمراؤها إلى أمير اسفنديار فاستولى على امارته فالتجأوا إلى تيمورلنك وفتح سيواس ونواحيها . ثم ان ملك المجر أخذ يحض ملوك اوروبا على محاربة العثمانيين فجهز جيشاً مؤلفاً من شجعان المجر والفرنسيس والطليان وحصر قلعة نيكبولي فجاء بايزيد بجيشه بسرعة لم تكن تتصور فهزمهم وأسر منهم وفي الأسرى بعض ملوكهم فافتدى نفسه منه ثم حاصر القسطنطينية فصالحه صاحبها على عشرة آلاف دينار كل سنة وان ينشيء فيها حياً وجامعاً للمسلمين وسار إلى شبه جزيرة (مورة) ففتح مدينتي يكيشهر وترحاله .

(٦) تيمورلنك

وفي أيامه ظهر تيمورلنك ملك التاتار من سلالة جنكيز وكان يتشيع ومعنى لنك بالفارسية الاعرج فملك الهند وبلاد فارس والعراق ووصل إلى الحدود العثمانية وملك قلعة سيواس وقتل واليها (أرطغرل) اكبر أولاد السلطان بايزيد ثم فتح حلب والشام وكان موفقاً في حروبه لا يقف أمامه جيش وفي السنة الثانية عاد إلى البلاد العثمانية وفر بعض الأمراء من بايزيد إلى تيمور وحرضوه على قتاله وفر أحمد جلا يري حاكم بغداد وقره يوسف حاكم تبريز إلى بايزيد وحرضاه على قتال تيمور فكتب بايزيد إلى تيمور يتهدده ويشتمه فقابله تيمور باللين وطلب منه أحمد جلايريوقره يوسف فلم يسلمهما فزحف اليه تيمور بنحو سبعمائة الف والتقوا في صحراء انقرة ومع بايزيد ثلثمائة الف فانهزمت عساكر بايزيد ووقع في أسر تيمور وتوفي في أسره سنة ٨٠٥ وعمره أربع وأربعون سنة ومدة ملكه ١٤ سنة وبقي تيمور نحواً من سنة كوتاهية وأعاد لأميري اسفنديار (وقره مان) أمارتيهما اللتين اغتصبهما بايزيد .

(٧) السلطان محمد بن بايزيد

لما توفي بايزيد وقع الخلاف بين أولاده فتوجه اكبرهم وهو سليمان جلبي وجلس على تخت الملك في أدرنة وعين تيمور ولده موسى جلبي ملكا مكان أبيه في برصة فأغار عليه أخوه سليمان وهزمه ثم التجأ موسى إلى أمير افلاق فأمده بالجنود فحاصرا درنة وظفر بسليمان وتملك مكانه في ادرنة ثم تفرقت عنه الأمراء لخشونة طبعه والتفوا حول أخيه محمد الذي كان في اماسية فزحف عليه محمد واستولى على الملك سنة ٨١٦ ثم غزا أمير قره مان وأسره وحارب أمير الأفلاق لامتناعه عن دفع الخراج فقهره وأخذ منه

الخراج وظهر في عصره رجل يسمى (الشيخ بدر الدين السماوي) فكثر مريدوه حتى بلغوا نحو عشرة الآف ورئيسهم يسمى مصطفى فحاول العصيان ولقب (دده سلطان) فأرسل السلطان ولده مرادا ففرق جموعه وقبض على بدر الدين وصلبه بفتوى رئيس العلماء حيدر وتوفي السلطان محمد سنة ٨٢٤ فكتم الوزراء وفاته حتى حضرا إبنه مراد من اماسية وكانت مدة سلطنته ثماني سنوات .

(٨) السلطان مراد الثاني بن السلطان محمد

ملك بعد وفاة أبيه سنة ٨٢٤ وعمره ثماني عشرة سنة فأنفذ سفراء إلى الملوك المجاورة له وهادن ملك المجر خمس سنوات وكان للسلطان محمد بن بايزيد أخ يسمى مصطفى وهو عم السلطان مراد فقد في وقعة تيمور فلم يعرف له خبر فظهر رجل في أواخر أيام السلطان محمد أدعى أنه مصطفى هذا فاوقفه ملك القسطنطينية في جزيرة ليمني بمقابلة مال يقبضة من السلطان محمد فلما جلس السلطان مراد بعث اليه القيصر يطلب المال فلم يدفعه فأطلق مصطفى المذكور فقام يطالب بالملك في نواحي سلانيك وإجتمع معه جماعة ودعي بمصطفى الكذاب فسير اليه السلطان جيشاً فهزم الجيش وقتل القائد فسار اليه السلطان بنفسه فانضم اكثر رجاله إلى جيش السلطان وقبض عليه وقتل ثم حاصر القسطنطينية بعشرين الف جندي لترك قيصرها مصطفى الكذاب فبلغه خروج أخيه مصطفى عليه فترك الحصار وذهب فحاصر أخاه في أزنيق حتى قبض عليه وقتله ثم افتتح جميع بلاد الارناؤط وغيرها وحاض البابا مسيحي المجر وروسيا والضرب وبولونيا وافلاق فألفوا جيشاً بقيادة (جان هونياد) فسار اليهم مراد بجيوشه فهزموه في جوار نهر (مورا) وتقدموا حتى إجتازوا البلقان واغار أمير قرمان على البلاد حتى وصل برصة فأضطر

مراد إلى الصلح مع هونياد واستولى عليه الياس فاعتزل الملك وولي مكانه إبنه محمد وعمر(١٤) سنة فاغتنم (هونياد) الفرصة وهجم على بلاد البلغار فنهبها ووصل إلى (وارنة) فقرر رجال الدولة إعادة مراد إلى السلطنة فأعيد وجهز جيشاً وسار به إلى مقاتلة العدو فالتقوا أمام وارنة فكان النصر للعثمانيين وانهزم جيش الصليبيين واسر كثير من فرسانهم وقتل ملك المجر ثم إفتتح مورة ولما كان مراد يحارب الارناؤط أعاد (هونياد) الكرة على العثمانيين حتى وصل قوصوة فلقيه مراد وحاربه ثلاثة أيام وهزمه وتوفي سنة ٨٥٥ وعمره ٤٩ سنة ومدة سلطنته ٣١ سنة .

(٩) السلطان محمد الفاتح ابن مراد الثاني

جلس على تخت الملك في ادرنة للمرة الثانية سنة ٨٥٥ وعمره ٢١ سنة وبعثت اليه الملوك بالسفراء يهنئونه بالملك فهادنهم ثلاث سنوات وفتح قونية وعزم على فتح القسطنطينية فأنشأ حصار الروم ايلي الباقية آثاره لليوم وبعث بجيش إلى مورة ليقطع المدد عن القسطنطينية من تلك الجهة وفي سنة ٨٧٥ حاصرها بمائة وخمسين الف مقاتل ومعه مدافع يجرها ستون زوجاً من الثيران وقنابل وزن الواحدة ١٢ قنطاراً وحاصرها بحراً بأسطوله فوضعوا طوقاً حديدياً بين استانبول وغلطة يمنع دخول الأسطول إلى الخليج فنقل مراكبه من البر على أخشاب وأنزلها في الخليج وبعد حصار ٥٢ يوماً فتحها فلقب بالفاتح وعامل أهلها بالرفق ونصب لهم بطريركاً ينظر في مصالحهم وله بعض إمتيازات لم تزل إلى اليوم وغزا الصرب فصالحوه على ثلاثين الف دينار سنوية وبعد مدة فتحها وفي سنة ٨٦٠ حاصر بلغراد ففاجأه هونياد بجيش الصليبين وصده عنها وقتل هونياد وجرح السلطان واستشهد من العثمانيين أربعة وعشرون الفاً وفي سنة ٨٦٢ إفتتح مورة واسر ملك البوسنة وطرد المجرميين منها واستولى

على إمارتي اسفنديار وطربزون وعزز الأسطول وإفتتح جزاير مدللي والقريم وغيرها وفي سنة ٨٧٧ غزا ملك تبريز حسن الطويل البلاد العثمانية ودخل الحدود فأرسل السلطان مائة الف مقاتل فألتقوا في جوار (بابيورد) فإنهزم الطويل وفي سنة ٨٨٣ سار بنفسه إلى البلاد الأرناؤط ففتحها وفتح قلعة شقودرة وفي سنة ٨٨٥ سار بجيشه لفتح رودس فلما بلغ ككبوزة توفي وعمره ٥٤ سنة وكان يتكلم بسبع لغات .

(١٠) السلطان بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح

ملك سنة ٨٨٦ وعمره ٣٥ سنة وكان أخوه (جم) والياقي قرمان فادعي السلطنة وتقدم إلى برصة فأرسل اليه جيشاً مع اياس باشا فاسره جم وهزم جيشه ودخل برصة وأعلن سلطنته بها وخطب له على المنابر وضربت السكة باسمه فأرسل له بايزيد جيشاً آخر فهزم جيش جم وهرب جم إلىمصر ثم إلى الحجاز ثم عاد وجمع جيشاً وحاصر قونية وفتحها فركب اليه بايزيد فهرب ثم التجأ إلى قرصان رودس ليستعين بأسطولهم فأسروه وذهبوا به إلى نيس من بلاد فرنسة فبقي فيها سبع سنوات ثم سلموه إلى البابا فحبسه عنده مقابل ٤٠ الف دينار يقبضها كل سنة من العثمانيين ولما مات البابا طلب خلفه من بايزيد ثلثمائة الف دينار ليقتل جما وفي أثناء ذلك هجم شارل ملك فرنسا على روما فملكها وفر البابا وأخذ جماً معه فطلب شارل في شروط الصلح تسليم جم فسمه البابا وسلمه إلى شارل فمات بعد بضعة أيام فحنطه شارل وبعث جثته إلى الأستانة وفي سنة ٨٩٧ سافر السلطان إلى بلاد الأرناؤط فأصلح شؤونها وفي سنة ٨٩٨ أغار بجيشه على بلاد المجر لنقض ملكها العهد وفي سنة ١٩٠٢ أغار على بولونيا (لهستان) وفي سنة ٩٠٤ سار بجيشه إلى مورة براً وبعث بالأسطول بحراً ففتح مدائن متون وقرون وناوارين .

وبعد موت حسن الطويل ملك تبريز وقيام الشاه إسماعيل من إحفاد الشيخ صفي الدين الاردبيلي أخذ الشاه إسماعيل ينشر دعاته ومذهب التشيع في بلاد الأناضول ثم جاء رجل من إتباعه يسمى (شاه قلي) أي غلام الشاه بعسكر إلى الاناضول فحاربه (قره كزل) باشا أمير امراء الأناضول فغلبه شاه قلي ثم تقدم إلى كوتاهية وبعدها حاصر انطالية فأرسل بايزيد اليه الصدر الأعظم علي باشا مع ولده أحمد بن بايزيد فحاصراه في (قول قيا) ففر ليلا وتبعه علي باشا وجرى بينهما حرب قتل فيه الإثنان.وفي سنة ٩١٤ حدث زلزال عظيم انهدم به نحو نصف الاستانة ثم حصل خلاف بين أولاد بايزيد على الملك لضعفه وكان ينوي تمليك إبنه أحمد لكن العساكر لم يرضوا به وكان ميلهم إلى ولده سليم وتوفي بايزيد سنة ٩١٩ ومدة سلطنته ٣٣ وكان يلقب بالولي لشدة ورعه وزهده وكان للدولة عند وفاته أربعة وثلاثون لواء في أوروبا عدا ولايات أفلاق وبغدان والقريم وعدد الجيوش يربو على مائة وخمسين الفاً واستمدت منه دولة بني الأحمر العربية في الأندلس علم يمكنه إمدادها لبعد المسافة فقضى عليها الاسبانيون وأحرقوا كتبها وإذاقوا أهلها أنواع الجور والأذى والزموهم أما بالتنصر أو القتل .

(١١) السلطان سليم ياوز بن بايزيد

ومعنى ياوز الشجاع ملك سنة ٩١٩ فذهب إلى برصة واحضر أولاد أخوته من بلاد قرمان وقتلهم وذهب أخوه أحمد إلى مغنيسيا مخالفاً له وطالباً للملك وكان بعض الأمراء يميلون اليه للين جانبه وقسوة السلطان سليم فأرسل اليه السلطان جيشاً فهرب واعتصم بالجبال ثم عاد يطالب بالملك فاستجلبه السلطان بمكاتيب مزورة عن لسان بعض الوزارء إلى أزنيق وقتله فيها ثم قبض على أخيه (قورقود) وقتله وقتل أربعة وأربعين الفاً في الأناضول ممن

تحقق أنتسابهم إلى الشاه إسماعيل الصفوي (الظاهر أنهم قد تشيعوا) ثم جهز جيشاً عظيماً وذهب لمحاربة الشاه إسماعيل فالتقى به في (جالديران) وهزمه بعد حروب هائلة قتل فيها من العثمانيين أربعون الفاً وتقدم حتى دخل تبريز عاصمة إيران وبقي فيها ثلاثة أشهر ثم عاد لكثرة عساكره وحصول القحط في إيران فعسكر في اماسية وبعث بجيش إلى صاحب مرعش لوضعه العقبات في سبيل الجيوش العثمانية أثناء سفرهم إلى إيران واستولى على إمارته وقتله وبعث برأسه إلى ملك مصر الجركسي لأنه كان ياوذ به وكان بين ملك مصر والشاه إسماعيل مودة ومراسلة وكأنه هو الذي أوعز إلى صاحب مرعش بذلك فبعث اليه ملك مصر أن يخطب باسمه في تلك البلاد فأجابه أنه أن كان رجلا فليحافظ على الخطبة باسمه في مصر . وبعث عالماً إسمه المنلا إدريس إلى بلاد الاكراد فلبث فيها سنتين وبفضل نصحه وإرشاده دخلت في ملك العثمانيين .

وفي سنة ٩٢٢ جهز جيشاً بقيادة سنان باشا إلى ديار بكر على أمل أن يلحق به لمحاربة الشاه إسماعيل فلما وصل مضيق ملاطية منعه مأمور مصر من العبور فأخبر السلطان بالأمر فعقد في الحال مجلساً وقرر محاربة ملك مصر وسار بجيشه إلى بلاد العرب فالتقى بجيش صاحب مصر في مرج دابق قرب حلب ووقع الحرب فإنهزم جيش مصر وقتل ملكهم (قانصوالغاوري) ودخل حلب وضبط خزينة الغاوري ودخل إلى دمشق ففتحها ومن آثاره وآثار ولده السلطان سليمان فيها التكية التي في المرج الأخضر وهو الذي عمر قبر الشيخ محيي الدين بن العربي في صالحية دمشق وبنى عليه البناء الموجود اليوم بعدما كان دارساً وأرسل جيشاً ففتح فلسطين ثم سار إلى مصر عن طريق الصحراء فوصلها وحارب جيوش المماليك فقهرهم وصلب ملكهم (طومباي) الذي عين مكان قانصو على باب زويلة وأرسل له شريف مكة وهو بمصر مفاتيح

الحرمين ولقب بخادم الحرمين الشريفين من ذلك اليوم وكذا باقي ملوكهم وصار أمير مكة المكرمة يعين من قبلهم بعدما كان يعين من قبل ملوك مصر وبذلك أصبحت سورية والحجاز ومصر من ولايات الدولة العثمانيه وبلغ ما فتحه في ثمان سنين بمقدار ما فتحه أجداده في مائتين وخمسين سنة . ولما عاد إلى الأستانة أحضر معه المتوكل على الله الثالث آخر الخلفاء العباسيين الذين إنتقلوا إلى مصر بعد إنقراض ملكهم من بغداد فتنازل له عن الخلافة في جامع أياصوفية وسلمه الآثار النبوية التي يدعي أنها عنده كالبردة وغيرها فانتقلت الخلافة إلى الملوك العثمانيين ولقبوا بإمارة المؤمنين. وظهر في الأناضول رجل اسمه جلال من إتباع الشاه إسماعيل أدعى المهدوية وإجتمع معه نحو عشرة آلاف فأرسل اليه السلطان سليم جيشاً فقتله وفرق جموعه وصار يطلق على العصاة في الأناضول اسم (جلالي) وتوفي سنة ٩٢٦ وهو يتأهب لفتح جزيرة رودس وعمره أربع وخمسون سنة ومدة ملكه سبع سنوات وكان شجاعاً غيوراً يحسن التركية والفارسية وكان طويل الشاربين لم يرسل لحيته بخلاف باقي ملوكهم ويقال أنه كان يريد جعل العربية لغة الدولة الرسمية فلم يوفق لذلك .

(١٢) السلطان سليمان القانوني ابن سليم الأول

لقب بالقانوني لوضعه قوانيين للحكومة عينت فيها مراتب الدولة ومناصبها ملك سنة ٩٢٦ فأعلن (جانبرد الغزالي) والي دمشق العصيان وتقدم بجيوش نحو الآستانة فأرسل اليه جيشاً فهزمه الجيش ثم قتل وعين مكانه أياس باشا ثم أرسل جيشاً فحاصر بلغراد وفتحها وحضر هو حصارها ثم أرسل أسطولا ففتح رودس وفي سنة ٩٣٢ أسر (شارلكان) ملك إسبانيا الذي ورث تخت الالمان والنمسا وإيتاليا (فرانسوا) الاول ملك فرنسا في حرب بينهما فاستجار

فرنسوا بالسلطان سليمان فجهز جيشاً لحرب شارلكان فالتقوا في (مهاج) وهزمه جيش السلطان وفتح الجيش بودين (بودابست) عاصمة المجر ودخلها السلطان سليمان بموكب ثم ترك شارلكان الملك لأخيه فرديناند فهجم على بودين وهزم (جابولاي) ملكها المعين من قبل السلطان فسار اليها السلطان بمائة وخمسين الف مقاتل واستردها وأعاد ملكها ثم حاصر (ويانة) وعاد عنها لحلول الشتاء وفي سنة ٩٤٠ أعلن الحرب على الشاه طهماسب الصفوي وملك قلاع وأن وارميش وفتح تبريز ثم عاد إلى العراق ففتح بغداد والبصرة وسائر العراق وعمر قبر الإمام ابي حنيفة وقبر الشيخ القادر الكيلاني في بغداد ثم عاد إلى الاستانه وقدم عليه بارباروس خير الدين حاكم الجزائر بهدايا وتنازل له عن الجزائر فعين رئيساً للاسطول باسم قبودان دريا (أي رئيس البحر) وكان شارلكان أرسل أسطولا بقيادة (أندره دوريا) فأخذ تونس وخرب بعض سواحل مورة فبعث السلطان الأسطول بقيادة بارباروس خير الدين باشا إلى سواحل إيتاليا فأغار عليها وغنم وهزم اندره دوريا وانتزع منه رئاسة البحر وسار هو بالجيش براً إلى أولونيا في بلاد الارناؤط ثم حوصرت جزيرة (قورفو) وهي للفندقيين فتوسط سفير فرنسا في الصلح فاكتفى بأخذ ضمانة حربية وترك الحصار ثم توجه إلى بغداد لخروج أميرها عن دائرة الصداقة فضيق إمارته ونصب أخاه أميراً ثم أرسل قسماً من الأسطول إلى البحر الأحمر والبحر الهندي بقيادة خادم سليمان باشا وأقلع خير الدين باشابقية الأسطول إلى البحر المتوسط فأغار على سواحل الفندقيين وملك نحواً من خمس وعشرين جزيرة فأستمدت الحكومة الفندقية من البابا ومن حكومة إسبانيا فأمداها بأسطول مؤلف من ١٦٧ سفنية فلقي أسطول العثمانيين أمام (بروزة) فإنهزم أسطول المتفقين وأغرق قسم منه وفتح أسطول خادم سليمان في طريقه عدن وبعض سواحل

اليمن وسار إلى الهند وفتح بعض قلاعها وأصبح الأسطول العثماني بعد ذلك حاكم البحار ثم توفي (جابولاي) ملك المجر المنصوب من قبل السلطان سليمان فقام (فرديناند) ملك النمسا لاخذ بلاد المجر فجاء السلطان بجيوشه وضبط بلاد المجر تماماً والحقها بالممالك العثمانية وفي سنة ٩٥٠ أستدعى ملك فرنسة معاونة الحكومة العثمانية فأرسل قسم من الأسطول بقيادة باربا روس فضبط مدينة (نيس) وسلمها للفرنسيس وفي سنة ٩٥٣ طلبت النمسا الصلح مع السلطان فعقدو هدنة إلى خمس سنوات على شرط تأدية ملك النمسا ثلاثين الف دينار كل سنة وفي سنة ٩٦٠ جهز السلطان جيشاً لمحاربة الشاه طهماسب الذي هجم على حدود بلاده وفي أثناء الطريق قتل إبنه مصطفى بسعابة الصدر الأعظم رستم باشا بدعوى أنه يطلب الملك فلما وصل (قره باغ) رجع طهماسب بعساكره فخربها السلطان وغيرها ثم جرى الصلح بينهما على أن يترك طهماسب له قلعة القارص. وظهر رجل في سلانيك على أنه مصطفى الذي قتله أبوه في أركلي وانه أفلت من يد الجلاد وجمع جمعاً فأرسل اليه جيشاً فقتله وفرق جمعه وأرسل ملك فرنسة يطلب المعاونة على شارلكان فأرسل الأسطول العثماني بقيادة (طوغرود) وكان باربا روسى خير الدين باشا قد توفي سنة ٩٥٣ وتولى هذا مكانه فهجم مع أسطول الفرنسيين على سواحل ايطاليا وإسبانا وضبط كثيراً من بلادها وأطلق سبعة آلاف اسير كانوا مسجونين في قلعة (بشتينة) ثم ضبط الأسطول العثماني طرابلس الغرب ومدينة المدحية في تونس وفي سنة ٩٧٢ أرسل الأسطول لفتح جزيرة مالطة فإستشهد قائده (طوغرود) وعاد الأسطول عنها. وكانت النمسا تعمل دائماً لتخليص المجر من العثمانيين فسار السلطان إلى حرب المجر بجيشه سنة ٩٧٣ وهي المرة الخامسة فحاصر قلعة (سكتورا) وفي يوم فتحها توفي السلطان بالنقرس فكتم الصدر الأعظم وفاته ٤٨ يوماً

إلى أن اتى ولي العهد السلطان سليم الثاني إلى بلغراد وكان والياً على كوتاهية وكان عمره ٧٤ سنة ومدة سلطنته ٤٨ سنة إفتتح في زمانه كثير من الاقاليم والبلدان حتى أصبح اعظم ملوك الأرض ودولته أقوى الدول فكان عصره منتهى الكمال في تاريخ هذه الدولة .

(١٣) السلطان سليم الثاني ابن سليمان القانوني

كانت العادة ان يعطى الجنود عطية الجلوس وهذه العادة قديمة في أول الإسلام ولما لم يعطهم السلطان أظهروا العصيان ولم يسكنوا الابشق الأنفس . وعقيب جلوسه عقد صلحاً مع دولة النمسا . وقام في اليمن الإمام مظهر إمام الزيدية فضبط اكثر القلاع التي في يد العثمانيين وبواسطة إستمالة أمراء اليمن إلى الدولة والتدابير التي أتخذت رضخ الإمام لأمراء الحكومة ثم أرسل الأسطول إلى البحر المتوسط فضبط جزيرة قبرص من الفندقيين وتونس من الأسبانيين وأغار على جزائر كريد وسر يغو وزانطة وكفالونية وغيرها فجهز الفندقيون سنة ٩٧٩ أسطولا كبيراً بالاتفاق مع البابا وحكومة إسبانيا وحاربوا الأسطول العثماني المؤلف من مائتي سفينة واحرقوه عن آخره وقتل عشرون الفاً من العثمانيين فعم السرور اكثر أوروبا ولكن الصدر الاعظم محمد باشا بذل همة شماء فأنشأ في ستة أشهر أسطولا مؤلفاً من ٢٥٠ سفينة وأشتغل به في الشتاء ليكون تاماً أول الربيع فيقال أن أحد أمراء البحر طلب تأخيره إلى الربيع لعدم وجود أدوات الحديد وغيره فقال له أن الدولة تستطيع أن تجعل حديد سفنها فضة وحبالها حريراً وشراعها ديباجاً فسافر الأسطول بقيادة (قليج علي باشا) إلى مياه مورة وأخذ يترصد سفن الأعداء فلم يجسروا على الوقوف في وجهه وتفرقوا في عرض البحار . وفي سنة ٩٨٠ عقد صلحاً مع الحكومة الفندقية على أن تدفع للدولة ثلثمائة الف دينار غرامة حربية وكان الأسبانيون

عادوا فأخذوا تونس فأرسل الأسطول فاستردها وضبط (حلق الواد) وجميع بلاد تونس ؛ وفي سنة ٩٨٢ كان السلطان يمشي في الحمام الذي انشأه فوقع ومرض ثم توفي وعمرة ٥٣ سنة ومدة سلطنته ٨ سنوات .

(١٤) السلطان مراد الثالث ابن سليم الثاني

ملك سنة ٩٨٢ فقتل أخوته الخمسة خوف منازعتهم وجدد الصدر الأعظم المعاهدات مع دول أوروبا التي مقتضاها أن تدفع حكومة النمسا وإمارات أردل وراغوزة وإفلاق وبغدان خراجاً سنوياً إلى الحكومة العثمانية وكانت حكومة فاس مستقلة فلما توفي ملكها الشريف عبد الله جاس مكانه إبنه محمد المستنصر فنازعه عمه الشريف عبد الملك واستعان بالعثمانيين فاستعان المستنصر بالبرتغاليين فأرسل رمضان باشا والي الجزائر لمعاونة عبد الملك فأجلسه على تخت فاس ومراكش رغماً عن البرتغاليين فأمد البرتغاليون المستنصر بجيش مجهز بثلثمائة وستين مدفعاً فحاربهم رمضان باشا في وادي السبيل وهزمهم وقتل منهم عشرين الفاً وقتل ملك البرتغال والمستنصر وفي سنة ٩٨٦ تجاوز جيش إيران الحدود العثمانية فأرسل اليهم جيش فهزمهم امام قلعة (جيلدير) وضبط مدينتي تفليس وشماخي وما جاورهما حتى جبال القفقاس ثم ارسل الإيرانيون اربعة جيوش فهزم الأولان القائد (اوزدمير عثمان) باشا والاخران ضبطا مدينة (شيروان) وفي سنة ٩٩٧ قتل الصدر الأعظم محمد باشا الصوقوللي قتله رجل ابله ويقال ان قتله كان بايعاز من السلطان لانه كان يبغضه فخسرت الدولة بقتله رجلا عاقلاً مدبراً محنكاً من اعاظم رجالها . وفي تلك الحال كانت ايران مضطربة فقد قتل الشاه طهماسب (١) مسموماً

(١) كأنه طهماسب الأول ابن اسماعيل الأول .

وجلس مكانه ابنه اسماعيل (١) فقتل اخوته الثمانية وبعد جلوسه بسنة ونصف قتل هو ايضاً خنقاً فاعلن السلطان الحرب على ايران بتحريض لالا مصطفى باشا فنهى عن ذلك الصدر الأعظم محمد باشا الصوقوللي فلم يسمع منه وامتدت الحرب اثنتي عشرة سنة ضبطت في خلالها بلاد الكرج وضبط اوز تيمور عثمان باشا بلاد القفقاس المسماة (داغستان) وتوفي في ايران فخلفه فرهاد باشا فهزم الإيرانيين واضطرهم إلى عقد مصالحة على ان تبقى تبريز وروان وشيروان في يد العثمانيين وتوفي السلطان مراد سنة ١٠٠٣ ومدة سلطنته عشرون سنة وكان ينظم الشعر بالتركية والعربية والفارسية ويميل إلى التصوف وله كتاب اسمه فتوحات صيام وكان مشغوفا بالنساء فلذلك كان نساء القصر يتداخلن في امور المملكة وفسد في زمانه نظام الإنكشارية .

(١٥) السلطان محمد الثالث ابن مراد

ملك سنة ١٠٠٣ فقتل اخوته التسعة عشر وفرق على العساكر عطية الجلوس فبلغت مليوناً وثلاثمائة ألف دينار وعصى ميخال أمير الأفلاق وهزم العساكر العثمانية فركب اليه السلطان فقهره وضبط قلعتي اردل واكري من بلاد النمسا والمجر والتقى بجيوش المجر في خاج اوده فحاربهم ثلاثة ايام وهزمهم وحدثت فتن في الأناضول اثارها بعض العصاة الملقبين بالجلالية دامت مدة طويلة وتعدت النمسويون على بلاد المجر فارسل اليهم حسن باشا التریاكي فحاصر قلعة قينجة فامدها فرديناند ملك النمسا فهزمه حسن باشا وضبط القلعة وحارب الوزير محمود باشا الأفلاقيين فهزمهم ثم حاصرت جيوش روما واسبانيا وفرنسة والمجر قلعة قينجة سبعين يوماً وعادوا خائبين . وضبط الشاه عباس الصفوي تبرير وتقدم نحو روان فعين

(١) كأنه إسماعيل الثاني ابن طهماسب الأول .

حسن باشا الساعاتي المنفي يومئذٍ في طرابزون لحرب الإيرانيين ثم توفي السلطان مراد سنة ١٠١٢ وعمره ثمانٍ وثلاثون سنة ومدة ملكه تسع سنوات .

(١٦) السلطان أحمد بن محمد الثالث

ملك سنة ١٠١٢ وعمره اربع عشرة سنة فارسل سنان باشا لمحاربة العجم لأن الشاه عباس ضبط روان وشماخي وشيروان واقجه قلعة وقارص فهزمه الشاه عباس في عدة مواقع وارسل الصدر الأعظم ياوز علي باشا لمحاربة النمسا فتوفي في بلغراد فارسل مكانه لالا محمد باشا فحاصر قلعة استرغون ورجع عنها وعاهده احمد أمراء المجر على محاربة النمسويين وحاربهم في عدة مواضع واخذ منهم وارات وطوقاي ثم عقد مصالحة معهم مقتضاها قطع الخراج الذي كانت تدفعه النمسا للعثمانيين وعدم المداخلة في شؤونها واستفحل امر الجلاليين في الأناضول واتفق احد زعمائهم المسمى علي بك جانبولاد (ذي القلب الحديد) ثم قيل جنبلاط مع فخر الدين المعني امير جبل لبنان وحاصرا يوسف باشا والي دمشق ثم استمالاه فاعلن استقلاله فارسل مراد باشا فاستأصل شأفتهم وقتل كثيراً وكان يلقي القتلى في الآبار فلقب ابو الجب ثم سافر إلى حرب العجم فعرض عليه الشاه عباس الصلح بشرط بقاء الحدود على ما كانت عليه ايام السلطان سليمان فابى وبينما كان يريد الهجوم توفي سنة ١٠٢٠ فعين مكانه نصوح باشا فعقد الصلح على تلك الشروط مع دفع مأتي حمل حرير كل سنة للعثمانيين وحدثت فتن في الأفلاق بتشويق النمسا وبولونيا وكانت الغلبة للجيش العثماني وتوفي السلطان احمد سنة ١٠٢٦ وعمره ثمانية وعشرون سنة ومدة سلطنته أربع عشرة سنة وهو الذي بنى الجامع الشهير في الأستانة وسن قانون وراثة السلطنة للأكبر الأرشد من آل عثمان .

(١٧) السلطان مصطفى الأول ابن محمد الثالث

أخو السلطان أحمد ملك سنة ١٠٢٦ وكان أبله فخلع بعد ثلاثة أشهر وأقيم مكانه عثمن بن أحمد وبعد أربع سنوات أعيد مصطفى وفي زمانه حاصر بغداد حافظ باشا أحد الوزراء وحدثت في الأستانة فتن أدت إلى سقوط هيبة الدولة وحصل إسراف في مال الخزينة ثم اعيد عثمن سنة ١٠٢٧ وحجر على مصطفى في قصره .

(١٨) السلطان عثمان الثاني ابن أحمد

ملك للمرة الأولى سنة ١٠٢٦ ثم ملك للمرة الثانية سَنة ١٠٢٧ وسنه أربع عشرة سنة فسار الصدر الأعظم خليل باشا لحرب شاه العجم فصالحه على ما صالحه عليه نصوح باشا وفي سنة ١٠٣٠ حصل برد عظيم فجمد خليج الاستانة وما بين استانبول واسكدار فصار الناس يجتازون البحر مشياً وقتل السلطان أخاه محمداً ثم سار لمحاربة بولونيا (لهستان) ففتحت مدينة خوتين بعد استشهاد ستين الفاً من العثمانيين وبعد رجوعه ثارت العساكر في الاستانة وأحدثوا فتنة عظيمة لم يسبق لها نظير وقتلوا بعض رجال الدولة ثم خلعوا السلطان عثمن ثم قتلوه خنقاً بايعاز داود باشا الصدر الأعظم ومدة ملكه ٤٠ سنة وأعادوا السلطان مصطفى وقتلت قتلة السلطان عثمن وأختل نظام العساكر وأصبح الحكم في يد أوباش الإنكشارية وعصى محمد باشا والي أرضروم ويوسف باشا أمير طرابلس الشام وطالب بدم السلطان عثمان وقتل كثيراً من الإنكشارية وتقدم محمد باشا أباظه بعساكره حتى قارب برصة وهزم الجيوش العثمانية في عدة مواقع فأرسل اليه محمد باشا الشركسي فقهره ثم عفى عنه وعين والياً لارضروم وعصى في بغداد رجل اسمه بكر صوباشي وقتل

واليها وهكذا إختلت إدارة الدولة ثم خلع السلطان مصطفى بسعي الصدر الأعظم علي باشا وعاش بعد خلعه ١٦ سنة وتوفي سنة ١٠٤١ .

(١٩) السلطان مراد الرابع

ملك بعد خلع السلطان مصطفى سنة ١٠٣٢ وعمره ١٢ سنة فاصبحت إدارة الملك بيد والدته واستفحل أمر بكر صوباشي في بغداد فحاصره حافظ باشا والي ديار بكر فاستمد من الشاه عباس الاول واعداً إياه بتسليم بغداد فأمده بجيش فلما عرف حافظ باشا بالأمر خدعه وأرسل اليه فرماناً بولاية بغداد فطرد عساكر العجم فركب اليه الشاه عباس وأخذ منه بغداد وأحرقه بالنار وقتل كثيراً من أهلها فحاصره حافظ باشا تسعة أشهر ثم عاد عنه وفي سنة ١٠٣٦ حاصر عسكر الشاه عباس قلعة (اخسخة) فأرسل لمحاربتهم الصدر الأعظم فلما وصل ديار بكر جهز جيشاً لإمداد (أخسخة) وكتب إلى محمد باشا والي آرضروم بالسفر مع الجيش فأبي وقتل قائد الجيش واستولى الشاه على (أخسخة) وقتل محافظيها فعين خسرو باشا البوشناقي صدراً أعظم وأرسل لحرب محمد باشا أباظه فحصره في أرض روم واضطره للتسليم وأتى به إلى الاستانة فعفى عنه السلطان وعينه والياً للبوسنة وقام في اليمن الإمام محمد إمام الزيدية يدعي الإستقلال وفي سنة ١٠٣٩ أرسل الصدر الاعظم خسرو باشا لحرب بلاد العجم وكان الشاه عباس قد توفي ففتح همذان ودركر زين وجاؤه وهو متوجه إلى أصفهان أمر بالرجوع إلى بغداد فعاد اليها وحاصرها مدة فلم يوفق لفتحها فعاد إلى الموصل ثم عزل من الصدارة وعين مكانه حافظ باشا وقبل سفره ثارت جنود الفرسان بتشويق رجب باشا وخسرو باشا وطلبوا من السلطان قتل سبعة عشر رجلا من رجال الدولة منهم الصدر الأعظم فلم يقبل فقتلوا الصدر الأعظم حافظ باشا في حضرته بالرغم عن نهيه وتأنيبه فعين

مكانه رجب باشا أحد مثيري الفتنة ثم قتل هو وخسرو باشا وعين للصدارة محمد باشا طباني ياصي ولما بلغ السلطان أشده صار يخرج متنكراً ومنع المنكرات وضرب على أيدي المفسدين وبعث أحمد باشا والي قرمان لتأديب الأمير فخر الدين المعني فاستأصل شأفته من جبل لبنان وفي سنة ١٠٤٤ سافر لمحاربة البولونيين فعقد معهم صلحاً ثم فتح روان وعاد إلى الاستانة فجاءه خبر فتح قلعة (أخسخة) وفي سنة ١٠٤٦ حاصر الايرانيون روان وفتحوها وهزموا جيش أحمد باشا أمام قلعة مهربان فركب اليهم السلطان وفتح بغداد وترك بها الصدر الأعظم وعاد ثم صالح الصدر الأعظم شاه العجم وعاد بالجيش إلى الاستانة وفي سنة ١٠٤٩ توفي السلطان مراد وعمره ثلاثون سنة ومدة سلطنته ١٦ سنة .

(٢٠) السلطان إبراهيم بن أحمد

ملك سنة ١٠٤٩ وعمره خمس وعشرون سنة وكان أبله خفيف العقل تقرب منه شيخ بلقب بالشيخ أبو الجن فأثر عليه وصار صاحب الأمر والنهي في قصره وأفسد كثيراً من الأمور وجمع ثروة طائلة وعين السلطان مصطفى باشا صدراً أعظم وكان رجلاً مدبراً فأحسن إدارة الملك ثلاث سنوات ثم قتل بسعاية ابي الجن وارسل الأسطول إلى الجزيرة كريد وكانت بيد الفندقيين فافتتحت قلعة (خانية) بعد حصار خمسين يوماً وظهر اختلال في البوسنة وحاصر الفندقيون جزيرة (مدللي) والسلطان لاه في شهواته فتارة يهتم بجمع العنبر واخرى بتكثير الملابس وتارة يتجول ليلا في الشوارع بالمشاعل وكثرت الرشوة واختلت إدارة العسكر فقتلوا الوزير احمد باشا وقطعوه إربا إرباً فلقب (هزاربارة) وهي كلمة فارسية معناها ألف قطعة ثم خلعوا السلطان ثم قتلوه وعمره ٣٤ سنة وسلطنته ٩ سنوات .

(٢١) السلطان محمد الرابع بن إبراهيم

ملك سنة ١٠٥٨ وعمره سبع سنين فاصبحت إدارة الملك بيد جدته وبعد جلوسه قتل الشيخ ابو الجن وصودرت أمواله وطلب قائد (كريد) مددا فارسل الأسطول وحاصر قلعة (قندية) فلم يقدر على فتحها وثارت العساكر في الأستانة وقتلوا بعض الوزراء ثم ثارت طائفة الباعة والمرتزقة لمداخلة أغوات الإنكشارية في امورهم واعطائهم سكة مزيفة ثم قتلت جدة السلطان بإشارة والدته فثار الأغوات يطالبون بدمها فاخرج العلم ونودي بان كل من يتبع الأغوات يعد عاصياً فاحتشد الناس تحت العلم لحنقهم على الأغوات ثم قبض على العصاة وقتلوا وفسدت امور المملكة داخلا وخارجاً وهجم اسطول الفندقيين على جزيرة (بوزجه اطة وليمنى) وحاصر بوغاز الدردنيل فدعي للصدارة محمد باشا الكوبري وهو في سن التسعين فقبلها بشرط إطلاق يده فاصلح المملكة وهزم الفندقيين واضطر الإفلاقيين والبغدانيين إلى الطاعة فوثق به السلطان وصار يقضي اوقاته في الصيد فلقب بالصياد ثم توفي الصدر الأعظم فعين مكانه ابنه احمد فاضل باشا فحارب النمسويين فهزمهم ثم انهزم في حرب أخرى ثم سار بالأسطول إلى (كريد) ففتحها كلها وحارب البولونيين ومعه السلطان فظفر بهم وألحقت قطعتا : بودوليا واوقرانيا بالممالك العثمانية ثم توفي احمد باشا فعين مكانه مصطفى باشا فحاصر عاصمة النمسا (ويانه) وكاد يفتحها ففاجأه ملك بولونيا فهزمه ثم حاصر النمسويون قلعة (بغران وبشته) فأمر السلطان بقتل الصدر الأعظم فقتل في بلغراد وعين مكانه ابراهيم باشا وألف (البابا) جيشاً صليبياً من النمسويين والبولونيين والفندقيين والمالطيين والروسيين لإخراج العثمانيين من قطعة اوروبا فغلبوا العثمانيين في عدة مواقع وفتحوا كثيراً من

القلاع والحصون والبلدان واستردوا بلاد المجر وفتح الفندقيون شبه جزيرة (مورة) فعزل الصدر الأعظم وعين مكانه سليمان باشا فذهب لرفع الحصار عن قلعة (بودين) فلم يوفق وفتحها العدو وقتل من فيها وفي اثناء رجوع الصدر الأعظم ثار الجنود وتقدموا نحو الأستانة فعزل وعين غيره فلم ترض به الجنود ودخلوا الأستانة رافعين راية العصيان وثار معهم الإنكشارية فخلع السلطان محمد سنة ١٠٩٩ وعمره ٤٨ سنة ومدة سلطنته ٤٠ سنة وسبعة اشهر .

(٢٢) السلطان سليمان الثاني بن إبراهيم أخو السلطان محمد

ملك سنة ١٠٩٩ وعمره ٤٧ سنة فثار الجنود ونهبوا دار الصدر الأعظم وأموال بعض الوزراء وغيرهم واجلوا كثيراً من العلماء والوزراء وعينوا عثمان باشا صدراً أعظم وزاد تعديهم ونهبوا دكان احد السادات فرفع علماً ونادى بالمسلمين فاجتمع الناس حوله وذهبوا إلى قصر السلطان فاخمدت الفتنة وبسبب اختلال الأحوال فتح النمساويون بلغراد وتقدموا حتى بلغوا (نيش) وهددوا (صوفيا) وحاصر الفندقيون جزيرة (اغر يبوز) واظهر الصدر الأعظم العصيان في الأناضول ومخالفة أوامر السلطان حتى خيف من خروجه فعزل وعين مكانه مصطفى باشا فاصلح الجندية وحارب الأعداء فهزمهم واسترد ما فتحوه من البلاد والقلاع وتوفي السلطان سنة ١١٠٢ وعمره خمسون سنة وسلطنته ثلاث سنوات وكان عابداً زاهداً في الملك يميل إلى مطالعة الكتب ودرس العلوم وولي السلطنة مرغماً .

(٢٣) السلطان أحمد الثاني ابن إبراهيم

ملك سنة ١١٠٢ وعمره خمسون سنة فسار الصدر الأعظم لمحاربة النمسويين بمائة وخمسين ألف مقاتل فأصابته رصاصة فاستشهد وانهزمت

الجنود واجتاز الأعداء نهر (الطونة) وهزموا الجيوش العثمانية في عدة مواقع وفتح الفندقيون جزيرة (ساقز) وتوفي السلطان احمد سنة ١١٠٦ ومدة سلطنته أربع سنوات واختلت في زمانه المملكة داخلا وخارجاً .

(٢٤) السلطان مصطفى الثاني ابن محمد الرابع

ملك سنة ١١٠٦ وعمره ٢١ سنة وكان شجاعاً نشيطاً فنشر خطاباً يتضمن رغبته في السفر للحرب بنفسه وفي أول أسبوع من جلوسه استرد قائد الأسطول حسين باشا من الفندقيين جزيرة (رودس) وفي سنة ١١٠٧ زحف السلطان بجيشه إلى ما وراء (الطونة) وفتح قلعة (ليبوة) والتقى بجيش النمسويين في (لوغوس) فهزمهم وعاد إلى الأستانة فعاد النمسويون بعد سنة فحاصروا (طمشوار) فسار اليهم السلطان فظفر بهم واغتنم بطرس الأكبر ملك روسيا هذه الفرصة وهجم على قلعة (آزاق) ففتحها وفي سنة ١١٠٩ سار السلطان بجيوشه حتى وصل نهر الطونة واستشار رجاله فبعض اشار بالسفر لجهة (وارادين) وبعض لجهة (قنيجة) فسار إلى قنيجه وبينما كان الجيش يجتاز نهر تايس فاجأهم جيش النمسويين وقبل أن يتم اجتياز النهر انكسر الجسر وانقسمت القوة العثمانية قسمين وتم الفوز للنمسويين واستشهد من الجند عشرة آلاف وكثير من الأمراء فظهر خطأ المشيرين بهذا الرأي ثم عقد الصلح في قصبة (قارلوفجة) بين الدولة ومرخصي سبع دول على أن تترك البلاد التي على يسار الطونة للنمسا وقلعة آزاق لروسيا وشبه جزيرة مورة وجزيرة اياماورا إلى الحكومة الفندقية وولايتا أوقرانيا وبوده ليا لحكومة بولونيا فكانت شروط هذه المعاهدة من أثقل الشروط التي عقدتها الدولة مع الحكومات الأجنبية حتى الآن واخذ الصدر الأعظم في اصلاح المملكة فكاد يتم الإصلاح على يده لو لم يستقل بسبب تداخل فيض الله افندي شيخ

الإسلام ومعلم السلطان في وظيفته فعين بدله طبان باشا ثم قتل بسعاية فيض الله وعين مكانه رامي باشا من مقربي فيض الله فاصبح فيض الله صاحب الأمر والنهى في المملكة وعين اقاربه في اهم مناصب الدولة فثارت العساكر وعصت والسلطان في ادرنة لاه بالصيد كأبيه فقصد الأستانة فانحازت عساكره إلى الثائرين وخلع وبعد خلعه بستة أشهر توفي وعمره أربعون سنة ومدة سلطنته تسع سنوات .

(٢٥) السلطان أحمد الثالث بن محمد الرابع أخو السلطان مصطفى

ملك سنة ١١١٥ بعد خلع أخيه فاستحصل الثائرون فتوى بقتل فيض الله شيخ الإسلام فقتلوه بصورة فظيعة وتمادوا في البغي والعدوان فسكن الثورة وقتل مثيري الفتنة وأجلى بعضهم واشتبك بطرس الأكبر ملك روسيا في حرب مع شارل الثاني عشر ملك السويد فالتجأ شارل إلى الدولة العثمانية فأعلنت الحرب على روسيا وزحف الجيش بقيادة الصدر الأعظم محمد باشا البالطه جي فحاصر بطرس الأكبر في محل على ساحل نهر بروت واصبح بين أمرين الغرق أو التسليم فجاءت زوجته إلى الصدر الأعظم بهدايا وفيرة فصالح الروس بشرط تسليم قلعة أزاق للدولة وهدم القلاع التي على الحدود وتسليم الاسلحة التي فيها مع أنه كان يمكن أسر بطرس الأكبر فمال مع مطامعه فغضب عليه السلطان ونفاه ، وفي سنة ١١٢٧ أعلنت الدولة الحرب على الحكومة الفندقيه لحمايتها عصاة الجبل الأسود الذين ثاروا حين محاربة الروس فزحف الجيش العثماني إلى مورة بقيادة الصدر الأعظم علي باشا وساعده الأسطول فاستردوها كلها ثم أخذوا جزيرة قورفو وفي سنة ١١٢٨ أعلن الحرب على النمسا والتقى الجيشان فاستشهد علي باشا وانهزم الجيش وتقدم العدو فملك طمشوار وبلغراد ثم تقدم حتى بلغ نيش في بلاد الصرب فتوسطت

الانكليز والفلمنك في الصلح فعقد مع النمسا سنة ١١٣٠ على أن تعطى لها ولايتا طمشوار وبلغراد وجعل الصدر الأعظم إبراهيم باشا يقضي أوقاته باللهو والقصف فأنشأ القصور العظام في منتزهات كاغد خانه وعلى ضفاف البوسفور وصار يدعو السلطان إلى مجالس انسه وطربه ليلا لأنهُ كان صهر السلطان فسرى هذا الداء في جميع أركان الدولة وغرق الناس في بحر الملاذ والسفاهية وفي أثناء ذلك كثرت الفتن والقلاقل في إيران وضعفت الدولة الصفوية فهجم أمير أشرف أمير الأفغان بجيوشه على أصفهان عاصمة إيران ففتحها وقتل ونهب وأسر وهجم على الجيوش العثمانية فهزمها وفر الشاه طماسب إلى خراسان وكان (نادرشاه) رجلا خامل الذكر من عشيرة أفشار في خراسان وظهرت له شجاعة أيام إستيلاء الافغانيين على إيران ثم ترقب حاله فملك خراسان فلما وردها طهماسب إتفق معه نادر وسمى نفسه شاه قلي أي غلام الشاه وهجم على أصفهان وهزم أمير أشرف وجلس على تخت أبيه وبعث إلى العثمانيين بإعادة البلاد التي ملكوها من إيران ثم زحف على تبريز فملكها وتقدم بجيشه إلى الإمام وحصلت ثورة في الاستانة من بعض العامة وسرت إلى الإنكشارية فأخرجوا مراجلهم إلى آت ميدان أي ميدان الخيل وكان ذلك علامة عصيانهم وكثر النهب والقتل وطلبوا قتل الصدر الأعظم ثم طلبوا خلع السلطان فخلعوه وقتلوا الصدر الأعظم وأعوانه شر قتلة وهدموا قصوره ونهبوا أمواله وكانت مدة سلطنة أحمد ٢٧ سنة وفي عهده انشئت مطبعة لطبع الكتب.

(٢٦) السلطان محمود الأول بن مراد الرابع

ملك سنة ١١٤٣ بعد خلع السلطان أحمد فقتل مثيري الفتنة وعين للصدارة عثمان باشا وأرسله لحرب الفرس فهزم نادر شاه قرب بغداد ثم فاجأه نادر بجيوشه قرب الموصل وهو مريض فقتل الصدر الأعظم وانهزم جيشه وتقدمت

جيوش نادر حتى مدينة الزور وفي السنة الثانية أرسل عبد الله باشا لمحاربة العجم فهزم في نواحي روان واسترد العجم ما ملكه العثمانيون من البلاد ثم وقع الصلح مع العثمانيين على أن تبقى التخوم على ما كانت عليه زمن الصفويين وإعتبار المذهب الجعفري خامساً وان يكون له ركن في الحرم الشريف (ويقول مؤرخو الأتراك) أن الحكومة رفضت قبول المذهب الجعفري ووافقت على تحديد التخوم فعقدت المصالحة بين الدولتين على ذلك سنة ١١٥٩ والصحيح أن الحكومة قبلت بالمذهب الجعفري ولكن حال دون تنفيذ ذلك تعصب أهل مكة كما شرحناه في الجزء الأول من هذا الكتاب وعند اشتغال الدولة بحرب العجم فتح الروس قلعتي ازاق وقيلبرون فأعلنت الدولة الحرب على روسيا سنة ١١٤٨ فاتحدت روسيا مع النمسا وحاربتا الدولة فكان الظفر للعثمانيين فطرد علي باشا والي بوسنة النمسويين وهزم أحمد باشا عساكرهم في شهر كولي ونيش وأرجعهم إلى بلغراد وفتح الصدر الأعظم محمد باشا سمندرة وأورسة واطه قلعة و(فتح الإسلام) وتقهقر الروس أمام عثمان باشا السر عسكر فاضطرت الدولتان إلى الصلح فعقد في بلغراد سنة ١١٥٢ على شرط بقاء بلغراد في أيدي العثمانيين وهدم قلعة أزاق وعدم إنشاء روسيا سفناً حربية في البحر الأسود وعقدت مع حكومة السويد محالفة دفاعية تجاه روسيا وفي سنة ١١٥٦ إستولى نادر شاه على العراق فحاربته الدولة فكانت الحرب سجالاً وأخيراً التقى الصدر الأعظم محمد باشا بنادر شاه قرب روان فأصيب محمد باشا بحمى محرقة فمات وانهزمت جيوش العثمانيين وعقدت مع نادر شاه مصالحة بشروط المصالحة التي عقدت في زمان مراد الرابع وبقي السلطان تسع سنوات مجتنباً للحروب وشرع في بناء جامع نور عثمانية وأسس مكتبة في أياصوفيا وتوفي سنة ١١٦٨ على ظهر جواده وهو راجع من صلاة الجمعة ومدة سلطنته ٢٥ سنة وكان فطناً حسن الأخلاق محباً للسلم .

(٢٧) السلطان عثمان الثالث ابن مصطفى الثاني

ملك سنة ١١٦٨ وعمرة ٥٣ سنة فاكمل جامع نور عثمانية الذي شرع في بنائه السلطان محمود وسماه باسمه ومرت سلطنته بالسلم ولم يحدث في خلالها ما يؤثر وكثر في زمانه الحريق في الأستانة فأحترق مرة ٢٤ الف دار واشتد البرد في بعض السنين حتى جمد ماء الخليج وكان دميم الخلقة سيء الظن كثير الأوهام يتكلم بسرعة مولعاً بلعب الشطرنج وتربية الحيوانات مات مرة له جواد كان يحبه فدفنه في قبر مشيد في اسكدار وتبدلت الصدارة في عهده سبع مرات وآخر من وليها راغب باشا الشهير توفي سنة ١١٧١ وعمره ٥٦ سنة ومدة سلطنتة ثلاث سنين .

(٢٨) السلطان مصطفى الثالث ابن أحمد الثالث

ملك سنة ١١٧١ وعمره ٤٣ سنة فأبقى راغب باشا صدراً وكان راغب عالماً فاضلا شاعراً يميل إلى الراحة ومجالسة الشعراء والندماء فلم يلتفت إلى اصلاح شؤون الملك وفي سنة ١١٧٦ توفي راغب فضبط السلطان أمواله وإتفقت روسيا مع النمسا وبروسيا على اقتسام بولونيا (لهستان) وأخذت تتداخل في شؤونها حتى عينت لها ملكاً من مقربيها ثم ظهر إختلال في بولونيا فبعثت روسيا جيشاً لتسكينه فطلب البولونيون من الدولة العثمانية مداخلتها وكف يد روسيا فأعلنت الدولة الحرب على روسيا سنة ١١٨٢ فكان الفوز في جانب روسيا في أكثر المواطن لانها كانت مستعدة لهذه الحرب فملكت بلاد الأفلاق وبغدان وأنشأت أسطولا في بحر البالتيك وأنفذته إلى البحر المتوسط فأحرق الأسطول العثماني في خليج جشمة قرب أزمير وملك جزيرة ليمني ودخلت جيوش الروس إلى القريم وأعدين أميرها بالاستقلال فانخدع بوعدهم وأرسل ولديه مع فئة من التاتار إلى بترسبورغ وبذل الطاعة لملكة الروس

كاترينة فلما ملك الروس القريم لم يفوا له بوعدهم فندم والتجأ إلى الدولة العثمانية ولاث حين مندم وثار أهالي مورة بتحريض روسيا فسار اليهم الصدر الأعظم محمد باشا فقتل كثيراً من الثائرين وأخمد الفتنة وأسترد حسن بك غازي جزيرة ليمني وتقدمت عساكر الروس حتى قربت من البلقان وعرضت الصلح بشروط مجحفة فأبت الدولة قبولها وأرسلت روسيا وحليفتاها النمسا وبروسيا العساكر إلى بولونيا فملكوها وأقتسموها وتوفي السلطان سنة ١١٨٨ متأثراً من توالي الفشل وعدم الظفر ومدة سلطنته ست عشرة سنة وكسر وكان يعمل بأقوال المنجمين بخيلا حريصاً على جمع الأموال لكنه أنفقها في محاربة الروس .

(٢٩) السلطان عبد الحميد الأول ابن أحمد الثالث

ملك سنة ١١٨٨ وعمره ٤١ سنة وكانت حالة الدولة سيئة وخزينتها فارغة لكثرة الحروب فلم يمكن توزيع عطية الجلوس على الجنود ونشأ عبد الحميد في قصر الملك منزوياً فلم يتفأل الناس بجلوسه خيراً لعدم خبرته فتوسط سفير بروسيا في الصلح مع روسيا بشرط هدم قلعة (قيل برون) فأبى السلطان ذلك لعدم خبرته فزحفت جيوش الروس وحاصرت الصدر الأعظم في (شمنى) وضيقت عليه فاضطر لعقد الصلح مع (رومانزوف) قائد الروس قبل وصول الأذن من السلطان على شرط ترك قلعة آزاق وبلاد الكرج والجركس لروسيا وجعل نهر أوزي في الروم إيلي حدا بين المملكتين وإستقلال القريم تحت إدارة أمير يعين بإنتخاب الأهلين وخرج في عكا الشيخ ظاهر العمر الصفدي فاستأصلت الدولة شأفته وضبطت أمواله . وحاصر كريم خان الزندي الذي تغلب في إيران مدينة البصرة وملكها بسبب تنازع الولاة في العراق فأعلنت الدولة الحرب على العجم وبهمة سليمان باشا والي بغداد

عادت السكينة في العراق وفي سنة ١١٩٨ حدثت بعض فتن في القريم بواسطة أميرها بدسائس روسيا فملكت روسيا القريم والغت الإمارة فكان لذلك وقع سيء في نفوس العثمانيين وأتفقت روسيا مع النمسا على اقتسام المماليك العثمانية وأخذت هي النمسا تتعنت الدولة وأعانتها إنكلتره بسبب ضعف الدولة وعجزها وكان الصدر الأعظم خليل باشا عاقلاً حازماً فبعث علي باشا فرح إلى القفقاس فأخذ يدعو أهلها إلى الإسلام والدخول في طاعة الحكومة فألف قوة عظيمة من الجركس تجاه روسيا ثم ذهب الصدر الأعظم ضحية الأغراض الشخصية فقتل وعين مكانه علي باشا والي أوزي وفي سنة ١٢٠٠ أرسل حسن باشا قائد الأسطول إلى مصر لتأديب المماليك وكان معه محمد علي الذي ملك مصر وهو جندي من مدينة قوالة في سلانيك وقبل إتمام عمله دعي إلى الأستانة لإعلان الحكومة الحرب على روسيا سنة ١٢٠١ بتحريض سفيري انكلترة وبروسيا لاسترداد القديم وبقي محمد علي في مصر حتى ملك وأباد المماليك سنة ١٢١٩ وكان الصدر الأعظم يوسف باشا فأخذ يحصن التخوم ويرسل الذخائر والمهمات. فأعلنت النمسا الحرب مشتركة مع روسيا فسار يوسف باشا الصدر الأعظم لحرب النمسا فهزمهم في أربعة مواقع وغنم منهم ثمانين مدفعاً وأسر خمسين الفاً أما الجيش المرسل لمحاربة الروس فانهزم وملكت روسيا بغدان وقلاع ياش وخوتين وأوزي وقتلت أهلها قتلا عاماً فإتفقت حكومة السويد مع الدولة العثمانية على حرب الروس وكان الحرب بينهم سجالا وفي سنة ١٢٠٣ توفي السلطان عبد الحميد متأثراً من توالي المصائب الحربية وعمره سبع وخمسون سنة وسلطنته ١٦ سنة مرت بالحروب والمصائب ولم يكن رجل ملك فضعفت في زمانه الدولة حتى طمعت فيها روسيا والنمسا .

(٣٠) السلطان سليم الثالث ابن مصطفى الثالث

ملك سنة ١٢٠٣ وعمره ٢٨ سنة فابقى يوسف باشا في الصدارة وعين

حسين باشا كوجك قائد الأسطول وأمره بدوام الحرب فأغرق الأسطول بعض سفن العدو وتقدم الجيش وانفذ كتيبة إلى قلاص فهزمها الروس وملكوا قلعة قلاص فأرسل القواد إلى السلطان إنهم غير قادرين على مداومة الحرب لقلة المال فتقرر جمع الأواني والحلي وضربها نقوداً لكن هذا لم يكن كافياً لفقد الأنتظام في العساكر فهزمت أمام الروس والنمسا في عدة مواقع وملك الروس اقكرمان وبندر وكبلي وملك النمسويون بلغراد وسمندرة وفتح الإسلام ثم اتفق الصربيون مع النمسويين وثاروا على الحكومة وحاصر قائد الروس قلعة إسماعيل فرده عنها حسن باشا الغازي فرقي إلى الصدارة ومات بعد أربعة أشهر فعين مكانه شريف حسين باشا فهزم عساكر النمسا في يركوي فرضيت النمسا بالصلح على إرجاع التخوم العثمانية إلى ما كانت عليه قبل الحرب وأعادة بلغراد والقلاع التي ملكتها إلى الدولة وبقيت روسيا تحارب وحدها فأعيد يوسف باشا إلى الصدارة وأمر بمواصله الحرب فالتقى بجيش الروس في ماشين ثم صالح روسيا سنه ١٢٠٦ على أن تبقى القريم وولاية أوزي بيد روسيا وأن يكون نهر ونيستر حداً بين الدولتين وان تبقى التخوم في الأناضول على ما كانت عليه قبل الحرب وشرع السلطان سليم في تعليم الجنود على الطرز الجديد وأسس مكاتب لتعليم الجنود البرية والبحرية وأبلغ عدد الجنود المعلمة إلى أثني عشر الفاً وعين لهم ضباطاً ويوزباشية وبيكباشية على الطريقة المعروفة ورتب لهم قانوناً وأصدر أمره إلى الولاة بالسير على هذه الخطة وأخذ في إصلاح الأسطول فلم يرق ذلك في أعين بعض الوزراء ورؤساءالإنكشارية وفي سنة ١٢١٣ هجم نابليون بونابارت الشهير قائد الفرنسيين الذي صار أخيراً ملك فرنسا على مصر فملكها ثم حاصر عكا فصده عنها أحمد باشا الجزار فاتفقت الدولة مع روسيا وإنكلتره وملكت من فرنسا الجزائر السبعة اليونانية وجعلتها جمهورية تابعه لها وسيرت يوسف باشا ضياً والي أرضروم

لأخذ مصر من نابليون وأحرق أسطول إنكلترة سفن الفرنسيين في أبوقير ففر نابليون خفية إلى فرانسة ثم أخلت عساكر الفرنسيين مصر وعادت لبلادها بعدما بقيت في مصر أربع سنين وفي عهده كان ظهور مذهب الوهابية وفي سنة ١٢٢١ ملكت روسيا قلاع خوتين وبندر وكيلي واقكرمان واحتلت ياش وبكرش فأعلنت الدولة الحرب عليها بتحريض سفير فرنسة فحنق لذلك سفير إنكلترة وغادر الأستانة ليلاً وعاد بأسطول إنكلترة وإجتاز مضيق الدردنيل وأرسى أمام الأستانة وطلب إلى الدولة الصلح مع روسيا والإتفاق مع إنكلترة وطرد سفير فرنسة فرفضت الدولة ذلك وتهيأت للدفاع ففر ليلاً من غير حرب ثم سافر الجيش إلى محاربة الروس بقيادة الصدر الأعظم إبراهيم باشا حلمي فثارت الإنكشارية في الأستانة واستمالوا موسى باشا كوسه قائم مقام الصدارة وعطاء الله افندي طوبال شيخ الإسلام فأراد راغب باشا والي قرمان الباس جنوده لباس العساكر الجديدة فأبوا وأخبروا الإنكشارية ونادوا في الإستانة بالعصيان وطلبوا من السلطان قتل بعض الوزراء المائلين إلى الاصلاحات الجديدة فوافقهم تسكينا للفتنة ثم أخذوا فتوى من شيخ الإسلام بوجوب خلع السلطان فخلع .

(٣١) السلطان مصطفى الرابع ابن عبد الحميد الأول

ملك سنة ١٢٢٢ وعمره ٢٩ سنة فالغى النظام الجديد وكل ما أحدثه سلفه من الإصلاح وعقدت هدنة مع روسيا وعاد الجيش إلى مشتى ادرنة وفر من الأستانة خمسة من رجال الإصلاح إلى مصطفى باشا العلمدار في روسجق فصار يطلق عليهم خلان روسجق فأخبروه بالحال وأقنعوه بوجوب إعادة السلطان سليم فسار بجيشه إلى الأستانة وأحاط بقصر الملك وطلب السلطان سليم فقتله السلطان مصطفى واتباعه شر قتلة فدخل مصطفى باشا القصر فوجد سليماً مقتولا فقتل جملة من مثيري الفتنة وأجلس محموداً على تخت الملك .

(٣٢) السلطان محمود الثاني بن عبد الحميد الأول

ملك سنة ١٢٢٣ وعمرة ٢٣ سنة فعين مصطفى باشا صدراً أعظم فقتله الإنكشارية غيلة ليلاً في رمضان بعد ما حصروه في قصره في الباب العالي ودافع عن نفسه دفاع الأبطال ولما رأى أنه لا مندوحة له عن التسليم أشعل مخزن البارود فانهدم القصر وتوفي مع زوجة له لم تفارقه حتى آخر نفس من حياته وأخذ الإنكشارية في نهب بيوت الوزراء وقتلوا كثيراً من رجال الإصلاح وارادوا إرجاع السلطان مصطفى فقتله السلطان محمود ولما أنقضت مدة الهدنة مع روسيا سارت لحرب الدولة وضبط بعض القلاع حتى بلغت البلقان فأضطرت الدولة لعقد الصلح على أن تترك لروسيا قلاع بندووكيلي وخوتين واقكرمان ويكون نهر بروت حداً بين الدولتين وأرسل إلى محمد علي باشا بإخراج الوهابيين من الحجاز فأرسل ولده إبراهيم باشا فأخرجهم من من الحجاز وتبعهم إلى نجد فقبض على أميرهم سعود في الدرعية قاعدة إمارته وبعثه إلى الأستانة فصلب بها وكان قد قتل المماليك الذين كانوا يقلقون الراحة في مصر قبل سفر الجيش إلى الحجاز بعد جمعهم إلى وليمة وكان علي باشا والي يانية ذا نفوذ عظيم في أموره وجميع بلاد اليونان فكان سداً منيعاً دون تنفيذ مآربهم لكن حالة أفندي أحد مقربي السلطان محمود كان يسعى به لدى السلطان لأنه لم يستفد من ثروته فأمر السلطان بقتله بعد ما حوصر سنتين فرفع اليونان راية العصيان مطالبين بالإستقلال وملكوا نابولي وميسولونكي فعين إبراهيم باشا إبن محمد علي باشا المصري لاخماد ثورة اليونان فسار اليها بجيشه واسترد ما ملكوه من القلاع وأخمد الثورة وأراد السلطان محمود إصلاح الجندية وتنظيم العساكر على الطرز الجديد لأن الإنكشارية قد فسد نظامهم وأخلاقهم وأضحوا أعداء الإصلاح فعين للصدارة سليم باشا من محبي الإصلاح

وعين حسين باشا لمحافظة البوغاز في الروم إيلي والأناضول وأمرهما أن يكونا على قدم الإستعداد وأخذ فتوى شيخ الإسلام بوجوب تعليم العساكر على الطرز الجديد فثار الإنكشارية ونهبوا الباب العالي وتعدوا على أعراض الناس فاستدعى السلطان محافظي البوغاز وأخرج اللواء الشريف فاجتمع الناس في ميدان السلطان أحمد وكانوا قد ملوا ظلم الإنكشارية فأخرج الإنكشارية مراجلهم إلى آت ميداني علامة العصيان وتحصنوا في ثكناتهم فمشى اليهم حسين باشا وعزة باشا وهدموا ثكناتهم وبددوا جموعهم وأعلن الغاء صنوف الإنكشارية في جميع المملكة وأحدثت عساكر غيرها بإسم العساكر المحمدية المنصورة وعين حسين باشا سر عسكراً لها وكانت روسيا تزعج الدولة بالمطالب الغريبة وتخلق لها المشاكل حتى أضطرت لعقد معاهدة معها وسعت بها حدود الأناضول وزادت في إمتيازات الصرب وبغدان وافلاق ثم اتفقت مع إنكلترة وفرنسة على المطالبة بإستقلال اليونان فرفضت الدولة ذلك ففاجأ أسطولهن أسطول الدولة في ناوارين وأحرقه كله واجتازت روسيا الحدود فحاربتها الدولة ولم تكن اكملت تشكيلاتها الجديدة وتقدمت عساكر الروس فملكت كثيراً من القلاع في الروم إيلي حتى ملكت أدرنة وملكت أرضروم في الأناضول وأخرجت فرنسة عساكرها إلى مورة واحتلت القلاع الحصينة والفت حكومة موقتة بإسم حكومة اليونان فاضطرت الدولة إلى عقد الصلح على شرط قبول إستقلال اليونان وترك بلاد الجركس مع بعض القلاع لروسيا وإعطاء سبع ملايين ذهب غرامة حربية لروسيا وفي سنة ١٢٤٦ إحتلت جيوش فرنسة الجزائر في بلاد الغرب بسبب طفيف وهو مصادرة حسين داي من متغلبي الجزائر بعض الفرنسيس وحاربها الأمير عبد القادر الحسني الجزائري ١٢ سنة ثم نفته إلى سوريا فتوفي بها. وكان محمد علي باشا والي مصر ينوي الإستقلال وتملك بلاد العرب فألف الجنود المنظمة وأنشأ أسطولاً حربياً وبعث

إبنه إبراهيم باشا فملك عكا من عبد الله باشا الخزندار واليها من قبل الدولة وملك دمشق واستولى على سورية كلها بعدما استمال اليه الأمير بشير الشهابي حاكم جبل لبنان فأرسل اليه السلطان محمود حسين باشا في ثلاثين الف مقاتل فالتقى به بين حلب والشام فهزمه إبراهيم باشا وغنم ذخائره وتقدم حتى وصل صحارى قونية فأرسل اليه جيش آخر بقيادة محمد باشا فهزمه وتقدم حتى وصل كوتاهية فراجع السلطان محمود روسيا وتعاهد معها في ميناءخنكار على أن تمده بجيوشها وأسطولها ويترك لها حرية المرور من البوغاز فأمدته بجيوشها واضطرت محمد علي إلى سحب عساكره إلى مصر على أن يكون والياً في مصر وصيدا وحلب والشام وولده إبراهيم والياً على كريد علاوة على ولاية جدة التي كانت في عهدته ولكن محمد علي لم يقنع بذلك وظل دائماً في تعزيز الجنود والتأهب للحرب فأرسلت الدولة حافظ باشا ليراقبه ويصده إذا تعدى الحدود فالتقى جيشه بجيش إبراهيم باشا في نزيب فهزمه إبراهيم وقبل وصول خبر الهزيمة إلى إستانبول توفي السلطان محمود سنة ١٢٥٥ وكان من أعاظم ملوك بني عثمان ويلقب بالعدلي وهو أول من لبس الطربوش والسترة والبنطلون وكان الملوك قبله يلبسون العمائم الكبار في أعلاها الريشة الملوكية والبنشات والأقبية والسراويلات الواسعة وبعضهم يلبس القلنسوة الطويلة (القاووق) وفي أعلاه أومقدمه الريشة واستمر من بعده على هذا اللباس إلى آخرهم .

(٣٣) السلطان عبد المجيد بن محمود

ملك سنة ١٢٥٥ وعمره ١٨ سنة فأستقبل المسألة المصرية وهي في دورها الحاد وكانت فرانسا تساعد محمد علي باشا وإنكلترة بعكسها لأنها أوجست خيفة من قوة دولته في مصر وبلاد العرب ولها فيها مطامع وكان مصطفى رشيد باشا سفير لوندار يطلب مساعدتها فأغتنمت الفرصة واتفقت هي وروسيا

وبروسيا وامدوا الدولة بالجيوش والأساطيل وأرجعوا عساكر محمد علي إلى مصر على أن تكون ولاية مصر له ولاولاده بالوراثة باسم خديوي أي نائب وأن لايزيد عسكره عن عشرين الفاً ويساعد الدولة عند اللزوم ويدفع لها كل سنة مبلغاً من المال والغيت معاهدة ميناء خنكار بمعاونة هذه الدول وأعلن السلطان منشوراً يتضمن صيانة النفوس والأموال والأعراض لجميع الرعايا من أي مذهب كانوا وأخذ في إصلاح الجندية والبحرية فجعلت روسيا تحدث للدولة المشاكل وتتداخل في شؤونها وساقت جيشها إلى افلاق وبغدان بدون إعلان حرب وباغتت الأسطول العثماني في سينوب فأحرقته فاتفقت الدولة مع إنكلترا وفرنسا وإيطاليا على حرب روسيا فملكت سيواستبول في القريم وأحرقت أسطولها فطلبت روسيا الصلح فعقد في باريس على أن تبقى سيواستبول بيد روسيا وتعيد الدولة قلعة القارص التي ملكتها في الأناضول وان يكون ملك الدولة مصوناً بكفالة الدول المشتركة وان تعتبر من الدول المتمدنة وأن تبقى البوغازات مسدودة عن جميع الدول وبعد وفاة رشيد باشا إختلت إدارة الدولة وكثر الاسراف في أموال الخزينة فاتفقت روسيا مع نابليون ملك فرنسا وطلبت من الدولة جعل افلاق وبغدان إمارة واحدة فلم يسع الدولة إلا القبول وفي سنة ١٢٦٠ ثار دروز جبل لبنان على المسيحيين المارونيين وسرت الفتنة الي دمشق فحدث قتل عام على المسيحيين فتداخلت فرانسا باسم حماية الكاثوليك وأخرجت جيشاً إلى سورية فأرسل الوزير فؤاد باشا لتسكين الفتنة فقتل والي دمشق ونفى بعض الرؤساء وقتل بعض الاشقياء وسجن البعض وأخمد الفتنة وتقرر أن يكون جبل لبنان على الشكل الذي كان عليه قبل الحرب العامة فيعين له متصرف مسيحي برأى الدول السبع مدته ثلاث سنوات وتدفع له الدولة اعانة سنوية ولا تأخذ منه شيئاً من المال ولا الرجال ثم الغيت الاعانة بسعي بعض المتصرفين وفي سنة ١٢٧٧ توفي السلطان عبد المجيد وعمره

أربعون سنة وهو الذي عمر الحرم الشريف النبوي على ما هو عليه اليوم .

(٣٤) السلطان عبد العزيز بن محمود

ملك سنة ١٢٧٧ وعمره ٣٢ سنة فقسم المملكة إلى ولايات وألوية وأقضية ومديريات وأحدث مجلس شورى الدولة وأسس المكتب السلطاني على طرز مكاتب أوروبا واستقرض من أوروبا المال فأصلح به الجندية وعزز الأسطول حتى صار يعد في الدرجة الثانية بين أساطيل الدول وحدث إختلال في كريد وقره داغ فأصلح بسعي الصدر الأعظم عالي باشا الشهير وفي سنة ١٢٨٣ سافر السلطان عبد العزيز إلى مصر ومنها الى أوروبا فزار معرض باريز ولوندرة وفينا وكان معه فؤاد باشا الشهير وكانت السياسة الخارجية زمن عالي باشا وفؤاد باشا حسنة جداً لكن بعد وفاتهما فسدت الأحوال وكثر الرشا والأسراف وفي صدارة محمود نديم باشا صارت الوظائف تباع بالمال وكثرت الثورات في البلاد وثار أهل البوسنة والهرسك وقتلوا كثيراً من المسلمين وامتدت الثورات إلى الجبل الأسود وبلاد الصرب والبلغار وكان سبب توسعها إنقياد الدولة إلى سفير روسيا وانخداعها بأقواله وعدم إتخاذها التدابير لقمع الثائرين ثم ثار مسلمو سلانيك وقتلوا قنصلي فرنسا والمانيا بسبب تهريب قنصل المانيا بنتاً بلغاريه أسلمت فأرسلت الدول سفنها إلى سلانيك وطلبت تأديب القاتلين وعزل المأمورين الذين تسامحوا بهذه الحادثة فنفذت الدولة مطالبهم فهاجت أفكار الناس في الأستانة لمداخلة الاجانب في شؤون الدولة فتجمع العلماء والطلاب في ميداني الفاتح وبايزيد وطلبوا عزل محمود نديم باشا فعزل وكان السلطان الف التبذير والأسراف حتى اثقل كاهل الدولة بالديون ولم يجسر رجال الدولة على معارضته بشيء فقرر الوكلاء خلعة وكان الصدر الأعظم محمد رشدي باشا والسر عسكر حسين عوني باشا وشيخ الإسلام

حسن خير الله أفندي وأحاط سليمان باشا ناظر المكتب الحربي قصر السلطان بتلامذة المكتب الحربي من جهة البر وأمر جنود المدرعة مسعودية بحفظ ناحية البحروأخذ حسين عوني باشا مراداً إلى دائرةالسر عسكرية فبايعه الوزراء ورجال الدولة وأطلقت مدافع الجلوس فلما سمع السلطان عبد العزيز صوت المدافع لم يسعه إلا التسليم فنقل إلى قصر طوبقبو ثم إلى قصر شراغان بطلب منه وهناك قطع عروق ساعديه بمقراض أخذه من أحدى جواري القصر فنزف دمهوتوفي بعد خلعه بستة أيام سنة ١٢٩٣ ومدة سلطنته ١٥ سنة وأربعة أشهر و١٩ يوماً .

(٣٥) السلطان مراد الخامس ابن عبد المجيد

ملك سنة ١٢٩٣ ويوم جلوسه ظهرت عليه علائم الاختلال فكان يعانق الوزراء والخدم الذين يدخلون عليه ثم زاد هذا الحال معه حتى صار يلقي بنفسه من النافذة ويقفز إلى البركة باثوابه فشرعوا بمداواته وكتم الوزراء ورجال القصر أمره مدة لكنه شاع أخيراً فقرروا خلعه وأخذوا فتوى من شيخ الإسلام بوجوب خلعه فخلع وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام ويقال أنه شفي بعد مدة لكنه ظل مسجوناً في قصر شراغان إلى أن توفي سنة ١٣٢٢ وبعد جلوسه بيومين دخل حسن بك الشركسي من حجاب السلطان عبد العزيز إلى مجلس الوكلاء وأطلق مسدسه على السر عسكر حسين عوني باشا وقتل راشد باشا وجرح أحمد باشا من الوزراء فقبض عليه وقتل شنقاً .

(٣٦) السلطان عبد الحميد الثاني ابن عبد المجيد

ملك بعد خلع أخيه مراد سنة ١٢٩٣ وحالة الدولة مضطربة جداً والدول متاظهرة بالحماية للمسيحيين فإنكلترا تظاهر البلغار وروسيا تظاهر صربياً والجبل الأسود وكانت الحكومة ساقت جيشاً لتسكين الثورات

التي حدثت في بلاد البلغار والصرب فاستأصل شأفه الثائرين في بلاد الصرب فهزم جموعهم وملك الكسناح المشهورة بمناعة موقعها فاضطر أمير الصرب إلى مراجعة الدول وطلب توسطهن في توقيف الحرب فاضطررن الدولة لتوقيفها إلى ستة أسابيع ثم عقد في الأستانة مؤتمر لحل هذه المشاكل فكانت مقرراته مجحفة بحقوق الدولة فرفضت قبولها فأعلنت روسيا الحرب على الدولة واجتازت عساكرها الطونة فحاصرت بلونه وملكتها من يد الغازي عثمان باشا الشهير ثم تقدمت حتى وصلت أياستفانوس وهو حي من إحياء الأستانة اليوم فمنعت الدول الأجنبية روسيا من دخول الأستانه وعقدت معاهدة أيا ستفانوس الشهيرة ومقتضاها تأليف دولة كبيرة بلغارية تمتد من الطونة إلى بحر مرمرة فاعترضت إنكلترا وأوستريا على هذه المعاهدة وعقدت معاهدة في برلين على أن تترك أردهان وباطوم والقارص لروسيا وان تكون البلغار إمارة تابعة للباب العالي ويكون والي الروم إيلي الشرقية مسيحياً وأن تستقل رومانيا وصربيا والجبل الأسود وتترك تساليا لليونان وكان قد أعلن الدستور في الممالك العثمانية لأول مرة بسعي مدحة باشا الشهير الذي كان والياً في بغداد ودمشق ونفاه السلطان عبد الحميد إلى الطائف فمات بها وبعد هذه المعاهدة فض السلطان عبد الحميد مجلس المبعوثين ونفى محبي الإصلاح والحرية واحتلت إنكلترا جزيرة قبرص على أن تدافع عن السواحل العثمانية لدى الحاجة واحتلت فرانسا تونس لسبب طفيف وهو تجاوز أحدى القبائل على أراضيها في الجزائر .

وكان الخديويون في مصر أحدثوا جملة إصلاحات كالقناطر الخيرية والمتحف المصري وغيرهما لكن هذه الأعمال اثقلت كاهلها بالديون فاضحت ماليتها تحت مراقبة الأجانب فألف حزب وطني برآسة أعرابي باشا لتخليص مصر من الإجانب وجعلها حكومة مستقلة وثاروا على الأجانب فاتفقت إنكلترا

وفرنسا وبعثت بأسطولها إلى مياه الإسكندرية فزاد ذلك هياج الثائرين وقتلوا كثيراً من الأجانب ونهبوا بيوتهم فالتجأ بعضهم إلى الأسطول فخرجت عساكره إلى البر وملكت الإسكندرية وأرسل قائده جيشاً من جهة السويس إلى القاهرة فالتقى بجيش أعرابي في التل الكبير وهزمه ثم إحتل القاهرة فدخلت مصر في حكم الإنكليز .

وقام رجل في السودان يدعى أحمد محمد وأخذ يدعو الناس إلى محاربة الإنكليز فاجتمع عليه خلق كثير وسمي المتمهدي فأنفذت اليه إنكلترا جيشاً فهزمه ودخل الخرطوم وقتل جيش غورودن باشا عن بكرة أبيه فانفذت اليه جيشاً آخر جله من العسكر المصري بقيادة اللورد كوتشنر باشا فحاربه ثلاث سنوات وأخرجه من الخرطوم .

واحتلت فرنسا فشوده في وادي النيل فادعت إنكلترا انها من السودان وبعد جدال طويل كاد يفضي إلى الحرب بين الدولتين أجلت فرنسا عساكرها عنها .

وفي سنة ١٣٠٤ هـ — ١٨٨٥ ثار أهل ولاية الروم إيلي الشرقية طالبين الالتحاق بإمارة البلغار فقبضوا على الوالي غاور يل باشا وبعثوه إلى الإستانة ثم أقاموا والياً مكانه أمير البلغار وكانت الدولة تعهدت في معاهدة برلين بإصلاح الولايات التي يقطنها الأرمن ما بين جبال أرارات حتى كليكيا فاشتكى الأرمن إلى الدول أن السلطان لم يف بتعهده وطلبوا مداخلتهم وأظهروا العصيان وأحدثوا ثورة فقتل منهم كثير وفي سنة ١٣١٥ هـ — ١٨٩٥ م ثار الأرمن في الأستانة فأخمدت ثورتهم بعدما قتلوا بالمآت في شوارع الأستانة وتوالت ثوراتهم في الأناضول والأستانة لكنها لم تأت بالنتيجة التي يتوخونها في جانب سياسة عبد الحميد ودهائه وفي بعض السنين وضعوا قنبلة في الطريق

التي يمربها عبد الحميد في رجوعه من صلاة الجمعة فاتفق أنه تأخر عن الوقت المعين لحديث جرى له مع شيخ الإسلام فثارت القنبلة قبل رجوعه وسلم وفي سنة ١٣١٦ هـ — ١٨٩٦ م أحاطت سفن الدول الأوروبية بجزيرة كريد (اقريطش) وطلبت منحها بعض إمتيازات وجعل واليها مسيحياً على أن تكون أعماله بمراقبة لجنة من الأجانب لكن هذا التدبير لم يكن كافياً لتسكين الثورات بين المسيحيين والمسلمين وكان قنصل اليونان يعظم الحوادث ويجعلها بصبغة قتل عام للمسيحيين فبعثت حكومته أسطولاً وزحف ولي عهد اليونان على يانية فاشتعلت نار الحرب بين الدولة واليونان وتم الظفر للدولة لكن الدول الأجنبية لم تمكنها من إقتطاف ثمرة هذا الظفر بل كانت النتيجة إخراج عساكر الدولة من كريد ونصب ولي عهد اليونان أميراً عليها تحت حماية روسيا وفرانسا وإنكلترا وايطاليا وكان السلطان عبد الحميد يدير أمور الملك داخلا وخارجاً برأيه وإدارته وكان يخاف من أذكياء الرجال فيبعدهم عن الحكم وينفيهم ويدني منه من يوافقونه على أفكاره وكثرث في عهده الجواسيس وفشي الظلم والرشى في جميع طبقات الموظفين حتى صارت الوظائف تباع بالأموال فأصبحت الدولة في حالة يرثى لها والدول الأجنبية فاغرة فاها لابتلاعها وقررت إقتسامها في ملاقاة روال فتألفت الجمعيات السرية ضد حكومة عبد الحميد كجمعيات (تركيا الفتاة) التي سميت أخيراً (جمعية الإتحاد والترقي) وكان ابتداؤها سنة ١٢٩٦ هـ — ١٨٧٨ م حين أوقف عبد الحميد الدستور فتفرق أنصار الدستور في أوروبا ثم إجتمعوا سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م في مدينة جنيف بسويسرة ثم إجتمعوا سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م في باريز وقرروا وجوب الإبتداء بالعمل لقلب حكومة عبد الحميد فثارت الجميعة في مناستر بمعاضدة الجيش وكان المدير للثورة القول آغاسي نيازي بك الذي قتل بعد ذلك بمدة قليلة والبيكباشي أنور بك الذي صار وزير الحربية وقتل في تركستان

في ساحة القتال وهو ينازل جيوش روسية وقد أنفلت عساكره فآثر البقاء في ساحة القتال يقاتل كجندي حتى قتل وطلعة باشا الذي قتله أرمني في سويسرة بعد إنتهاء الحرب وكان هرب اليها وجمال باشا الذي إغتالته عصابة أرمنية في القفقاس فخاف السلطان وأعلن الدستور للمرة الثانية بطلب الجمعية في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ مالية و١٣٢٦ هـ — ١٩٠٨ م وجمع مجلس المبعوثين وفيها أعلنت النمسا ضم ولايتي البوسنة والهرسك اليها وأعلن البلغاريون إستقلالهم ولم تكن الدولة في حالة يمكنها معها الحرب فلم يسعها إلا القبول بذلك لقاء أموال قبضتها من النمسا والبلغار وأخذ عبد الحميد يعمل سراً على تدمير الجمعية فحرض العساكر على العصيان وثاروا مطالبين بتنفيذ أحكام الشريعة وقتلوا بعض منتسبي الجمعية وأصبحت الأستانة في هرج ومرج فزحف جيش الروم إيلي إلى الأستانة بقيادة محمود شوكت باشا قائد الفيلق الثالث فدخلها في ١١ نيسان وأعلن الإدارة العرفية وشنق كثيراً من مثيري الفتنة وخلع السلطان عبد الحميد بفتوى من شيخ الإسلام وتصديق مجلس المبعوثين في ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧ هـ و٢٧ نيسان سنة ١٩٠٩ م وصارت الجمعية هي الكل في الكل وكان عبد الحميد في هذه المدة كالمحصور في قصره حتى اضطر أن يتغذى بحشائش الحديقة ثم نفي إلى سلانيك وحجر عليه في قصر الجيش وعندما وقعت الحرب البلقانية نقل من سلانيك إلى استانبول خشية أن يستولي الأعداء على سلانيك فيقع في يدهم وبقي في إستانبول حتى توفي فيها سنة ١٣٣٢ مالية الموافقة سنة ١٣٣٤ هـ .

(٣٧) السلطان محمد رشاد بن عبد المجيد

ملك بعد خلع أخيه عبد الحميد سنة ١٣٢٧ هـ باسم (محمد الخامس) وكان ضعيفاً مستضعفاً ليس له مع جمعية الإتحاد والترقي أمر ولا نهي وليس

له وظيفة غير التوقيع على ما يقدم اليه من الأوراق وفي ٢٦ أيلول سنة ١٣٢٩ هـ – ١٩١١ م أنزلت إيطاليا جنودها على سواحل طرابلس الغرب وبدأت بأعمالها الحربية للإستيلاء على هذه الولاية فدافع العرب والأتراك عنها وجرى بين الإيطاليين وأهلها حروب في الداخل بقيادة بعض ضباط الترك الذين تسللوا اليها خفية حتى ضايقوا الايطاليين فجاء أسطولهم إلى بيروت وضرب عليها القنابل وأغرق السفينة الحربية الصغيرة والتوربيل العثمانيين وقتل من فيهما من الجند بعد ما طلب منهم التسليم فأبوا وفي معاهدة لوزان سنة ١٣٣٠ – هـ ١٩١٢ م أرغموا على التنازل عنها لايطاليا بسبب حرب البلقان وهال دول البلقان نهضة العثمانيين فوطنت النفس على تحرير الشعوب البلقانية قبل أن يستد ساعد العثمانيين فتناسب الاحقاد والفت حلفاً في صيف ١٣٣٠ هـ – ١٩١٢ م ضد العثمانيين وما جاء الخريف حتى كان البلقان باسره شعلة نار وفي تشرين الأول سنة ١٣٣١ هـ – ١٩١٣ م إستولى اليونانيون على سلانيك وأهانوا الضباط العثمانيين الذين وقعوا في اسرهم أعظم الأهانة وكان قائدها قصر في الدفاع عنها وفي شباط من هذه السنة سقطت ادرنة ويانية بعد دفاع مجيد وحوصرت ادرنة مدة طويلة أظهر فيها قائدها (شكري باشا) غاية الشجاعة والبسالة والتدبير حتى فقد القوت فدخلها ملك البلغار بجنوده ووضعت أسلحة العثمانيين على الأرض ومشى فوقها ووقع شكري باشا في أسره وسلمه سيفه بيده وفعل فيها البلغاريون فظائع كثيرة من القتل والنهب والتعدي على الأعراض ونبش قبور ملوك العثمانيين وفي فتحها يقول شوقي شاعر مصر من قصيدة عصماء تأتي بثمامها « أنشى » في الجزء الثالث :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والإسلام
بكما أصيب المسلمون وفيكما دفن اليراع وغيب الصمصام
بالامس إفريقيا تولت وانقضى ملك على جيد الخضم جسام

واليوم حكم الله في مقدونيا لانقض فيه لنا ولا إبرام
علم الزمان مكان (شكري) وانتهى شكر الزمان اليه والإعظام

وكان النصر المتاح لدول البلقان أوقع الشقاق فيما بينهم لأختلافهم على إقتسام الغنيمة فأنقضت بلغاريا على حليفاتها ودخلت رومانيا ضدها ودارت الدائرة على بلغاريا وفي هذه الفرصة استجمع العثمانيون قواهم واسترجعوا أراضيهم في شرق ووسط (تراكية) ومنها (أدرنة) بقيادة أنور بك الذي صار بعد ذلك (أنور باشا) وفي أواخر تموز سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م إبتدأت الحرب العامة بين المانيا من طرف وإنكلترا وافرنسة من طرف ودخلت الدولة العثمانية مع المانيا ثم دخلت معها بلغاريا ثم دخلت أمريكا مع إنكلتر وإنتهت في خريف ١٣٣٦ هـ — ١٩١٨ م بعد ما دامت أربع سنوات وشهوراً بإنكسار المانيا وضياع جل المملكة العثمانية ووقعت المانيا على معاهدة الصلح نهائياً في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٨ ومن غرائب الإتفاق أن اسم القائد العام لجيش المانيا وحلفائها (هيندنبرغ) يوافق بحساب الجمل تاريخ مبدأ الحرب العامة بالهجري ١٣٣١ وفرض على المانيا غرامة حربية قدرها خمس مليارات ونصف مليار جنيه إنكليزي (والمليار الف مليون) وكانت الناس تؤمل خيراً من إنتقال الحكم من الشكل الاستبدادي إلى الشوروي حتى أن جمعية الإتحاد والترقي نقشت على النقود اليكلية في عهد محمد رشاد هذه الكلمات الثلاث (حرية عدالة مساواة) ولكن النتيجة كانت ضياع المملكة وإقتسام الدول أكثرها وتوفي السلطان محمد رشاد في أواخر الحرب العامة سنة ١٣٣٦ هـ .

(٣٨) الأمير يوسف عز الدين بن عبد العزيز

وكان ولي عهد السلطنة بعد محمد رشاد الأمير يوسف عز الدين بن عبد العزيز وكان شهماً غيوراً على الدولة كارهاً للإتحاديين وسياستهم التي يرى

فيها خراب الدولة وتمزقها وقد توفي في أوائل الحرب الكبرى سنة ١٣٣٣ هـ منتحراً بقطع عروق ذراعيه حتى نزف دمه كما جرى لأبيه وشاع يومئذ أن الإتحاديين هم الذين قتلوه سراً وأشاعوا إنتحاره كما شاع أن غيرهم قتلوا أباه وأشاعوا إنتحاره وأدعى الإتحاديون أنه أصابه جنون فقتل نفسه ونشروا تقارير طبية تفيد أنه إنتحر إنتحاراً والله أعلم .

(٣٩) السلطان وحيد الدين بن عبد العزيز

ملك سنة ١٣٣٤ مالية ١٣٣٦ هـ في أثناء الحرب العامة وإنتهت الحرب بإنكسار الدولة العثمانية وضياع معظم ولاياتها واحتلال دول الحلفاء للقسطنطينية مما آل إلى عقد معاهدة سيفر التي تقضي بتجزئة ما بقي من تركيا ووضع البلاد التركية تحت الانتداب الإنكليزي تقريباً ووقع هذه المعاهدة السلطان وحيد الدين وثار في الأناضول على أثر ذلك مصطفى كمال باشا فجعل وحيد الدين يرسل اليه ينهاه عن ذلك حتى أصدر أمراً في حقهم بأنهم خوارج عصاة يجب جهادهم فلم يصغوا إلى ذلك وطحنت الجنود الكمالية جيوش اليونان وتغلبت على من ناوأها ودخل مصطفى كمال الأستانه ظافراً وفر السلطان وحيد الدين على باخرة إنكليزية إلى مالطة ثم دعاه الملك حسين بن علي ملك الحجاز يومئذ إلى مكة فسار اليها وطلب منه البقاء فيها فأبى وذهب إلى روما عاصمة إيطاليا وبقي فيها حتى وافاه أجله في ذي الحجة سنة ١٣٤٤ هـ وبوصية منه نقل إلى دمشق فدفن في غرفة من تكية السلطان سليمان وابى صاحب الفندق تسليم جنازته حتى يقبض ماله عليه من الديون فدفعها عنه الملك حسين بن علي .

(٤٠) السلطان عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز

أقيم في الخلافة في ربيع الثاني سنة ١٣٤١ وإنتزع منه مصطفى كمال وحزبه السلطة الزمنية وحصروا فيه السلطة الدينية ثم قرروا الغاء الخلافة وطرد آل

عثمان عامة من البلاد التركية فنزح السلطان عبد المجيد إلى أحدى مدن سويسرا ولم يزل في قيد الحياة وانقرضت سلطنة آل عثمان بعد ما بقي الملك في أيديهم زيادة على سبعمائة سنة كما نزح جميع أفراد هذه الأسرة إلى أنحاء العالم في ضنك وضيق من العيش وتعاطى بعضهم المهن السافلة كالحوذية وغيرها بعدما كانوا أمراء وملوكا فسبحان من لا يدوم إلا ملكه إنتهى الكلام عن الدولة العثمانية .

وقامت بعدها في تركيا (الدولة الكمالية) وجعلت جمهورية ورئيسها مصطفى كمال باشا لكن رآسته غير محدودة الأجل فحكم على جميع الرعايا بلبس القبعة الإفرنجية ومنع لبس العمائم إلا لأفراد قليلين بموجب وثيقة والغى الحروف العربية وأبدلها باللاتينية وبدل الأحكام الإسلامية ورخص للنساء بالسفور والدخول في وظائف الحكومة وأعمال الرجال وفي هذه الأيام ذكرت الجرائد دخول أحداهن في أعمال البوليس فثارت عليه الاكراد في جوار إيران ثورة عظيمة كبدته خسائر باهظة في المال والرجال حتى أخمدها فسبحان مقلب الأحوال ومبدل الدول وفي هذه الأيام سنة ١٣٤٩ ثار على الكماليين جماعة من أهل الدين في بلد في الأناضول تسمى منمن وقتلوا بعض الضباط فقبضوا على ثمان وعشرين شخصاً منهم وأعدموهم شنقاً عدا واحد تمكن من الهرب ثم قبض عليه وبينهم شيخ كبير خائر القوى وآخر إسرائيلي متهم بأنه كان يشجعهم على الفتك بالضابط .

استدراك

عندما كتبنا تاريخ الخلفاء العباسيين بمصر احتملنا حصول سقط بين المتوكل الثاني والمتوكل الثالث ثم علمنا بعد طبع ما كتبناه أنه سقط بينهما اسم رجل واحد وعثرنا على بعض التفصيل لما أجملناه من تاريخ أواخرهم فأحببنا

سرد اسمائهم ثانياً أولهم إجمالاً وآخرهم بالتفصيل الذي وجدناه هكذا .

(١) المستنصر أحمد بن الظاهر بن الناصر بويع سنة ٦٥٩ ثم قتل (٢) الحاكم الأول أحمد بن أبي بكر من نسل المسترشد بويع سنة ٦٦٠ وتوفي سنة ٧٠١ (٣) المستكفي سليمان بن أحمد بويع سنة ٧٠١ وتوفي سنه ٧٤٠ (٤) الواثق إبراهيم بن محمد بويع سنة ٧٤٠ وخلع سنة ٧٤٢ (٥٤) الحاكم الثاني أحمد بن المستكفي بويع سنة ٧٤٢ وتوفي سنة ٧٥٣ (٦) المعتضد العباس بن المستكفي بويع سنة ٧٥٣ وتوفي سنة ٧٦٣ (٧) الحاكم الثالث عبد الله بن المستكفي بويع سنة ٧٦٣ وتوفي هذه السنة (٨) المتوكل الأول محمد بن المعتضد بويع سنة ٧٦٣ وسجن سنة ٧٨٥ وتوفي سنة ٨٠٨ (٩) عمر بن الواثق بويع سنة ٧٨٥ وتوفي سنة ٧٨٨ (١٠) المعتصم بويع سنة ٧٨٨ وتوفي سنة ٨٠٨ (١١) المستعين العباس بن محمد بويع سنة ٨٠٨ وخلع سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٣٣ (١٢) المعتضد بالله أبو الفتح داود بن محمد بويع سنة ٨١٨ وتوفي سنة ٨٤٦ (١٣) المستكفي الثاني أبو الربيع سليمان بن محمد ولد سنة ٧٩٢ وبويع سنة ٨٤٦ وتوفي سنة ٨٥٤ (١٤) القائم بأمر الله أبو البقاء حمزة بن المتوكل على الله محمد بويع له بالقاهرة سنة ٨٥٤ فأقام ٤٢ يوماً وإختلف مع الملك الأشرف فانصرف إلى الإسكندرية خالعاً نفسه من الخلافة إلى أن توفي فيها سنة ٨٦٣ (١٥) المتوكل على الله الثاني عبد العزيز بن يعقوب ولد سنة ٨١٩ وبويع سنة ٨٨٤ وتوفي سنة ٩١٣ (١٦) المستمسك بالله أبو الصبر يعقوب بن عبد العزيز بن يعقوب بويع سنة ٩١٣ وتوفي سنة ٩٢٧ (١٧) المتوكل على الله الثالث محمد بن يعقوب بن عبد العزيز بويع في حياة أبيه ولما دخل السلطان سليم العثماني إلى مصر سنة ٩٢٣ قبض عليه وأخذه معه إلى الأستانة ثم أطلقه قبيل وفاته فعاد إلى مصر وأجرى له كل يوم ستين درهماً حتى توفي بمصر سنة ٩٤٥ .

خامساً : ملوك ايران

من أوائل القرن العاشر الهجري إلى اليوم

وبلاد إيران منسوبة إلى إيران بن أشور بن سام بن نوح (ع) كما عن كتاب قلائد الجمان .

الدولة الصفوية

هذه دولة بلغت في القوة والعظمة درجة عالية ونشرت العلوم واكرمت العلماء وهذه اسماء ملوكها ومختصر تاريخها .

(١) الشاه إسماعيل الأول

ابن السلطان حيدر بن جنيد ابن السلطان الشيخ صدر الدين بن إبراهيم ابن السلطان بخواجه علي ابن الشيخ صدر الدين موسى بن السلطان الشيخ صفي الدين إسحق ابن الشيخ أمين الدين جبريل ابن السيد صالح ابن السيد قطب الدين أحمد ابن السيد صلاح الدين رشيد ابن السيد محمد الحافظ كلام الله ابن السيد عوض الخواص ابن السيد فيروز شاه درين كلاه ابن محمد شرف شاه ابن محمد بن ابي حسن بن محمد بن إبراهيم بن جعفر بن محمد بن إسماعيل ابن محمد بن أحمد العراقي ابن محمد قاسم بن ابي القاسم حمزة ابن الإمام موسى الكاظم ابن الإمام جعفر الصادق ابن الإمام محمد الباقر ابن الإمام علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم أجمعين. والشاه إسماعيل أول الملوك الصفوية وموطد دولتهم ولم يكن آباؤه من السلاطين لكنهم كانوا من مشائخ الصوفية والعرفاء فلقبوا بلقب سلطان

لذلك وجلس حيدر على سجادة الخلافة بعد أبيه وكثر أتباعه حتى البسوه التاج المحتوي على أثنتي عشرة تركيبة أشارة إلى مذهب الأثني عشرية وخاطبوه بالسلطان كآبائه وظهرت دولتهم بعد وفاة حسن الطويل ملك تبريز وهم من أهل أردبيل ونسبتهم إلى جدهم صفي الدين المذكور وبعضهم يقول أن تأسيس دولتهم هو السلطان حيدر ثم خلفه أولاده لكن المؤرخين يعدون أولهم الشاه إسماعيل لأن قوة الدولة كانت في زمانه ولد في رجب سنة ٨٩٢ وجلس على تخت الملك سنة ٩٠٦ هـ وهو الذي أظهر مذهب الامامية في إيران وأمر بقول حي على خير العمل في الأذان وكان يفتخر بترويج مذهب الإمامية وتأييده حتى أنه أمر بنقش هذا البيت على السكة :

زمشرق تابمغرب كرامام أست علي وآل أو مارا تمامست

ومعناه لو كان كل الناس من المشرق إلى المغرب ائمة كفانا منهم علي وآله وقد نظمته فقلت :

لو كل من في الخافقين ائمة لكفى علي عن أولادك وآله

وبعض الطاعنين على مذهب الإمامية نسبوا ظهور هذا المذهب اليه وقالوا في تاريخ جلوسه (مذهب ناحق) ونا حرف نفي في اللغة الفارسية وقالت الإمامية فيه (مذهبنا حق) وحروفهما بحساب الجمل تبلغ ٩٠٦ وهو تاريخ جلوسه وتوفي سنة ٩٣٠ وقيل ٣١ في تبريز ودفن في مقبرة جده صفي الدين باردبيل ومدة ملكه ٢٤ سنة .

(٢) الشاه طهماسب بن إسماعيل

ولد يوم الأربعاء في ٢٨ ذي الحجة سنة ٩١٩ في قرية شهاب أباد من أعمال أصبهان وملك في ١٩ رجب سنة ٩٣٠ بعد وفاة أبيه بإتفاق أركان الدولة وتوفي عاشر صفر سنة ٩٨٤ ومدة ملكه أربع وخمسون سنة .

(٣) الشاه إسماعيل الثاني ابن طهماسب

وكان على عهد أبيه طهماسب محبوساً في قلعة (كنك) ولما مات طهماسب خلف عدة أولاد منهم سلطان حيدر وإسماعيل ميرزا (١) وكانت طائفة (استاجلو) وبعض الأمراء راغبين في تعيين سلطان حيدر وكان قد تصرف بالبلاط والخزائن وسمى نفسه بالسلطان ومالت طائفة (أفشار) والجراكسة (وبريجان خانم) زوجة طهماسب إلى إسماعيل ووافقها حراس القلعة التي هو فيها وفي أثناء هذا الخلاف قتل حيدر ميرزا وخرج إسماعيل ميرزا من القلعة التي كان محبوساً فيها وفي ٢٢-صفر سنة ٩٨٤ وفي ١٦ ربيع الأول نزل في حدود قزوين وكانت دار الملك وفي ٢٠ منه دخل البلاط وفي ٢٤ جلس على سرير الملك وفي ٢٣ من شهر رمضان مات فجأة ومدة ملكه سنة وثلاثة أشهر .

(٤) الشاه محمد خدابنده بن طهماسب

ولد في ٢٩ جمادي الثانية سنة ٩٣٨ وملك في ٢٥ من شهر رمضان سنة ٩٨٥ في شيراز ودخل قزوين خامس ذي الحجة من هذه السنة وكان ولده عباس ميرزا في هراة فطلبه خدا بنده من هراة فاتفق أمراء خراسان (وهراة من توابع خراسان) على رد طلبه وإبقاء عباس ميرزا عندهم وفي سنة ٩٨٦ عزل ميرزا سليمان الوزير اكثر أمراء خراسان الذين إمتنعوا عن تسليم عباس ميرزا وأرسل غيرهم إلى خراسان فمنعهم الأمراء السابقون عن دخولها وفي سنة ٩٨٨ ثار مرشد قلي خان وعلي قلي خان من أمراء خراسان وحاصرا هراة

---

(١) لفظة ميرزا عند الفرس بمنزلة أفندي عند الترك كان يلقب بها أبناء الملوك واصل معناها الكاتب المؤلف

ثم حاصرا نيسابور ومعهما عباس ميرزا فأجلساه على سرير الملك وجرت له وقائع بعد ذلك مع أبيه بنجدة من أمراء خراسان وفي آخر الأمر توجه مرشد قلي خان سنة ٩٩٥ أو ٩٩٦ بعباس ميرزا إلى قزوين وفتحها بعد حرب شديدة إنهزم فيها الشاه محمد خدابنده ولم يوقف له على أثر (ومدة ملكه عشر سنوات منها أيام الثورة ومشاركة ولده له في الملك نحو سبع سنوات) .

(٥) الشاه عباس الأول ابن خدابنده بن طهماسب

أمه من السادات المرعشية ملوك طبرستان ولد ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة ٩٧٩ في هراة وكان جلوسه الرسمي واستقلاله بالملك سنة ٩٩٦ وقيل فيه .

برمسند خاقاني زد تكيه شه إيران تاريخ جلوسش شد(عباس بهادرخان)

وترجمته : اتكأ على مسند الملك شاه إيران تاريخ جلوسه (عباس بهادرخان) ٩٩٦ وهوأعظم الملوك الصفوية سياسة وأكثرهم فتحاً وأخلدهم آثاراً ولي ملك إيران وهو فتى وكان الضعفُ قد سرى في عروق الدولة وإختلت أحوالها واستولى السلطان سليم الثاني العثماني على كثير من بلاد العجم وعاث الأوزبك في أطراف البلاد فصرف همه إلى إصلاح الخلل فصالح الدولة العثمانية وصافاها ثم انثنى إلى كبح جماح الأوزبكية ففاز عليهم (قال المحبي) في خلاصة الأثر كان والده أعمى واستولت الأمراء في أيامه على المملكة واقتسموها فقتل منهم واستقل بالأمر وكان أولا يداري آل عثمان ويرسل ابن أخيه حيدراً اليهم بالهدايا إلى أن مات أوزبك خان ملك الأوزبك وولده عبد المؤمن سنة ١٠١٠ وكان ملوك الأوزبك أخذوا بلاداً من خراسان فاستخلصها منهم ثم توجه لاستخلاص ما بيد آل عثمان لما وقع الاختلال بسبب الجلالية الذين ظهروا في زمن السلطان أحمد فحاصر تبريز وروان واستولى عليهما ثم ملك

قندهار وخوارزم وكيلان وسجستان ثلاثاً وأربعين سنة وكان قوي الجأش حسن التدبير وملك بغداد من العثمانيين سنة ١٠٣٢ وبقيت في يده إلى سنة ١٠٤٨ فأخذها منه السلطان مراد ومن ذلك العهد بقيت مملكة إيران على حدودها في زمن الشاه إسماعيل وخدمه إجلاء العلماء في مناصبه وله في سياسة الرعية والرعاية لجانبهم والذب عنهم وأكرام التجار الواردين إلى بلاده من أهل السنة أحوال مستفيضة شائعة وبالجملة لم يجيء من سلسلتهم مثله انتهى مخلصاً وكان مع كثرة حروبه ومغازيه لا يقعده شيء عن إقامة شعائر دينه وله آثار باقية في مشاهد الأئمة الإثني عشر بالعراق وايران وهو الذي بنى الحضرة الشريفة بالنجف وصحنها وحجره بالكاشي على الهيئة التي هي عليها اليوم وله في خزائنها التحف الثمينة والنهر المعروف في عصرنا ظاهر النجف بنهر الشاه من آثاره أمر بحفره سنة ١٠٣٢ بعد فتحه بغداد وكان سوق العلم بأصبهان في عصره في رواج عظيم وكان يصدر عن رأي المحقق السيد الداماد والشيخ بهاء الدين العاملي في خطير الأمور وحقيرها وألف البهائي كثيراً من الكتب باسمه كالجامع العباسي وغيره وفي سنة ١٠٣٧ اوصى بولاية العهد إلى حفيده صفي ميرزا بن سام ميرزا وفيها اعتل مزاجه أياماً قلائل وتوفي ليلة الخميس في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٠٣٨ بأصفهان ونقلت جنازته إلى اردبيل فدفن فيها في ٢٣ جمادى الثانية وعمره ٥٩ سنة .

(٦) الشاه صفي بن سام ميرزا ابن الشاه عباس الأول

ولي الملك في جمادى الآخرة سنة ١٠٣٨ و خطب باسمه السيد محمد باقر الداماد وكانت مدة ملكه ١٣ سنة وستة أشهر ووفاته في قاشان سنة ١٠٥٢ وحمل تابوته إلى المشهد في قم فدفن فيه وكان حازماً عالماً بتدبير الملك خبيراً بأوضاع السياسة .

(٧) الشاه عباس الثاني ابن الشاه صفي

تملك في ١٦ صفر سنة ١٠٥٣ بعد وفاة أبيه في قاشان وعمره تسع سنين وكان شجاعاً مقداماً عارفاً بتدبير شؤون الملك مكرماً للعلماء وقد أمر المولى خليل القزويني بشرح كتاب الكافي للكليني بالفارسية والمولى محمد تقي المجلسي بشرح كتاب من لا يحضره الفقيه واحضر المولى محسن الكاشي والزمه بإقامة الجمعة والجماعة واقتدى به ومات سنة ١٠٧٧ بدامغان ونقل تابوته إلى مشهد قم فدفن فيه ومدة ملكه ٢٥ سنة وايام .

(٨) الشاه سليمان بن الشاه عباس الثاني

ولي الملك في ١٢ شعبان سنة ١٠٧٨ وخطب باسمه العلامة أقا حسين الخوانساري ومات سنة ١١٠٥ وكان حازماً بصيراً بالسياسة وتدبير الملك من عيون وزرائه شيخعلي خان زنكنة (١) وميرزا محمد طاهر القزويني المتخلص بالوحيدي .

(٩) السلطان حسين بن الشاه سليمان

وهو آخر الملوك الصفوية وولده طهماسب وان عرف بالسلطان بعده إلا أنه كان آلة الإنقلاب الذي دبره نادر شاه . ولي الشاه حسين سنة ١١٠٥ برغبة من كبار الأمراء وكان الضعف قد سرى في عروق المملكة واستبد الأمراء ومالوا إلى السرف والترف والقيت مقاليد الأمور إلى غير أهلها وكثر الشغب والإختلال وشعرت رجال الأفغان بذلك فدبرت وسائل الثورة والإستيلاء على عاصمة الملك اصبهان ومحو الدولة الصفوية وكذلك كان فقد

---

(١) اسم قبيلة .

فتحوا آصفهان عاصمة الملك وفعلوا فيها الأفاعيل وقتلوا الشاه حسين وعاثوا فساداً في بلاد إيران والذي استخلصها منهم هو نادر شاه وقد تنازل السلطان حسين عن السلطنة صبيحة الجمعة ١٢ المحرم سنة ١١٣٥ وقتل سنة ١١٣٩ هـ وحمل تابوته إلى مشهد قم فدفن فيه .

(١٠) الشاه طهماسب الثاني ابن السلطان حسين

ولي عهد السلطنة سنة ١١٢٤ وكان الملك علي عهده في قلاقل والأمور بيد الأفغان وكان الناصر له فتحعلي خان قاجار نائب السلطنة وندر قلي افشار الملقب بطهماسب قلي خان أي عبد طهماسب وكان ندرقلي على مرحله بعيدة من الذكاء والشجاعة أسر في نفسه تبديل السلطنة والإستيلاء على ممالك الصفوية ورأى العقبة الكؤود في طريق أعمال سياسته بذلك فتحعلي خان قاجار فتقرب إلى طهماسب وسعى بفتحلي خان عنده حتى قتله في طريق خراسان في ثاني عشر المحرم سنة ١١٣٩ وفتح مشهد الرضا وغالب نواحيه على يد ندر قلي وبعد زمان قصير سعى في خلع طهماسب وحبسه في المشهد الرضوي تحت نظارة رضا قلي بن طهماسب قلي خان أفشار ونقل اسم السلطنة إلى عباس ميرزا ابن طهماسب وجعل الخطبة والسكة باسمه وكان طفلاً رضيعاً وبعد ثلاث سنين وشهور غير السكة والخطبة إلى اسمه واستقل بالملك وبقي طهماسب مسجوناً في المشهد إلى حين توجه نادر لفتح بلاد الهند فأمر بقتله ومدة ملكه عشر سنين وبذلك انقرضت الدولة الصفوية .

الدولة الافشارية

(١) نادر شاه افشار

هو الفاتح الشهير المعروف لدى علماء الغرب بنابليون الشرق وكان اسمه الأصلي ندرقلي بك ابن أمامقلى ولد سنة ١١٠٠ وكان من شأنه في قتل فتحعلي خان وفتحه المشهد وخلعه طهماسب واستقلاله بالملك ما تقدم ذكره . جلس على أريكة السلطنة ولبس تاجها يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ١١٤٨ وطبع على أحد الوجهين من سكته (نادر إيران زمين وخسرو كيتي ستان) وترجمته (نادر مملكة إيران هو الملك الفاتح للعالم) وعلى ثانيهما (الخبر فيما وقع) وهو تاريخ جلوسه لأن حروفها تبلغ بحساب الجمل ١١٤٨ وجعل أعداؤه التاريخ (لاخير فيما وقع) وقد كثرت فتوحاته وبلغت إلى بلاد الهند والسند وكان متيقظاً في سياسته لتوطيد الملك حميد السيرة وإمتد ملكه شمالا إلى نهر (جيحون) وشرقاً إلى نهر (أتك) هو مع ذلك لا يفتأ عن إعلاء كلمة الشيعة وأقامة شعار المذهب كما هو مدون في عامة الكتب فإنه لما انتصر على العثمانيين حوالي إيروان عقد الصلح معهم على مواد (منها) إعلان الدولة العثمانية رسمية المذهب الجعفري كالمذاهب الأربعة وبناء ركن خاص له في مكة (ومنها) حماية الحاج الفارسي في طريق مكة وإنما نقض العثمانيون المادة الأولى (ومن آثاره) عمارة المشهد الرضوي وتذهيب القبة المرتضوية في النجف (قتل) ليلة السبت في جمادى الأولى سنة ١١٦٠ ودفن في المشهد الرضوي في محل يعرف اليوم بباغ نادري قرب الصحن الشريف .

(٢) عادل شاه افشار

واسمه علي قلي خان جلس على تخت السلطنة سنة ١١٦٠ وقتل سنة ١١٦٢ تقريباً وكان من الأمراء في عصر نادر .

(٣) أخوه إبراهيم شاه

وكان حاكم العراق العربي فخرج على أخيه وأدعى السلطنة وتغلب على آذر بايجان وقتل أخاه عادل شاه في خراسان وتوفي هو أيضاً في تلك السنة .

(٤) الشاه سليمان

جلس على سرير السلطنة سنة ١١٦٣ ولم يملك إلا أربعين يوماً .

(٥)الشاه رخ بن رضا قلي بن نادر شاه

تولى السلطنة سنة ١١٦٣ وتوفي سنة ١٢٦٠ .

(٦) نادر ميرزا ابن الشاه رخ

ولي السلطنة سنة ١٢١٠ وتوفي سنة ١٢١٨ ومدة ملكه ثمان سنين وإنقرضت الدولة الافشارية وظهرت .

الدولة الزندية

(١) كريمخان الوكيل بن ايناق الزندي

وهو من قواد نادر وكان أيام ولاية أبي الفتح خان البختياري على أصبهان من قبل الشاه رخ حفيد نادر شاه إتفق مع مراد خان البختياري وقهرا بالفتح بعد حروب جرت بينهما ودعا بالسلطنة إلى ميرزا أبي تراب من أسباط الشاه

حسين الصفوي وسماه الشاه إسماعيل الصفوي إقتداء بسنة نادر شاه حيث دعا إلى طهماسب وإبنه عباس ريثما يطمئن خاطره من إمتلاك أزمة الأمور ثم تغلب وجرت بينه وبين محمد حسن خان قاجار وقائع عظيمة إنتهت إلى قتل محمد حسن خان سنة ١١٧٢ فاستقل كريمخان سنة ١١٧٣ بالعراق العجمي وفارس وطبرستان وكثير من بلاد إيران وتوفي ثالث صفر سنة ١١٩٣ وكثر إختلاف الأمراء بعده وبقي جسده ثلاثة أيام على وجه الأرض لم يدفن حتى تسلط زكي خان الزندي فأمر بمواراته وكانت مدة سلطنته في فارس والعراقين وآذر بإيجان ثلاثين سنه وثمانية أشهر وثلاثة أيام وكان حميد السيرة متواضعاً في رعاياه سمى نفسه عندهم بالوكيل ولم يلزمهم بالقيام بواجبات الآداب السلطانية .

(٢) زكي خان الزندي

ملك على أثر موت كريمخان وسعى بنشر الأمن في الري وقزوين ومازندران وعظمت سطوته في قلوب رعاياه خصوصاً أهل شيراز فكانوا تحت إطاعة أوامره إلى أن قتل في طريق أصبهان غيلة سنة ١١٩٤ .

(٣) صادق خان الزندي أخو كريمخان

ملك بعده وكان نفوذ كلمة الزندية عاد إلى التقهقر بظهور أقا محمد خان قاجار وإستيلائه على شمال إيران وخالف على صادق خان مراد خان وإستمر الخلاف بينهما إلى سنة ١١٩٩ وإنتهى بقتل صادق خان فقام مقامه ابنه .

(٤) جعفر خان الزندي

وجرت له عدة حروب مع اقا محمد خان قاجار ثم قتله أصحابه سنة ١٢٠٣ وحل مكانه .

(٥) لطفعلي خان بن جعفر خان الزندي

وكان مقداماً شجاعاً ذا رأي ودهاء وجرت بينه وبين أغا محمد خان قاجار محاربات إنتهت إلى قتل لطفعلي خان سنة ١٢٠٩ وبه إنقرضت دولة الزندية .

الدولة القاجارية

(١) آغا محمد خان بن محمد حسن خان ابن فتحعلي خان قاجار

أول ملوك القاجارية وموطد أركان دولتهم كان على مرحلة بعيدة في الدهاء والبسالة وكان على عهد كريمخان الزندي محبوساً في شيراز فكان وهو محبوس يطالع الكتب ويتعرف أحوال الدول وعظماء الرجال وكان كريمخان يعظمه ويستشيره في مهام الأمور وبعد وفاة كريم خان فر من سجن شيراز مع سبعة عشر نفراً كانوا معه في السجن وعمره إذ ذاك ٣٦ سنة ودخل اصبهان في اليوم الثالث ثم مضى إلى طهران فما زندران وصادف في طريقه إلى مازندران أموالاً مرسلة إلى شيراز فأخذها والتحق به جمع من القاجارية وخرج عليه بعض أخوته وبقي يحاربهم أربع سنوات والظفر حليفه ثم جمع جنوده ودخل العراق العجمي وملك قاشان واصبهان ثم عاد إلى طهران ومكث بها وعمر قلعة (أرك) وأحكمها وأمر باستباحة كرمان ثلاثاً لاخفائهم لطفعلي خان إبن جعفر خان الزندي ولما تيقن خروجه من كرمان أمر جنوده بالكف عنها وبعد إمتلاك كرمان تمت سلطنته على إيران كلها وكان (هراكليوس) والي كرجستان يؤدي الخراج على نسق آبائه إلى سلاطين إيران لكنه عند تملك أغا محمد خان دخل في حماية روسيا على شروط معينه فلما فرغ محمد خان من فتح كرمان حشد جنوده من أقاصي البلاد في ضواحي طهران فكانوا

سبعين الفاً ولم يعلم بمقصده أحد ثم فرقهم ثلاث فرق فانفذ فرقة إلى شيراز وداغستان وفرقة إلى إيروان عاصمة أرمينيا وتوجه هو بفرقة إلى قلعة (شوش) الحصينة وحمي وطيس الحرب بينه وبين هراكليوس وإستباح محمد خان تفليس وهدم كنائسها وأسر منها خمسة عشر الفا وقيل خمسة وعشرين الفاً ثم توجه إلى كنجة وفي سنة ١٢١٠ إحتفل الأمراء والقواد بتتويجه فألبسوه التاج المعروف بتاج كياني وأجلسوه على التخت المسمى بتخت طاوس وقتل سنة ١٢١١ وعمره ثلاث وستون سنة ومدة ملكه من يوم ظهوره احدى وعشرون سنة تقريباً وكان يدخر المال ويروج الشريعة وبعد قتله إنجل نظام الجند وكثر الشغب بخروج صادق خان الشقاقي وظهرت الكفاءة التامة من حاجي إبراهيم خان في تطمين البلاد وتنظيم الأمور إلى أن وصل ولي عهد السلطنة .

(٢) فتحعلي شاه بن حسين قلي خان بن محمد حسن خان قاجار

وكان في شيراز فلما بلغه قتل الملك توجه إلى طهران وأخمد نيران الفتن وفي سنة ١٢١٢ جلس على سرير الملك وبعد سنة من جلوسه نقل تابوت أقا محمد خان إلى النجف فدفن في غرفة من غرف الصحن وكان فتحعلي شاه على مرحلة سامية في تشييد مباني الشرع راسخ الإعتقاد في الإذكار والاوراد مكرماً للعلماء مفضلا عليهم وفي أيامه راج سوق الأدب وظهر الشعراء البارعون ومن آثاره تذهيب أيوان الصحن والقبه المنورة في الحائر وتفضيض الضريح الحسيني وبناء قبة مرقد سيدنا العباس وتذهيب قبه السيدة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر في قم وبناء صحن واسع لها وبناء صحن مشهد الإمام علي بن موسى الرضا سلام الله عليه وغير ذلك وفي عهده وقع الحرب بين روسيا ودولة إيران وسببه أنه لما ملك (الكساندر) حفيد (كاترين) في روسيا وجهت روسيا

كل قواها لامتلاك كرجستان فاضطرت كركين خان سلطان كرجستان في ذلك الوقت إلى التنازل لها عن كرجستان والتجأ الكرجيون إلى دولة إيران وتجاوزت روسيا من كرجستان إلى سائر البلاد الواقعة خلف أرس وملكت كنجة وإستباحت أهلها سنة ١٢١٨ فأمر الشاه ولده عباس ميرزا ولي عهده بمقاومة روسيا فجرت بينه وبينها مصادمات من سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٢٠ لكن روسيا كانت قد أحكمت مواقعها الحربية في بلاد كرجستان وكنجة فلم تتمكن دولة إيران من إخراجها وكانت المناوشة بين جنود روسيا وإيران مستمرة إلى أن عقد قائد روسيا بتوسط سفير إنكلترة معاهدة مع الدولة الإيرانية سنة ١٢٢٨ ملكت فيها روسيا كرجستان وشيروان وشكى وكنجة وقراباغ ومغان وبعض طالش وفي سنة ١٢٤٠ أدعى الروس أن بحيرة في الشمال الغربي من توابع إيران داخلة في حدود المملكة الروسية وبلغ علماء إيران تعدي روسيا على مسلمي القفقاز واستباحتهم فافتوا بالجهاد وكان عميد هذه النهضة العلامة السيد محمد الطباطبائي نجل صاحب الرياض الذي لقب السيد محمد المجاهد فإنه توجه بنفسه للقتال واضطر فتحعلي شاه إلى الدخول في الحرب فأمر ولده عباس ميرزا بذلك وجرت حرب كان الظفر فيها للمسلمين ولكن بعض الدسائس والحيل أثرت أثرها في قواد جيش المسلمين فظهر الفشل وإنتهى إلى معاهدة خسرت بها إيران مضافاً إلى البلاد السابقة إيروان ونخجوان مع غرامة حربية باهظة وقررت معاهدة تجارية سنة ١٢٤٣ وتوفي فتحعلي شاه سنة ١٢٥٠ ومدة ملكه ثمان وثلاثون سنة .

(٣) محمد شاه ابن عباس ميرزا ابن فتحعلي شاه

ولي الملك سنة ١٢٥١ وكان مدة سلطنته مصاباً بمرض النقرس منصرفاً عن سياسة الملك وإدارة شؤون الدولة معتمداً في ذلك على الصدر الأعظم ميرزا

أقاسي وكان من ذوي الكفاءة في تدبير أمور الملك وتوفي محمد شاه سنة ١٢٦٤ ومدة ملكه أربع عشرة سنة .

(٤) ناصر الدين شاه بن محمد شاه

ولد في صفر سنة ١٢٤٧ وجلس على سرير الملك في تبريز ثامن عشر شوال سنة ١٢٦٤ وفي الثاني والعشرين من ذي القعدة ورد طهران وبعضهم يقول : قد إكتست إيران في أيامه حلة من البهاء والجلال وكان مقدراً للعلماء الروحانيين والأدباء والشعراء وقرر إصلاحات سياسة في نظام المملكة ولسنا نعرف ما هو هذا البهاء والجلال الذي اكتسته إيران في أيامه سوى أن الجندية كانت منحطة إلى درجة مخجلة ونفوذ روسيا وإنكلترا يزداد يوماً فيوماً حتى كان لإنكلترا بريد وخط برقي في إيران وسوى القروض من روسيا وإنكلترا التي كانت تتصرف على السياحات في الممالك الأجنبية وسوى إعطاء إمتياز حصر التنباك للإنكليز لولا أن حالت دون ذلك فتوى الإمام السيد ميرزا حسن الشيرازي بتحريم تدخين التنباك فكسرت كل نارجيلة في إيران في ساعة واحدة حتى أن خدم قصر الشاه كسروا كل نارجيلة فيه وطلب الشاه من خادمه الخاص نارجيلة يدخن بها فلم يجد وشوهد بعض الفسقة الذين يشربون الخمر يكسر نارجيلته في بعض المقاهي فسئل عن السبب فقال سمعت أن الميرزا حرم تدخين التنباك فقيل له أنت تشرب الخمر وقد حرمه الله ولا تبالي فكيف تترك تدخين التنباك لسماعك أن الميرزا حرمه فقال أنا أشرب الخمر وأرجو أن يشفع لي الميرزا عند النبي والإمام ليشفعا لي عند الله فإذا خالفت حافظ شرع النبي (ص) فبمن اتشفع وسوى أقتناء المآت من الجواري والسراري نعم كان يعظم الروحانيين ولكن هذا لا يكفي في إصلاح المملكة وقرر إصلاحات ولم يفعل وفي يوم الجمعة سابع عشر ذي القعدة سنة ١٢١٣

زار على عادته مشهد السيد عبد العظيم قرب طهران ودخل حرمه فتقدم اليه رجل من أوزاع الناس عرف بميرزا رضا الكرماني وأطلق عليه مسدسه فأصاب فؤاده ومات من فوره فدفن بمشهد السيد عبد العظيم وبني عليه قبة وقبض على قاتله فقتل واخفى وزيره ميرزا علي أصغر خان موته وجعل يرسل خلف الأطباء ليوهم أنه حي حتى حضر ولده مظفر الدين من تبريز .

(٥) مظفر الدين شاه ابن ناصر الدين شاه

ولد في تبريز في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٢٦٩ وفي سنة ١٢٧٧ ولي إمارة إذربايجان وملحقاتها وفي ذي الحجة سنة ١٢٧٨ جعل ولي عهد المملكة الإيرانية وفي ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٣ جلس في تبريز على سرير الملك وفي ٢٥ ذي الحجة دخل طهران وفي سنة ١٣٢٣ أضطرته الأمة الفارسية إلى تقرير الدستور وفتح المجلس النيابي فصدر الأمر منه بذلك في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ على أصول مقننة وتوفي في ١٨ ذي القعدة من هذه السنة وحمل تابوته إلى الحائر الحسيني في العراق فدفن فيه .

(٦) محمد عَلي شاه ابن مظفر الدين شاه

ولد في تبريز ١٤ ربيع الثاني سنة ١٢٨٩ وفي سنة ١٢٩٢ جاءت به والدته إلى طهران وفي سنة ١٣٠١ عاد إلى تبريز وفي سنة ١٣٠٦ فوض اليه والده قيادة الجيش الأميري في تبريز وفي سنة ١٣٢١ ولي قيادة جيش آذربايجان ومنح لقب سردار كل ثم جعل ولي عهد السلطنة وفي ٤ ذي الحجة جلس على سرير الملك وكانت إيران إذ ذاك معترك الفتن الداخلية ومضمار السياسة الأجنبية وكان هو يبغض الدستور ورجاله فإتفق سراً مع روسيا على ابادتهم وضرب المجلس النيابي بالمدافع فهدمه وكان المتصرف في طهران قائد روسي

اسمه (لياكوف) وجرى على الناس من البلاء بسبب ذلك شيء كثير وتوالت الحروب بين الأحرار وأتباع الشاه فانتصر الأحرار على الشاه وحاصروه وقواده في طهران صباح ٢٧ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧ وخلعوه مساء وأقاموا مقامه ولده أحمد ميرزا وله من العمر إثنتا عشرة سنة وكان محمد علي التجأ إلى السفارة الإنكليزية وبعد خلعه نفي إلى أودسا من بلاد روسيا ثم انتقل إلى سويسرة فمات بها سنة ١٣٤٣ وأوصى أن يدفن في كربلاء فجيىء بنعشه إلى دمشق و صلينا عليه في تكية السلطان سليم ثم حمل إلى كربلاء فدفن فيها .

(٧) أحمد شاه ابن محمد علي شاه

ولي الملك بعد خلع أبيه سنة ١٣٢٧ وفي سنة ١٣٤٤ خلع أحمد شاه واقيم مقامه رضا حان البهلوي وبخلع أحمد شاه إنتهت الدولة القاجارية وتوفي في مدينة (نيس) من بلاد فرنسا في شهر رمضان سنة ١٣٤٨ وحمل تابوته بوصية منه فدفن بكربلا كأبيه وعمره ٣٢ سنة .

الدولة البهلوية

رضا شاه البهلوي

ولي الملك بعد خلع أحمد شاه وأصله جندي فترقت به نفسه العصامية حتى صار تارة وزير الحربية وأخرى رئيس الوزارة مع أنه على ما يقال أشبه بأمي لا يقرأ ولا يكتب فأصلح جندية إيران وأخرج دولتها من العدم إلى الوجود ولما كان وزير الحربية كان يصرف معاش الجنود قبل كل شيء وأصلح مالية الدولة ثم أوعز إلى أحمد شاه بالسفر إلى أوروبا فسافر اليها جازماً بعدم العود فخلعه بعد ذلك واختلفت أنظار أعيان المملكة في أن ايهما أصلح الملكية أو

الجمهورية فكان سفير روسيا يؤيد الملكية وسفير إنكلترة يؤيد الجمهورية ومن ذلك ظهر لعقلاء الإيرانيين أن الملكية أصلح لبلادهم في حين أن الجمهورية ربما تكون أصلح لغيرهم ومع ذلك كان رأي العلماء الذين لهم الكلمة النافذة في إيران موافقاً للملكية فعين رضا خان البلهوي شاهاً لإيران ودعي (رضا شاه) واقيم ولده الصغير ولي عهد السلطنة وظهر من كفاءته ما ابهر العقول فقد تمكن من جمع السلاح من عشائر الاكراد وغيرهم الذين كانت لهم الاقطاعات وهي كثيرة في إيران ووطد الأمن في كل مكان وأخضع قبائل التركمان الذين كانوا يعيثون فسادا في طريق خراسان ويأسرون الزوار ويبيعونهم بيع العبيد أو يسترقونهم والغى الإمتيازات الأجنبية وصارت دولة إيران عضواً في جمعية الأمم .

الشيخ خزعل خان أمير المحمرة

وأرسل مركبا صغيراً حربياً إلى المحمرة فصعد قائده إلى البر واجتمع بأمير المحمرة الشيخ خزعل خان إبن الشيخ جابر خان أمير قبيلة كعب العربية التابعة لدولة إيران ثم عاد إلى المركب ثم عاد إلى البر ودعا الأمير إلى المركب لحضور حفلة وقضاء ليلة ساهرة فحضر ورأى ما سره ثم عاد ثم دعاه مرة أخرى لمثل ذلك فحضر غير خائف من العواقب ولا محتمل أن مثل هذا القائد وجنوده القليلة تقدر عليه وعنده ممن يحمل السلاح ويحارب ما يزيد على أربعين الفاً بل من يحسن الحرب يزيد على مائة الف فلما حضر في المرة الثانية أقلع به المركب إلى أحد البنادر وأخرج إلى البر وهناك أعلموه أنه ذاهب إلى طهران فليرسل إلى المحمرة ويحضر ما يزيده من لوازمه وهكذا إستولى الإيرانيون على إمارة المحمرة ونصبوا فيها أميراً إيرانياً وكانوا نصبوا في أول الأمر أحد انجال خزعل ثم عزلوه وكانت هذه الإمارة إقطاعية تأخذ الدولة الإيرانية من

أميرها مبلغاً سنوياً وهو يتصرف في حكمها كيف يشاء وتولاها الشيخ جابر خان وكانت الدولة العثمانية تدعيها وجرت بينها وبين الشيخ جابر حروب كثيرة فمرة لها ومرة عليها وفتحها العثمانيون في بعض الوقائع من الشيخ جابر فنظم عبد الباقي العمري شاعر بغداد يومئذ قصيدة يقول فيها (فتحنا بعون الله حصن المحمرة) وهي قصيدة طويلة أظهر فيها ناظمها من التعصب المذهبي شيئاً كثيراً ثم مات جابر خان ودفن في النجف على يسار الذاهب إلى الكوفة فولي بعده ابنه الشيخ مزعل خان ثم قتله أخوه الشيخ خزعل خان وأرسل جنازته إلى النجف فدفنه بجنب أبيه وكنا يومئذ في النجف الأشرف واستولى على الإمارة فأرسلت اليه الدولة الإيرانية الخلعة والتقليد وكان الإنكليز بسطوا نفوذهم على خزعل واستمالوه وأهدوه النياشين الكبار وكانت مراكبهم البحرية إذا وصلت مقابل المحمرة تطلق مدافع السلام لخزعل وفي أيام الحرب الكبرى خامر مع الإنكليز وقطع عن الدولة الإيرانية المرتب السنوي الذي عليه فلما قبض عليه رضا شاه تعرض الإنكليز لحمايته فلم يسمع منهم ولا يزال في طهران تحت المراقبة .

ولم يتعرض رضا شاه لاملاك القاجاريين ولا منعهم من سكنى إيران وكان يرسل لأحمد شاه بعد خلعه مرتبه إلى فرانسا ولم يفعل كما يفعل الكماليون بآل عثمان وهو دائب في ترقية المملكة وإصلاحها حسب مقتضيات العصر الحاضر ومن إصلاحاته إنه الغى بنك شاهنشاه الإنكليزي ومنع خروج الذهب من إيران وأصلح أمور السفارات والقناصل في المماليك الأجنبية وعين لهم من المعاش ما يكفيهم بعدما كانوا عالة على الرعايا ووضع رسماً على الشاي والسكر جمع منه مبلغاً طائلا لمد سكة حديد من مرافىء إيران إلى الداخلية وقد أعلن الجندية الإجبارية واعفى من ذلك العلماء وطلبة العلم .

وقد الزم رعاياه بلبس القبعة الشبيهة بالقبعة الفرنسيه فعم الإستياء من ذلك وحصلت فتن وثورات بسببه ولما عاد ملك الأفغان السابق إمان الله خان من سياحته في أوروبا وأراد المرور في بلاد إيران أوعزت اليه الحكومة أنه لايمكن مروره وزوجته سافرة كما كانت في أوروبا وتركيا فمرت مبرقعة فنسأله تعالى أن ينصر هذه الدولة الشرقية المسملة ويشيد أركانها فإنها إلى اليوم محافظة على إستقلالها في هذا الشرق التعيس والله تعالى ولي الإجابة .

سادساً : الرحلة الأولى الحجازية للمؤلف

عفا الله عن جرائمه عام ١٣٢١ بقصد الحج

خرجنا من دمشق يوم الإثنين سابع ذي القعدة الحرام سنة الف وثلاثمائة واحدى وعشرون بقصد الحج إلى بيت الله الحرام فركبنا القطار الحديدي من دمشق قاصدين بيروت في الدرجة الثانية بأجرة أربع مجيديات عن الشخص ودخلنا بيروت بعد غروب الشمس بربع ساعة فبتنا بها ليلة الثلاثاء وفي مساء يومها ركبنا في الباخرة الافرنسية من شركة الميساجيري في الدرجة الثالثة وفيها أربع درجات والأجرة ثلاثة أرباع ليرة افرنسية إلى بور سعيد فتحركت بنا من بيروت في الساعة الثانية تقريباً من ليلة الأربعاء فوصلنا بور سعيد في الساعة الثامنة من يوم الاربعاء .

بور سعيد

وهي بلدة جميله ذات قصور عالية وشوارع فسيحة وأبنية مزخرفة تجول العربات (العجلات) في أزقتها على الحديد أي (تراموای على الخيل) وعلى غير الحديد وأهلها مسلمون ونصارى وهي من الإقليم المصري أنشأها سعيد باشا أحد الخديويين في مصر فنسبت اليه (ومعنى البور) السد الذي يبنى على شاطىء البحر ليكون مرفأ للسفن .

الخديوي

والخديوي لفظة تركية معناها نائب الملك أول من لقب به محمد علّي باشا أمير مصر عندما وقعت المعاهدة بينه وبين الدولة العثمانية على أن يكون

أميراً للقطر المصري تحت رعايتها ويدفع لها مبلغاً في السنة ويلقب بالخديوي رمزاً إلى أن إمارته تحت حماية السلطان العثماني وخيرات بور سعيد كثيرة واسعارها لا تخلو من غلاء فبتنا بها ليلة الخميس وخرجنا منها يومه فى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة في القطار الحديدي الضيق وهو بقدر عرض الخط الذي بين دمشق وبيروت قاصدين الإسماعيلية وكانت العملة تشتغل في إبدال ذلك الخط الضيق بخط عريض كالذي بين الإسماعيلية ومصر ولما يتمّ لكنه كان قريب التمام فوصلنا الإسماعيلية في الساعة الثامنة من يوم الخميس .

الإسماعيلية

وهي بلدة في طريق : القاصد من بور سعيد إلى مصر أحدثها اسماعيل باشا احد الخديويين في مصر فنسبت اليه وانتقلنا في الإسماعيلية إلى القطار الحديدي ذي الخط العريض وهو أسرع من الأول واتقن لكون طريقه عريضاً ولا تسل عن شطط الحمالين الذين ينقلون الأمتعة من قطار بور سعيد إلى قطار مصر في طلب الأجرة وبين القطارين بضعة أقدام فدخلنا مصر القاهرة قبل غروب الشمس بنصف ساعة من يوم الخميس وكانت الأجرة من بور سعيد إلى مصر أربعين قرشاً صحيحاً مصرياً ونصف قرش كل قرش عبارة عن قرشين ونصف رائج الشام فبقينا في مصر ستة أيام كنا نشتغل في خلالها بتصحيح ملازم رسالتنا (الروض الأريض في حكم تصرفات المريض) .

المطبوعات أيام السلطان عبد الحميد

وكنا أرسلناها لمصر لتطبع بسبب ما كانت تجربه الحكومة العثمانية من التشديد في أمر المطبوعات من طلب الرخصة الرسمية التي كانت أخيراً لا

تعطى إلا من الأستانة بعد تقديم نسختين مخطوطتين للحكومة من الكتاب المراد طبعه نسخة تبقى عندها ونسخة تعاد لصاحبه وكم يحتاج صاحب الكتاب من النفقات لاستنساخه مرتين سيما إذا كان كبيراً وكم يصبر حتى يطالع الكتاب ويدقق وتمر أوراق الرخصة على الدوائر التي كان حالها معلوماً في المماطلة والتسويف هذا مع قطع النظر عن التعصبات الدينية التي تمنع من إعطاء الرخصة وقد تؤدي إلى مصادرة الكتاب ومنع نشره بعد إعطاء الرخصة كما وقع لكتاب (ينابيع المودة) وغيره فضلا عن الأمور السياسية التي كان يتقرب بها من أوكل اليهم ذلك إلى السلطان عبد الحميد ويتفننون في إستنباطها حتى نقل أنه طلبت الرخصة بطبع كتاب في المنطق وفيه ما المراد بالقضية فلم يرخص في طبعه حتى أبدل المراد بالمقصود وذلك لموافقته لاسم السلطان مراد الذي خلع ونصب مكانه أخوه السلطان عبد الحميد وكنا نكتب في أوراق الطلاق التي تقدم لمأموري القرعة العسكرية طلاقاً خلعياً فيطلبون الينا أن نكتب بائنا بدل خلعياً حتى لا يسمع سلطانهم بلفظ الخلع في مملكته ولكنه لاراد لقضاء الله فقد خلع السلطان عبد الحميد ونفي إلى سالونيك ثم اعيد إلى الأستانة بعد حرب البلقان ومات بها خليعاً سجيناً فسبحان من لا يدوم الا ملكه ولم نتمكن من إكمال طبعها وتصحيحها لقصر المدة فطبع باقيها بعد ذهابنا كما طبع أولها فجاءت مغلوطة واضطررنا إلى عمل جدول للخطأ والصواب فيها .

مصر

ومصر مدينة عظيمة رخيصة الأسعار والأشياء فيها موفورة وأمورها الدنيوية منتظمة وأخلاق أهلها حسنة كسائر سكان القطر المصري ولهم حب عظيم لأهل البيت عليهم السلام فتراهم لا يقسمون الا بهم ولا يلهجون إلا بذكرهم ويحترمون السادة الأشراف ويسمون العلوي شريفاً وأبو هاشم واذكر

اننا لما وصلنا إلى بور سعيد جعلت أتطلع من النافذة إلى العملة الذين يشتغلون ينقل الفحم الحجري إلى المراكب وإلى النوتية فلما رأوني وعلى رأسي عمامة خضراء إستبشروا وجعل يقول بعضهم لبعض هذا شريف هذا شريف ولكن الفسق والفجور والخلاعة منتشرة فيها وجميع أصناف الناس فيها في راحة بسبب عدل الحكومة وتنظيم جميع الأمور ولم تترك الحكومة شيئاً كبيراً ولا حقيراً إلا جعلت له حد لا يمكن أحداً تجاوزه وكتبت ذلك في الشوارع حتى أنهم كتبوا في بعض الامكنة التي تقف فيها الحمير المعدة للأجرة إلى الأمكنة القريبة التي لا يصلها الترامواي ولا العربات (هذا موقف خمس حمير) مثلا فلا يجسر أحد على إيقاف أكثر ومن فعل يغرم بمال جزاء له ويسمون تلك الغرامة مخالفات والحمالون بها كل له نمرة في عضده فإذا سلمه أحد شيئاً وحفظ نمرته فقد أمن من ضياعه وأجرة العربات مرسومة أمام الراكب وهكذا مما لا يحصى حتى أنهم كتبوا في بعض المواضع في قطعة لا ينبغي هنا سير العربات بسرعة والسكك الحديدية تخترق جميع سهولها وتصل إلى جميع بلدانها وقراها ومحطة السكة الحديدية فيها عظيمة فخمة وليلها كالنهار من الأنوار الكهربائية وأمام المحطة في الليل ينار مصباح عظيم من الكهرباء يخال أنه بدر في السماء وفي شوارعها تسير العربات المتعارفة التي تجرها الخيل على الأرض بغير حديد وعربات كثيرة تجرها الخيل بدون حديد أيضاً شبيهة بعربات الترامواي تسمى (سوارس) باسم صاحب تلك الشركة وترامواي كهربائي يسير في شوارعها وضواحيها وامكنتها القريبة والبعيدة بأجرة رخيصة مع هذا كله ففي شوارعها حمير معدة للركوب بالأجرة ولما رأيناها عجبنا من وجودها وقلنا من الذي يركبها مع وجود العربات والترامواي في جميع شوارع فلما أردنا الذهاب إلى القلعة ركبناها لأن القلعة على جبل في وسط المدينة لا تصله العربات وغيرها وفيها عجائب كثيرة من أعظمها .

الاهرام

جمع هرم وهي كثيرة في أرض مصر رأينا منها ثلاثة متفاوتة أكبرها ويعرف بهرم الجيزة عظيم جداً على هيئة مربعة ويضيق قليلا قليلا بقدر درجه واحدة من جميع جوانبه حتى ينتهي إلى مفرش حصير ويرى رأسه من بعيد مثل رأس الحربة وهو كالجبل العظيم عال إلى الغاية يبلغ إرتفاعه نحو ١٤٠ متراً واسع القطر إلى النهاية يصعد عليه الناس بسهولة لأن له من جميع جهاته مثل الدرج الواسع نعم إذا وصل الإنسان إلى منتصفه فما فوق يخاف على نفسه من قوة الريح ورمت الصعود إلى أعلاه فمنعني رفاقي فوصلت إلى قريب منتصفة ونزلت ورأينا ونحن جلوس عليه إمرأة إنكليزيه صاعدة إلى أعلاه يمسكها ثلاثة أشخاص من المسلمين ذوي العمائم الكبيرة الذين هم بمنزلة القوام على تلك الأمكنة يرتزقون مما يدفعه اليهم السواح والزائرون وكلهم ممسكون بمنطقتها التي هي من الجلد من ورائها وعن يمينها ويسارها وجسمها المفرط في البياض يلوح من تحت ثيابها الشفافة فلما مروا علينا سلموا فسلمت هي اتباعاً لهم وهذا الهرم مبني بالحجارة الصلبة المنحوتة الكبيرة لكنها ليست مفرطة في العظم وفيه باب قريب من أسفله ينزل منه إلى جهة السفل وسقفه وأرضه وجوانبه من الحجارة العظيمة ينزل الرجل فيه منحنياً ثم يضيق حتى ينزل فيه زحفاً ويقال أن عمق الهرم في بطن الأرض يعادل علوه على وجهها وفي وسطه من الداخل طريق يصعد منه إلى أعلى الهرم وفي أثناء الطريق تابوت من الصخر أعد للقبر الذي بني الهرم لأجله وكانت الناس قديماً لاتعلم لماذا بنيت الأهرام فقيل خوفاً من الطوفان وقيل انها بيوت كتبت فيها الحكمة وقيل ضمنت خزائن الملوك وقيل أنها قبور الفراعنة ولم يكن لها باب ليمكن الدخول اليها ورام المأمون لما دخل إلى مصر فتح الهرم الأكبر فعجز عن ذلك لكثرة النفقات

ثم لم تزل تتداول الأيدي على فتحها حتى فتحت في العصور الأخيرة فعلم أنها قبور الفراعنة وقد بذل بانوها غاية الجهد في إخفاء أبوابها عن الناس حتى لا يدخلوا اليها وجعلوا مسالكها في بطونها غامضة مخوفة وردم بعض طرقها بالصخور العظيمة وجعل فيها اشياء كثيرة توجب عدم الإهتداء إلى القبور التي فيها فلم يزل بنو الإنسان يجتهدون حتى وصلوا إلى تلك القبور وإستخرجوا من فيها وجعلوهم عبرة للناظرين وإلى جانب الهرم الكبير هرم أصغر منه وثالث أصغر منهما وكلها بهيئة واحدة وبجانب ذلك إبنيه قديمة متهدمة ويلوح للناظر اهرام أخر كثيرة بعيدة عن هذه لكن أعظم الكل أهرام الجيزة الثلاثة المذكورة وأعظمها هرم واحد .

أبو الهول

وقريب من الهرم الكبير صورة عظيمة هائلة منقورة من الصخر على صورة إنسان رأسه عظيم جداً بقدر الربوة الصغيرة تسمية العامة (أبو الهول) وكان في مقابل ذلك تمثال أخر شبيه به .

الكنيسة

وقريب منه مكان تسميه الناس (الكنيسة) سقفة من الحجر السماقي المصقول وأرضه من البلاط الأبيض مسقوف بالصخور العظيمة المربعة وجميع الجدران التي يقوم عليها السقف من الحجر السماقي المصقول ويشتمل على حجر وأواوين ودهاليز ومن عجائب مصر .

حدائق الحيوانات

وفيها جميع ما خلقه الله من حيوان بري وبحري آهلي ووحشي من أنواع السباع والنمور والفهد والذئب وسائر سباع الحيوان والطير والقرود بأنواع شتى أما ملك السباع .

الاسد

فترى فيه أبهة الملك في مشيه الهوينا متأنياً مترفقاً كما قال المتنبي :

يطأ البرى مترفقاً من تيهه فكأنه آس يجس عليلا

وفي جلوسه رابضاً تعلوه الهيبة لا يلتفت إلى أحد وإذا تثاءب بدت لك سعة شدقه الذي لا يضيق عن إبتلاع الحمل فما فوقه وفي زئيره الذي ترتج له الأرض فيمثل للأسماع الرعد القاصف ويكون ذلك غالباً عند جوعه أو غضبه وبجانبه لبوته التي تشبهه في جميع ذلك وتظهر فيها الأنوثه بملامح جسمها الذي ربما يكون أقرب من جسمه إلى اللطافة وفيها .

الزرافة

وهي قريبة الشكل من البعير لكنها الطف منه وجلدها شبيه بجلد الخيل في قصر شعره منقوش بنقش جميل وعلوها بقدر علو البعير يداها أطول من رجليها وإذا بصق عليها إنسان تتركه حتى يغفل عنها ثم تبصق عليه وحيوان عجيب يسمى .

القنغر

بقدر الكلب الكبير أزرق اللون يداه طول شبر ورجلاه طول ذراع إذا مشى ثنى رجليه إلى ورائه ومشى على ركبتيه وعلى يديه كما يمشي الإنسان على أربع وربما وقف ومشى على رجليه كالانسان ورفع يديه وفي جلده شيء كالكيس يضع فيه أولاده .

وحمار الوحش

بهيئة الحمار الكبير جميل الخلقة شعره أسود وأبيض فيكون البياض المكتنف

بالسواد على ظهره عريضاً فاذا وصل إلى جهة يديه ورجليه تدق خطوطه وخطوط السواد الذي يكتنفه حتى تسعها يداه ورجلاه وتنتهي إلى حوافره (والبقر الوحشي) بأنواعه الكثيرة ومنه بقر يشبه الأهلي في شكله (والغزلان) (وأنواع الوعول) الطويلة القرون جداً (والنعام والدب) بأصنافه.

والفيل

بخلقته العجيبة وخرطومه الذي يتناول به كل شيء حتى الإبرة ورأيناه يكسر به قصب السكر بضغطة واحدة كما يكسر أحدنا القثاء الدقيق ثم يرفعه إلى الثقب الذي في أسفل رقبته الذي منه يتغذى لا من فمه ويأكل الحشيش وغيره وخرطومه مثقوب وفي طرفه كالشفتين يقبض بهما وفي فمه نابان بيضان طويلان وله اذنان عظيمتان مدورتان يحركهما دائماً ويقول له سائسه (سلام) فيرفع خرطومه على وجهه كما يرفع الجندي يده عند السلام وقد طرحت له خشبة عظيمة على الأرض فيدحوها بيده دحو الصبي الكرة متى أشار اليه سائسه ويلقي المتفرجون الفلس الصغير فيتناوله بخرطومه ويقدمه إلى سائسه مما دل على ذكائه وقبوله للتعليم وليس له مفاصل ولذلك لا ينام على الأرض بل يتساند إلى شيء وينام ولهذا يحتالون على اصطياده فيعمدون إلى شجرة وينشرونها الا يسيراً فيستند اليها فتنقلب به فيقع على الأرض ولا يقدر على القيام فيصيدونه ورقبته قصيرة وجثته عظيمة ولذلك جعل الله له خرطوماً يتناول به غذاءه ويدافع به عن نفسه ولولاه لمات جوعاً واذا لف خرطومه على إنسان احتمله والقى به ناحية فتبارك الله أحسن الخالقين الذي لا تحصى عجائب خلقه وفيها (جمل) له سنامان وفيها من أنواع (السموك) (التمساح) ودواب البحر والبر و(الحيات و)(اليرابيع) وغيرها من عجائب المخلوقات ما يطول الكلام بشرحه فسبحان الخالق القادر على ما يشاء.

قلعة الجبل

وفيها قلعة كبيرة على الجبل في نفس المدينة وتسمى قلعة الجبل قد تهدم أكثرها وفيها شرذمة من عسكر الإنكليز ومدافع موجهة إلى البلد وفي القلعة مسجد عظيم من بناء محمد علي باشا لم ير الراءون مثله سعة واتقان بناء ونقشاً وزخرفة وعليه قبة عظيمة كتب على داخلها أبيات من الشعر لكنه خال من المصلين إلا نادراً وجميع حيطانه وأعمدته من الرخام المزين بالحفر وله صحن واسع في وسطه حوض من الرخام بأنابيب للوضوء وقد كتب عليه آيات من القرآن تناسب المقام وفي القلعة بئر بعيدة المدى ينزل اليها بدرج من خارج حائطها المدور يستخرج منها الماء بالدواليب إلى أعلاها ثم يجري في ساقية ويوهم قوام ذلك المحل على الغرباء فيقولون لهم هنا محل سجن يوسف عليه السلام ومن عجائب مصر والعجائب فيها كثيرة .

الانتيكة خانه

وهي بناء فخم له طبقات فيه ما يعجز عنه الوصف من الآثار القديمة مثل أجسام فراعنة مصر محنطة باقية بحالها بلحومها وشعورها وأظفارها وأكفانها التي تشبه المبروم الذي كان ينسج في جبل عامل والبردي الملفوفة به وتوابيتها وقد اسودت أجسامهم من طول المكث وقد اخرجت من التوابيت ووضعت في غيرها وغطيت بألواح الزجاج وكتب عند كل رجل اسمه فهذا رعمسيس الأول وهذا فلان وهذا فلان وكتب عند بعضها يظن أن هذا فرعون موسى وبعضها قد صورت صورها على التوابيت التي هي من شجر الدلب بأتقن صنع حتى يخال للناظر ان الصانع لها قد فرغ منها الآن وقد نقشت بالنقوش الذهبية الصفراء ومن شدة اتقان التصوير يخيل للناظر أنها

ذو الصورة الحقيقي وهي لا تزيد عن الأجسام الموجودة اليوم مما دل على ان بني الإنسان قديماً وحديثاً بقدر واحد إلا ما يحكى عن العمالقة وان ما يتوهمه البعض من ان أجسام السالفين أكبر من أجسامنا وهم باطل وهؤلاء الفراعنة بعد ما كانوا ملوكاً جبابرة وحافظوا على أجسادهم بعد الموت من الفناء قد صاروا عبرة لمن اعتبر ومتفرجاً لكل ناظر وهذا التحنيط الذي كان يستعمله المصريون القدماء ولم يهتد اليه أهل هذه الأعصار مع ما بلغوا من الرقي يظهر أنه كان شائعاً سهلاً وانه كان له أناس مخصوصون كالذين يتعاطون تغسيل الأموات وتكفينهم في هذا الزمان ومن عجائبه أنهم كانوا يستعملونه لحفظ كل جسم من الفناء حتى الحبوب والفواكه والخبز والطعام وأجسام الحيوانات البرية والبحرية من الغزلان والغنم والمعزى والتمساح الذي يظهر أنه كان مقدساً عندهم فقد رأيناها كلها باقية من ذلك العهد . ومما رأيناه صور جنود مجسمة في أيديهم القسي كأنهم يمشون صفوفاً وصورة عجلة مجسمة وسرراً وغير ذلك مما يعجز القلم عن استيعابه واستيعاب وصفه وفيها صور أجسام ملوك وغيرهم من الحجارة المجسمة رجالاً ونساء بهيئات ملابسهم بأبدع ما يتصور واتقنه قد صنعت من الرخام والمرمر فترى فيها إنساناً بكبره وضخامته وأكبر من خلقته الأصلية وأضخم بكثير .

الخلفاء الفاطميون والجامع الأزهر

وفي مصر الجامع الأزهر والجامع الأقمر وهما من بناء الخلفاء الفاطميين الذين ظهروا بالمغرب ثم إنتقلوا إلى مصر وبلغت دولتهم شأوا بعيداً ودامت مائتين وإثنين وسبعين سنة وكان لها فضل عظيم في إحياء آثار الإسلام والمحققون من علماء الإسلام ومؤرخيهم يصححون نسبهم مثل صاحب عمدة الطالب في انساب آل ابي طالب وإبن خلدون وإبن الأثير والمقريزي وغيرهم ومما

استدلوا به على صحة نسبهم قول الشريف الرضي رضي الله عنه :

ما مقامي على الهوان وعندي ... مقول صادق وانف حمي
واباء محلق بي عن الضيـ ... ـم كما زاغ طائر وحشي
احمل الضيم في بلاد الاعادي ... وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه ابي ومولاه مولاي ... إذا ضامني البعيد القصي
لف عرقي بعرقه سيدا النا ... س جميعاً محمد وعلي

ولا عبرة بمن انكر نسبهم أمثال ياقوت الحموي الذي يعبر عنهم في معجم البلدان بالمتعلويين وغيره فإن الذين انكروا نسبهم هم بنو العباس خوفاً على ملكهم لما استفحل أمرهم مع ما يرونه من ميل الناس إلى آل أبيطالب حتى كتبوا محضراً ببغداد في نفي نسبهم أجبر على أن يكتب فيه من علماء الإمامية الشيخ المفيد وتلميذه السيد المرتضى والسيد الرضا ووالدهما وامتنع السيد الرضي من إنكار الأبيات السالفة فهدد وعزل عن النقابة وإمارة الحاج لا سيما أن القوم شيعة إسماعيلية والقول فيهم سيء حتى قال السيوطي في تاريخ الخلفاء إن خلافتهم لا تصح لان خيارهم رافضة أو ما هذا معناه وإذا أردت أن تعلم عظمة دولتهم وما لها من الفضل على الإسلام والعرب فراجع خطط المقريزى فإني لم أر من فصل أحوالهم مثله ومما قاله في وصف خزانة الكتب التي كانت لهم ان فيها عدة نسخ من كتاب العين أحداها بخط مصنفه الخليل بن أحمد (والجامع الأزهر) من عهدهم إلى اليوم مدرسة عظيمة إسلامية وله أوقاف جليلة وفيه أروقة يسكنها الطلاب وينسب كل رواق إلى قطر من الأقطار يسكنه أهله وتدر عليهم الأرزاق من الأوقاف وله رئيس يلقب بشيخ الجامع الأزهر وهو أعظم جامع بمصر .

مشهد رأس الحسين عليه السلام

وفي مصر مشهد رأس الحسين عليه السلام معظم مزور وحالة المصريين فيه تشبه حالة العراقيين وغيرهم في مشاهد أئمة أهل البيت عليهم السلام التي بالعراق وعنده مسجد كبير فخم متقن البنيان رأينا فيه رجلا جالساً على كرسي يدرس في علم النحو وحوله عدد كثير من الطلاب وتصنع فيه كسوة الكعبة الشريفة التي يبعثها المصريون كل سنة ولها أوقاف يصرف ريعها في ذلك وهذا الرأس استخرجه الخلفاء المصريون من عسقلان المدينة المشهورة التي كانت بين مصر والشام وهي الأن خراب ودفنوه في مصر باحتفال عظيم وبنوا عليه هذا المشهد وزعموا أنه رأس الحسين عليه السلام والله أعلم بحقيقة حاله .

مشهد السيدة زينب

وبمصر مشهد السيدة زينب وهي إمرأة صالحة فاضلة علوية من نسل مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام لها مشهد عظيم وبجانبه مسجد عظيم يزيد إتقان بنائه عن الجامع الأزهر لكن الأزهر أكبر منه بكثير ويتوهم كثير من الناس إنها زينب الكبرى بنت مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لتبادر الذهن إلى الفرد الاكمل وهو وهم فاسد (ومن الغريب) إنني رأيت في بعض الكتب المصرية المطبوعة هذا التوهم وحاول صاحبه تصحيح هذا الوهم بما هو أوهن من بيت العنكبوت وهو أن يكون نقل جسدها الشريف خفية إلى مصر ويشبه هذا الوهم انني رائيت كتاباً طبع بمصر قال فيه صاحبه أن الجراكسة من نسل رجل صحابي يسمى كسا وانهم كانوا يقولون سار كسا ثم حرفوها وقالوا سركس بالسين في أوله وذلك لإنه الفه لأمير جركسي مع أنه مما لا ريب فيه أن الكلمة فارسية أصلها (جهار كس) أي أربعة أنفس ولذلك قصة معروفة .

مشهد السيدة نفيسة ومشهد الإمام الشافعي وغيرهما

وبمصر من المشاهد المشهورة مشهد السيدة نفيسة ومشهد الإمام الشافعي وغيرهما (وفيها قبر محمد بن أبي بكر) وفي خارجها (قبر مالك الاشتر) الذي سمه معاوية حين توجه إلى مصر والياً عليها،من قبل علي عليه السلام في قصة مشهورة ولم نتمكن من زيارته .

القناطر الخيرية

وهي من عجائب مصر وهي قناطر مبنية على النيل خارج مصر يذهب اليها بالقطار الحديدي وعندها حديقة من أجمل حدائق الدنيا ومنتزهاتها وهذه القناطر بناها إسماعيل باشا خديوي مصر وصرف عليها أموالاً طائلة وهي طويلة جداً ولكل قنطرة باب من الحديد إذا أرادوا سد النيل أنزلوا تلك الأبواب وإذا أرادوا رفعها رفعوها بآلة تدار بالبخار .

الكبري

وهي لفظة تركية معناها الجسر وهذا الجسر قناطر تشبه القناطر الخيرية في طول كثير وفي أولها وأخرها صورتا أسدين عظيمين من النحاس .

تمثال محمد علي باشا وإبراهيم باشا

وفي مصر تمثالا محمد علي باشا راكباً على جواده وولده إبراهيم باشا أميري مصر مجسمين من النحاس ويري إبراهيم راكباً على جواد متقلداً سيفه يشير بيده وعلى رأسه طربوش مغربي مرتدياً الكبوت لابساً السروال الشبيهين بما يلبسه قواصة القناصل .

الشيخ عبد المحسن الكاظمي

وزارنا ونحن في مصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي الشاعر الشهير وكنا نعرفه من العراق وأبوه تاجر من أهل الكاظمية يتجر في الفراء ولذلك إشتهر (ببوست فروش) وهي كلمة فارسية معناها بائع الجلد ويقولون إنهم من نسل الأمير أبي فراس الحمداني خرج من العراق في شبابه مغاضباً لأهله فهبط مصر وذاع بها صيته ونظم فيها القصائد الرنانة سيما في الإجتماع والسياسة وأكثرها على البديهة فإن له في الشعر بديهة عجيبة وأكثر قصائده نشرت في الجرائد والمجلات المصرية وغيرها وله ديوان شعر كبير لم يطبع إلى الأن فأنسنا به كثيراً ورأينا صورته الجميلة التي كنا نعرفها أيام شبابه قد تغيرت ولسانه العراقي قد صار مصرياً وحكى لنا من وقائعه وما جرى له في محافل مصر الشيء الكثير وله عند أفاضل المصريين مكانة سامية .

مناظرة مع نقيب أشراف مصر

وكان بصبحته نقيب الأشراف فسألني النقيب عن طريقة التعليم للعلوم العربيه والدينية في سورية والعراق وعن الكتب التي يدرس فيها فشرحت له ذلك وبينت له محاسنها ومعائبها وشرحت له طريقة التعليم في مدرسة النجف الأشرف فاستحسنها على ما فيها من النقد وشكا من طريقة التعليم في الجامع الأزهر وذكر لها عيوناً جمة (منها) إنه في أول يوم من تعليم المبتدىء عند إبتدائه ببسم الله يلقنونه الإختلاف في أن الاسم عين المسمى أو غيره وغير ذلك مع أنها من مسائل علم الكلام التي لا يتحملها ذهن المبتدىء وليس المعلم فيها بأعرف من المتعلم فقلت له ولما لا تسعون في إصلاح الخلل فقال قد بدأنا نصلح ذلك لكنه يحتاج إلى زمن طويل (إلى أن قال) ويتعلمون علم الأصول

في كتاب يستأهل الإحراق وهو (جمع الجوامع) فقلت له إن عندي منه نسخة مخطوطة (ثم قلت له) وما الفائدة لإخواننا أهل السنة في تعلم علم أصول الفقه وعندهم أن باب الإجتهاد مسدود وان كل إنسان يجب أن يقلد أحد الأئمة الأربعة ولو بلغ من العلم ما بلغ حتى ان مثل صاحب الكشاف والإمام الرازي وغيرهما مقلدة للائمة الأربعة وعليه فيكون إشتغالهم بعلم الأصول عبثاً وتضييعاً للعمر فيما لا فائدة فيه لان علم الأصول مقدمة للإجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية الممنوع منه وقد ذكروا أنه لا بد من معرفة غاية العلم قبل الشروع لئلا يكون الطلب عبثاً فقال أن أهل السنة هم الذين فتحوا باب الإجتهاد دون غيرهم (فقلت) نعم ولكنهم بعد أن فتحوه أغلقوه (فقال) لو تيسرت شروط الإجتهاد في أحد فهم لا ينكرون إجتهاده ولكن تيسرها في هذا الزمان غير ممكن (فقلت) يلزمك إقامة البرهان على دعواك هذه فأول ما شرع فيه من إقامة البرهان إن ذكر شروط الإجتهاد من معرفة علم التوحيد والعربية والمنطق وآيات الأحكام والناسخ والمنسوخ وعلم الأصول والحديث وغير ذلك (فقلت) له لا ينكر أحد ان الإجتهاد مشروط بأغلب هذه الأمور وإنكان في بعضها نظر أو منع كعلم المنطق إلا أن ذلك خارج عن محل الكلام وكل هذه التي ذكرتها معرفتها متيسرة في هذا الزمان بل لعلها فيه أيسر بسبب كثرة التصانيف وتيسرها بوجود المطابع وتعاقب الأفكار (فطلب) مني الصبر إلى إنتهاء كلامه فصبرت (فذكر) من جملة الشروط أن يكون المجتهد في غاية الورع وأعلى درجات التقوى بل ذكر له صفات هي العصمة أو قريب منها وقال إين يوجد صاحب هذه الصفات في هذه الأوقات (فقلت) له (أولاً) المسلم إشتراطه في المجتهد العدالة وما زاد عليها لم يشترطه أحد من العلماء بل لا يعتبر عندكم في الإمام الأعظم أزيد من العدالة بل الحنفية لا تعتبر في الإمام العدالة وتجوز فسقه إذا

كان حافظاً لأمور الرعية ضابطاً لها صرح به النسفي في عقائده ولذلك كانت الدولة العثمانية لا تقبل من موظفيها إلا أن يكونوا أحنافاً والقضاة كلهم على المذهب الحنفي (ثانياً) أن هذا غير محل الكلام فإن الكلام على تقدير وجود شخص بصفة الإجتهاد بعد الائمة الأربعة فهل يسوغ له العمل برأيه وللناس تقليده أنتم تمنعون من ذلك ونحن نجوزه (فقال) لو وجد شخص كذلك فأهل السنة لا يمنعون من ذلك (فقلنا) له لو تكلمت بهذا في بلادنا لسمعت ما يسؤك ولكنك تتكلم بهذا في بلاد مصر فقال الشيخ عبد المحسن الكاظمي وفي مصر لا يتكلم بهذا إلا قليل والناس تسلقهم بالسنة حداد (ومما) ذكره من شروط الإجتهاد أن يسلم له أهل عصره بالإجتهاد (فقلنا) له الإجتهاد صفة قائمة بالمجتهد لا دخل فيها لتسليم أهل العصر وعدمه فلو ان نبياً أرسل إلى قوم فكذبوه أكان يقدح ذلك في نبوته ولو أن أهل مصر سلموا بإجتهاد رجل وهو ليس بمجتهد أكان ذلك يجعله مجتهداً فسكت .

وبعدما أقمنا بمصر ستة أيام ركبنا القطار الحديدي إلى الإسماعيلية فالسويس .

السويس وبور توفيق

فبقينا فيها يومين ثم ركبنا البحر في مركب يسمى عبد المنعم من المراكب الخديوية وأكثر عماله من المصريين بأجرة ٢٥٠ غرشاً صحيحاً مصرياً في الدرجة الثانية و ١٥٠ في الدرجة الثالثة الأخيرة ومن حسن الترتيب في السويس ان ميناءها التي تسمى (بور توفيق) نسبة إلي توفيق باشا الخديوي وتبعد عن البلد مسافة ولها قطار حديدي مخصوص يذهب ويجيء في كل ساعة مرة وقد جعل لها مرفأ تصل المراكب العظام إلى جنبه فتخطو الركاب من البر إلى المركب بدون حاجة إلى زورق وعند مدخل المرفأ باب كبير وعلى جانبيه جنديان

يمنعان الدخول لأكثر من شخص واحد خوف الإزدحام فأول ما تؤخذ أمتعة الركاب يأخذها الحمالون بالعدد ويحفظ صاحبها نمرة الحمال ثم تدخل النساء واحدة واحدة ثم الرجال كذلك فأرسلنا إمتعتنا وذهبت مع بعض رفقائنا لعلنا نتمكن من الدخول فنختار لنا مكاناً موافقاً لأننا أخذنا مكاناً في الدرجة الثانية وليس في المراكب درجة ثانية بل جعلوا ظهر الدرجة الأولى بدل الدرجة الثانية وكان خيراً من الدرجة الأولى فلما وصلنا إلى الباب رأينا جماعة من المغاربة معممين عليهم البرانس يحاولون الدخول فمنعهم الحرس فلم يمتنعوا فأعملوا فيهم ضرب السياط فوقفت مع رفيقي ناحية فلما رآني الحرسيان أشارا إلي أن تعال فأتيت فقالا يا شريف تريد أن تدخل قلت نعم قالا تفضل قلت ورفيقي قالا ورفيقك فدخلنا وبأيدينا أوراق المركب والكرنتينا والجواز وفي الطريق أناس في أمكنة متعددة ينظرون ذلك فدخلنا المركب قبل كل أحد واخترنا لأنفسنا ولمن معنا من النساء والرجال أمكنة حسنة واسعة ثم جاء رفقاؤنا وأقلع المركب بنا من السويس مساء فوصل الطور ضحوة الغد وبقي هناك ينقل ما حمله إلى الطور من آلات البناء لأجل بناء محجر في الطور بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده وفي غدها إلى الليل ثم أقلع من الطور قاصداً جدة فوصلناها بتمام الراحة لأن البحر كان ساكناً إلا في موضع يدعى ببركة فرعون ورأس أم محمد فهاج البحر وهاجت المرة الصفراء باكثر الحجاج وذلك بعدما أحرمنا بيسير وكنا في الليلة التي أحرمنا في صبيحتها إغتسلنا من حمام في المركب منار بالكهرباء يجيء ماؤه من البحر ويغتسل فيه الإنسان منفرداً بأجرة قليلة ولبسنا ثوبي الأحرام بعدما خلعنا المخيط .

نذر الاحرام قبل الميقات

وفي الصباح نذرنا الأحرام قبل محاذاة الميقات تخلصاً من الأشكال بناء

على ما هو الحق من جواز الأحرام قبل الميقات بالنذر للأخبار الصحيحة الصريحة في ذلك المعمول بها عند الأصحاب حتى أن في بعضها أن رجلا نذر الأحرام من الكوفة قال عليه السلام فليحرم من الكوفة ولا يلتفت إلى إشكال من أشكل بأن متعلق النذر يجب أن يكون راجحاً قبل النذر وإذا كان الأحرام قبل الميقات غير مشروع فلا يكون راجحاً حتى يتعلق به النذر لأن ذلك إجتهاد في مقابلة النص والنص كاشف عن كفاية الرجحان ولو بالنذر ولكن لما كان الوارد في الأخبار الإحرام من مكان معين قبل الميقات مثل (الكوفة) وفي البحر لا يتيسر ذلك مع سير المركب وعدم وقوفه فلأجل رفع هذا الإشكال عينا المكان بالساعة فعمدنا إلى ساعة وقال الناذر لله علي أن بقيت إلى المكان الذي تكون فيه هذه الساعة ثلاثة مثلا أن أحرم من ذلك المكان على أنه يمكن تعيينه بالزمان مثل المكان الذي يكون فيه المركب عند الفجر أو عند طلوع الشمس أو عند الزوال أو عند الغروب أو نحو ذلك فلما صارت تلك الساعة كذلك عقدنا الأحرام بالتلبية وبقينا مستحضرين للنية مكررين للتلبية حتى وصلنا إلى المكان الذي قال الربان أنه يحاذي الميقات وهو (الجحفة) القريبة من (رابغ) وآذن الربان بذلك بصفير المركب وتجاوزناه كثيراً ونحن نلبي مستحضرين للنية ولكن ظهر لنا بعد ذلك أن من يريد الإحتياط التام فلينذر الإحرام من السويس وليحتط بتجديد النية عند محاذاة (مسجد الشجرة) ظنا أن أمكن أواحتمالا الذي تحصل المحاذاة له قبل محاذاة الجحفة ثم في (جدة) بالجيم لأن الجحفة تصير على شماله عند توجهه إلى مكة (ويلملم) عن يمينه ثم في (جدة) بالحاء المهملة التي هي في منتصف الطريق الي مكة لإحتمال كون المحاذاة هناك للجحفة التي هي شمالي جدة أو ليلملم الذي هو في جنوبها ويعرف اليوم (بالسعدية) .

المغاربة في حلقة الذكر

وكان في جوارنا في المركب جماعة مغاربة معممون لابسوا البرانس أجسامهم ضخمة ولعلهم هم الذين حاولوا الدخول إلى ميناء السويس فمنعهم الحرس وأوسعوهم ضرباً كما مر فكانوا بعد كل صلاة يعقدون حلقة ذكر يميلون فيها يميناً وشمالا بأجسامهم الضخمة ميلاً شديداً منكراً مكررين لا إله إلا الله بنغم خاص معروف فيجتمع أكثر أهل المركب للتفرج عليهم ويبتدئون الذكر بعد إداء فريضة الصلاة بالصلاة على محمد (ص) لكنهم لا ينطقون بها صحيحة بل تكون بهيأة اللهم أصل وكان أمام جماعتهم رجلا بديناً تظهر عند ميلانه يميناً وشمالاً هيأة قبيحة وكأنه كان يدرك ذلك فكان يقلل من ميلانه وكان فيهم رجل نحيف طويل كان أشدهم حركة في حالة الذكر وفي بعض الأيام هاج به الحال فضرب رأسه بحائط المركب ورأى يوماً الإمام يتحرك حركة خفيفة فجاء اليه وجعل يحركه بيديه يميناً وشمالاً أعنف حركة وجاء في بعض الأيام رجل تركي أناضولي يحسن العربية كان حاجاً وكان معنا في المركب وتظهر عليه إمارات الدين والصلاح فوقف إلى جنبي في جملة المتفرجين فقال ما هذا الذي يفعله هؤلاء فانشدت :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الاعضاء

فقال لي وهل هذه عبادة فقلت هي بنظرهم عبادة فقال هذه بدعة وضلالة وليست العبادة تابعة لنظرهم .

الجزيرة في جدة

ولما وصلنا (جدة) نزلنا في سفينة أقلتنا إلى (جزيرة) في البحر مسافة ساعة عن جدة تقريباً لأجل تبخيرنا وتبخير الفراش والدثار فقط ليموت ما

فيها من الميكروب خوفاً من سراية الأمراض الوبائية وذلك بسبب مرورنا على مصر مع أنها خالية من كل مرض وبائي وكل من يحضر من الديار المصرية يأخذ ورقة من إدارة الصحة بأنه سالم من كل مرض فيدفع رسماً عن ذلك ثلاثة قروش صحيحة وكسراً فسرنا محرمين والبحر هائج والشمس تصهرنا والبحر يقذف علينا من مياهه حتى وصلنا الجزيرة بغاية المشقة فوجدنا السفن حولها واقفة مملؤة بالحجاج والشمس على رؤوسهم ومنعوا الناس من دخول الجزيرة تحكماً بلا فائدة مظنونة ولا موهومة إلى أن أخذوا الفراش ووضعوه في المبخرة ما يقرب من ثلاثة أرباع الساعة حتى دخل البخار في أعماقه ورشوه بالفينيك ثم اذنوا للركاب بدخول الجزيرة من باب مخصوص وأوقفوهم في مكان مخصوص ثم أمروهم بالخروج من باب آخر كأنهم قطيع غنم يصرفه الراعي كيف يشاء وهذه الجزيرة لا ماء فيها ولا كلأ فأضر العطش بهذا الجمع المحتشد وهنا أخذ أصحابنا المغاربة في الذكر وعلت أصواتهم المنكرة المختلفة كما إننا شاهدناهم عند خروجنا من مكة إلى عرفات راكبين على الحمير وقد لبسوا المخيط والعمائم على رؤوسهم وهم مشغولون بذلك الذكر على ظهور الدواب وبعد هذا أعطوا ورقة بأسماء الراكبين في السفينة ليأذن لهم أهل الميناء بدخول البلد .

الوصول إلى جدة

ثم سرنا من الجزيرة قاصدين جدة في حر الظهيرة والامواج تفيض على الوجوه والرؤوس والابدان والاردية والأزر والسفينة تصعد تارة وتهبط أخرى ونحن في خوف من الغرق لشدة الأمواج ولولا التهاب إلى الجزيرة لوصلنا الميناء بسهولة ومسافة قريبة وعند الوصول إلى الميناء أخرجونا من السفينة وأدخلونا من باب ونحوا السفينة إلى باب آخر وفيها الأمتعة مع الملاحين

ثم أتوا بنا إلى شباك والمأمور داخل الشباك فقال إنسان واقف إدفعوا عن كل شخص نصف مجيدي فدفعنا وأخذنا أوراقاً فمشوا بنا قليلا وأخذوا الأوراق وقرضوها بمقراض ثم أتوا بنا إلى مكان قريب من هذا المكان وأخذوا جوازات السفر وقالوا إدفعوا عن كل جواز غرشين وربعاً صحيحة فدفعنا واعطوا كل واحد ورقة علامة على أنه دفع ما عليه ليأذن له البواب بالخروج فخرجنا ووجدنا السفينة واقفة فأخذنا منها الأمتعة وبسبب قلة الركاب حينئذٍ لم يسرق من أمتعتنا شيء ولكن لا تسل عن الذين جاءوا بعدنا عصراو لم يصلوا إلى أمتعتهم إلا بعد ظلام الليل ماذا جرى عليهم وكم فقد من أمتعتهم وكم باكية لفقد نفقتها التي وضعتها داخل خرجها وبعد فراغنا من مزاولة هذه المشاق دخلنا البلد ونزلنا في دار عالية البنيان متسعة البيوت فيها أربع طبقات كما هو الحال في أكثر بيوت جدة والأجرة عن كل نفس ثلاثة قروش صحيحة يومياً فبقينا في جدة ستة أيام ننتظر أمتعتنا المشحونة من بيروت فبعد وصولها ومعانات مشقة التفتيش في الكمرك سافرنا قاصدين مكة المكرمة وفي أثناء إقامتنا في جدة زرنا قبر أمنا حواء وقبرها خارج البلدة مفرط في الطول .

مدينة جدة

وجدة مسورة ولها ثلاثة أبواب باب غربي من جهة البحر وآخر شرقي وثالث جنوبي وفيها قناصل الدول ولا يؤذن لغير المسلمين في الخروج خارج السور ويوجد فيها كثير من السودان الغبر الألوان وما فيها إلا الجائع العريان واسعارها غالية وماؤها أجاج منتن يتجرعه الشارب ولا يكاد يسيغه والسقاء الصغير منه بقرش واحد صحيح ولكن ظهر لنا بعد ذلك أن فيها ماء حلواً في الصهاريج من ماء المطر لم نعلم به .

الخروج من جدة

وكانت أجرة البعير من جدة إلى مكة تسع مجيديات وربعاً وغرشين صحيحين ولكن لا يصل إلى الجمال منها إلا اليسير والباقي يأخذه المخرج باسم الحكومة وقطع الأجرة بأمر من الحاكم وكل جمال يأخذ كوشانا بعدد ما معه من الأباعر بعد دفع الرسم المفروض عليه والذي ليس معه كوشان لا يدعونه يدخل مكة حتى يؤخذ منه الرسم والذي يركب مع الأعراب خارج جدة يأخذون منه نصف هذه الأجرة أو ثلثها وهم يصيحون في الطريق (يا رويجب يا رويجب) وعند الخروج من باب جدة أخذوا عن كل بعير غرشين صحيحين وبسبب الوقوف بالباب سرقت أمتعة لكثير من الحجاج وأكثر سراقها أفراد العساكر النظامية الموضوعين لحفظ الأمن وسرق لنا ابريق نحاس وسرنا من جدة إلى بحرة فوصلناها بعد الغروب وادركتنا صلاة الظهرين في الطريق لاننا خرجنا من جدة قبل الظهر فنزلت أنا وزميلي من الخشب وتوضأنا أولاً ثم سرنا قليلا وصلينا الظهر ثم سرنا كذلك وصلينا العصر لأنه لا يمكن الإنقطاع عن القافلة لحظة من خوف الطريق مع أن العساكر النظامية منتشرة من جدة إلى مكة في السهول وعلى رؤوس الجبال ينفخون في بوقاتهم فيجيبهم الأخرون ولكن هؤلاء العساكر لايفترون عن سرقة ما يمكنهم من أمتعة الحجاج وصادف إنه بينما نحن نسير إذا بأمرأتين من رفقائنا راكبتين في خشب شامي وقف بهما البعير عجزاً عن السير واباعر الحجاز صغيرة دقيقة الساق لا تقوى على حمل الخشب الشامي فنزلت أنا ورفيقي نمشي وأركبنا هما مكاننا إلى بحرة فوصلناها بعد الغروب .

بحرة

وهي في وسط الطريق بين جدة ومكة وكلها قبائح مملؤة من القراد الذي

يلتصق بالاجساد وماؤها كماء جدة وليس فيها مسكن إلا أرض محاطة بقصب ونحوه ينزل فيها الحجاج ويبذل لهم أهلها الماء والضياء والحطب لقاء دراهم يأخذونها وقد أتونا قريباً من نصف الليل بوجوههم السوداء الكالحة بأيديهم المشاعل وعلى متونهم البنادق وجعلوا يوقظون الحجاج بعنف وإزعاج وقد أخذهم النعاس وأضناهم التعب ويطلبون منهم الأجرة ويشتظون في المقدار ويعنفون بالناس كأنهم يأخذون جزية وكأنهم زبانية جهنم أو منكر ونكير ومن لم يدفع لهم كما طلبوا وهو أضعاف ما فرض لهم أوسعوه شتماً بل وضرباً ان تمادى في الإمتناع وإذا هددهم بالحاكم سبوه وسبوا الحاكم فقبحوا من قوم سوء ثم سرنا من بحرة صباحاً فوصلنا مكة عند العصر وقد سلبت في هذا الطريق قوافل قبلنا وبعدنا ومعنا وجرى قتل ونهب في أكثر الأوقات أما نحن فلم نر شيئاً من ذلك والحمد لله .

أول الحرم

وقبل الوصول لمكة المشرفة رأينا العلامات الموضوعة في أول الحرم من جهة جدة فقرأنا الأدعية الواردة عند دخول الحرم ولم نتمكن من الغسل .

مكة المكرمة

ونزلنا في مكة في (شعب عامر) في دار رجل يماني قاطن في مكة في دار جيدة وكان وصولنا اليها قبل هلال ذي الحجة بيومين ورأينا الهلال ليلة الجمعة خفياً جداً قبل مغيبه بيسير وكان ذلك من جملة نعمه تعالى علينا فكان الوقوف بعرفة في يوم واحد لجميع المسلمين (ويوم التروية) ثامن ذي الحجة بعد الظهر إغتسلنا وأحرمنا للحج من مقام إبراهيم عليه السلام وخرجنا قاصدين منى .

منى وعرفات

فوصلناها مساء ونزلنا قرب (مسجد الخيف) وصلينا فيه تلك الليلة المغرب والعشاء وخرجنا منها صباحاً إلى (عرفات) وقد وضعت علامات بآخر الحرم من جهة عرفات فنوينا الوقوف بعرفات من الزوال إلى الغروب وكنا في مجموع هذه المدة مشغولين بالدعاء والتضرع إلى الله تعالى لنا ولأخواننا المؤمنين وزرنا مولانا الحسين عليه السلام وذكرنا إخواننا وأصدقاءنا باسمائهم وكان من فضله تعالى علينا الهمنا الدعاء لجماعة من إخواننا المؤمنين كانت قد سبقت منهم الإساءة الينا فجزيناهم على إساءتهم إحساناً وبعد الغروب نفرنا من عرفات راجعين إلى

المزدلفة

وهي (المشعر الحرام) وتسمى (جمعاً) أيضاً وهي بين منى وعرفات وقد وضعت علامات لحدود عرفات من جهة المشعر لأنه لا يجوز الخروج من حدود عرفات قبل الغروب ومن خرج كان عليه فدية بدنة (والمأزمان) بالهمز أيضاً بتلك الأماكن تثنية مأزم والمأزم الطريق الضيق بين جبلين والمأزمان أحدهما مضيق بين جمع وعرفة والأخر بين مكة ومنى وقد أكثر الشعراء من ذكرهما قال الشريف الرضي :

تذكرت بين المأزمين إلى منى غزالا رمى قلبي وعاد سليما

لئن كنت أستحلي مواقع نبله فإني ألاقي غبهن اليما

وبذلك النفر يتذكر الإنسان يوم النشور فبتنا في المشعر والتقطنا منه الحصيات حسب الإستحباب .

يوم عيد النحر

وفي الغد رجعنا إلى منى وهو يوم عيد النحر وبعد الوصول بيسير ذهبنا إلى مكان بيع الأضاحي فاشترينا هديا بليرة عثمانية حسب ما طلب بائعه ولم نساومه لكراهة المساومة فيه وذبحناه وتصدقنا بثلثه واهدينا ثلثه وكانت الجنود تمنع من حمل اللحوم إلى الخيم خوفاً من إنتشار الروائح الكريهة ألا أنه ليس منعاً شديداً فأخذنا شيئاً من الهدي لنأكل منه حسب الإستحباب ومن لم ير ذلك المكان لا يعلم حقيقة معنى قول القائل (مجزرين كالأضاحي) وبعد الزوال عمدت جنود الحكومة إلى جمع ما بقي من تلك اللحوم والأوساخ المطروحة في مكان الذبح فدفنتها في حفر أعدت لذلك ولم يحدث في الحاج مرض في تلك السنة في منى وعرفات وكانوا بتمام الصحة وكان الحاج متوسط العدد .

الجمرات الثلاث

وبعد النحر ذهبنا لرمي جمرة للعقبة وهي أول الجمرات من جهة مكة وبعدها جمرة تسمى الوسطى وبعدها جمرة تسمى الأولى لانها ترمى أولا في الأيام التي ترمى فيها الجمرات الثلاث وجمرة العقبة تسمى الأخيرة لأنها آخر ما يرمى إذا رميت الجمرات الثلاث وذلك في الحادي عشر والثاني عشر من ذي الحجة بل والثالث عشر إذا بقي الحاج بمنى أما في يوم النحر فلا ترمى إلا جمرة العقبة فقط وأصل الجمرة مجتمع الحصا وجمرة العقبة بناء في سفح الجبل ظهرها إلى الجبل ووجهها إلى الطريق الذي بين مكة ومنى والوارد إستقبالها في الرمي أي رميها من قبل وجهها لا رميها من أعلاها بحيث يصعد في الجبل ويرميها من فوقها وسميت جمرة العقبة لوجود عقبة هناك ليست بعالية فإن الطريق من مكة إلى منى يأخذ في علو يسير لا يدرك

حتى يصل إلى قريب منى فهناك ترى عقبة يسيرة تصعدها فتصل إلى منى وهي سهل فسيح تكتنفه جبال شاهقة من الجنوب والشمال وكذلك عرفات وأكثر بلاد الحجاز طرقها في سهول تكتنفها الجبال .

بئر زمزم وقناة زبيدة

ولم يكن بمكة قديماً غير ماء بئر زمزم التي هي قريب الكعبة المشرفة وماؤها لا يخلو من مجوجة يسيرة وكان الحجاج يحملون الماء معهم من مكة إلى منى وعرفات عند خروجهم اليها يوم الثامن من ذي الحجة ولذلك سمي يوم التروية ثم أتي لها بالماء من الطائف في قناة تمر بمنى وعرفات وتسمى (قناة زبيدة) وأصلها كما في تاريخ مكة المسمى بالأعلام في أعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي أن زبيدة زوجة الرشيد أمرت بإجراء الماء إلى مكة من عين في ذيل جبل شامخ يقال له طاد من طريق الطائف كان يسقي بساتين في حنين واليها ينتهي جريانه فاشترت تلك البساتين وابطلتها وشقت له الأقنية في الجبال وجعلت لتلك العين مداداً من عيون يجتمع اليها ماء المطر وتتصل بأقنية بتلك العين إلى أن وصل الماء إلى مكة وأمرت بإجراء الماء من عين منبعها في ذيل جبل كراً وهو جبل شامخ أعلاه أرض الطائف ومن أسفله إلى أعلاه مسيرة نصف نهار وينصب من ذيل جبل كراً في قناة إلى الأوجر في وادي نعمان ثم إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات ثم إلى عرفات واديرت بجبل الرحمة ثم إلى البرك التي في أرض عرفات ثم تخرج من عرفات إلى خلف جبل من وراء المأزمين على يسار العابر من عرفات فتصل إلى مزدلفة ثم إلى جبل قبلي منى ثم تنصب في بئر عظيمة تسمى بئر زبيدة اليها ينتهي عمل هذه القناة ثم صارت عين حنين وعين عرفات تنقطعان لقلة المطر وتهدم القنوات وإمتلائها بالاتربة من السيول فتصلحها الملوك والسلاطين

والأمراء كالملك مظفر الدين صاحب أربل فعمر عين عرفة سنة ٦٠٥ ثم عمرها المستنصر العباسي سنة ٦٢٥ و ٦٣٤ ثم عمر عين حنين أمير مكة الشريف حسن سنة ٨١١ ثم عمرها الملك المؤيد من ملوك الجراكسة بمصر سنة ٨٢١ ثم عمرها وعمر عين عرفات منهم قاتباي سنة ٨٧٥ .

ثم عمر عين حنين منهم قانصوه الغوري سنة ٩١٦ ثم عمرها الأمير جوبان نائب السلطنة بالعراقين للسلطان أبي سعيد خدابنده سنة ٩٢٦ ثم عمرها أمير مكة الشريف حسن ثم انقطعت العينان فعمرهما السلطان سليمان العثماني سنة ٩٣١ ثم انقطعت العيون الاعين عرفات لكنه قل جريانها ثم أمر السلطان سليمان بإصلاحها فأصلحوا عين عرفات إلى بئر زبيدة وظنوا أن لها مجرى تحت الأرض إلى مكة ولم يكن الأمر كما ظنوا فإن منتهى عمل زبيدة كان بئر زبيدة فعدلت عنه لصعوبة الحفر إلى عين حنين فحفروا فيما بعد بئر زبيدة فوجدوا الأمر صعباً ولم يجدوا قناة قديمة كما ظنوا ولم يمكنهم ترك العمل تحاشياً من إظهار العجز فوصلوا الحفر ولاقوا مشاقاً عظيمة حتى أوصلوا الماء إلى مكة سنة ٩٧٩ وكان إتمامه ببذل خانم سلطان كريمة السلطان سليمان بعد ما بذل عليه ما يزيد عن نصف مليون دينار ذهباً ثم أمر السلطان سليم ان تبنى بقية قناة عين عرفات من الأبطح إلى آخر المسفلة بمكة المكرمة في قناة مستقلة ولا تجري في قناة عين حنين وبنى قبة في الأبطح جعل فيها مقاسم ماء عرفات وركب في جدارها بزابيز من النحاس .

وقد اصلحت في هذا العصر بئر زبيدة المتقدم ذكرها ووجدوا عليها تاريخاً من عصر الشريف قتادة أمير مكة المتوفي سنة ٦١٧ .

العود إلى مكة

وبعد أن رمينا جمرة العقبة يوم العيد حلقنا وفي اليوم الثاني رجعنا إلى

مكة وطفنا طواف الحج وسعينا بين الصفا والمروة وطفنا طواف النساء وصلينا صلاة الطوافين وذلك لان المستحب الرجوع إلى مكة يوم العيد بعد الرمي والحلق لاجل طواف الحج الذي يسمى طواف الزيارة أي زيارة البيت ولاجل السعي وطواف النساء الذي لا تحل النساء إلا به وكذا المرأة لا تحل لها الرجال إلا به فان لم يتمكن من الرجوع إلى مكة يوم العيد ففي الذي بعده وحيث لم يمكنا الذهاب يوم العيد ذهبنا في الحادي عشر ثم عدنا إلى منى فبتنا بها ليلة الحادي عشر والثاني عشر .

الزينة بمنى

وفي تينك الليلتين كانت مني في زينة عظيمة تضرب بها المدافع من مكان المحملين الشامي والمصري فيتردد صداها بين تالك الأودية والجبال وتعلو الحراقات في الجو بالوانها المختلفة البديعة الشكل ورمينا الجمرات الثلاث في ذينك اليومين ثم عدنا إلى مكة يوم الثاني عشر بعد الظهر وكان من جملة تلك السنة امرأة من ملوك الهند وبعض ملوك الغرب ووزير الصدر في ايران ميرزا علي اصغر خان الملقب أمين السلطان .

المزارات بمكة المكرمة

وتشرفنا في أثناء إقامتنا بمكة بزيارة قبور أبيطالب وعبد المطلب وعبد مناف عليهم السلام وخديجة بنت خويلد أم المؤمنين رضي الله عنها ومولد النبي (ص) ومولد فاطمة الزهراء (ع) وغيرها من الأماكن المشرفة .

أبو قبيس

وصعدنا إلى جبل أبي قبيس وهو مشرف على الكعبة المشرفة .

الدخول للكعبة المشرفة وصفتها

ودخلنا ليلا إلى الكعبة المشرفة وصلينا في جوانبها الأربع وعلى الرخامة الحمراء وهي ما بين العمود الاخير الذي يلي حجر اسماعيل والذي قبله فان فيها ثلاثة اعمدة من خشب ممتدة من وسط الحائط الذي بين الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الأسود إلى وسط الحائط الذي يلي حجر اسماعيل وباب الكعبة المشرفة قريب من الركن الذي فيه الحجر الأسود عال عن الأرض بأزيد من قامة يصعد اليه بدرج منقول وقوام الكعبة الذين بيدهم مفاتيحها هم بنو شيبة من عهد الجاهلية إلى اليوم ورأينا داخل الكعبة حراً شديداً لعدم المنافذ مع ان ذلك كان في وسط الشتاء لكن شتاء الحجاز كقيظ الشام وقرأنا في حائطها الداخل الذي بين الركن اليماني والركن الذي يلي حجر اسماعيل تاريخ تجديد رخامها الداخل من أبي جعفر المنصور المستنصر بالله في حدود الستمائة وهذا هو أبو جعفر منصور بن الظاهر ويلقب بالمستنصر وهو والد المستعصم آخر ملوك بني العباس وتاريخ آخر بتجديده من السلطان محمد خان في حدود الثمانمائة وآخر من بعض الملوك .

الشريف عون ووالي مكة

وكان حجنا في إمارة الشريف عون وولاية أحمد راتب باشا والي الحجاز وكان أهل مكة يخافون الشريف عوناً ويبغضونه خوفاً وبغضاً شديدين ويميلون إلى ابن أخيه الشريف علي الذي تولى إمارة مكة بعد وفاته ووالي الحجاز من قبل الدولة العثمانية ليس له مع الشريف من الأمر شيء وعنده عساكر نظامية وعند الشريف عسكر يسمى البيشة .

الخروج من مكة إلى المدينة

وبقينا في مكة المكرمة إلى الثامن والعشرين من ذي الحجة الحرام ثم خرجنا منها بطريق البر مع أمير الحاج الشامي (عبد الرحمن باشا اليوسف) من أمراء أكراد صالحية دمشق فخرجنا من مكة إلى

الشيخ محمود

وهو بمسافة ساعة عن مكة وكانت أجرة الخشب الشامي من مكة المكرمة إلى دمشق اثنين وأربعين ذهباً عثمانياً في حمل (الحاج علي أغا الشيرازي) وذلك مع أجرة الذهاب والإياب إلى عرفات وأجرة الكجاوى إثنين وثلاثين ذهبا والراكب احد عشر ذهباً (والشيخ محمود) مسمى باسم ولي مدفون هناك ثم ارتحلنا صباحاً من الشيخ محمود إلى

وادي فاطمة

كما يسميها أهل الشامُ واهل العراق يسمونها وادي الشريف وهو الذي كان يسمى مر الظهران أو بطن مر وهو مكان فيه نخل ونهر جار وهو مسافة أربعة فراسخ عن مكة تقريباً يباع فيه لحم الضأن الجيد والبيض والبطيخ الأخضر والطماطا والليمون الحامض الصغير الأخضر ويظن أنه من نوع الليمون الذي يؤتى به يابساً إلى العراق من الهند ويسمى ليمون بصرة لجلبه من الهند اليها وغير ذلك فبتنا فيه ورحلنا منه صباحاً إلى

عسفان

بضم العين وسكون السين المهملتين ثم فاء وألف ونون فوصلناه مساء وهو مكان مشهور له ذكر وهو الذي حبس فيه هشام بن عبد الملك الفرزدق

الشاعر لما مدح زين العابدين (ع) بالميميه المشهورة فقال الفرزدق يهجوه :

ايحبسني بين المدينة والتي اليها قلوب الناس يهوي منيبها
يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

والمسافة بين عسفان ووادي فاطمة نحو من إثنتي عشرة ساعة وريضوا نحوا من ساعة عند منتصف النهار كما هي العادة ويسمونها (راضة الظهر) فيبقون الأحمال على الجمال ولا ينصبون الخيام فيتغدون ويصلون ثم يسيرون وعادة الركب الشامي أن يضرب مدفعاً عند النزول وآخر عند الرحيل ولما لم يتحقق زوال الشمس قبل المسير صلينا الظهرين في أثناء السير وحملنا الماء من وادي فاطمة إلى عسفان وقيل أن بعسفان ماء لكن يتعسر الوصول اليه لدخول الليل ومنع العسكر المحافظ على الحجاج من الخروج خارج (الزنجير) أي العسكر المحيط بالحاج من العسكر النظامي والجندرمة الذين رسمهم أن يسيروا يمين الحاج وشماله حالة السير ويحيطون به عند النزول فلا يدعون في الليل أحداً يخرج ولا أحداً يلج إذا لم يعرفوه فيصيحون به ثلاث مرات فان لم يجب رموه فقتلوه كما وقع ذلك لبعض الحجاج الذين لا يعرفون العربية وطول الليل يتصارخون فيصيح أحدهم (كركون) فيجيبه الذي يليه (حازرون) وهكذا دوراً حتى تنتهي النوبة إلى الأول فلا يزال هذا دأبهم طول الليل وفي ساقة الحاج عسكر من عرب عقيل موظفون من طرف الحكومة لحمل الضعيف والمنقطع به لكنهم في الغالب لا يفعلون ذلك ان لم يسلبوه وكان للحاج الشامي من الترتيب والنظام ما يوجب راحة الحجاج من ذلك أن السير يكون بقطارين أحدهما إلى اليمين والآخر إلى اليسار والحاج قوافل متعددة ولكل واحدة رئيس يسمى (مقوماً) ويسميه العجم وأهل العراق (حملدار.) فيسير كل رئيس بقافلته ميمنة وميسرة هذا أولا وذاك بعده

وهكذا في كل يوم وجمال كل قافلة لا يتغير مكانها فمن كان بعيره أولا في أول يوم بقي كذلك إلى آخر يوم ومن كان في الميمنة لا يتحول إلى الميسرة وبالعكس وإذا ساروا ليلا حمل كل قائد جمل ويسمى (عكاما) فانوساً بيده فيرى لهم من بعيد صورة جميلة فيرى الرائي من بعيد مصابيح تتقد في البر سائرة صفين ولا يرى غيرها وخيام كل قافلة لها جمال مخصوصة وأناس مخصوصون يسمون (المهاترة) يسبقون الحاج وينصبونها أول يوم على ترتيب خاص لا يتعدونه إلى آخر السفر وخيام كل قافلة في مكان مخصوص لا تتعداه هذه أولا وتلك بعدها وهكذا وكذلك كل خيمة لها مكان مخصوص لا تتعداه وخيام كل قافلة كأنها بلد بنفسها بأزقتها وبيوتها لا تتغير فلو ضل إنسان في حال السير أو النزول يهتدي إلى مكانه بأيسر ما يكون حتى كأنه في بلده وفي ذلك اليوم وقع كثير من الاباعر بأحمالها في أثناء الطريق ما يقرب من خمسين بعيراً بعضها قضى نحبه في الحال وتناولته شفار السودان الذين يسيرون مشاة مع الحجاج فقطعته أربا أربا وربما كان ذلك قبل خروج روحه وبعضها سلم بعد وضع حمله على غيره ومداواته بالفصد في أنفه وصب الماء على سنامه وبدنه وذلك على ما قالوا بسبب سمنها واشتداد الحر مع أن الفصل شتاء ولكن من (البارخانة) التي نحن فيها لم يمت بعير وأحد ورأينا هلال المحرم بعسفان ليلة السبت مفتتح عام ١٣٢٢ وفيها بئر يسمى .

بئر التفلة

يقال أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تفل فيها فعذب ماؤها وخرجنا صباحاً من عسفان قاصدين .

الخليص

بوزن المصغر فوصلناها منتصف النهار وماؤها لا بأس به وفيها البطيخ

الأخضر الجيد والقثاء والبصل واللحم وغير ذلك وفيها بعض النخل وهي مسكونة من الأعراب ثم سرنا منها صباحاً فثار بعض الأعراب على رجلين من أهل معرة النعمان معهما بعير واحد هما راكب عليه فجرحوا الماشي وأخذوا هميانه بما فيه من النقود وأخذوا الراكب وجمله فذهبوا به ولا يعلم رفيقه حي أم ميت رأيته في الطريق يمشي مضرجاً بدمائه وقد ورم رأسه من الشمس حتى أخفى الورم عينيه وهؤلاء الأعراب كما قال لنا شيخ الفراشين حينما كنا في داره في المدينة المنورة وعنده بدوي فقال مشيراً اليه : هذا وقومه يشتغلون في وقت الحج بسلب الحجاج فإذا إنقضى الموسم إشتغلوا بالحرب والغارة بينهم لاشغل لهم إلا ذلك فوصلنا إلى

الكظيمة

بفتح الكاف قبل الغروب بأربع ساعات وفيها بئر عظيمة وهي مسكونة من الأعراب يباع فيها التمر والبطيخ واللحم وغيرها وفيها من البنادق الدولية من كل جنس حتى أنني رأيت فيها بندقية إيرانية وفي مائها ملوحة ورحلنا منها ليلاً في الساعة الثامنة ونصف إلى

رابغ

وإنما مشوا ليلاً لبعد المنزل وخوف سقوط الأباعر من الحر كما جرى بين وادي فاطمة وعسفان فوصلناها عند الغروب وهي الجحفة أو قريب منها وفي محل يبعد عنها بعض البعد مسجد .

غدير خم

وهو مسجد بني في الموضع الذي نصب فيه رسول الله (ص) علياً (ع) وصياً وخليفة بعده فنزل في ذلك الموضع في حر الظهيرة وخطب الناس فقال

ألست أولى بكم من أنفسكم . فقالوا بلى قال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله وأدر الحق معه كيفما دار في حديث مشهور وكان المسجد متهدماً فبناه بعض ملوك الهند من الشيعة ولم يمكنا الذهاب اليه لخوف الطريق ورابغ ميناء على شاطىء البحر الأحمر عامرة وماؤها شروب وفيها قلعة صغيرة بعيدة عن البلد يسكنها شرذمة من العسكر العثماني وحين وصول الحاج رفعوا العلم العثماني على القلعة وأطلقوا عدة مدافع كما هي العادة لكن العداوة بينهم وبين أهل رابغ متأصلة فلا يجسرون على الخروج إلى السوق أو لجلب الماء إذا كانوا دون العشرة وفيها من البنادق الدولية المختلفة الأجناس ما لا يحصى عدده وهو أزيد مما في الكظيمة وكذلك أكثر بلاد الحجاز وجملة من الحجاج يشترون البنادق بثمن بخس ويخفونها في امتعتهم خوفاً من التفتيش إذا دخلوا الشام وفيها دهن البيلسان الذي تداوى به الجراح والرضوض يجنيه الأعراب من شجر هناك وقد إشترينا منه قنينة فلما فتحناها وجدنا أكثرها ماء وشيئاً قليلا من الدهن على وجه الماء فكأن هؤلاء الأعراب أخذوا على أنفسهم النهب في كل شيء وثارت فيها العواصف والعجاج الشديد وقد وصلناها عند الغروب فبقينا فيها تلك الليلة ويومها إلى مابعد العصر ثم رحلنا منها إلى مكان ليس بمعد للنزول فسرنا نحوا من ست ساعات فوصلناه الساعة الرابعة ليلاً وبعد الفجر رحلنا منه فوصلنا ضحى إلى

بئر الشيخ

وكانت هي المنزل لكن خوف سقوط الاباعر من الحر منع من السير رأساً اليها من رابغ مع كون الفصل شتاء فسقوا الدواب من تلك البئر في أثناء الطريق آبار كثيرة وماؤها شروب وفيها بئر يقولون أنها (بئر ذات العلم) .

وأخرى تسمى (بئر عباس) ثم رحلنا إلى مكان ليس بمنزل ولا فيه ماء ثم رحلنا منه إلى (المستورة) ورحلنا ضحى من المستورة إلى (بئر الحصان) فوصلناها بعد المغرب وعند الفجر رحلنا منها إلى (خلص) ثم منها إلى

بئر الدراويش

فوجدنا ماءه قليلا والذين تأخروا لم يستقوا شيئاً ومات بعض الحمير والأباعر تلك الليلة من العطش ثم رحلنا منها الساعة السادسة ليلاً إلى

المدينة المنورة

فدخلناها يوم الأحد بعد الظهر وزال العناء واشتد الفرح والسرور لما شاهدنا القبة الخضراء الشريفة والمنائر المنيفة من جميع الحاج ودخلنا من باب رأينا في أعلاه مدفعين خارجين من كوتين ونزلنا في بستان خارج السور فيه دار وفيه نخل وبركه ماء يستقى لها على الناضح وهو ملك لبعض (الطواشية) خدام الحرم الشريف النبوي ويسكنه ويقوم بأعماله بعض النخاولة فزرنا الحضرة الشريفة النبوية وقلبنا الشفاه على تلك الأعتاب الشريفة وفزنا بنعمة الدخول إلى الحجرة المطهرة بسبب أوراق مأخوذة من الأستانة تتضمن الاذن بخدمة الحجرة المنيفة حسب المعتاد فذهبنا أولاً إلى بيت شيخ الفراشين لتقييد أوراق الرخصة عنده وقال لنا تأتون في الساعة الحادية عشرة إلى الدكة التي في الحرم المطهر حيث يجيء المحافظ وهو عثمان باشا فحضرنا في الوقت المضروب فوجدنا شيخ الفراشين هناك ثم جاء ضابط عثماني يحمل نياشين كثيرة فقال لنا شيخ الفراشين هذا خفية وهو من الشام تعرفه بنا وقال له هؤلاء من أقارب الشيخ أبي الهدى فقال ما أكثر من يقرب بأبي الهدى ثم التفت إلي وقال ما إسم أقارب أبي الهدى الذين في حلب وفي موضع كذا وكذا

فقال له شيخ الفراشين وهل كل من كان من أقارب أبي الهدى يلزمه معرفة جميع عشيرته وهم متفرقون في البلاد فسكت ثم جاء عثمان باشا محافظ المدينة وشيخ الحرم لابساً العمامة البيضاء والجبة والقباء وهو رجل أبيض اللون أبيض اللحية طويل القامة فقام الحاضرون كلهم وقبلوا يده أما أنا فلم أقبلها فجلس قليلا وأذن المؤذن لصلاة المغرب وكان ذلك الضابط إلى جانبي في الصف فقال لي أنا في كل سنة أحج وأزرو عن السلطان وجعل يعلمني كيفية الدخول إلى الحجرة الشريفة فشكرته وبعد الفراغ من صلاة المغرب أتونا بفرجيتين بيضاوين وأتوه بعمامة بيضاء أما أنا فأكتفوا بعمامتي الخضراء وهكذا كل من يريد الدخول يوتى له بفرجية وهو ثوب أبيض محيط بالبدن يلبسه فوق ثيابه ويتعمم بعمامة بيضاء ان لم يكن متعمماً فدخل محافظ المدينة لابساً الفرجية وخلفه المأذون لهم بالدخول وفي يد كل منهم شمعة صغيرة فيضيئها ويشعل أحد القناديل التي داخل الحجرة الشريفة ليتشرف بالخدمة ويزور المحافظ ومن معه النبي (ص) ثم صاحبيه ثم الزهراء يتلولهم الزيارة بعض السدنة وهم يتابعونه وهذا الدخول إنما هو بين الحاجز الحديدي الدائر حول الحجرة الشريفة وبينها بحيث يمشي الداخل حول حائط الحجرة الشريفة أما نفس الحجرة فبابها مسدود ولا يمكن الدخول اليها ولا رؤية القبر الشريف .

وتشرفنا بريارة سيد الشهداء حمزة بأحد وسائر الشهداء والمسافة بين المدينة المنورة واحد نحو من فرسخ ولم نتمكن من زيارة مسجد قبا مع أنه لا يزيد عن هذه المسافة لشدة الخوف فضلا عن مسجد الفضيخ ومشربة أم إبراهيم وغيرها لكننا تشرفنا بزيارتهما بعد ذلك فذهبنا من الشام في السكة الحديدية وزرناهما بصحبة عرب العوالي ، وبقينا في المدينة المنورة ستة أيام وخرجنا منها بعد الظهر إلى

الجرف

وهو معسكر المدينة قديماً وهو على نحو فرسخ منها ورحلنا من الجرف الساعة السادسة ليلاً إلى

بئر جبر

فوصلناها أول النهار وقبل الغروب رحلنا منها إلى

اصطبل عنتر

فوصلناه قبل المغرب من اليوم الثاني فبتنا فيه وبعد العصر رحلنا منه إلى

هدية

فوصلناها صباحاً وماؤها مالح لكنه قريب من وجه الأرض وفي أي محل حفر يخرج الماء فأقمنا بها إلى ما بعد العصر ورحلنا إلى

بواقة

فوصلناها بعد طلوع الشمس ولا ماء فيها وبقينا فيها إلى الساعة التاسعة من النهار ثم رحلنا منها إلى

قلعة الحديد

فوصلناها الساعة الثالثة ليلا فبقينا فيها بقية تلك الليلة ونهارها إلى الساعة التاسعة ورحلنا منها إلى

قلعة الزمرد

وهي على ثمان ساعات من قلعة الحديد وفيها بعض العسكر فلم نبت بها وواصلنا السير قاصدين

سهل مَطَران

بالتحريك فوصلناه عند طلوع الشمس وبقينا فيه إلى ما بعد العصر من ذلك اليوم ثم سرنا قاصدين

آبار الغنم

فوصلناها الساعة الخامسة ونصفاً من الليل ورحلنا منها الساعة العاشرة ليلاً إلى

مدائن صالح

فوصلناها قبيل طلوع الشمس واقمنا فيها بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى الظهر وفيها بئر عذب ماؤها وسط القلعة وهي مدائن ثمود قوم صالح عليه السلام وبيوتهم المنحوتة في الجبال بدرجها الظاهر للعيان باقية إلى اليوم على أبدع شكل وأتقنه يراها المار على الطريق قبل الوصول إلى القلعة وبعد الوصول إلى المنزل حاولنا الذهاب لرؤيتها فمنعنا عدم الأمن وسمعنا ونحن بالمدائن إعرابياً راكباً على ناقة ينادي ياشاري العرض بالعرض فقلت لأصحابي ما يقول هذا قالوا لا نعلم قلت يريد المبادلة على ناقته بناقة أو جمل لا بيعها بدراهم وقريب منها بلدة تسمى

العلا

وذات مياه وبساتين فجاء أهلها إلى مدائن صالح ومعهم الشعير والسمن والتمر الجيد والليمون الحلو والحامض وهو كبير الحجم للغاية كثير الماء شديد الحلاوة والحموضة ثم سرنا من مدائن صالح بعد الظهر قاصدين

ظهر الحمراء

فسرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة وساعتين ونصفاً من اليوم الذي بعدها

فكانت المسافة نحوا من اثنتين وعشرين ساعة والطريق وعر جداً ومررنا بين جبلين على هيأة واحدة وعلو واحد كأنهما ساريتان وبينهما مقدار ممر قطارين من الجمال فقط والناس يسمونها

جبل أبو طاقة

تشبيهاً لما بين الجبلين بالكوة في الحائط والطريق بينهما في مكان ذي رمال تغوص فيها أيدي الجمال وأرجلها وتسير صعوداً وأكثر الناس ينزلون من المحامل عدي العاجز والمرأة ويعلو هناك الصياح والضجيج من أهل القوافل وربما ضربوا بالطبول وأصل إستعمال ذلك لتهييج الإبل على السير خوفاً من وقوفها وسقوطها لصعوبة الطريق بسبب الرمل والصعود لكنه شاع بين العامة إن هذا الصياح لئلا تسمع الإبل حنين فصيل ناقة صالح الذي هو متغيب في ذنيك الجبلين على زعمهم فتموت والطريق بعد ذلك أكثره صخور ومزالق ورمال وبقينا في ظهر الحمراء من الساعة الثانية ونصف نهاراً إلى الساعة التاسعة ثم سرنا بقية ذلك اليوم وتلك الليلة ووصلنا في الساعة الثالثة من نهارها إلى

المعظم

فكانت المسافة بينهما نحواً من سبع عشرة ساعة والمعظم فيه قلعة وبركة عظيمة ماؤها من المطر لكنه لم يكن فيها ماء وسرنا من المعظم الساعة التاسعة من نهار اليوم الذي وصلنا فيه فوصلنا

الأخضر

ضحوة الغد فكانت المسافة بينهما نحوا من إحدى وعشرين ساعة والطريق من المدائن إلى الأخضر ليس فيه ماء وهو ستون ساعة قطعناه في ثلاث مراحل وحملنا الماء معنا من المدائن إلى الأخضر وفي الأخضر قلعة فيها بعض

العسكر وفي وسطها بئر ماؤها غزير وعذب جداً وعليه ناعورة تديرها دابة فتصب في بركة كبيرة فاذا جاء الحاج وجدها مملوءة فلا يخرج حتى ينفد ماؤها ولولا ذلك لكثر الزحام ولعله نيمى بالاخضر لوجود العشب حوله بخلاف باقي المنازل التي هي قاحلة جرداء ومن الأمثال فيه (اذا وصلت الأخضر فامش وتبختر) لجودة مائه وغزارته فبقينا فيه ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى الصباح ثم سرنا حتى وصلنا إلى منزل يدعى

ظهر المغر

ليس فيه ماء فوصلناه الساعة الحادية عشرة من النهار فبتنا به تلك الليلة وخرجنا منه قبل الفجر بساعتين تقريباً أعني الساعة الثامنة من الليل فوصلنا إلى

تبوك

الساعة الرابعة من النهار وهي بلدة مسكونة بقليل من الأعراب وفيها آبار كثيرة عذب ماؤها ونخل وكروم ونخلها للحكومة وشرينا منها اللحم والسمن والزبد بثمن رخيص وجاءتنا بها بعض الهدايا من الشام وكان حقها حسب العادة ان تجيء إلى مدائن صالح مع الجردة إلا أن الجردة لاقتنا بالأخضر والأمانات بعضها وصل في تبوك والأكثر بقي في معان هي التي غزاها النبي (ص) ولم يلاق حرباً وفيها مسجد يقال أنه فيه صلى النبي (ص) وقلعة مشيدة هي أحسن ما رأيناه من القلاع قبلها وكتب على بابها على الكاشي انها بنيت بأمر فلان من السلطان محمد خان من بني عثمان سنة ١٠٦٤ وفيها بيوت خربة ومزارع حنطة وشعير وبقينا بها بقية ذلك اليوم والليلة التي بعده إلى الساعة الثامنة ونصف ثم خرجنا قاصدين

القاع

فوصلناه قبل الغروب بنصف ساعة تقريباً وهو منزل لا ماء فيه وخرجنا منه آخر الليل فوصلنا

ذات حج

قبيل المغرب وهي بكسر الحاء المهملة بعدها جيم وفيها قلعة جيدة فيها بعض العسكر جدد بناؤها زمن السلطان عبد المجيد وفيها عيون ماؤها غزير على عمق ذراعين عن وجه الأرض ماؤها لا بأس به وفيها بعض نخيلات وتكثر فيها العقارب أرضها صلبة لا تنزل فيها الأوتاد وقد شدوا أطناب الخيام فيها بالحجارة وسكك الحديد وخرجنا منها عند الفجر إلى

المدورة

فوصلناها الساعة الثامنة من النهار وفيها قلعة محكمة وفي وسطها عين ماؤها عذب جداً تجري إلى برك ثلاث كباراً عدت للحاج وخرجنا منها آخر الليل إلى منزل ليس فيه ماء يسمى

تحت العقبة

فوصلناه بعد العصر وخرجنا منه آخر الليل إلى منزل يسمى

فوق العقبة

ومنه إلى

معان

وهي بلدة معمورة فيها قائم مقام وهي تابعة لحكومة سوريا فيها دار للحكومة وجامع قديم محكم البناء وفيها ماء جار ومزارع وبساتين فيها أنواع الفواكه ورمانها مشهور وسرنا منها إلى

عَنَزَة

ويكثر فيها العجاج والغبار من الرياح العاصفة التي تسفي الرمول وسرنا منها إلى

القطرانة

وهي بنواحي مؤتة التي فيها قبر جعفر الطيار (ع) ومن استشهد معه من الصحابة وكانت السكة الحديدية الحجازية وصلت اليها ومنها ركبنا القطار الحديدي إلى دمشق بعدما تأخرنا فيها عدة أيام لعدم تيسر قطار سوى القطارات المكشوفة وإمتناعنا عن الركوب فيها ومن القطرانة إلى دمشق ست مراحل بسير الإبل وكان السير فيها قبل السكة الحديدية هكذا على ما قيل لنا ــ القطرانة ــ المدورة (١) .

الزرقاء

وفيها نهر جار ولها ذكر في التاريخ ويسكنها الآن مهاجروا الجركس وهي بنواحي البلقاء الشهيرة في التاريخ .

ــ القلعة ــ الرمثا ــ المزيريب ــ الكسوة ــ دمشق ــ والخمسة الأخيرة من بلاد حوران (أما) بعد وجود السكة الحديدية فأسماء المحطات هكذا ــ القطرانة ــ سواقة ــ محجة ــ ضبعة ــ جيزة ــ لبن ــ قصر ــ عمان ــ الزرقاء ــ سمرا ــ مفرق ــ نصيب ــ ذرعا ــ (أذرعات) خربة غزالة ــ ازرع ــ دير علي ــ خبب ــ جباب ــ مسمية ــ الكسوة ــ القدم ، ويقال أن فيه أثر قدم النبي (ص) حين أتى الشام وإنه وصل إلى ذلك المكان ولم يدخل دمشق ــ القنوات (محلة بدمشق) .

إنتهت الرحلة الأولى الحجازية والحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

(١) قد مر ان المدورة قبل القطرانة بأربع مراحل إلا أن تكون هذه غيرها .

سابعاً : الرحلة الحجازية الثانية للمؤلف

عام ١٣٤١ بقصد الحج

خرجنا من دمشق في ذي القعدة سنة ١٣٤١ فركبنا القطار الحديدي الحجازي صباحاً من محطة البرامكة إلى ذرعا (اذرعات) في الدرجة الثانية قاصدين (حيفا) ومن ذرعا تتشعب السكة الحديدية فيذهب قطار إلى فلسطين وآخر إلى عمان على خط المدينة المنورة الذي كان قبل الحرب العامة وبعد ما فصلنا من ذرعا مررنا في طريقنا بشلال ينحدر منه الماء من مكان عال جداً ومررنا (بوادي السرار) وهو واد عميق بنيت فيه قناطر هائله بعضها فوق بعض ليعبر عليها القطار من جانب إلى جانب ومررنا بمحطة (سمخ) وهي أول المحطات في حكومة فلسطين واليها يصل البوليس المصاحب للقطار من دمشق ثم يعود وفيها جعلوا يأخذون جوازات السفر ويكتبون عليها (مصرح له بدخول فلسطين) ومررنا بمحطة (الرملة) البلد المشهور ولم نر البلد لبعد المحطة عنها ومما لاحظناه أنه ليس في موظفي القطار سوى إثنين من المسلمين أحدهما فلسطيني والآخر أصله إيراني مولود في جبل عامل والذي ينظر في جوازات السفر مسلم مصري مبرنط اسمه عبد الحميد يحضر مع قطار مصر الآتي إلى حيفا ومررنا بجانب (غزة هاشم) فوصلنا حيفا عصراً واهتم بأمر سفرنا إلى مصر وإنجاز أشغالنا تاجر حيفاوي جاءته وصاية بنا من صديقه وعميله في دمشق فما انقضى النهار حتى كانت جميع أشغال سفرنا ناجزة عن يده وكنا في ضيافته في داره التي في سفح الجبل وبات رفقاؤنا في الفندق .

وصباحاً ركبنا القطار من حيفا فسار بنا في سهول فسيحة من صحراء

سيناء جلها أو كلها رمال قاحلة ويوجد فيها قريات بقربها بعض النخيلات وفي الغالب لا يوجد إلا محطة القطار قد أغارت عليها الرمال فطمرت بعضها وهم يزيحونها عنها ثم تغير عليها بمساعدة الرياح العاصفة فهم معها دائماً في حرب ، وهذا الخط من حيفا إلى مصر انشأته الإنكليز أبان الحرب العامة فكان يمشي مع عساكرها كلما تقدمت وعمل فيه العدد الكثير من أهل صعيد مصر وبرها بالقوة القاهرة مع الأجرة فكانوا هم العامل الوحيد في انشائه وأجرى الإنكليز الماء في قساطل الحديد الضخمة من النيل بجانب الخط لسقي الجنود فهو يسير معهم كلما تقدموا وقد وضعوا في مصر وحملة سينا ما يقارب نصف مليون جندي وجردوا العسكر الوطني المصري من السلاح فلما انتهت الحرب رفعوا تلك القساطل وأبطلوها وقد شاهدناهم يشتغلون برفعها من تحت الرمل في طريقنا إلى مصر ، وما زلنا نسير في سهول قاحلة حتى وردنا

القنطرة

وهي قرية على ضفة الترعة من جهة سينا فبقينا فيها نحوا من ساعة للتأشير على جوازات السفر وفحص الأمتعة من موظفي الجمرك وكلهم مصريون بل لم نشاهد هناك موظفاً غير مصري وشاهدنا في القنطرة من حسن النظام ما لا ينكر وبذلك تمكن الموظفون من إنجاز اعمال الركاب على كثرتهم في ساعة أو أقل (فمنها) أن الحمالين يتسلمون أمتعة الركاب كلها بالعدد بعد أراءة نمرهم ثم يسلمونها لهم في الجمرك بالعدد والأجرة عن كل قطعة صغيرة أو كبيرة قرشان مصريان صحيحان فعلى الإبريق قرشان وعلى الطرد العظيم قرشان (ومنها) أن لركاب كل درجة من القطار محلا مخصوصاً في الجمرك ومفتشاً مخصوصاً والمصريون ممتازون بحسن الأخلاق وحسن معاملة الركاب

وكانوا لا يبالغون في تفتيش امتعة الحجاج ويخاطبونهم بكل لين وكان معنا خيمة جديدة كبيرة فلم يأخذوا عليها شيئاً وقال لي مفتش امتعتنا : يا سيدي أنت ذاهب إلى الحجاز قلت نعم قال أما تضعني (في كيبك) أي جيبك لأنهم يقلبون الجيم كافا وقد كتبوا على قوس عال في القنطرة هذه العبارة (خط حديدي حربي) وكتبوا في جملة مواضع بالحرف الكبير إحذروا النشالين .

ثم عبرنا من القنطرة إلى الجانب الآخر من الترعة على جسر خشبي أظن أنه موضوع على السفن كجسور العراق فوقف أهل كل درجه في مكان خاص بهم ووجدنا القطار حاضراً وقاطرات كل درجة أمام ركابها فركبنا القطار إلى مصر فوصلناها نحو الساعة الثالثة ليلا وذهبنا إلى دار بعض الأصدقاء الذي كانا ينتظرنا في المحطة فبقينا في مصر أياماً ذهبنا في أثنائها لزيارة مشهد الرأس الذي يقال أنه رأس الحسين عليه السلام وزيارة قبر السيدة زينب بنت يحيى ابن زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وذهبنا إلى القناطر الخيرية والانتيكة خانة وحدائق الحيوانات وذهب رفقاؤنا إلى الاهرام ولم نذهب معهم لأنا رأيناها في السفرة الأولى وذهبنا إلى

الجامع الأزهر

وكان ذلك في أيام تعطيل الدروس العامة فوجدنا حلقة من الطلبة فيها نحو الأربعين شخصاً جالسين أمام مدرسهم فجلسنا معهم فوجدناهم قد فرغوا من الدرس فنظروا الينا شزرا ونحن ورفاقنا بزي أهل الشام والمصريون لا يألفون الشاميين كثيراً وظهر أن الشيخ كان قد القى عليهم في درسه خبر الحكمين فطلبوا اليه إعادته ظناً منهم أن ذلك ربما يغيظنا فأظهر الإمتناع قائلاً إن ذلك ربما لا يروق لبعض الجالسين يعنينا فالحوا عليه وكان أكثرهم الحاحاً تلميذ عليه ملامح النباهة وحركة الفكر فابتدأ يلقي عليهم القصة من أولها إلى

أخرها حتى أتى عليها بحذافيرها لم يغادر منها شيئاً وكلما وصل إلى من شيء خداع معاوية وعمر بن العاص لأهل الشام تبسموا ونظروا الينا من طرف خفي فلما وصل إلى ذكر أبي موسى قال ذلك التلميذ تشرفا بأبي موسى .

وكانت الدار التي نزلناها في زقاق المدارس تشرف على معبد لليهود وبجانبه حديقة له فكان في الغالب يأتيه جماعة منهم لابسين أكسيتهم للعبادة فيشدون السيور على أيديهم ويزمزمون ويقرؤون فاسفنا لما أن رأينا الشيعة في ذلك البلد وجلهم إيرانيون وهم أهل تجارة وفيهم جماعة من ذوي الثروة الطائلة لم يخطر ببالهم أن يكون لهم جامع يجمعهم لعبادة الله تعالى وأمام يؤمهم فيه وعالم يعلمهم أحكام دينهم .

تكايا الإيرانيين في مصر وإقامة عزاء الحسين (ع)

نعم لهم تكيتان أحداهما للفرس والأخرى للترك يقام فيهما عزاء سيد الشهداء أرواحنا فداه في أيام عاشوراء ويبذل الطعام الوافر كل ليلة ويحضر من المصريين وغيرهم حتى الإفرنج الجم الغفير وفيهم من أهل العلم والفضل عدد كثير ومن المؤسف أن خطباء وقراء ذلك المحفل العظيم ليست فيهم الكفاءة لذلك المنصب الجليل بل سلمت تلك الوظائف إلى غير أهلها ولو توفرت فيهم الأهلية لاغتنموا أعظم فرصة للدعاية إلى الدين الإسلامي ومذهب أئمة أهل البيت الطاهر ونشر فضائلهم التي اختصوا بها عن سائر الخلق واظهروا للملأ محاسن ذلك الدين القويم ومذهب أئمة أهل البيت الطاهر وكانوا مفخراً للشيعة ولكنهم لعدم كفاءتهم قد أضاعوا تلك الفرصة الثمينة وعواماً كثيرة بل ربما كانت نتيجتها على العكس وقد وفق الله تعالى في هذه السنين الأخيرة لوجود شخص من فضلاء سادات آل المرتضى في دمشق قد قام ببعض طريقتنا التي نتوخاها منذ سنين ونبذل المجهود لإحكامها في إقامة

العزاء بتعليم القراء وتدريبهم وتأليف الكتب (كلواعج الأشجان . والدر النضيد ، والمجالس السنية ، واقناع اللائم) وطبعها ونشرها فصار يذهب إلى مصر في العاشوراء يطلب من أهلها ويظهر بقراءته محاسن إقامة العزاء على على ذلك الطرز وبذلك النحو وبان لهم ما فيه من الفوائد العظمى والمنافع الكبرى نسأله تعالى التوفيق لدوام ذلك وتحسينه عاماً فعاماً وانتشاره في جميع بلاد الشيعة .

وعندنا ان من أهم الأمور ايجاد مدارس لقراء التعزية يتعلمون فيها النحو والصرف بما يستطيعون به حفظ السنتهم من الغلط وكيفية الرجوع إلى كتب اللغة لضبط الألفاظ العربية والخطابة ويتمرنون على القاء الكلام في المجتمعات وعلى معرفة المقامات المناسبة لأنواع الكلام ويحفظون من من الأحاديث والأخبار الصحيحة والقصائد الجيدة ما يمكنهم قراءته في المقام المناسب له ويعرفون ما يجب تجنبه من الأحاديث المكذوبة أو التي لا يوافق قراءتها أو القصائد الركيكة وبهذه الوسيلة تتخلص القراءة مما يعتورها من العيوب والمفاسد .

المدرسة الإيرانية في مصر

ولم يكن للشيعة في مصر مدرسة تخصهم واروقة الجامع الأزهر ليس لهم منها نصيب . نعم أنشأ الإيرانيون مدرسة خاصة بهم لتعليم ابنائهم العلوم العصرية بتشويق الفقيه العلامة السيد علي ابن عمنا السيد محمود قدس سره حين زيارته لمصر قام بجميع نفقاتها المثري الكبير ميرزا محمد علي بك ابن المرحوم ميرزا فضل الله بك ولكنها مع الأسف ليس لها صبغة دينية على ما بلغنا كما كان يتوخاه السيد بتشويقه لإنشائها وذلك لعدم وجود من به الكفاءة في مصر من علماء الدين الجعفرية نعم الموسيقي فيها غاية في الإتقان.

وفي مصر جريدة للايرانيين تصدر بالفارسية اسمها (جهرة نما) وغرفة تجارية ايرانية رئيسها ميرزا مهدي بك مشكي .

حديث مع شاب مصري

ثم خرجنا من مصر قاصدين السويس في القطار الحديدي وبعد ركوبنا جاء شاب مصري موظف في إدارة السكة الحديدية فرأى قبالنا مكاناً خالياً فلم يشأ الركوب فيه حتى سأل هل هنا أحد مما دل على آداب المصريين عكس ما في سورية فالشخص الذي يرى نفسه كبيراً قد يقيم غيره قهراً ويجلس مكانه فقلت له لا فجلس وسألني قائلاً : هل سيادتك من أهل سورية قلت نعم فقال كم في سورية من المذاهب الإسلامية قلت له بالطبع إنك لا تسأل عن أهل المذاهب الأربعة قال أجل قلت يوجد سنيون وشيعة قال وما هم الشيعة قلت فرقة من المسلمين يشهدون لله بالوحدانية ولنبيه محمد (ص) بالرسالة وان جميع ما جاء به عن الله حق ويقيمون جميع فرائض الإسلام من الصلاة والصيام والحج والزكاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها ويحرمون جميع ما حرمه دين الإسلام من الزنا واللواط وشرب الخمر وقذف المحصنات والغيبة والنميمة والحسد والكذب والخيانه والسحر وغيرها وإنما يفترقون عن أهل السنة بأنهم يقولون أن أهل البيت عليهم السلام أفضل الخلق بعد رسول الله (ص) وهنا قال : (برضو كدا) أي هو كذلك بلا ريب فقلت : ويأخذون أحكام دينهم غالباً عن إمام أهل البيت جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وقد يأخذونها عن غيره من أئمة أهل البيت كما يأخذ أهل السنة أحكام دينهم عن الأئمة الأربعة وشذان يخالف المذهب الجعفري جميع المذاهب الأربعة بل ان خالف واحداً وافق الأخر غالباً كما أنهم لا يكفرون (لا يتكتفون) في

الصلاة ووافقهم فيه المالكية (فقال) : بلغني أن الشيعة في سورية يؤلهون سيدنا علي بن أبي طالب ويقولون أن النبوة كانت عائزة تنزل على علي بن أبي طالب فخان جبرئيل وصرفها إلى محمد (ص) وإنهم لا يغتسلون من الجنابة ولا يفعلون شيئاً من أحكام الإسلام وسبب سؤالي لك عن هذا أن رجلا من شيعة سورية تزوج قريبة لي في مصر ثم ذهب إلى سورية ولم يعد فقال لي بعض الناس زوجها بدون طلاق لأن الشيعة ليسوا بمسلمين لأنهم يعتقدون ما ذكرت لك فاقسمت له أن هذا إفتراء محض على الشيعة وإن إعتقادهم لا يخرج عما ذكرت لك (فقال) وهل يوجد مذاهب غير هذا في سورية (قلت) نعم يوجد مذهب الدروز ومذهب النصيرية وينسب إلى الثانين إنهم يؤلهون الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وهم ينكرون ذلك فقال : أنت قلت أنه لا يوجد في سورية من يؤلهه (قلت) أنا لم أقل ذلك وإنما قلت أن الشيعة الإمامية في سورية لا تؤلهه فشكرني على هذا البيان وزاد في تعظيمي وأكرامي ولما وصلنا السويس حمل لي حقيبة كانت معي وأرشدني إلى الطريق لان أصحابي كانوا في درجة أخرى من القطار ثم ودعني شاكراً لي ومضى فانظر إلى ما يفعله الجهل والتعصب وما يبثه المفسدون مما يفرق كلمة المسلمين ويحملهم على عداوة أخوانهم في الدين .

ومما حصل لنا عند ركوب القطار من مصر أن بعض أصحابنا الذي كان أشدنا حذراً واحتراساً وكان يوصي أصحابه بذلك سرق منه في محطة مصر جواز السفر وبعض النقود مع أنه قد كتب في كل مكان بالقلم العريض (إحذروا النشالين) فذهب في السويس إلى القنصل الفرنساوي وأخبره بالحال فقال إما أن تأخذ جوازاً جديداً وتدفع رسمه وأما أن تدفع أجرة برقية إلى دمشق ذهابا وايابا فان جاء الجواب أنك أخذت جوازاً أعطك بدله مجاناً فرأى أن انتظار الجواب قد يؤدي إلى فوات الحج فأقنعه الترجمان بإرسال برقية إلى

المعتمد العربي لدولة الحجاز في مصر فجاء الجواب بأن جوازه مقيد عنده فأعطاه القنصل جوازاً مجانياً وسافر معنا .

ما جرى لنا في السويس

ثم ركبنا من السويس في وابور طلياني غاية في النظافة اسمه (مصوع) باسم جزيرة كانت قديماً تابعة للحجاز ثم صارت للطليان وأهلها مسلمون زنوج وأكثر عملة الوابور منهم وقد أحسنوا معاملتنا وأعطونا ظهر العنبر (الانبار) لقاء ثلاث ليرات عثمانية لأننا لم نجد مكاناً في الدرجة الأولى ولا الثانية فكان مكاننا بسبب ذلك متسعاً وإستراحنا من مشقة حمل الأمتعة أو تعريضها للماء حال غسل الباخرة الذي يكون مرتين في النهار وهذه الباخرة تسافر في كل خمسة عشر يوماً من السويس إلى جدة .

ولما أردنا ركوب الباخرة دخلنا في مدخل الميناء وهي بناية طويلة جداً ذات أمكنة وحجر عديدة وهي غير المدخل الذي دخلنا منه في الحجة الأولى لأن ذلك كان بدون سقف وهذا مسقوف والموكلون بأمر الركاب لا يدعونهم يمرون الا جماعات جماعة بعد جماعة الأولى فالأولى دفعاً للازدحام فإذا أراد جماعة خرق النظام انهالوا عليهم بسياطهم فيرجعون القهقرى وكان الوقت قائظاً فتأذيت من طول الوقوف وشدة الحر وإحتباس الهواء فتقدمت إلى الأمام راجياً أن لايعارضني الجلواز فلما أحس بى خلفه عاد نحوي مغضباً فلما وقع بصره علي أسرع إلى تقبيل يدي،وقال تفضل يا سيدي فحمدت الله على ذلك .

نذر الاحرام قبل الميقات والاحرام من المحاذاة

وقد نذرنا الأحرام من السويس قبل سير الباخرة تخلصاً من أشكال الإحرام

عند المحاذاة التي قلما يحصل الظن بها في البحر فضلا عن اليقين ومن أشكال تعيين المكان عند سير الباخرة فأحرمنا في السويس عاقدين الإحرام بالتلبية بقول : لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك) ثم جددنا الإحرام في كل مكان تحتمل فيه المحاذاة كينبع ورابغ بتجديد النية والتلبية ثم جددناه في جدة بناء على محاذاتها ليلملم ثم في بحرة بناء على إحتمال المحاذاة له فيها حيث تحقق في هذا العصر أن محاذاة يلملم تكون في جدة بالجيم أوحدة بالحاء التي هي في جهة بحرة خلافاً لما كان معروفاً من أن محاذاة يلملم لمن حج بحراً بطريق البصرة تكون في قمران لأن تلك وان كانت محاذاة الا أن المطلوب محاذاة خاصة لا تتحقق إلا في جدة أوحدة أو بحرة وهي أن يكون الميقات على يمين أو يسار الحاج متوجها إلى مكة والمحاذاة في قمران ليست كذلك بل يكون يلملم مقابل وجهه ولعله لذلك قال ابن أدريس في السرائر أن ميقات أهل مصر ومن صعد البحر جدة كذلك في أهل مصر وكل من صعد البحر قبل فتح ترعة السويس .

أما من يحج بحراً عن طريق السويس فهو يحاذي مسجد الشجرة أولاً إذا وصل إلى حذاء ينبع أو قريباً منها ثم يحاذي الجحفة عند رابغ أو قريباً منها ثم يحاذي يلملم في جدة أو حدة أو بحرة على ما حققناه في كتاب المناسك ولما كان من يمر بميقاتين أو أكثر يلزمه الإحرام من أولهما ويحرم عليه التأخير وإن صح إحرامه كان من يحاذي ميقاتين أو أكثر يلزمه الإحرام من محاذاة أولهما ويحرم عليه التأخير وأن صح إحرامه وعليه فمن يحج بحراً بطرق السويس عليه أن يحرم من محاذاة الشجرة لا من محاذاة الجحفة كما هو المتعارف بين العامة والخاصة لتقدم محاذاة الشجرة على محاذاة الجحفة .

حرمة التظليل للرجل المحرم عند أئمة أهل البيت والإمامين مالك وأحمد

وكان احرامنا في حمارة القيظ وعندنا يحرم التظليل سائراً ويمكننا عدم التظليل لكننا نخاف الضرر بإستدرار ذلك فرأينا أن الضرورة تقدر بقدرها فعلينا أن لا نستظل حتى يحصل خوف الضرر وكان هذا خطأ من الرأي لأن خوف الضرر يحصل من أول الأمر فبعد بقائنا خارج الظلال مدة قليلة تيقنا الضرر وإنه كان يلزمنا من أول الأمر الإحرام تحت الظلال فعدنا إلى الظل .

وعاب علينا بعض المتفقهة الحلبيين ذلك وقالوا هذا تكلف لما ليس بلازم مع أن مالكا وأحمد قالا بحرمة التظليل على المحرم قال الشعراني في ميزانه قال أبو حنيفة والشافعي للمحرم أن يستظل بما لا يماس رأسه على محمل وغيره وقال مالك وأحمد ان ذلك لا يجوز له وعليه الفدية عندهما اه .

ورأينا ونحن نسير في البحر الأحمر حيوانات من نوع واحد تتبع الباخرة من ورائها وعن يمينها وشمالها وتظهر على وجه الماء كثيرة لها أعناق طويلة وأجسام سوداء مدورة كبيرة فبقيت على ذلك مدة ثم خفيت ويظهر أن لها مسكناً بذلك المحل من البحر .

ولما وصلنا مرفأ (جدة) جاء النوتية من أهل السفن الصغيرة ويسمون الواحد منها سنبكا فنقلوا أمتعتنا اليها وسارت بنا إلى المرفأ وكانت الحكومة الهاشمية حددت لهم أجرة مخصوصة ومن تعداها يعاقب وأعطيناهم زيادة عنها فلم يجسروا أن يأخذوها حتى توثقوا منا أن لا نخبر أحداً بذلك أما في الأياب فلم يبالوا بذلك لأمنهم من الشكوى عليهم وكذلك صاحب المنزل بجدة لما أردنا أن نعطيه الكراء قال أن سيدنا رسم عن كل نفس قرشين فأكرمناه بزيادة عنها وفي الحجاز يحتبس الهواء في الصيف عند العشاء حتى لا يستطاع التنفس وليلة دخولنا جدة إحتبس الهواء ونحن نتعشى فلم نستطع

أن نسيغ بقية العشاء لكنه في آخر الليل يبرد ويعذب حتى يحتاج النائم تحت السماء أن يتدثر بشيء رقيق .

ولم تأخذ الحكومة من الحجاج الاقرشاً وثلاثة أرباع القرش مقابل طابع يوضع على جواز السفر .

ثم سرنا من جدة راكبين الحمر البيض ليلا مع جماعة من أصحابنا وبقي الباقون مع الأثقال فساروا راكبين الجمال لياتين إلى (مكة) أما نحن فخرجنا قريب المغرب من جدة ووردنا مكة ضحى بعدما جلسنا في الطريق نحواً من ساعتين تعشينا فيهما وصلينا وكان الطريق بين مكة وجدة في غاية الأمن .

ولا تزال العربية في حاضرة الحجاز وباديته ثابتة في أكثر الفاظهم ولما خرجنا من جدة صاح المكاري الرث الهيأة الأشعث الاغبر برجل قائلا :قل لفلان يفعل كذا بآية كذا أي بعلامة فذكرنا به قول الشاعر العربي :

ألكني إلى قومي السلام تحية بآيه ما كانوا ضعافاً ولا عزلا

وأهل مكة ينادون يا حجاج بضم الحاء يا حاج وكانت ربة المنزل بمكة تنادي إبنها يا عبد المجيد بفتح الدال وقلنا لصاحب المنزل هل تكون أمتعتنا في أمن مدة غيابنا في عرفات ومنى فقال تؤدوننا تخلفة ونحن نحفظها لكم ودعا بعض الجمالة على رجل دعوة كانت بمنتهى الفصاحة والبلاغة وأسفت جداً على نسياني لها وكان أطفال الأعراب الشعث الغبر يعدون في الطريق أمام الحجاج إلى الوراء مستقبلين الحجاج وهم ينثرون لهم بعض الدراهم وقطع الخبز فيلتقطونها من بين الرمل بكل خفة ولباقة ولهم في عدوهم إلى الوراء يهزجون وينشدون خفة ولباقة وهيأة متناسبة متناسقة تستلفت الأنظار ويقولون في دعائهم (الله يردك إلى أهلك مرد جميل) وغير خفي ما فيه من البلاغة فإن الرد لا يكون كافياً إلا مع السلامة في الجسم والمال وغيرهما وهو المرد الجميل .

وترى الجمالة خائضين مع جمالهم في تلك الرمال المتوقدة ناراً وهم حفاة كأنهم يمشون على فرش ممهدة وقد بدت سوقهم المفتولة الخفيفة العضلات كأنها من حديد .

وكان أصحاب المنازل في الطريق كبحرة يطلبون الأجرة بكل رقة ولطف عكس ما رأيناه منهم في الحجة الأولى كل ذلك من الحكم الصارم .

وجاءنا في مكة بعض من له علاقة بالملك حسين طالباً أن يأخذ لنا موعداً لملاقاة الملك فقلنا له نحن أتينا لزيارة ملك الملوك في بيته فلا نريد أن نخلط بها زيارة ملك من عبيده .

وجئنا يوماً إلى المسجد الحرام لصلاة الصبح وائتم بنا بعض أصحابنا ودخل معنا في الصلاة مكيان وفي الأثناء قال أحدهما هذا عكمي أي شيعي وقطعا الصلاة وذهبا فأنظر إلى أي حد بلغ التعصب بمن يرى جواز الصلاة خلف البر والفاجر .

ولما أردنا الإحرام للحج يوم التروية وكان الأفضل الإحرام من المسجد من المقام أو حجر إسماعيل جئنا إلى المسجد وصلينا ركعتين تحت الظلال وأردنا الوصول إلى المقام ولو كان شاقاً لنحرم منه طلباً للفصيلة ظناً منا أنه يمكننا الوصول اليه ولو بالسرعة الزائدة فلما خطونا بعض خطوات على تلك الأرض الملتهبة كادت أقدامنا تحترق ورجعنا القهقرى بكل سرعة وبقي الألم في أقدامنا أياماً ولم يمكنا الوصول إلى المقام .

ثم خرجنا إلى (عرفات) وكان الوقوف واحداً فيها لجميع الحجاج فوقفنا بها يوم التاسع وأشتغلنا بقراءة الادعيه المأثورة والتضرع والبكاء والزيارة ففرغنا من ذلك كله قبل غروب الشمس بمدة طويلة لأن الوقت كان صيفاً والنهار طويل بخلاف الحجة الأولى التي لم نفرغ فيها من ذلك الا قريباً من

الغروب لان الوقت كان شتاء ثم نفرنا بعد الغروب إلى (المزدلفة) فبتنا بها ثم أتينا (منى) فذبحنا وعدنا إلى الخيام فضللنا الطريق وبقينا نحواً من ساعة ندور بين الخيام حتى كدنا نهلك من الحر والمظال على رؤوسنا ولم نتمكن يوم العيد من الرجوع إلى مكة لشدة الحر وما نالنا من التعب فعدنا اليها في اليوم الحادي عشر وبعد أن طفنا طواف الحج وسعينا عدنا إلى منى وكان ذلك قريب الظهر واشتد علينا الحر والعطش فأوينا إلى بعض المقاهي التي في الطريق و شربنا الماء البارد والشاي واسترحنا ثم تابعنا السير إلى منى وبعد قضاء مناسك الحج فرضها وندبها عدنا إلى مكة المكرمة حامدين الله تعالى شاكرين له على توفيقنا لذلك .

ولم نتمكن من زيارة المدينة المنورة لخوف الطريق حتى ان بعض من ذهبوا لزيارتها وصلوا قريباً منها وشاهدوا القبة الشريفة ولم يتمكنوا من دخولها وصدتهم أعراب الأحمدي بعدما دفعوا من الخاوات في الطريق مبلغاً وافراً إستغرق جميع ما معهم من النقود فعادوا إلى مكة .

وليلة عودنا من منى أصابت بعض أصحابنا الحمى لأكلة أكلها (ورب أكلة منعت أكلات) فوطنا أنفسنا على التخلف عن الحاج لأجله حيث ظننا أنها تطول مدة برئه وكنا أستصحبنا معنا صندوقاً من الادوية وبعد أعطائه المسهلات والحقن من الله تعالى بشفائه وسافرنا مع الحاج .

ولما كان إستئجار الجمال بيد المطوفين ولم يتمكن مطوفنا الركيك من إستئجار جمال بقدر حاجتنا.لأن الذي يوجد غالباً أما زائد عن الحاجة أو ناقص ويعسر على الجمالة تفريق جمالهم أرسلنا من يساعده على ذلك فوجد جمالا معه بمقدار حاجتنا وزيادة جملين فاستأجر الكل وكان ذلك من التوفيق لأنه ظهر أن رفقاءنا في حاجة إلى أحدهما وتحملنا نحن أجرة الأخر فخرجنا

من مكة قبل الغروب بنحو من نصف ساعة قاصدين جدة ولما وصلنا إلى محل التفتيش على الكواشين لم يكن مع جمالنا كوشان وكانت الكواشين مع المطوف وبعد التفتيش عليه وجدت كواشينه غير منتظمة وقد أخذ من الكواشين أقل مما دفع من الرسم فأخذنا منه كوشانا يزيد عما معنا وجعل الجندي يعد الجمال فوجدها ناقصة فقال له صاحبنا أنت مسامح في الباقي فوقف مبهوتاً وسرنا حتى وردنا (بحرة) ضحى فبقينا فيها إلى العصر ولم أذق فيها طعاماً خوف العطش وإقتصرت على الشاي لأن ماءها أجاج وحرها شديد وكنا صحبنا شيئاً قليلا من ماء مكه العذب خبأه لنا العكام فسددنا به الرمق أما أصحابنا فأكلوا من طبيخ الأرز واللحم حتى اكتفوا والطباخون هناك كثيرون وهم ينادون على طعامهم باللسان الجاوي لكثرة وجود الحجاج الجاويين (يابارو يافنس) أي حار يا جديد وأهل الحجاز يعرفون مقدار الحاجة من كل لسان يطرقهم أهله وعند العصر تهيأنا للسفر .

وكان من عناية الله تعالى بنا أن رأينا إعرابياً أعمى يقوده طفل صغير وقد حمل الأعمى قربة من الماء وهو ينادي عليها (ماي حلو) ولا يصدقه أحد في ان ماءها حلو لعدم وجوده في بحرة فإشتريناها منه بقطعة واحدة لعلنا نحتاجها للوضوء وملأنا منها المطرات ولما كظنا العطش في الطريق رمنا الشرب منها على كره فإذا ماؤها حلو فشربنا وسقينا أصحابنا وتوضأنا بباقيها لصلاة الصبح على أبواب جدة .

وكان منزلنا في جدة داراً فخمة واسعة ليس لها نظير في جدة تسمى دار البغدادي كان دعانا إلى النزول فيها مستأجرها صديقنا الحاج محمد الأزري البغدادي .

والمياه في جدة ثلاثة (أحدها) النابع وهو أجاج (والثاني) ماء (السنداسة)

وهي ماكينة باقية من عهد الأتراك تصفي ماء البحر بالتقطير فيعود حلوا لكن له طعم خاص ردي (والثالث) ماء الصهاريج المتجمع من المطر وهذا حلو عذب شروب فكنا نشتري منه .

وفي الليلة التي أردنا السفر في صبيحتها من جدة أصابتنا الحمى قريباً من نصف الليل وعند الصباح تحاملنا وذهبنا إلى الميناء التي تبعد كثيراً عن منزلنا لعدم إمكان تأخير السفر وكنا إستأجرنا في باخرة تسمى (أمزون) باسم نهر في بلاد الإنكليز وكانت ترفع العلم المصري مما دل على أنها تابعة لشركة البواخر الخديوية التي اشتراها الإنكليز من الحكومة المصرية وهذه الباخرة من البواخر الكبيرة لكنها من أقذر ما خلقه الله في العالم حتى أنها لم تغسل من جدة إلى بيروت مع أن الباخرة الطليانية (مصوع) كانت تغسل في اليوم مرتين كما مر وما ذاك إلا لأن مستأجريها مسلمون بيروتيون وركابها حجاج مسلمون سوريون والحجاج في مثل تلك الحال لا يعاملون بأحسن مما تعامل به الحيوانات الصامتة بل بأخس .

ولما دخلنا في مدخل الميناء وجدنا الناس محتشدة فيه والوقت قائظ والهواء محجوب (وام ملدم) في زيارتنا فكادت الروح ان تزهق ثم أمر الله بالفرج فأطلقت جنود الحكومة سراح الحجاج بعدما كانوا محبوسين لاتمام رؤية الجوازات والتاشير عليها فركبنا السنبك (الزورق) إلى الباخرة ولا تسل عن الإزدحام على الدرج ووقوف السنبك المملؤ من الماء تحت الباخرة مده طويلة حتى تأتي النوبة للخروج وزاد الطين بلة نزول الماء من الباخرة على من في السنبك ونحن في تلك الحال لا نستطيع الوقوف للمرض ولا الجلوس .

ثم صعدنا إلى الباخرة ودخلنا (البريمو) المحترم الذي دفعنا أجرته ثلاث عشرة ليرة عثمانية طلباً للراحة فوجدناه أشبه بسجن منه بدرجة أولى في باخرة

تتعادى فيه الجراذين يميناً وشمالا وبيت الخلاء فيه لا يمكن الوصول اليه إلا في زورق لتجمع المياه في مدخله (أما الغرفة) الموقرة التي عينت لنا لقاء المبلغ الذي دفعناه ففيها سريران ولها كوة مستديرة لا يزيد قطرها عن شبر وماذا تجذبه تلك الكوة من الهواء للراكب فما كانت الاكسجن تحت الأرض لأنه ينزل اليها بدرج فاستقبلنا على ذلك السرير ومقابلنا رجل حمصي فلما رأى ماحل بنا من المرض أخذ يسلينا ويذم الباخرة فلم نستطع البقاء هناك وجلسنا عند الباب وكنا كل يوم نصعد إلى ظهر الباخرة عند رفقائنا الذين دفعوا ثلاث ليرات وفي النهار ننزل إلى فسحة البريموا أما الغرفة فطلقناها تسعاً لا رجعة فيها كل هذا والحمى لم تفارقنا وهيجان المرة الصفراء ملازم لنا وصلاتنا بالإيمان مستلقين .

وكان معنا في الدرجة الأولى شخص أفغاني مقيم في باريس من عشرين سنة يتجر بجلود الغنم لم يغير شيئاً من ملابسه وبزته الافغانية في باريس وقد جاء للحج وزيارة قبور الأنبياء عليهم السلام في بيت المقدس والمسجد الأقصى وأراد أن يكلمنا فتوقف لأنه لم يعلم أننا نحسن الفارسية فابتدأناه بالكلام بها فسر بذلك والأفغانيون يتكلمون بالفارسية والتركية وجعل لا يفارقنا في أغلب أوقاته ويتحدث معنا ونتحدث معه فمما قاله لنا انه في سياحته الطويلة في البلاد لم ير أقبح من هذه الباخرة وانه ندم على الركوب في الدرجة الأولى لأن غرفته أصبحت كالخان .

فبقينا في تلك الباخرة خمسة أيام والحمى تلازمنا ولم نذق في خلالها شيئاً سوى الماء البارد الذي كان يأتينا به القيم بعدما وعدناه بالدراهم وقد نمزجه بشراب التمر الهندي أما اللحم والسمن والخبز وكل مطبوخ فكنا نتأذى من رائحته ورؤيته بل من تصوره ولا نشتهي غير اللبن والفاكهة المعدومين .

وجاءنا بعض الأصحاب برمانة صغيرة متعفنة فكنا نلتقط الحبات السالمة منها ونمصها فنجد لها لذة عظيمة .

محجر الطور

وبعد خمسة أيام وصلنا محجر الطور وكان دخولنا إليه سبب حياتنا فرأيناه في غاية الانتظام وحسن الترتيب .

(والطور) قرية صغيرة في فلاة من الأرض كلها رمال على ساحل البحر الأحمر بين السويس وجدة قريبة من السويس أهلها مسلمون ونصارى وماؤها من الآبار وقد بنت الحكومة المصرية الاسم الانكليزية المعنى قريباً منها محجراً واسعاً سنة ١٣٢١ هجرية وجعلته اقساماً كل قسم على حدة بباب مستقل فيه من الغرف المنارة بالكهرباء عدد كثير وفي جانب منه حمامات للاغتسال جلب إليها الماء من البحر بأنابيب والآلات رافعة وفي سقف كل واحد رشاش ذي ثقوب متى فتح هطل الماء منه على الرأس كالمطر الغزير وجعلت بيوت الخلاء في قفاه وأبوابها من خارج وله خدم من الأعراب ألبسوا ثياباً صفراء دكناء وبأيديهم المكانس والزنابيل يطوفون دائماً على الحجر وصحن الدار وبيوت الخلاء والحمامات فإذا وجدوا قمامة أوغيرها أزالوها حالاً قلت لأحدهم أين أهلكم فقال أهلنا في الجبال وأشار إلى جبال من جهة المشرق مفرطة في العلو والبعد ولكل قسم دار فسيحة مستطيلة تنار ليلاً بمصباح كهربائي عظيم فيكون به ليلها كالنهار ودكان فيها جميع ما يحتاجه الحجاج بأسعار محدودة ومخزن للماء الذي يستخرج من الآبار يستقي منه الحجاج ما يلزمهم ثم يقفل ولكل حجرة مصباح كهربائي وللمحجر دائرة بريد وبرق كل ذلك لأيام الموسم خاصة ثم يعطل جميع ذلك طول السنة .

ولما أردنا دخول المحجر حضر الطبيب ولم يأذن لأحد بالدخول حتى

قعدوا جميعاً وجعل يشير إلى واحد واحد فيقوم ويدخل حذراً من الازدحام فبقينا في محجر الطور ثلاثة أيام كان غذاؤنا فيها حليب (نستلي) مع الشاي لأنا لم نكن نستطيع أكل سواه بل ولا رؤيته أو شم رائحته .

ثم خرجنا من المحجر وعدنا إلى الباخرة حتى وصلنا (السويس) عند الغروب وفي مينائها من الأنوار ما جعل الليل كالنهار ورأينا فيها باخرتين عظيمتين سافرتا بعيد وصولنا ودخلتا الترعة وفي أعلى احداهما آلة للتلغراف اللاسلكي وقبل سفرهما لمعت فيهما أنوار الكهرباء منعكسة على جسمهما النقي الأدكن المشابه للمرآة في صفائه وأهلهما فرحون مستبشرون يصفقون وأصواتهم تملأ الفضاء أما باخرتنا المحترمة (أمزون) فضياؤها ضئيل وأوساخها وقذراتها كثيرة وأهلها باهتون صامتون قد علاهم الهم والكرب لماذا لأن أهلها حجاج مسلمون شرقيون ومستأجرها مسلم سوري يريد ان يرتزق مما يربحه منها أما تلك فأهلها غربيون وصاحبها غربي .

وبعد العشاء أقلعت بنا من السويس ودخلت الترعة بعدما جعلت في مقدمها مصباحاً عظيماً استأجرته من السويس لأنه لا يسمح للبواخر بالسير ليلاً في الترعة إلا بذلك المصباح .

ويرى السائر في الترعة بر مصر والقطارات الحديدية تنساب فيه وقد غرست على حافاتها الأشجار والحدائق وفي بعض الأماكن وضعت ليلاً مصابيح الكهرباء فيها قريباً من الساحل كأنها علامة على عدم عمق الماء ثم وصلنا إلى (بور سعيد) التي تنتهي عندها الترعة ودخلنا في البحر الأبيض بحر الروم حتى وصلنا (بيروت) ضحى ودخلنا المحجر فبقينا فيه ثلاثة أيام كان آخرها يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢ فقرأنا خبر مقتل الإمام السبط الشهيد أرواحنا فداه في المحجر في جمع غفير من المسلمين على اختلاف المذاهب

فيهم قاضي دير الزور ومفتيها وبعض أهل طرابلس الشام وغيرهم فكثر البكاء والعويل وسالت الدموع كل مسيل كما كنا نقيم مراسم العزاء كل يوم وفي الليلة العاشرة أقيمت أيضاً مراسم الحزن والبكاء بملاء من عامة الحجاج فكان لما قرأه القارىء الذي يصحبنا الوقع الحسن عند الجميع وأعجب بقراءته كل من سمعه ذلك لأنها على الطرز الذي نتوخاه والنهج الذي انهجناه اياه مما يجب أن تكون عليه قراءة كل قارىء ثم خرجنا من بيروت قاصدين جبل عامل الوطن الأول حامدين لله تعالى شاكرين له على توفيقنا لما وفقنا له سائلين منه قبول الأعمال .

(انتهت الرحلة الحجازية الثانية)

ثامناً : المفاخرة بين الغنى والفقر للمؤلف

حدثنا هيان بن بيان عن بعض بني الإنسان عن خبير بما كان في سالف الأزمان قال بينما أنا أتجول في البلدان ، وأجوب السهول والوهدان ، واخترق الخراب والعمران ، إذ ساقتني الأقدار ، وقذفتني الأسفار ، إلى بلدة غزيرة الأنهار ، باسقة الأشجار ، كثيرة الثمار ، فسيحة الأرجاء ، شاهقة البناء ، فالقيت بها عصى الترحال واويت إلى حيث يأوي النزال ، فبينا انا أسير في شوارعها ، وأتأمل في محاسنها وبدائعها ، إذا أنا بباب دار مفتوح ، والناس تغدو إلى تلك الدار وتروح ، فدخلت مع من دخل ، وجلست على بعض تلك الارائك بغير خوف ولا وجل ، وبينما الناس جلوس على مراتبهم إذ أقبل الغلمان ، وهم يقولون قد حضرت الضيفان ، فقام صاحب المنزل مسرعاً واستقبل ضيوفه القادمين وهش في وجوههم وبش وأهل ورحب فأقبل فتى في ريعان الشباب ، لابساً أفخر الثياب ، يختال في بردين أخضرين ورداء أرجواني اللون وحلة تخطف الأبصار لابساً نعلين قد حليا بالذهب ونسجا بالحرير وحوله أغيلمة حسان الوجوه في ملابس فاخرة ، ونعمة ظاهرة تشف عنها أسارير وجوههم وتقارب خطواتهم وهم محيطون به احاطة الهالة بالبدر يشبهونه في ملامح وجوههم كأنهم أخوته أو أبناء عمه فجلس وجلسوا عن يمينه وشماله وما استقربهم المجلس حتى أقبلت عصابة في نحو من عددهم عليها آثار التقشف وشظف العيش يقدمهم شيخ يظن أنه في العقد السادس من عمره مخشوشن في لباسه قد رقع مدرعته وتحزم فوق ثيابه ووراءه جماعة متلببون متحزمون عليهم ثياب غليظة وقد علا وجوههم الغبار وظهرت عليهم

علائم خشونة العيش فسلموا ثم جلسوا ناحية وقد حفوا بصاحبهم كالأولين ولم يكترث بهم الشاب وأصحابه ولا التفتوا اليهم وقام صاحب الدار فحيا الوافدين عليه كلهم وصافحهم ورحب بهم وأولاهم من بشاشته وإبتسامه ما هو أهله فسألت رجلا من الجالسين إلى جنبي عن هؤلاء الوافدين واسمائهم فقال لي أما الشاب المترف الذي جاء أولا فهو الغنى وأما الجالس عن يمينه فهو المال صاحبه وصديقه الحميم واما الجالس عن يساره فهو الترف وأما بقية الجالسين حوله فهم أصحابه وأحباؤه وأصدقاؤه وهم البذخ والاختيال والتنعم والرفاهية والعزة والبطر وغيرهم . وأما الشيخ المتقشف الذي جاء ثانياً المرقع الثياب فهو الفقر وأما الجالس عن يمينه فهو الافلاس وأما الجالس عن يساره فهو الاعسار وهما رفيقاه وصاحباه والباقون من أصحابه وأخصائه وهم الجلد والتعب والمشقة والعبوس والاستكانة والتقشف والصبر والقناعة وغيرهم من أمثالهم .

ثم أن الفقر بعدما استقر به وبأصحابه المجلس ورأى من عدم أكتراث الغنى وأصحابه به وبأصحابه ما رأى زاد عبوسه وتقطيبه على ما هو عليه في فطرته من العبوس والتقطيب وأخذ منه الغيظ مأخذه فأقبل بوجهه على الغنى قائلا :

(الفقر) السلام عليك يا ذا النعمة الظاهرة والبزة الفاخرة .

(الغنى) وعليك السلام أيها المتقشف الزاهد القانع .

(الفقر) ممن الرجل (الغنى) تميمي تارة وقيسي أخرى .

(الفقر) من أنت (الغنى) أوما تعرفني أما ترى جمال هيئتي وخزي وبزي وهل يخفى مثلي على أحد وانشد :

وانا الأخضر من ينكرني أخضر الجلدة من بيت العرب

من يساجلني يساجل ماجدا يملأ الدلو إلى عقد الكرب

(الفقر) عذراً فاني لم أهتد إلى معرفتك (الغنى) ماهذه الغباوة التي فيك وهل يخفى البدر ليلة التمام .

(الفقر) لاعليك من غباوتي أخبرني عن اسمك وأرحني .

(الغنى) أنا الغنا أبو الحمد والثنا ساطع النور والسنا أنا أنا ومن أنت .

(الفقر) ما أهلك الناس الا الانانية وهلك إبليس بتكبره وقوله أنا خير منه والكبرياء رداء الله تعالى من نازعه فيه أكبه الله على منخريه في النار. أما إذا سألت عني فأنا الفقر قرين القناعة والصبر وسبب المثوبة والاجر وانشد :

رضيت بعفتي ولزمت بيتي فها أنا لا ازار ولا أزور
ولست بسائل ما عشت دهري اسار الجيش ام ركب الأمير

(الغنى) إن الله تعالى وصف المال فسماه خيراً ووصف الفقر فسماه شر قال تعالى (أن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً) وقال تعالى حكاية عن سليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام (قال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) وقال ممتنا على عباده (واستغفروا ربكم أنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين) وقال تعالى (وجعلت له مالاً ممدوداً) بل امتن بالغنى على سيد رسله فقال (ووجدك عائلاً فأغنى) وقال رسول الله صلى الله وآله وسلم (نعم العون على طاعة الله الغنى ونعم السلم إلى طاعة الله الغنى) وتلا (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما انزلنا اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وذلك لأن الأعمال الجليلة لا تحصل إلا بالمال كالحج والوقوف والصدقات وبناء المدارس والمساجد والمستشفيات وكفى بالغنى فضلاً أن الله تعالى لم يدع إلى حج بيته إلا المياسير من الناس واسقط الحج اليه عن أهل الفقر والإفلاس (وقالت الحكماء) : المال يرفع صاحبه وان كان وضيع السب قليل الأدب وينصره

وإن كان جباناً ويبسط لسانه وإن كان عيياً به توصل الارحام وتصان الأعراض وتظهر المرؤة وتتم الرياسة ويعمر العالم وتبلغ الأعراض وتدرك المطالب وتنال المآرب يصلك إذا قطعك الناس وينصرك إذا خذلوك ويستعبد لك الأحرار ولو لا المال لما بان كرم الكريم ولا ظهر لؤم اللئيم ولا شكر جواد ولا ذم بخيل ولا صين حريم ولا أدرك نعيم (وقال الجاحظ) أعلم أن تثمير المال آلة للمكارم وعون على الدين وتأليف للأخوان وان من فقد المال قلت الرغبة اليه والرهبة منه ومن لم يكن بموضع رغبة ورهبة إستهان الناس به فاجهد جهدك كله في أن تكون القلوب معلقة منك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا وقال الشاعر :

ولم أربعد الدين خيراً من الغنى ولم أربعد الكفر شراً من الفقر

وقد جعل الله الفقر ابتلاء وإمتحاناً بقوله تعالى (ولنبلونكم بشيء من الجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات) وفي الحديث (كاد الفقر أن يكون كفراً) ثم رفع يديه داعياً وقال : اللهم إني أعوذ بك من الفقر والفاقة واعوذ بك من فقر مدقع وعدم مضرع واسألك الغنى والكفاف وأمن أصحابه على دعائه ثم أنشد قول أحيحة بن الجلاح :

استغن أو مت ولا يغررك ذو نشب من ابن عم ولا عم ولا خال
ولن أزال على الزوراء اعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال
كل النداء إذا ناديت يخذلني الا ندائي إذا ناديت يا مالي

(الفقر) قد أطلت الكلام وأكثرت من النزاع والخصام ولم تأت على دعاواك بحجة ولا برهان أما إستشهادك بآية الشر والخير فلو كان الفقر شراً لمنعه الله انبياءه وخص به أعداءه ولو كان الغنى خيراً لمنعه أعداءه وخص به أولياءه (واما) إستشهادك بالآية الحاكية عن سليمان عليه السلام فهي عليك لالك لدلالتها على أنه إشتغل بالصافنات الجياد عن ذكر ربه (وأما) أية

(ويمددكم بأموال وبنين) فقد قال تعالى أيضاً (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) والذي جعل له مالاً ممدوداً قد وصفه بالطمع والعناد بقوله (ثم يطمع أن أزيد أنه كان لآياتنا عنيداً) وما جاءه هذا الطمع والعناد إلا من الغنى وكثرة المال وقال فيمن جمع مالاً وعدده : يحسب أن ماله أخلده وكما امتن على سيد رسله (ص) بالغنى فقد أفتخر هو بالفقر فقال (الفقر فخري) وعرض عليه أن تكون له جبال تهامة فضة وذهبا فأبى .

وأما كون المال عوناً على تقوى الله والأعمال الجليلة فهو إذا أعمل فيه صاحبه بتقوى الله وهيهات أن يدعه طغيانه يفعل ذلك إلا نادراً بل المال كثيراً ما يكون عوناً على المعاصي لتيسرها للغني أكثر من الفقير قال محمود النعال :

الفقر خير فاقتنع واقتصد ان من العصمة ان لا تجد
كم واجد أطلق وجدانه عنانه في بعض ما لم يرد
ومدمن للخمر غاد على سماع عود وغناء غرد
لو لم يجد خمراً ولا مسمعاً برد بالماء غليل الكبد
كم من يد للفقر عند أمرىء طأطأ منه الفقرحتى اقتصد

وقال أبو العتاهية :

ان الشباب والفراغ والجده مقسدة للمرء أي مفسده

ولو كان المال يساوي عند الله قلامة ظفر لما منعه انبياءه ومتع به اعداءه وأما دعاء الله المياسير إلى حج بيته فكم أبوا ولم يلبوا نداءه فكان غناهم وبالا عليهم وكم كان اسف الفقير على عجزه عن الحج سبباً في زيادة ثوابه (وإما) ما حكيته عن الحكماء فهو ذم للغنى لو تبصرت ولكن اعماك البطر والأشر عن صحة النظر اذ كفى للمال ذما رفعه وضيع النسب قليل الأدب وكان يقال الفقر شعار الصالحين والفقر لباس الأنبياء ولذلك قال البحتري :

فقر كفقر الأنبياء وغربة وصبابة ليس البلاء بواحد

وأما جعل الله الفقر بلاء وإمتحاناً فلا يدل على أنه جعل صاحبه مهاناً فطوبى لمن صبر على بلاء الله وامتحانه .

ثم رفع يديه داعياً ورفع أصحابه أيديهم وقال وهم يتابعونه : الهي لك الحمد والمن على ماحببتني إلى أنبيائك وأوليائك وجعلتني شعار الزهاد والعباد وباعدتني مما ابتليت به الغنى من الكبر والترف والطغيان اللهم لا تبتلني بما ابتليته به ونجني من مهالكه وموبقاته فأمن اصحابه على دعائه .

وهنا تبسم الغنى ونظر إلى الفقر نظر هازىء لا سيما عندما سمع دعاءه هذا وقال .

(الغنى) أظنه صلى الله عليه وآله وسلم افتخر بالصبر على هذة المحنة والبلية وأراد جبر قلب من يبتلي بها من البرية وما كان الفقر شعار الصالحين ولباس الأنبياء إلا لما فيه من المشقة والبلاء ليظهر الله تعالى شدة صبرهم على عظيم فقرهم وليكون وسيلة إلى عظيم أجرهم وهذا لا يخرجه عن أنه من أعظم البلاء ولا يدرجه في النعماء وإلا فما بال سليمان بن داود عليهما السلام وهو من الأنبياء قد أعطي ملك الدنيا وسخر له الجن والانس والطير والريح والله تعالى جعل المال والولد فتنة واختباراً للعبد لينظر هل يعمل فيه بطاعته فيكون خيراً له أو بمعصيته فيكون وبالاً عليه كما أنه قد يختبر عباده بالفقر فينظر هل يصبرون عليه فيؤجرون أو يجزعون فيخسرون واما اباؤه (ص) عن قبول ما عرض عليه فهو اختيار للمشقة على الراحة مساواة للفقراء والمساكين ولو لا ان ذلك نعمة محبوبة لما عرضت عليه (وقال صلى الله عليه وآله وسلم) خير المال سكة مأبورة أو مهرة مأمورة (السكة) الطريقة المصطفة من النخل و(المأبورة) الملقحة و(المهرة) المأمورة التي ربضت ويرحم الله

البحتري فقد بالغ في ذم الفقر في بيته الذى إشتهدت به وجعله من أعظم البلاء وقال الشاعر :

ولم أر أوفى ذمة من دراهمي واصدق عهداً في الأمور العظائم
فكم خانني خل وثقت بعهده وكان صديقاً لي زمان الدراهم

(الفقر) الغنى غنى النفس لا غنى المال وغنى النفس خير من غنى المال وما الغنى في المال الا زيادة في الفقر والحاجة فان الإنسان لا يحصل له شيء من حطام الدنيا إلا احتاج معه إلى ما يصلحه والمصلح يحتاج إلى مصلح وهكذا ولهذا لما قال أبو ذر رضوان الله عليه لبعض إخوانه قد أصبحت وانا من أغنى الناس تعجب من ذلك وقال له لا أرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً فقال أبوذر تحت هذا الإكاف قرصان من شعير يكفياني لقوتي فأنا من أغنى الناس وقال الشاعر :

ان الغني هو الغني بنفسه ولو انه عاري المناكب حافي

وقال آخر :

كم من فقير غني النفس نعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

وقال آخر :

غنى النفس مايكفيك من سد خلة فان زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً

وما أحسن ما قال الشريف الرضي رضي الله عنه :

حسبي غنى نفسي الباقي وكل غنى من الغنائم والأموال ينتقل

(الغنى) هذا يا أخي من باب تسلية النفس والا فكل من حدثك أن التعب خير من الراحة والمشي خير من الركوب والجوع خير من الشبع والظمأ خير من الري والفقر خير من الغنى فلا تصدق (قال العتابي) .

الناس لصاحب المال لزم من الشعاع للشمس وهو عندهم أرفع من السماء وأعذب من الماء وأحلى من الشهد وأزكى من الورد خطأه صواب وسيئته حسنة وقوله مقبول يغشى مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عندهم أكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز لا يسئل عنه أن غاب ولا يسلم عليه إذا قدم ان غاب شتموه وان حضر طردوه مصافحته تنقض الوضوء وقراءته تقطع الصلاة أثقل من الأمانة وابغض من السائل المبرم وقال عروة بن الورد :

ذريني للغنى اسعى فإني رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم وان امسى له كرم وخير
ويقصيه الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ولكن للغني رب غفور

(الفقر) أصلحك الله أردت أن تمدح نفسك فذممتها أن قول العتابي وشعر عروة بن الورد ذم للغنى لو تأملت ولو تنزلنا لقلنا أنها لم تذم الفقر ولم تمدح الغنى وإنما ذمت الخلق في تقديمهم الغني على الفقير وانشد :

من شاء أن يكثر أو يقلا يكفيه ما بلغه المحلا

(الغنى) انك في افتخارك علي لا تعدو ان تكون كمن فضل العدم على الوجود والظلمة على النور اما سمعت قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه محمد : يا بني إني أخاف الفقر عليك فاستعذ بالله منه فان الفقر منقصة للدين مدهشة للعقل داعية للمقت وما أحسن ما قاله الشيخ حسين ابن عبد الصمد الحارثي الهمداني والد الشيخ البهائي :

خف الفقر ملتمسا للغنا فبالفقر كم من فقار كسر
وفي كل أرض اقم برهة فان وافقتك والا فسر

فما الأرض محصورة في هَراة . ولا الرزق في وقفهامنحصر

(الفقر) كفى للغنى ذماً إنه سبب الطغيان قال الله تعالى (إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ، وإذا انعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه . إن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) وكان يقال : الغنى يورث البطر فالمرء إذا إستغنى بطر واشرو إذا إفتقر تواضع ودعا الله بقلب منكسر (وفي الحديث القدسي) يقول الله تعالى : أنا عند المنكسرة قلوبهم. وما أحسن قول أبي العتاهية :

الم تر أن الفقر يرجى له الغنى وان الغنى يخشى عليه من الفقر

(الغنى) كم من غني شاكر وفقير غير صابر وكم من غني متواضع وفقير متكبر فالفقير الجازع قد خسر الدنيا والأخرة والغني الشاكر المتواضع بينهما جامع كما قال بعض العارفين وقد يجمعهما الله لاقوام أي الدنيا والآخرة وقال الشاعر :

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا واقبح الكفر والإفلاس بالرجل

(الفقر) كان يقال المال ملول والمال ميال المال غاد ورائح طبع المال كطبع الصبي لا يوقف على وقت رضاه ولا وقت سخطه المال لا ينفعك حتى يفارقك وإلى هذا المعنى نظر القائل مشيراً إلى الدينار :

وصاحب صدق ليس ينفع قربه ولا وده حتى تفارقه عمدا

وقال آخر :

انت للمال إذا امسكته فإذا انفقته فالمال لك

وقال أبو تمام :

على أنني لم أحو مالا مجمعاً ففزت به الا بشمل مبدد
ولم تعطني الأيام نوماً مسكناً الذ به إلا بنوم مشرد

(الغنى) قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : المال الحسب وان احساب أهل الدنيا هذا المال وقال الشاعر :

دعوت أخي فولى مشمئزاً ولبسى درهمي لما دعوت

وقال آخر :

وكنت إذا خاصمت خصماً كببته على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت علي وقالوا قم فإنك ظالم

(الفقر) كفى في ذم الغنى والمال انه لصاحبه شغل شاغل وهم ملازم لا يكاد يستريح صاحبه ساعة ويحتاج دائماً إلى إصلاحه وحراسته ويكون أبداً في خوف عليه من ناهب وسارق وربما يكون سبباً في هلاك صاحبه فيقتل بسببه كما قال الشاعر :

وقد يهلك الإنسان حسن رياشه كما يذبح الطاووس من أجل ريشه

وقال الآخر :

رويدك إن المال يهلك ربه إذا جم واستعلى وسد طريقه
ومن جاور الماء الغزير بجمه وسد طريق الماء فهو غريقه

(الغنى) ان كان الغنى لصاحبه شغلاً شاغلاً وهما ملازما فالفقر أجدر ان يكون كذلك وقد ورد في الأثر (الفقر الموت الأكبر) وان كان المال قد يوجب هلاك صاحبه فطالما هلك صاحب الفقر بالجوع والجهد وعروض الأمراض بسببه وطالما أدى الفقر بصاحبه إلى السؤال الذي قال فيه الشاعر :

ولو أني أكون أمير جيش لما حاربت الا بالسؤال
لان الناس ينهزمون منه وان ثبتوا لاطراف العوالي

(الفقر) إلى متى تغالط وتجادل وحجتي أوضح من نار على علم وهل الغنى الا سبب لطول الحساب واستحقاق العذاب وقد ورد ان الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب وورد يدخل فقراء هذه الأمة الجنة قبل اغنيائها بخمسمائة عام وكان يقال الفقر مخف والغنى مثقل وفي الخبر نجا المخفون وورد تخففوا تلحقوا وقد الم به الشريف الرضي فقال :

خذفت فضول العيش حتى تركتها إلى دون ما يرضى به المتعفف
واملت أن أجري خفيفاً إلى العلا إذا شئتم ان تلحقوا فتخففوا

(الغنى) المغالط والمماري انت ليس كل غنى سبباً لطول الحساب فمن بذل غناه فيما يرضي الله لم يطل حسابه وكثر عند الله ثوابه وكفى للفقر ذماً إن الفقير يعجز عن إغاثة أخص اصدقائه وأدنى أقربائه فيكاد يموت تألماً من ذلك كما قال الشاعر :

أرى نفسي تتوق إلى امور يقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني يبخل ومالي لا يبلغني فعالي

(الفقر) وأشد منه ذماً غني يبخل بماله عن أخوانه فالفضيلة يارعاك الله للجود لا للمال والذم للبخل لا للفقر كما قال الشاعر :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

وقال آخر :

فما الجود من فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها (١)

(١) الخيم بالكسر الخلق والخير بالكسر : الكرم .

(الغنى) آراك خرجت عن آداب المناظرة واجبت عن غير ما سئلت عنه حين اعياك الجواب ولو كان الفقر امراً حسناً لما أمرنا بإخفائه وإظهار الغنى والتجمل كما قال حارثة بن بدر :

وإذا افتقرت فلاتكن متخشعاً ترجو الفواضل عند غير المفضل
استغن ما أغناك ربك بالغنى وإذا تصبك خصاصة فتجمل

(الفقر) طاش سهمك واخطات الهدف لا يدل هذا على ذم الفقر وإذا كان الناس يحتقرون الفقير فما هو في الواقع بحقير وجاء في الأثر :رب اشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لابر قسمه على ان هذا الشاعر أراد انك إذا افتقرت فلا تظهر الذلة كما قال الآخر :

خلقان لا أرضاهما أبداً تيه الغنى ومذلة الفقر
فإذا غنيت فلا تكن بطراً وإذا افتقرت فته على الدهر

(الغنى) قد اجمع الناس علي ذمك فإلام تجادل وتناضل :

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة حنت اليه وحركت اذنابها
وإذا رأت رجلا فقيراً مقبلا هرت عليه وكشرت انيابها

وكم من تقي داهن معطر ذي بردين فاخرين لو أقسم على الله لابر قسمه فربح الدنيا والأخرة وكم من أشعث أغبر ذي طمرين ابتلي فما صبر وعصي الله فيما أمر فخسر الدنيا والأخرة .

(الفقر) :

إذا انت أعطيت الغنى ثم لم تجد بفضل الغنى الفيت مالك حامد
وقل غناء عنك مال جمعته إذا كان ميراثا ووارك لأحد

(الغنى) إلى متى تكابر وتناظر والحق متضح ظاهر وإنما أنت كما قيل (فنحن بواد والعذول بوادي) وكفى لك ذماً ولي مدحاً قول القائل :

للمؤلف :

وإذا الغني حوى فهاهة باقل في الناس يحسب في ذكاء أياس
والفقر لو امسى لقس صاحباً لاصابه بالعي والأخراس

وقول الآخر :

إذا قل مال المرء قل صديقه واهوت اليه بالعيوب الأصابع

(الفقر) قد أخبرتك أن هذا وأمثاله ذم للناس في عملهم لاذم للفقر ومدح للغنى أو ما سمعت قول الشاعر العربي المسمى أبا هفان :

يعيرني عريي رجال سفاهة فعزيت نفسي مصدر أبي وموردا
واني كمثل السيف أهيب ما يري واهيب ما يلقى إذا هو جردا

وقال آخر :

لا تهين الفقير علك أن تر كع يوماً والدهر قد رفعه

(الغنى) هذا يا أخي من تسليه النفس ونعم ما سلى به نفسه أبو هفان عن فقره وعريه وقد أحسن أبو هفان كل الإحسان في قوله (واني كمثل السيف البيت) وهذا برهان على فصاحة أبي هفان لا على مدح الفقر وإلا فلو وجد أبو هفان ما يكتسي به من الحلل الفاخرة لسارع إلى لبسه وتخلص من بؤسه وقال لله الحمد والشكر على ما خلصني من العري والفقر ولم يحتج إلى ان يعتذر عن عريه بهذا العذر الذي لا يخرج عن تخييلات الشعر واما البيت الأخير فهو أكبر دليل على ان الفقير مهان ومحل للرحمة والإحسان وانشد :

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء بالاء قلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقالـــه وان لم يقل قالوا عديم بيان

(الفقر) أما يكفيك في فضلي ماورد فقير صابر خير من غني شاكر وقال الشاعر :

وكائن رأينا من غني مذمـم وصعلوك قوم مات وهو حميد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن احاظ قسمت وجدود

(الغنى) ماكان الفقير الصابر خيراً من الغني الشاكر إلا لما ابتلي به المسكين من محنة الفقر فصبر على مضاضتها وهذا ان كان مدحاً فهو للصبر لا للفقر وما أشد شقاء الفقير إذا فاته الصبر فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ولنعم ما قال النشاش التميمي :

إذا المرء لم يسرح سواما ولم يرح سوا ما ولم يبسط له الوجه صاحبه
فللموت خير للفتى من حياته فقيراً ومن مولى تعاف مشاربه
فلم أر مثل الفقر صاحبه الفتى ولا كسواد الليل أخفق طالبه
فعش معذراً أو مت كريما فاني أرى الموت لا يبقي على من يطالبه

(الفقر) قد ورد أيضاً : إذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحباً بشعار الصالحين وإذا رأيت الدنيا مقبلة فقل ذنب عجلت عقوبته .

(الغنى) لا أعدمنا الله من يجبر القلوب المنكسرة فكم جبروا قلب الأعمى فسموه بصيراً واللديغ فسموه سليماً والسوداء فسموها فضة كما قال أبو تمام الطائي في الشيب :

دقة في الحياة تدعى بياضا مثلما سمي اللديغ سليما

وجزى الله خيراً من يحذرنا من آفات الغنى فيجعله كالعقوبة للذنوب ولنعم ما قال المتنبي :

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده

وقال آخر :

يرى المرء أحياناً إذا قل ماله من الخير تارات ولا يستطيعها
متى ما يرمها يتم الفقر كفه فيضعف عنها والغني يضيعها

ولقد أنصف هذا الشاعر في الحكم بين الفقر والغنى .

(الفقر) كفى في ذم الغنى رفعه الوضيع وتشريفه الخسيس وايجابه المدح لمن يستحق الذم وإجلاسه الدني في مجلس الشريف وايصاله الغبي إلى مرتبة الذكي كما قال الشاعر فيمن أرتفع بالمال والحكم بعد ضعته :

أتذكر إذ قميصك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير
فسبحان الذي أعطاك هذا وعلمك الجلوس على السرير

(الغنى) أردت يا هذا أن تذم فمدحت وان تفضح فافتضحت وهل يكون مدح للغنى بأكثر من رفعه الوضيع وتشريفه الخسيس وإيصاله الدني إلى مجلس الشريف وغير ذلك وقد قال الشاعر مفضلاً المال عل العلم والفقر :

المال أنفع للفتى من علمه والفقر أقتل للفتى من جهله
ما ضر من رفع الدراهم قدره جهل يناط إلى دناءة أصله

(الفقر) ورد عن سيد الانام عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال ما جمع مال إلا من شح أو حرام ولو لم يرد في ذم المال غير هذا لكفاه ذماً وعيرت اليهود عيسى عليه السلام بالفقر فقال : من الغنى اتيتم واخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

يا عائب الفقر ألا تزدجر عيب الغنى أكثر لو تعتبر
من شرف الفقر ومن فضله على الغنى ان صح منك النظر
انك تعصي كي تنال الغنى ولست تعصي الله كي تفتقر

وقال آخر :

دليلك ان الفقر خير من الغنى وان القليل المال خير من المثري
لقاؤك شخصاً قد عصى الله للغنى ولست ترى شخصاً عصى الله للفقر

(الغنى) فاتتك يا هذا معرفة أسرار كلام العرب وفهم مناحي السنة المطهرة فالكلام في معرض ذم الشح وأكل الحرام لا ذم الغنى وأولى منه بالذم الفقر الذي كثيراً ما يودي إلى بذل ماء الوجه واستجداء اللؤماء وقال بعض الشعراء الظرفاء وأحسن كل الاحسان مع خلاعته :

أصون دراهمي واذب عنها لعلمي انها سيفي وترسي
واذخرها واجمعها بجهدي ويأخذ وارثي منها وعرسي
فيأكلها ويشربها هنيئـــاً على النغمات من نقر وجس
ويقعد فوق قبري بعد موتي ولا يتصدقن عني بفلس
أحب إلي من قصدي عظيما كبيرا أصله من عبد شمس
أمد إليه كفي مستميحاً وأصبح عند خدمته وأمسي
ويتركني أجر الرجل مني وقد صارت كنفس الكلب نفسي

(الفقر) يكفي في ذم المال والغنى ومدح الفقر قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك) .

(الغنى) وهذه أيضاً عليك لا لك فالباقيات الصالحات هي أعمال الخير التي يكون الغنى أعظم معين عليها وليست هي الفقر ليكون لك فيها فخر

فالله تعالى جعل المال زينة في الدنيا وهو نوع من المدح له ولكنه فضل عليه العمل الصالح ولا نصيب لك في شيء من ذلك وأنشد :

جذلان يعلم أن المال ساق لـــه ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كرام الناس يسألني فأكرم الناس من كانت له ورق

(الفقر) أراني قد أعذرت وأكثرت من الحجج فما قصرت وأنت تأبى إلا جحوداً وعناداً ولا عجب فالطغيان من صفاتك والبذخ من أخلاقك وعامة الناس من أنصارك وأعوانك .

(الغنى) بل أراك قد نثلت الكنانة وأفرغت الجعبة ونفد ما عندك من حجة فعمدت إلى تزويق الكلام وتنميق المقال أفلا اقتديت بقول من قال :

إذا المرء لم يطلب معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الادنين كلا وأوشكت حبال ذوي القربى له ان تنكرا
فسر في بلاد الله والتمس الغنى تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

(الفقر) إلى كم تزهو بنفسك وتشمخ بأنفك فقد آن لك ان تعرف قدرك وترجع عن غيك .

(الغنى) مسكين الفقر سيىء الخلق حاد الطبع لا لوم عليه إذا ساء خلقه لا سيما إذا كان كثير العيال خصوصاً في هذا الزمان الذي غلت فيه الاسعار وأصبح الباعة والمحتكرون لا يرقبون في فقير إلا ولا ذمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كاد الفقر يكون كفراً وأنشد :

أجلك قوم حيث صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل
ولو كنت ذا فقر ولم تعط ثروة ذللت لديهم والفقير ذليل

(الفقر) أحسنت أيها الغنى لقد أصبت المرمى ولم تخطىء شاكلة الصواب

عرفت الداء فنسأله تعالى ان يلهمك معرفة الدواء .

(الغنى) اني أدعوك الليلة إلى منزلي لتناول طعام العشاء في مدينة السعادة بمحلة السرور في شارع الانس بقصر الفرح داخل حديقة البهجة .

(الفقر) كثر الله أمثالك وطول أذيالك ولا زال قصرك معموراً بالألوف من الأضياف ولا وضعك الله إلا في أيدي الأسخياء الكرماء وباعد ما بينك وبين البخلاء .

(الغنى) لي إليك وصية وهي أن تذهب إلى الحمام قبل مجيئك إلينا وتلبس أنظف ثيابك .

(الفقر) وهل يوجد حمام مجاني أو بزاز يعطي الثياب بدون ثمن ؟

(الغنى) الآن فهمت انه ليس معك أجرة الحمام ولا عندك ثياب غير هذه الثياب الخلقة القذرة نعم حقاً ان الأمر كذلك وإلا لما كان اسمك الفقر بل كان اسمك الغنى كاسمي أنا أعطيك أجرة الحمام وأبعث إليك بثياب كافية ودراهم كثيرة .

(الفقر) قد أنعمت فأجزلت وقد وجب علي شكرك ومد يده ليصافح الغنى فقبض الغنى يده عنه وتباعد منه قائلاً :

أطلب إليك أن تتباعد عني ولا تدنو مني مخافة أن يتسرب إلي شيء من هوام بدنك أو تلوث ثيابي بثيابك فاترك مصافحتي إلى أن تنقي ثيابك وبدنك .

(الفقر) ما كنت أظن ان الحال يبلغ بك إلى هذا فصبراً على قضاء الله أودعتك الله .

(الغنى) في أمان الله .

تاسعاً : المفاخرة بين السيف والقلم للمؤلف

حدثنا أبو الطماح عن المسافر السياح قال جمعتني الأقدار وأنا أتجول في الأمصار وأعاني مشقة الأسفار بشيخ منحني الوسط أبيض اللون صقيل العارضين يعلوه البريق واللمعان حاد الطبع طويل القامة تلوح عليه آثار الشجاعة والشهامة مرهوب الجانب ناصر للصاحب قد لبس ثوباً غطى جميع جسده ولم يظهر منه سوى ما يقبض القابض بيده وله ذؤابتان طويلتان وإلى جانبه شاب رقيق الحاشية نحيف البدن معتدل القامة قصيرها أسمر اللون أسود الرأس في رأسه شق كأنما شق بسكين تلوح عليه آثار اللطف والأدب فسألت عن الشيخ فقيل لي هو السيف وسألت عن الشاب الذي بجانبه فقيل هو القلم ثم إن القلم التفت إلى السيف قائلاً :

(القلم) حياك الله بالسلام أيها البطل المقدام

(السيف) وأنت حييت بأحسن التحيات يا معدن الكمالات

(القلم) من أنت يا ذا الصولة والإقدام ؟

(السيف) أنا السيف الملقب بالصمصام المدعو بالحسام المعروف بالمهند الموصوف بالمرهف والماضي المنعوت باليماني والهندواني والصارم والأبيض ومن أنت ؟

(القلم) أنا القلم وأعرف باليراع وألقب بالمزبر ثم أنشد :

قلم به ظفر العدو مقلـــم وهو الأمان لما يخاف ويرهب

(السيف) وما هذه التي معك ؟

(القلم) هذه رفيقتي الدواة ولست مفارقها إلى الممات وأنت ما هذا المحتوي عليك ؟

(السيف هذا هو غمدي ولا أسكنه إلا وحدي

(القلم) وما هذه الحمرة التي تعلوك مع أنك منعوت بالبياض ؟

(السيف) هذه حمرة دم الأبطال الذي شربته في مواقف النزال ومعامع القتال وأنت ما هذا السواد الذي يعلوك ؟

(القلم) هذه بقية المداد مما كتبته في اصلاح أمر العباد والبلاد وابانة طريق الرشاد وأنشد :

مداد مثل خافية الغراب وخط مثل وشم يد الكعاب

(السيف) قد بلغني أنك تفخر علي بما أوتيت من سحر البيان وفصاحة اللسان و بلاغة الكلام .

(القلم) أجل أولا يحق لي الافتخار بما ذكرت من جميل الصفات وقد قيل : كلام الفصحاء جنود مجندة وأقلامهم سيوف مهندة وقال بعض الكتاب :

إذا ما التقينا و انتضينا صوارما يكاد يصم السامعين صريرها
تساقط في القرطاس منها بدائع كمثل اللئالي نظمها ونثيرها

(السيف) كلا و هل تنفع الأقوال بغير الأفعال وهل تجدي لقلقة اللسان والقلب جبان فأنت القوال وأنا الفعال ثم أنشد :

نصحتك فالتمس يا ويك غيري طعاماً ان لحمي كان مرا

(القلم) قد ترك الخداع من كشف القناع أحق ما تقول ان لك الأفعال

ولي الأقوال وكم هزمت بأقوالي الجيوش التي عجزت أنت عن مكافحتها وفتحت الحصون التي لم تستطع فتحها واستملت القلوب التي نفرتها وميزت بأقوالي بين الحق والباطل فيما لم تستطع أنت إليه سبيلاً كما قال الشاعر :

قلم يفل الجيش وهو عرمرم والبيض ما سلت من الأغماد
وهبت له الآجام حين نشابها كرم السيول وصولة الآساد

وكان يقال : القلم يمج السم والعسل ثم أنشد :

وعريان من خلعة مكتس يميس من الوشي في يلمق
فكم من أسير له مطلق وكم من طليق له موثق
يقيم ويوطن غرب البلاد وينهى ويأمر بالمشرق

(السيف) كفاني فخراً ان حملتني اليد الشريفة النبوية ولم تحملك وأعملتني ولم تعملك .

(القلم) ان حملتك اليد الشريفة النبوية ولم تحملني فليس ذلك لنقص في وفضل فيك بل لحكمة اقتضت ذلك وكان له صلى الله عليه وآله جماعة من الكتاب يكتبون بي له الرسائل والوحي الالهي فما فاتني شيء من شرف مجلسه السامي وانفردت عنك بما تشرفت به من رقم كتاب ربي واسم رسوله الكريم (ص) وحسبي شرفاً وفخراً ان الله تعالى أقسم بي في كتابه العزيز ولا يقسم العظيم إلا بعظيم من خلقه وامتن على عباده بأنه الأكرم الذي علم بالقلم ثم ابتدأ يقرأ بعدما استعاذ بالله من الشيطان الرجيم (بسم الله الرحمن الرحيم والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون . اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) ثم قال وقال رسول الله (ص) جف القلم بما هو كائن فأنا الذي أثبت الأشياء في اللوح المحفوظ قبل خلقها عن أمر ربي وفي الحديث

أن أول ما خلق الله القلم من مات وميراثه المحابر والأقلام دخل الجنة (وكان) يقال عقول الرجال تحت أسنة أقلامهم ثم أنشد قول أبي الفتح البستي :

إذا افتخر الأبطال يوماً بسيفهم وعدوه مما يكسب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة مدى الدهر ان الله أقسم بالقلم

وقال الشاعر العاملي الشيخ محمد حسين شمس الدين رحمه الله تعالى :

حسب اليراع فخاراً غير مكتتم تخصيصه في كتاب الله بالقسم
فضل اليراع على البيض الصفاح لدى الـ أنام أشهر من نار على علم
ما علم الله بالصمصام من أحد لكنه علم الإنسان بالقلم
من أين للشيب فخراً كالشباب وهل يقاس معتدل بالأحدب الهرم
وكيف يسمو على ذي منطق ذرب به تحدى الورى ذو منطق بكم

(السيف) كفاني مدحاً قول الله تعالى في كتابه العزيز : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز) وقوله تعالى (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص) وجاء في الأثر (الجنة تحت ظلال السيوف) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ضربة علي يوم الخندق تعدل عمل الثقلين إلى يوم القيامة ثم أنشد :

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه فاني رأيت السيف أفصح مقولا

(القلم) كفى في فضل الأقلام قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ترك ورقة عليها علم كانت ستراً بينه وبين النار (وقوله ص) إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث وعد منها الكتاب الذي ينتفع به من بعده (وقوله ص) مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء وهذا نص صريح في تفضلي عليك :

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وكان يقال : القلم قيم الحكمة . القلم يرد قضاء السيف . ويفسخ حكم الحيف ثم أنشد :

وبيت بعلياء الفلاة بنيته بأسمر مشقوق الخياشيم يرعف
كأن عليه ملبساً جلد حية مقيم فما يمضي ولا يتخلف

(السيف) كيف تفخر علي وأنت من قصب وأنا من خالص الحديد ومن أجهل ممن يفضل القصب على الحديد ام من ذا الذي يفضل المقهور على القاهر والعاجز على القادر والمبتور على الباتر وأنت الذي لم تزل السكين التي لا تصل إلى بطشي وفتكي تقطع رأسك وتشق أنفك وفيك يقول بعض أرباب الأقلام من الكتاب :

أف لرزق الكتبة أف له ما أصعبه
يرتشف الرزق له من شق تلك القصبة
يا قلما يرفع في الط رس لرأسي ذنبه
ما أعرف المسكين إلا كاتباً ذا مترَبه

(القلم) اتفخر علي بأصلك وما الفخر إلا بالحسب لا بالنسب أما سمعت قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (قيمة كل امرىء ما يحسنه) وقد نظمه ابن الوردي فقال :

قيمة الإنسان ما يحسنـــه أكثر الإنسان منه أو أقل
لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد فعل
قد يسود المرء من غير اب وبحسن السبك قد ينفى الزعل

وما أحسن ما قال الآخر :

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمى منتم إلى أحد فانني منتم إلى أدبي

وقال المؤلف :

لا تفخرن بأصلك ما الفخر إلا بفعلك
أصل الأنام تراب مما تطأه بنعلك

وأول من افتخر بأصله ابليس حين افتخر عل آدم فقال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) ثم تمثل بقول أبي الحسن محمد بن عبد الملك ابن صالح الهاشمي :

وأسمر طاوي الكشح أخرس ناطق له رملان في بطون المهارق
إذا استعجلته الكف أمطر وبله بلا صوت ارعاد ولا صوت بارق
إذا ما حدا غر القوافي رأيتها مجلية تمضي أمام السوايق
كان عليه من دجي الليل حلة إذا ما استهلت مزنه بالصواعق
كان اللئالي والزبرجد نطقه ونوم الخزامى في عيون الحدائق

(السيف) على رسلك أيها القلم لقد ارتكبت في فخرك شططاً وقلت غلطاً فان شرف النسب إذا اجتمع مع شريف الحسب كان غاية في الفخر نعم لا ينفع شرف النسب مع خسة الحسب وأنا قد جمعت بين الشرفين وحزت المرتبتين وكم أطاعني من عصاك وهابني من ازدراك وهل في وسعك غير الوعيد والتهديد وقد قيل فيه :

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر اطنين أجنحة الذباب يضير

ثم تمثل بقول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي :

السيف أصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف في متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة بين الخميسين لا في السبعة الشهب

(القلم) ان عددت من مناقبك واحدة عدت لك من فضائلي عشرا وكفاني بذلك شرفاً وفخراً أنا جليس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء وانا انواسطة بين الملوك والأمراء والأحباب والأصحاب انا مقيد العلوم وحافظها من الضياع وضابط الحساب ولولاي لضاعت الأموال وعلي مدار الدواوين وبي نظام أمر الدنيا والدين وإذا كنا أنا وأنت مع ملك أو أمير أو غيرهما أكون أنا على اليمين وأنت على اليسار وكان يقال : الاقلام أساس الاقاليم . الأقلام رسل الكرام . القلم بريد القلب . القلم سفير العقل . القلم رسول الفكر . القلم ترجمان الذهن .

وقال أبو تمام :

لك القلم الأعلى الذي بشباتـــه تصاب من الأمر الكلى والمفاصل
لعاب الأفاعي القاتلات لعابه واري الجنا اشتارته ايد عواسل
له ريقة طل ولكن وقعهـــا بآثاره في الشرق والغرب وابل
إذا ما امتطى الخمس اللطاف واسبلت عليه شعاب الفكر وهي حوافل
اطاعته اطراف القنا وتقوضت لنجواه تقويض الخيام الجحافل

وقال البحتري :

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه
حكم فسائحها خلال بنانه متدفق وقليبها في قلبه
وكأنها والسمع معقود بها شخص الحبيب بدا لعين محبه

(السيف) مهلاً أيها القلم النحيف والشخص الضعيف ان افتخرت

بمجالسة من ذكرت فاني أفخر عليك بمصاحبة الشجعان والأبطال والمجاهدين في سبيل الرحمن ومهما عددت لنفسك من المناقب فمني مبداه والي منتهاه إذ انك لا تستطيع ان تأتي بعمل من الأعمال إلا إذا مهدت لك السبيل ودوخت البلاد وأخضعت الرقاب وذللت الصعاب فأين أنت من فضائلي وهممي وما أنت إلا بعض خدمي كما قال أبو الطيب :

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي ... المجد للسيف ليس المجد للقلم
أكتب بنا أبداً بعد الكتاب به ... فإنما نحن للأسياف كالخدم
من اقتضى بسوى الهندي حاجته ... أجاب كل سؤال عن هل بلم

وقال البحتري :

تعنو له وزراء الملك راغبـــة ... وعادة السيف ان يستخدم القلما

ولئن ضبطت العلوم مرة فكم ضيعتها مراراً بما تكتبه من الأضاليل

(القلم) لا وربك أيها الحسام لست أحتاج إليك في كل مقام ولئن احتجت إليك مرة فطالما احتجت إلي مراراً ولكم قطعت أنا حيث تنبو أنت وقدرت أنا حيث تعجز أنت ولئن أصلحت مرة فكم أفسدت مراراً بما تحدثه من العصيان والطغيان ولذلك قال فيك الشاعر :

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ... ويستحل دم الحجاج في الحرم

وأما زعمك اني من خدمك فاني أقول لك اقلب تصب فانك لا تستطيع أن تأتي إلا بما يجري به القلم فما أنت إلا له من الخدم كما قال ابن الرومي :

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
فالموت والموت لا شيء يقابله ... لا زال يتبع ما يجري به القلم
بذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

وقال الآخر :

في كفه صارم لأنت مضاربه يسوسنا رغباً ان شاء أو رهبا
السيف والرمح خدام له أبداً لا يبلغان له جدا ولا لعبا

وقال المتنبي :

قوم إذا أخذوا الأقلام من غضب ثم استمدوا بها ماء المنيات
نالوا بها من أعاديهم وان بعدوا ما لم ينالوا بحد المشرفيات

(السيف) لقد تعديت طورك أيها الأسود الضئيل حتى أدى بك الغرور إلى أن زعمت أني من خدمك وانى يكون ذلك كذلك وانا مؤسس الممالك ومعز الإسلام وحامي حماه ورافع الظلم وباسط العدل وناشر لواء الأمن وقاتل الأشرار ومذل كل جبار وحافظ الجار والآخذ بالثار وأنا أقسم برب الثقلين لئن لم ترجع عن غيك لاقسمنك بحدي نصفين وأهوى إليه فتأخر القلم عنه فزعاً مرعوباً ثم أنشد السيف قائلاً :

ومن يعص أطراف الزجاج فانه يطيع العوالي ركبت كل لهذم
ومن لم يذد عن حوضه بسنانه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

ثم قال :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

(القلم) ن والقلم وما يسطرون ما أنت أيها السيف إلا مجنون

أراك قد خرجت إلى الحدة على حسب طبعك وانتقلت من طور المناظرة إلى السباب والمهاترة وتمسكت بذيل التهديد والوعيد شأن العاجز عن الحجة وان في قوة الحجة والبرهان ما يغني عن إطالة اللسان واما وصفك لي بالأسود الضئيل :

فأنا الأسود من يعرفني أسود الجلدة من بيت العرب
من يساجلني يساجل ماجداً يملأ الدلو إلى عقد الكرب

وقال آخر :

ولا خير في حسن الجسوم وطولها إذا لم يزن حسن الجسوم عقول

وكان يقال : القلم مجهز لجيوش الكلام . لم أر باكياً أحسن تبسماً من القلم . وقال الشاعر :

وأرقش مرهوب الشباة مهفهف يشتت شمل الخطب وهو جميع
تدين له الآفاق شرقاً ومغرباً وتعنو له أفلاكها وتطيع
حمى الملك مفطوماً كما كان يحتمي به أسد الآجام وهو رضيع

ولئن كنت اسست الممالك فكم هدمت أساسها وان كنت اعززت الإسلام فكم نصرت عليه الإلحاد ولئن نشرت لواء الامن مرة فكم طويته وألبست لباس الخوف مراراً ولئن قتلت الاشرار فلكم تلطخت بدماء الأخيار ولئن أذللت الجبار فكم أعززت الفجار ولئن حفظت الجار فلكم أضعت حرمة الجوار فإحسانك لا يقابل بإساءتك .

(السيف) ان الله نصب القضاة والحكام لرفع النزاع والخصام منة منه على الأنام فلا بد من رفع خصومتنا هذه إلى حاكم عادل يحكم فيها بمر الحق لا يقبل الرشى ولا يميل مع الهوى .

(القلم) لو أنصف الناس استراح القاضي أفبعدما ظهر الحق تطلب المحاكمة فلست أباها واني لها لمنقاد فليحكم بيننا حجة الله على خلقه (العقل) فجاء العقل يمشي على سكينة ووقار حتى جلس على منصة الحكم وقام الخصمان بين يديه وتقدم القلم إليه فقال :

(القلم) السلام عليك يا أول خلق الله ومن به يثيب ويعاقب

(العقل) وعليك السلام أيها القلم الجاري بكل ما كان

(القلم) قد كان من قضاء الله وقدره ان وقعت المفاخرة والخصام بيني وبين الحسام وقد جئناك لتحكم بيننا يا سيد الحكام

(العقل) فليذكر كل منكما مدعاه وليدل بحجته وليذكر مفاخره ومزاياه حتى أحكم بينكما بما أرانيه الله

(السيف) انا الفعال وهو القوال وهل تقاس الأقوال بالأفعال

(العقل) ان الصارم قد ينبو ويفل فيكون كمن قال ولم يفعل وقد تفعل الأقلام ما يعجز عنه الحسام

(القلم) انا معدن الفصاحة ومنبع البلاغة واجد اللسانين

(العقل) وقد تكون دليلاً على عي صاحبك وعجزه

(السيف) انا من الحديد وهو من القصب والقصب يقطع بالحديد

(العقل) قد يقطع الحديد بالقصب ولا عجب

(القلم) أنا جليس العلماء والحكماء والأدباء والشعراء

(العقل) وقد تكون جليس السفهاء

(السيف) أنا صاحب الأبطال والشجعان والمجاهدين في سبيل الرحمن

(العقل) وقد تصحب الجبان وتكون مع الصادين عن سبيل الرحمن

(القلم) أنا ناقل الكلام بين المتخاطبين إلى البلاد النائية بما أودعه في الكتب مما تتوقف عليه مصالح العباد

(العقل) وقد تنقل النميمة والظلم والفساد

(السيف) أنا قاهر الأعداء وفاتح الحصون وهازم الجيوش

(العقل) وقد يغني عنك القلم ولا يفيد استعمالك إلا الندم

(القلم) أنا مقيد العلوم والحساب وحافظها مدى الأحقاب

(العقل) وقد تحفظ كتب الضلال

(السيف) أنا الأبيض النقي اللون وهو الأسود الجون

(العقل) لا يفخر بنقاء الألوان غير النساء والصبيين

(القلم) أنا قد مدحني الله في القرآن

(العقل) وقد مدح خصمك أيضاً

(السيف) أنا قد مدحني الرسول (ص) في السنة المطهرة

(العقل) كما مدح خصمك أيضاً

(القلم) هذا ما عندنا فما تقول أنت

فعندها أطرق العقل وفكر ساعة ثم رفع رأسه قائلاً :

(العقل) ان الحكم بينكما صعب المسلك دقيق المدرك وأنا أسأل الله تعالى أن يلهمني الصواب في ذلك .

(فأقول) ان لكل منكما مقاماً لا يغني فيه الآخر وفي أكثر الأحوال لا يستغني السيف عن القلم ولا القلم عن السيف وكل منهما معين للآخر في تشييد الممالك فهما للملك كاليدين ولتشييده كالركنين الأشدين .

قال الشريف الرضي رضي الله عنه :

مسود قصب الأقلام نال بها نيل المحمر أطراف القنا اللدن

ان لم تكن تورد الأرماح موردها فما عدلت إلى الأقلام عن جبن

والطاعن الطعنة النجلاء عن جلد كالقائل القولة الغراء عن لسن

فتراه وهو من العظماء قد قارب ان يساوي بين السيف والقلم في المدح والثناء وقال بعض أهل العصر :

للسيف والرمح فضل لا يزيد على فضل اليراع وما يملي من الحكم
فالسيف ذلت عتاة المشركين به والله أقسم في الفرقان بالقلم
وذو الفقار بكف المرتضى كشف الـ ـه الكروب به عن سيد الأمم

وهذا الشاعر المعاصر قد أوشك أن يساوي بينكما في المفاخر وقال أبو تمام :

لولا مناشدة القربى لغادركم حصائد المرهفين السيف والقلم

فسما كما المرهفين وجعلكما حاصدين وها أنا أحكم بينكما حكم عادل منصف غيرها ضم لحق واحد منكما ولا مجحف فأقول (للمؤلف) :

قد أكثر الشعراء القول من قدم على التفاضل بين السيف والقلم
ففضل السيف أقوام وما علموا ان الظبا بسوى الأقلام لم تقم
وقال قوم بتفضيل اليراع ولـ ـكن اليراع بغير السيف كالعدم
فقلت قولاً عن الأنصاف مصدره وقلما يوجد الإنصاف في الحكم
كم للظبا من مقام راح مشتهراً بين الأنام سواها فيه لم يقم
وكم نبا السيف عن أمر وقد نفذت في قلبه وحشاه أسهم الكلم

وها أنا قد صرحت بما رجحت وحكمت بما علمت من المساواة بينكما وعدم تفضيل واحد منكما على صاحبه فهل رضيتما بهذا الحكم ؟

(السيف والقلم) نعم قد رضينا به شاكرين لك أيها الحكم العدل .

(تمت المفاخرة بين السيف والقلم)

عاشراً : السحر الحلال في المفاخرة بين العلم والمال للمؤلف

وقد مثلت في المدرسة العلوية بدمشق سنة ١٣٣٠ في احتفالها السنوي بين اثنين من تلاميذها في مجلس حافل وفي غيرها أمام جم غفير من العلماء والاعيان فكان لها أحسن موقع في النفوس وأعظم إستحسان — وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لك يا مبدع الكائنات . وأفضل صلواتك وسلامك على محمد وآله خير البريات «وبعد » فهذه الرسالة المسماة «بالسحر الحلال في المفاخرة بين العلم والمال » تحتوي على آداب ونصائح ومواعظ وحكم وفوائد كثيرة انشأها العبد الجاني محسن الحسيني العاملي الشامي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه .

حدثنا عبد الله المعروف بالخيال وعبد الواحد المسمى بالفكر الجوال قال خرجنا من بلدتينا المسماتين بالمخيلة والمفكرة ومعنا صاحب لنا يسمى الحس المشترك وجعلنا نتعسف المهامه والقفار ، حتى ساقتنا الأقدار ، إلى مدينة مطردة الأنهار ملتفة الأشجار فبينما نحن نمشي في أزقتها وإذا قد قابلنا باب دار مفتوح فدنونا منه ونظرنا وإذا بدار فسيحة الأرجاء مشيدة البناء فطلبنا الإذن في الدخول من البواب ، فأنعم في الجواب ، فلما دخلنا رأينا داراً لم نر مثلها في المخيلة ولا في المفكرة مع أن فيهما العجب العجاب ، واعترف رفيقنا الحس المشترك انه لم يمر عليه مثلها إلى اليوم ، في يقظة ولا نوم فدنونا من صدر الدار وإذا بمجلس قد زين بأنواع الرياش ، وأصناف الفراش ، وفيه قوم جلوس تسطع من وجوههم الأنوار ، وعليهم سيماء الهيبة والوقار ، وبينهم رجل جليل القدر عظيم الشأن على رأسه تاج وقد جلس في صدر المجلس وجلس الكل متأدبين بين يديه فجلسنا ناحيه متأدبين ثم سألنا بعض من يتولى الخدمة عن هؤلاء الجالسين فقال اما ذلك الرجل الجالس في صدر

المجلس الذي على رأسه التاج والكل متأدبون بين يديه فهو الملك واسمه (العقل) واما الرجل الجالس إلى جانب الملك الذي عليه أثار الأبهة والجلالة فهو (الشجاعة واما الآخر الذي إلى جانبه الذي ترى أهل المجلس مقبلين عليه بكلهم فهو أخوه وشقيقه (الكرم) واما ذلك الصبيح الوجه المحبوب إلى القلوب الجالس في طرف المجلس فهو («التواضع » واما الآخر الجالس إلى جانبه الذي يغلب عليه التبسم فهو «حسن الخلق » واما ذلك الذي يحدث القوم ويجري في حديثه كالسيل فهو « الفصاحة » واما الآخر الذي إلى جانبه الذي يتناوب معه في الحديث فهو «البلاغة » واما ذلك المطرق الذي تعلوه السكينة والوقار فهو «الحلم » واما الرجل الذي إلى جانبه المطرق المتفكر فهو «التأني » واما ذلك الملتحف بأزاره المتحزم بثيابه العاض على نواجذه فهو «الصبر » واما ذلك الرث الهيئة الجالس في طرف المجلس مقابل التواضع فهو «الفقر» وما زال يعدد لنا اسماء الجالسين حتى انتهى إلى آخرهم فبينما نحن كذلك إذ أقبل شيخ بهي المنظر صبيح الوجه عليه سيماء العظمة والجلالة والنور يسطع من وجهه وخلفه كهل يشبهه في صباحة الوجه وحسن الهيئة والخَلق والخُلق فكأنه أخوه وشقيقه فلما بصر الحاضرون بالشيخ قاموا إجلالا له على الأقدام ، ووفوه حقه من التبجيل والإحترام ، وتنحوا له عن صدر المجلس وقام اليه الملك وأجلسه إلى جانبه وجلس الباقون متأدبين بين يديه ، بعد أن تسابقوا إلى تقبيل يده والسلام عليه ، وجلس الكهل إلى جانب الشيخ فسألنا عنهما فقالوا اما الشيخ فهو «العلم » واما الكهل الذي معه فهو «العمل » ثم أقبل من بعدهما شاب نظيف الثياب طيب الريح ، ذي وجه صبيح ، عليه آثار النعمة فسألنا عنه فقالوا هذا هو «المال » فتقدم إلى الملك وحياه بتحية الملوك ثم استأذنه في الجلوس فأذن له فجلس في يسار المجلس مقابل العلم فلما إستقر به المجلس أقبل على العلم من بين القوم وحياه بالسلام.

(قائلاً) السلام عليك أيها الشيخ الجليل .

(العلم) وعليك السلام أيها الشاب الظريف ورحمة الله وبركاته .

(المال) قد روينا في صحيح الأخبار عن أهل بيت النبي المختار صلى الله عليه وآله ان من الجفاء ان يصحب الرجل الرجل ولا يسأله عن اسمه وكنيته فمن أنت أيها الشيخ .

(العلم) أنا العلم أبو الفضائل .

(المال) حياك الله وبياك الحمد لله الذي وفقني للقائك فطالما كنت مشتاقاً إلى رؤيتك لما اسمعه من الثناء الجميل عليك .

(العلم) ومن أنت أيها الشاب (المال) أنا المال أبو المفاخر .

(العلم) قدمت خير مقدم مرحباً بك وأهلاً وسهلاً (المال) كيف حالك يا سيدى .

(العلم) أنا بخير لو لا ما أقاسيه من هجر أكثر الناس لي والتفريق بيني وبين العمل أخي وصاحبي هذا الجالس بجانبي وأنت كيف حالك .

(المال) أنا في أحسن حال لأني لا أصاحب إلا الأغنياء والوجهاء والعظماء وأتباعد عن أهل الهيئة الرثة والثياب القذرة المسمين بالفقراء إلا أنني قد ابتلي بصحبة البخلاء فيطيلون حبسي ، ويمنعونني عن التصرف في نفسي ، ويضيقون مني الأنفاس ويمنعونني عن معاشرة الناس ، ولا يدعونني استنشق الهواء أو أرى الضياء وانشد :

أنت للمال إذا أمسكته فإذا أنفقته فالمال لك

(العلم) اسأل الله أن يجعلك دائماً في صحبة الكرماء والاسخياء ويعجل خلاصك من أيدي البخلاء أنه سميع الدعاء وانشد :

لا يعرف المال الا ريث ينفقه أو يوم يجمعه للنهب والبدد

(المال) وأنا أسئله تعالى ان يلهم أهل عصرنا الاقبال عليك وان لا يفرقوا بينك وبين أخيك وصديقك العمل انه سميع مجيب وانشد :

ولم يحمدوا من عالم غير عامل ولم يحمدوا من عامل غير عالم
(العلم)آمين آمين لاأرضى بواحدة حتى أضيف اليها الف آميناً

(المال حقاً أنك أخي الشقيق دون كل مخلوق فبك وبي حياة العالمين وانتظام أمر الدنيا والدين وما أنا وأنت في الفضل وعلو الشان الا ككفتي ميزان وانشد :

ما أحسن العلم حيث المال يعضده واقبح الجهل والإفلاس بالرجل

(العلم) لا تعط العبد كراعاً فيطلب ذراعاً أراك أيها الشاب قد تعديت طورك ولم تقف عند حدك وغرك شبابك وزهو نفسك وانشد :

تناول سرحان فريسة ضيغم فقضقضه بالكف منه وحطما

(المال) ولماذا أيها الشيخ الجليل والفاضل النبيل تنسبني إلى تعدي طوري وتقصر بي عن غيري وانشد :

لساني طويل فاحترس من شذاته عليك وسيفي من لساني أطول

وانشد أيضاً :

ألم تعلموا أني صبور على الوغى سريع إلى الداعي إذا أكثر القتل

(العلم) لأنك ساويت نفسك بمن لا تساويه وتشبهت بمن لست له بشبيه وأنشد :

من تحلى بغير ماهو فيـــه كذبته شواهد الإمتحان

(المال) أولست أنا وأنت سيان في الفضل بل رأيت كثيراً من الناس يقدمونني عليك عند العقد والحل وانشد :

أرى كل ذي مال يبر لمالـه وإن كان لاأصل هناك ولافصل
فشرف ذوي الأموال حيث لقيتهم فقولهم قول وفعلهم فعل

(العلم) كلا لقد فضلني الله عليك ورفع قدري فوق قدرك وما فضلك علي الاهل الجهل الذين هم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً وانشد :

لا تدخر غير العلوم فإنها نعم الذخائر
والمرء لو ربح البقاء مع الجهالة كان خاسر

(المال) مالك أيها الشيخ قد سارعت إلى الجدال والخصام وتعمدت خشونة الكلام فان ظننت أني عنك عاجز فها أنا لك مناجز وان جنحت للسلم فذلك أحب إلي وانشد :

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا أو تنزلون فأنا معشر نـزل

وانشد أيضاً :

نصحتك فالتمس ياويلك غيري طعاماً ان لحمي كان مـراً

(العلم) :

هذا أوان الحرب فاشتدي زيم قد لفها الليل بسواق حطم
ليس براعي ابل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم

أني والله لأكره الخصومة كراهة ما عليها من مزيد ولكن لا بد للحر الكريم من ان يحمي حوزته ويدافع عن حقه وانشد :

أظن الحلم دل على قومـــي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيـــم

وأنشد أيضاً :

ومن لم يذد عن حوضـــه بسنبانه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالي ركبت كل لهذم

وأنشد أيضاً :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الـدم

(المال) قد كان يبلغني عنك أنك تحب التواضع وتكره الفخر فقد رأيت غير ما سمعت ورب مشهور لا أصل له وأنشد :

إذا النفس يوماً جاءها ما يهيجها تبين ذو حلم ومن يتحلـم

فان كنت تظن أني عاجز عن منازلتك فاني والله كما قال الأول :

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمراً
ويمشي إذا ما الموت كان أمامـه كذي الشبل يحمي الأنف أن يتأخرا

(العلم) إني وان كان التواضع مشربى والفخر ليس من مذهبي إلا أن الضرورة تدعوني إلى بيان حسبي ونسبي لئلا يغتر الجاهل بكلامك هذا فيظن ان منصبك يساوي منصبي ، فتأخر حيث أخرك الله ولا تقس نفسك بي وأنشد :

وللحلم أوقات وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب

وانشد أيضاً :

العلم فيه جلالـــة ومهابـــة والعلم انفع من كنوز الجوهر
تفنى الكنوز على الزمان وصرفـــه والعلم يبقى باقيات الاعصر

(المال) مهلا أيها الشيخ غض من جماحك وكف عن حماسك فاني لست دونك في الفضل وانا ثمن الدنيا والآخرة وقوام العالم ولولاي لم تكن انت شيئاً مذكوراً فبسببي حصلك أهلوك وحازك ذووك وبى تعمر المدارس وتجهز الجيوش وتحرز الجنات واراك تفخر علي بغير دليل قاطع ولا برهان ساطع وأنشد :

سأعمل نص العيس حتى يكفني غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها على المرء بالاقلال وسم هوان
إذا قال لم يسمع لحسن مقالـه وان لم يقل قالوا عديم بيان

وأنشد أيضاً :

ولي فرس للحلم بالحلم ملجـم ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن شاء تقويمي فاني مقـــوم ومن شاء تعويجي فاني معوج

(العلم) لقد أخطأت المرمى وما اصبت الغرض فهل تكون ثمناً للدنيا والآخرة الابي ولو لم أهدك الطريق لكنت سبباً لخسران الدنيا والاخرة واما قولك بسببي حصلك أهلوك فما أحراه بقول من قال (اقلب تصب) ولو لا بعض ولدي المسمى بعلم الحساب لاقتسمتك الذئاب وكيف تساويني في الفضل والشرف وبمدحي قد نطق القرآن العظيم ،وفاه النبي الكريم عليه وعلى آله أفضل الصلوة والتسليم ، قال الله تعالى (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون . إنما يخشى الله من عباده العلماء) وجاء في السنة الزهراء (العلماء ورثة الأنبياء) وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : العلم

سلطان من وجده صال به ومن لم يجده صيل عليه (وقال عليه السلام) العلم أفضل الكنوز وأجملها خفيف الحمل عظيم الجدوى في الملأ جمال وفي الوحدة أنس (وقال عليه السلام) العالم مصباح الله في أرضه فمن أراد الله به خيراً اقتبس منه (وقال عليه السلام) الجاهل صغير وان كان شيخاً والعالم كبير وان كان حدثاً وقال حكيم الشعراء :

رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللجهال مال
فان المال يفنى عن قريب وان العلم باق لا يزال

وقال آخر :

مضى ذكر الملوك بكل عصر وذكر السوقة العلماء باقي

وينسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

ما الفضل إلا لأهل العلم انهم على الهدى لمن استهدى أدلاء
فقم بعلم ولا تطلب به بدلاً فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(المال) سبحان الله أحفظت ما جاء في حقك من المدح ونسيت ما ورد في حقي فكنت كما قال الشاعر :

يا أيها المدعي في العلم فلسفة حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء

(العلم) وما جاء في حقك من المدح قل حتى أسمع

(المال) أما سمعت قول الله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء) أما سمعت ما جاء في السنة المطهرة في حق المتصدقين من المدح والثناء العظيم مما شاع وذاع وملأ الأسماع وقال الشاعر :

قد قال قوم بغير علم ما المرء إلا بأصغريه
فقلت قول امرىء حكيم ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن درهم لديه لم ترض عرسه عليه

وقال الآخر :

ذريني للغنى أسعى فاني رأيت الناس شرهم الفقير

وقال الآخر :

جذلان يعلم أن المال ساق له ما لم يسقه له دين ولا خلق
فمن يكن عن كريم الناس يسألني فأكرم الناس من كانت له ورق

وقال آخر :

أجلك قوم حين صرت إلى الغنى وكل غني في العيون جليل

وقال آخر :

إني مقيم على الزوراء أعمرها ان الكريم على الاخوان ذو المال
كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ندائي إذا ناديت يا مالي

وقال الآخر :

طلبت فنون العلم أبغي بها العلا فقصر بي عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها فروع وان المال فيها هو الأصل

(العلم) سبحان الله أين قول الله تعالى هذا من الثناء عليك هذا ثناء على المنفقين والمتصدقين لا عليك واني أراك في هذا الافتخار كما قيل :

(افتخرت القرعاء بشعر خالتها) وقيل للبغل من أبوك فقال (خالي

الفرس) وما رأيت لك في الكتاب العزيز والسنة المطهرة إلا الذم والتوبيخ قال الله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) وانا من الباقيات الصالحات وقال تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : في المال ثلاث خصال مذمومة أما أن يكتسب من غير حقه أو يمنع انفاقه في حقه . أو يشتغل بإصلاحه عن عبادة الله تعالى . وأما ما استشهدت به من الشعر فهو عليك لا لك لو عقلت فانه ذم للمال في صورة المدح ولو أتممت الأبيات الرائية لعلم الحاضرون ما فيها من الذم العظيم لك حيث يقول بعد هذا البيت :

وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وان أمسى له حسب وخير (١)
يباعده الندي وتزدريه ... حليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل عيبه والعيب جـــم ... ولكن للغنى رب غفور

(المال) إلى متى تغالط أيها الشيخ في استدلالك تريد أن تغمط فضلي وتحط من قدري فان زعمت انه لا فضل لي إلا بانفاقي في سبيل الله فأنت لا فضل لك إلا بالعمل (قال عليه السلام) العلم بلا عمل كالشجر بلا ثمر بل العالم غير العامل شر من الجاهل وهل تريد برهاناً على ذلك أعظم من علم ابليس وبلعم بن باعورا فهل نفعهما علمهما إذ لم يقرناه بالعمل وأنشد :

ما بال عينك لا ترى أقذاءها ... وترى الخفي من القذى بجفوني

وأنشد أيضاً :

وكل امرىء يرنو إلى عيب غيره ... سريعاً وتعمى عينه عن عيوبه

---

(١) الخير بالكسر : الكرم والجود المؤلف

وأنشد أيضاً :

لا تهتكن من مساوي الناس ما ستروا فيهتك الله ستراً عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ولا تعب أحداً منهم بما فيكا

(العلم) لقد نسبتني إلى المغالطة والمغالط أنت أنا بشرطي خير منك وأفضل وأشرف وأجل أنا ميراث النبيين ومرشد المسترشدين والموصل إلى معرفة رب العالمين ودليل المتحيرين وبي يفتخر النبيون والمرسلون وبك يفتخر الجبارون قال سيد الكونين صلى الله عليه وآله : انا مدينة العلم وعلي بابها . وقال فرعون لو لا ألقي عليه أسورة من ذهب وقال مشركو قريش لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فبقربي يفخر النبيون أما أنت فقد افتخروا ببعدهم عنك قال رسول الله صلى الله عليه وآله (الفقر فخري) وأنشد :

العلم يحيي قلوب الميتين كما تحيا البلاد إذا ما مسها المطر
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه كما يجلي سواد الظلمة القمر

(المال) لو كان ما تقول حقاً من الذم لي لما طلب سليمان بن داود على نبينا وآله وعليه السلام ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ولما ملك ذو القرنين وهو نبي أو عبد صالح مشارق الأرض ومغاربها ولما طلب يوسف عليه السلام من عزيز مصر أن يجعله على خزائن الأرض وأنشد :

سأكسب مالاً أو أموت ببادة يقل بها قطر الدموع على قبري

(العلم) هذا عليك لا لك أما علمت أن عدد الأنبياء عليهم السلام مائة الف نبي وأربعة وعشرن ألف نبي قبل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلو كان للمال شرف كما زعمت لكانوا كلهم مثل سليمان عليه وعليهم السلام

ومحمد صلى الله عليه وآله أفضل من سليمان ومن يوسف عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض ولا ينقص من أجره شيء فأبى أن يقبلها وأنشد :

وكم من قليل المال يحمد فضله وآخر ذو مال وليس له فضل
وما سبقت من جاهل قط نعمة إلى أحد الا أضر بها الجهل

(المال) اني أراك كثير الجدل ألد الخصام وقد كنت الزمت نفسي ان لا أجادل مثلك وأنشد :

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب
ولا أتمنى الشر والشر تاركي ولكن متى أحمل على الشر اركب

(العلم) اني لأخشى أن يكون الذي حداك على هذا الكلام العجز عن جوابي فان كان ظهر لك ان الحق في جانبي فلا يمنعك التعصب لنفسك عن الاعتراف بحقي فالعاقل من يقول الحق ولو على نفسه وأنشد :

ما كلف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يد إلا بما تجد

(المال) كيف يكون الحق في جانبك وقد قال رسول الله (ص) ان كان لك مال فلك حسب وان كان لك خلق فلك مروءة وان كان لك دين فلك كرم (وقال) ابن عباس الدنيا العافية والشباب الصحة والمروءة الصبر والكرم التقوى والحسب المال (وكان) سعد بن عبادة يقول : اللهم ارزقني حمداً ومجداً فانه لا حمد إلا بفعال ولا فعال إلا بمال (وقال) عبد الرحمن ابن عوف يا حبذا المال أصون به عرضي وأتقرب به إلى ربي (وقال) سفيان الثوري المال سلاح المؤمن في هذا الزمان (وقالت) الحكماء لا خير فيمن لا يجمع المال يصون به عرضه ويحمي به مروءته ويصل به رحمه (وقال) حكيم لابنه يا بني عليك بطلب المال فلو لم يكن فيه إلا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكفى .

(العلم) كفى في تفضيلي عليك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لصاحب له يسمى كميل بن زياد : يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو وينمو على الإنفاق يا كميل مات خزان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة ولنقالهم في القلوب موجودة وقال الشاعر :

علمي معي حيث ما يممت ينفعني قلبي وعاء له لا بطن صندوقي
ان كنت في البيت كان العلم فيه معي او كنت في السوق كان العلم في السوق

(المال) ان نفسي تأبى التسليم لك بالفضل وكيف أسلم بفضلك وأنا أرى لنفسي من الفضائل ما ليس لك وأنشد :

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من ان تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

(العلم) يا سبحان الله قد وضح الفجر لذي عينين وبان الصدق من المين وجاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً فإلى متى تركن إلى المخالفة فان كان لك برهان فهاته، أو جواب فأت به فانه لا عطر بعد عروس .

(المال) انك رجل قد تعودت على النزاع والجدال . وتعلمت ترتيب القضايا والاشكال . ومارست صنوف المخادعة والاحتيال . وتمرنت على إقامة الأدلة والبراهين . وربيت في المدارس بين العلماء والمتعلمين . أما أنا فقد ربيت مع التجار من الخان إلى الدكان ومن السوق إلى الصندوق ومن البيت إلى المخزن والذي أظن أن قوة احتجاجك من شدة ذكائك لا لأن الحق في جانبك وضعف احتجاجي لقلة اطلاعي وان كان الحق معي فأنا أريد

بيني وبينك حكماً عادلاً فتراني حء بحكمه قابلاً وأنشد :

فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفاد أو جلاء (١)

(العلم) وإلى من تريد أن تحاكمني وأنا الحاكم على الكل وأنشد :

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومأنا إلى الناس وقفوا

(المال) أحاكمك إلى من حكمه الله تعالى علي وعليك وجعله دليل عباده عليه وبه يثيب ويعاقب وهو ملكنا المعظم العقل .

(العلم) الآن وقد أنصفت فسمعاً وطاعة لحكم العقل .

(ثم أقبلا) على العقل وقالا أيها الحاكم العادل والملك العظيم المسلط الذي إلى حكمه تنتهي جميع الأمور انا أتيناك متخاصمين فاحكم بيننا بما أراك الله فانا بحكمك راضون ولأمرك مطيعون .

(العقل) اجلسا متساويين في مجلس الخصمين لأحكم بينكما حكماً لا يدانيه جور ولا حيف ثم أنشد :

أنا إذا مالت دواعي الهوى وانصت السامع للقائل
واعتلج الناس بآرائهـم نقضي بحكم عادل فاصل
لا نجعل الباطل حقاً ولا نلط دون الحق بالباطل

فجلسا بين يديه متأدبين فقال لهما : تكلما لأسمع خصومتكما

(العلم) انا العلم وهذا المال وهو يدعي مساواتي في الفضل وأنا أدعي التفضيل عليه بحكمك وحكم النقل

(العقل) ما تقول أنت أيها المال فيما يدعيه خصمك

(١) أراد ان الذي يثبت الحق يمين أو حكومة أو بينة .

(المال) اني لا أرى له علي شيئاً من الفضل فاحكم أنت بيننا أيها الحكم العدل .

(العقل) قد فهمت كلامكما واني ادعوكما إل الصلح والصلح خير وانهاكما عن الجدال والخصام . فانهما يجلبان الندامة والملام . فان ابيتما الا القول الفصل حكمت بينكما بمر الحق غير مبال برضى من يرضى ولا بسخط من يسخط (فقالا) بل نريد مر الحق . فعندها وضع العقل يده على جبهته وفكر ساعة ثم رفع رأسه إليهما وقال أقول لكما والحق أقول ان لكل منكما فضلاً ولكل منكما آفة فان سلمتما من الآفات فالفضل للعلم هذا حكمي قد أبرمته والسلام على من اتبع الهدى .

(المال) قد رضيت بما حكمت به أيها الملك العظيم والحاكم العادل وأنا أعتذر إلى العلم واسئله أن يعفو عني ثم تقدم إلى العلم فصافحه

(العلم) قد قبلت عذرك واسئله تعالى ان يبقيك وينميك لتكون لنا عوناً ويجعلك مصروفاً في طاعته امين .

(العقل) بارك الله فيك أيها المال لقد سر الملك من اطاعتك وانقيادك سروراً عظيماً

(المال) الحمد لله الذي وفقني للاذعان بالحق وامتثال أمر الملك

(العقل) وأنت أيها العلم إياك أن تشمخ بأنفك وتفتخر بالغلبة وتغتر بتفضيلي إياك ولا تعرف حق المال عليك فطالما كان السبب في وجودك وحياتك

(العلم) ما أقبلني لنصح الملك واعرفي بحق المال علي

(العقل) وأنتما أيها العلم والمال تعاضدا وتعاونا على نجاح الأمة وسعادتها

ولا تنازعا فتفشلا وتذهب ريحكما

(العلم و المال) سمعاً وطاعة لأمر الملك الشفيق الناصح .

ثم انفض المجلس والكل مبتهجون بهذا الحكم العادل والوفاق المبارك الميمون ولا هجون بالدعاء لملكهم بطول البقاء والنصر على الأعداء ومثنون عليه أطيب الثناء ، تمت هذه المفاخرة الموسومة (بالسحر الحلال في المفاخرة بين العلم والمال) على يد منشئها العبد الجاني محسن الحسيني العاملي نزيل دمشق ضحوة يوم الأحد السابع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٢٩ هـ ببلدة دمشق المحمية حامداً مصلياً مسلما .

حادي عشر : أعجب العجب في المفاخرة بين الراحة والتعب

حدثنا أبو المغوار عن مسافر بن سيار قال ساقتني الأقدار إلى بعض الأمصار فأدى بي التطواف ، إلى مجلس بعض الأشراف ، فلما دخلت حييت بالسلام ، وجلست حيث أجلسني الغلام ، فرأيت المجلس غاصاً بأهله ، غريباً في زيه وشكله ، قد اجتمع فيه العلماء والفقهاء ، والأدباء والشعراء ، والأشراف والأمراء والكتاب والحجاب ، والأعيان والتجار ، وطوائف الخاصة والعامة ، فظننت أنهم قد اجتمعوا لدعوة ، وقلت في نفسي هذه هفوة مني وأي هفوة ، فقد وقعت في التطفيل من حيث لا أدري ، وسيضيق عن ذلك عذري وسألت رجلاً الى جنبي : هل هذه الدعوة لوليمة عرس أو ختان أو سفر إلى حج فقال لا ذا ولا ذاك وإنما اجتمع الناس من كل حدب لسماع المفاخرة بين الراحة والتعب ، فاطمأن جأشي ورجعت إلي نفسي وقلت رب صدفة خير من ميعاد وبينما الناس جلوس على مراتبهم إذ دخل فتى في عنفوان شبابه عطر الثياب ، نظيف الأهاب ، صقيل الخدين ، ناعم الكفين ، بادي النعمة ، يمشي في خدمة ويجلس في خدمة ، فهش له الحاضرون وبشوا فسلم وجلس على الين بساط ، وافخر انماط ، فسألت عنه فقيل لي هو الراحة ودخل معه آخر يقاربه في الزي والشكل يمشي متثاقلا ويخطو متماهلاً فجلس إلى جانبه فسألت عنه فقيل لي هو صاحبه وصديقه الكسل ودخل بعدهما رجل خشن الثياب غليظ الجلباب قوي الأعصاب شثن الكفين عبل الذراعين تبدو عليه

مخايل القوة والجلد يسرع في مشيه ويباعد بين خطواته ومعه رجلان كأنهما اسدان فسلم وجلس ناحية وجلس صاحباه أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله فسألت عنه فقيل لي هو التعب وسألت عن صاحبيه فقيل لي أما الجالس عن يمينه فهو صاحبه وملازمه وهو الجد واما الذي عن شماله فرفيقه وخليطه وهو النشاط فلما إستقر بهم المجلس التفتت الراحة إلى التعب وقالت : حياك الله ياأخي — : وانت فحياك الله وبياك — : من أنت — : أنا التعب واسمي أيضاً النصب — : وما كنيتك — : أكنى أبا الأسفار والأخطار والأعمال والأشغال — : لقد غيرك الدهر بعدي والدهر ذو غير وانشدت :

تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد

— : ومن أنت — : أنا الراحة الظاهرة الملاحة فطوبى لمن كنت له متاحة وبؤساً لمن كنت عنه مزاحة .

(التعب) لا بل البؤس لمن اخلد اليك وعكف عليك فقد فاته مناه وخسر آخرته ودنياه وانشد (للمؤلف) :

اهجر الراحة ان رمت العلا لا ينال المجد إلا بالتعب
بإجتهاد وبسهد دائـــم ووجيف فوق كور أوقتب

(الراحة) سفه رأيك لقد سلكت مسلكاً وعراً وركبت طريقاً صعباً وتعسفت الطريق واوقعت الناس في كل كرب وضيق وحملتهم على المشاق وسقيتهم كأس الزعاق فأصبحت مبغضاً إلى القلوب ثقيلاً على النفوس تستعيذ الناس من شرك وتخاف من اذاك وضرك اما أنا فما زلت حبيبة إلى القلوب شهية عند النفوس وأنشدت (للمؤلف) :

كيف يختار أخو العقل التعب وهو منه كل ذي عقل هرب

فاطلب الراحة في أوطانهـا قد ينال المرء يوماً ما طلب

(التعب) أما علمت أيتها المسكينة أنها لا تنال معالي الأمور إلا بتحمل المشاق وشرب الزعاق وركوب الأهوال والأخطار وان الاخلاد إلى الراحة سبب الحرمان من كل خير :

تريدين إدراك المعالي رخيصة ولا بد دون الشهد من ابر النحل

ولولا المشقة والتعب ما نال امرؤ ما طلب ولا عرف فصل السابق ونقص المقصر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفقر والأقدام قتال

(الراحة) ان الذي يحصل بك من الفوائد لا يقابل ما فيك من المشاق والمتاعب فخيرك لا يقوم بشرك ونفعك لا يعدل بضرك .

(التعب) قد علم كل باد وحاضر أنه لولا التعب ما عرفت لذة الراحة ولولا السهد ما استطيب طعم النوم :

وليست فرحة الاوبات إلا لموقوف على ترح الوداع

فعندها قام (الكسل) ووقف إلى جانب الراحة متثاقلاً متثائباً وارتجل (للمؤلف)

ليس يدري الناس ما نفع الكسل هو بادي النفع عنه لا تسل
هو عند النفس أحلى من عسل واليها هو أشهى من بصل
فبه الراحة من كل عمـل سالم من كل ترحال وحل
ليس يهتم بعقد أو بحـل أو بمن جاء ومن كان رحل
أو بمن عز من الناس وذل ليس يدنو لخصام أو جدل
أو لحرب فيه تقريب الأجل وانتضاء البيض أو هز الأسل

أو قراع الفارس الجلد البطل نام ان ينعس وان جاع أكل
وإذا ما فقد القوت احتمل حافياً يمشي وان شاء انتعل
إن رأى الظل اليه ما انتقل سوف يأتيه فما هذا العجل
أو أراد المشي يمشي في مهـل عنده الاسراع من بعض الخطل
ليس بعروه حياء أو خجـل لا ولا يمنى بخوف أو وجل
لا يبالي او علا أو ان سفل ذا هو العيش فان جاء الاجل
في جنان الخلد مغبوطا دخل ليس بالمسؤل عما قد فعل

رحمة من ربه عز وجل

فعندها قام (النشاط) مغضباً ووقف إلى جانب التعب متوثباً ومد بصره إلى الكسل مصعد أو مصوباً وانشد برفيع صوته قائلاً (للمؤلف) :

خاب فيك اليوم يا هذا الأمل والرجا فيك تلاشى واضمحل
فارتقب مني عقاباً قد نزل بك يقصيك إلى أقصى محل
سوأة للدهر فيما قد فعـــل حينما أصبحت قرناً للكسل
لست قرناً لي لدى هز الأسل فتأخر وامض من غير مهل
خاسئاً أولا فقد حم الأجـل وترى الرأس عن الجسم انفصل

فتأخر الكسل متثاقلاً يجر رجليه وقد شملته الذلة حتى جلس في صف النعال حيث لا يراه النشاط وضحك الحاضرون كلهم مما جرى له فالتفت اليهم النشاط قائلاً : لقد حط هذا الخامل من قدر الراحة بانتصاره لها وانتسابه اليها فماعز من نصره ولا ذل من خذله وكم قد حرم اقواماً من الخير بصحبته لهم وبعدوا عن منازل العظماء بملازمتهم له وأنشد :

حب السلامة يثني عز م صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

فعندها التفتت الراحة إلى التعب وقالت : إنني ابرأ من الكسل فليس بيني وبينه قرابة ولا نسب ولا صحبة ولا مودة فلا تلصق بي عاره ولا تلزمني ذنوبه واوزاره .

(التعب) بل هو أخوك الشقيق وجارك اللصيق وصديقك الحميم وقلما افترقتما في سفر أو حضر وانا أحمد الله تعالى الذي دحض حجتك وأبان نقصك بصحبة الكسل وانتصاره لك وأنشد :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردى فتردى مع الردي

وقال الآخر :

توق صديقاً مثل من واحذر الذي يكون كاي بين عرب واعجم
فان قرين السوء يعدي وشاهدي كما شرقت صدر القناة من الدم

(الراحة) مهلاً فما كل من صاحب احداً تخلق باخلاقه وقد تدعو الضرورات إلى بعض المصاحبات كما قال المتنبي :

وقد يتزيا بالهوى غير أهلـــه ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

(التعب) إلى متى تركنين إلى المجادلة وتنكرين الحقائق الواضحة فقد استبان الصدق من المين ووضح الفجر لذي عينين والاصرار على الخطأ خطأ ثان .

(الراحة) ان من الوقاحة تفضيل التعب على الراحة وانشدت قول المعري :

إذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل

وفاخرت الأرض السماء سقاهة وكاثرت الشهب الحصى والجنادل
فيا موت زران الحياة ذميمة ويانفس جدي ان دهرك هازل

(التعب) ما أهلك الأمم إلا الاخلاد إلى الراحة وما قادهم إلى الكسل إلا حب الراحة وترك العمل وهل تدرك الراحة الا بالتعب وتنال معالي الأمور إلا بالجد والطلب وأنشد :

بقدر الجد تكتسب المعالي ومن رام العلا سهر الليالي
ومن طلب العلوم بغير كدّ أضاع العمر في طلب المحال

واما انشادك لشعر المعري فأنا أحق بالاستشهاد به منك

(الراحة) وماذا ينفع الجد والطلب إذا كان الجد والحظ في صبب وأنشدت :

بالجد لا بالمساعي يدرك الشرف تسري الجدود بأقوام وان وقفوا

(التعب) هدا من تسويلات النفس الباطلة ولا يميل إلى الراحة سوى النفوس الخاملة وترك الجد والعمل اتكالاً على الحظ والبخت نوع من الخذلان نعوذ بالله منه وهو دأب الاتكاليين الخاملين وهل ينال الدين والدنيا بسوى الكد والعمل والتعب والنصب أوما سمعت قول شاعر العرب امرىء القيس ابن حجر الكندي حيث يقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا
فقلت له لا تبك عينك إنما نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

(الراحة) وماذا أفاد امرأ القيس تعبه وكده حيث لم يساعده حظه وجده

(التعب) قد أجاب امرؤ القيس سلفاً عمن هذا الاعتراض (بقوله إنما

نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا) وأجاب عنه الكثيرون من عظماء الرجال في أشعارهم كما قال القائل :

ولا بد أن أسعى لأشرف رتبة وامنع من عيني لذيذ منامي
فاما مقام يضرب النجم دونه سرادقه أو ناعياً لحمامي
إذا أنا لم أبلغ مقاماً أرومه فكم حسرات في نفوس كرام

وقال الآخر (فخاطر بها ان العلاء خطار) وقال آخر :

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مذموماً وخالف مجرما
فان عشت لم اندم وان مت لم الم كفى بك ذلا أن تعيش فترغما

(الراحة) كل من حدثك ان المشي خير من الركوب والتعب خير من الراحة فلا تصدق وأنشدت قول الطغرائي :

فيما اقتحامك لج البحر تركبه وأنت تكفيك منه مصة الوشل

(التعب) وكل من حدثك ان معالي الأمور تنال بغير التعب فلا تصدقي وانشد :

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لا تدرك المجد حتى تلعق الصبرا

وكأنك أيتها الراحة لم تقرأي البيت الآخر الذي جعله الطغرائي جواباً لهذا البيت لما جبلت عليه من الكسل وهو قوله :

أريد بسطة كف أستعين بهـا على قضاء حقوق للعلى قبلي

وقوله في هذه القصيدة :

وذي شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل

طردت سرح الكرى عن وردمقلته والليل أغرى سوام النوم بالمقل
فقلت أدعوك للجلى لتنصرني وأنت تخذلني في الحادث الجلل
فسر بنا في ظلام الليل معتسفاً فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

أما سمعت قول الشريف الرضي حيث يقول :

وصاحب وقذ التهويم هامته دعوته ورواق الليل يؤويني
لا در درك كم نوم على ضمد سقها ولو بطرير الغرب مسنون

وقوله :

يذوق العين طعم النوم مضمضة إذا الجبان ملاعينا بتهجاع

ألم تسمعي قول الشنفرى حيث يقول :

ولي دونكم أهلون سيد عملس وارقط زهلول وعرفاء جيئل(١)
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل
وكل أبي باسل غير أنـــني إذا عرضت إحدى الطرائد أبسل
وان مدت الأيدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل
واني كفاني فقد من ليس جازيا بنعمى ولا في قربه متعلل
ثلاثة أصحاب فؤاد مشيع وأبيض أصليت وصفراء عيطل(٢)
هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد ينطت إليها ومحمل
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزءة ثكلى ترن وتعول

(١) السيد الذئب (والعملس) الأملس (والأرقط) النمر (والزهلول) الخفيف أو الناعم (والعرفاء) ذات العرف الكثير الشعر وهي الضبع (والجيئل) الكثيرة الذهاب والمجيء .
(٢) هي القوس والعيطل الطويلة .

ولست بمهياف يعشي سوامـه مجدعة سقبانها فهي بهل (١)
ولا جبأ اكهى مرب لعرسه يطالعها في أمره كيف يفعل (٢)
ولا خالف دارية متغزل يروح ويغدو داهناً يتكحل (٣)
ويوم من الشعرى (٤) يمج لعابه أفاعيه في رمضائه تتململ
نصبت له وجهي ولاكن دونه ولا ستر الا الاتحمي المرعبل (٥)

واني أراني في احتجاجي عليك كمن يحتج على أن السماء فوق الأرض والجبال أعلى من السهل والنهار أضوء من الليل والعسل أحلى من الحنظل والجبل أكبر من الخردل وأنشد :

تريد على مكارمنا دليلا متى احتاج النهار إلى دليل

(الراحة)

ان تقبل الحق منا فهو بغيتنا وان أبيت تقاضينا إلى حكم

(التعب ومن هو الحكم الذي يحكم بيننا : هو العدل

(التعب) لا يحيد عن حكم العدل إلا من اتصف بالظلم والجهل ثم تقدم الخصمان ووقفا أمام العدل فابتدر التعب وقال : السلام عليك أيها

---

(١) (المهياف) السريع العطش (يعشي سوامه) يرعى إبله ليلا لخوفه من العطش (السقبان) جمع سقب وهو ولد الناقة (المجدعة) المحبوسة عن أمهاتها (البهل) جمع باهل وهي الناقة التي لا صرار عليها (والصرار) ما يشد على الضرع يمنع الرضاع .
(٢) الجباء كسكر الجبان (والاكهى) الجبان الضعيف (والمرب) الملازم .
(٣) الخالف الأحمق (والدارية) الملازم لداره .
(٤) الشعرى نجم يطلع عند اشتداد الحر .
(٥) الاتحمي من برود اليمن (والمرعبل) المتزلف .

الحاكم على الملوك والحكام ومن إليه المفزع في كل نزاع وخصام أنت أساس لملك الوطيد وباتباعك سعد كل سعيد — انا وهذه قد أدت بنا المفاخرة إلى المنافرة ورضيناك حكماً بيننا فاحكم بيننا بالحق

(العدل) وعليك السلام أيها المشفق الذي طالما حافظ على سلامتي واسهر طرفه في حراستي

(الراحة) لا تنس أيها القاضي سعيه ضدك في كثير من المواطن بل من يتعب في إحياء الجور لا يقل عمن يتعب في احياء العدل ان لم يزد عليه

(العدل) ان كان التعب نصرني مرة وقاومني أخرى فلم أجد منك في كل موطن إلا الخذلان وانا بما فطرت عليه لا بد لي من أن أعرف لكل ذي فضل فضله ومعاذ الله أن يمنعني تقصيرك أو تدعوني نصرته لي إلى أن أحكم بغير الحق . وإنما خلقت لأنصف المظلوم من الظالم وأميز الحق من الباطل وسأحكم بينكما حكماً لا يشوبه حيف اجلسا فجلسا ثم فكر ساعة فقال :

إنما الراحة نعمة محضة خص الله بها أولياؤه في الدار الآخرة ولكنها لا تنال إلا بالتعب في دار الدنيا فلا راحة في الدنيا لمؤمن والتعب مشقة تنال به السعادة الأبدية ويتوصل به إلى معالي الأمور ولا ينال شيء من المآرب إلا به ومن ذلك بأن فضل التعب على الراحة .

(انتهت المفاخرة بين الراحة والتعب)

ثاني عشر : قصة كسرى ووزيره بهرام

الفصل الأول

ذهب كسرى مع وزيره بهرام يوماً إلى النزهة في أيام الربيع ولقد لبست الأرض حلة سندسية ظهرت فيها أنواع الأزهار فكأنما رصعت بأصناف الدر والياقوت والعسجد واللجين فلما عادا من نزهتهما وجلسا في القصر المشرف على دجلة (قال كسرى) بهرام : أرأيت يا بهرام كيف تجلت محاسن الطبيعة في تلك المناظر التي شاهدناها اليوم في نزهتنا وما أطيب شذا تلك الرياض التي اجتزناها وارق نسيمها فسبحان خالقها من قادر على ما يشاء — بهرام : أجل أعز الله الملك ان تلك المناظر مما تفتن الألباب ولكن أريج عدل الملك أيده الله في الرعية أطيب ريحاً وأذكى عرفاً فقد سار نشره في جميع البلاد وعم كل قطر وناد كسرى : اني أحمد الله على ذلك ولا شيء الذ عندي وأعظم وقعاً في نفسي من ان أرى العدل ضارباً اطنابه في بلادي ولا شيء أدعى إلى دوام الملك من العدل في الرعية فان الأمة التي تنتشق رائحة العدل لا تجد ولن تجد رائحة الاضمحلال والذل — بهرام : وأنا احمد الله الذي حبب الي العدل والإحسان بفضل وجودي في خدمة الملك واقتدائي بأقواله وافعاله :

كسرى — : كذلك أنت يا بهرام و انني لم أتخذك رئيس وزرائي إلا لما انطويت عليه من حب العدل والنظر في أمور الرعية وأنا أرجو أنك لا تحيد أبداً عن تلك الطريقة القويمة — بهرام : اسأله تعالى ان يجعلني عند حسن ظن الملك بي .

كسرى — : كنا قد أمرنا ببناء دار فسيحة تليق بعظمة ملكنا المتسع الأرجاء فهل فعلت ما أمرناك به — بهرام : أجل اسعد الله الملك قد جمعت لها البنائين والصناع واخترت لهند ستها أبرع المهندسين فتم بناؤها على أحسن ما يرغب الملك ويروم وأصبحت سيدة دور الأرض كما ان صاحبها سيد الملوك — كسرى يجب أن نتخذ لها من أصناف الرياش والأثاث مايليق بمقام الملوك — : بهرام قد فعلت أعز الله الملك ولم يبق شيء مما يلزم لأمثالها إلا وقد نقلته اليها — : هذا هو الظن بهمتك أيها الوزير الحازم وقد سررت كثيراً بأخبارك لي بتمامها وسأكافيك على عملك بما أنت أهله — بهرام : ذلك من فضل الله علي وفضل الملك أعزه الله — : هل دققت النظر يا بهرام في هندسة هذه الدار حتى لا يكون فيها ما يعاب — بهرام : أجل أيها الملك ولكن بقي أعوجاج يسير في جدارها الغربي — : ما تقول يا بهرام قد سئتني بقد ما سررتني وهل يناسب أن تكون دار كدارنا في عظمتها فيها إعوجاج كثير أو يسير — : ليسعني عفو الملك فما كان هذا الإعوجاج عن قصد ولا سوء نية — : وما سببه — : سببه أنه يوجد بجوار قصر الملك بيت لرجل فلاح اسمه (جوبين) قد أبى أن يبيعه فحصل بسبب ذلك إعوجاج في جانب القصر — : إذا كان الأمر كذلك فلا بأس عليك لكن هلا بذلت له أضعاف قيمة بيته واشتريته منه — : قد فعلت أعز الله الملك وبذلت له أضعاف أضعاف قيمته فأبى ان يبيعه فان اذن الملك ان نبعث اليه الآن ونحضره لعله يرضى ببيعه — : لا أرى ذلك موافقاً لأنه ربما يستولي عليه الخوف أو الخجل فيبيعه خوفاً أو إحياء (والمأخوذ حياء كالمأخوذ غصباً) : — إذاً فما يأمر المر الملك ان اصنع — كسرى (يفكر قليلا ثم يقول) : الرأي ان نستدعيه بإظهار قصد الانعام عليه فإذا حضر واطمأن جأشه فاوضناه في ذلك — بهرام : نعم ما رأى الملك لا زالت آراؤه صائبة — : أرسل اليه الآن ما يأتينا به متلطفاً ويخبره إننا

ندعو ه لننعم عليه (يدق بهرام الجرس فيجيء الخادم) : إذهب إلى جوبين الفلاح الذي له بيت بجوار قصر الملك و قل له ان الملك يدعوك لينعم عليك (فيذهب الخادم) – كسرى : أياك يا بهرام ان يظهر منك ادنى شدة على جارنا جوبين فاني لا أحب أن يبيعنا بيته الا عن رضاه وطيب خاطره – بهرام : معاذ الله ان يصدر مني أدنى شدة عليه في غياب الملك فكيف بحضرته – : ذلك هو الظن بك (يدخل الخادم) : أتى جوبين أتأذن له يدخل جوبين بهيئة رثة ويخضع ويقف في آخر المجلس مكفراً (متكتفاً) – : بهرام يا جوبين قد بلغ الملك أعزه الله انك جاره وان ملكنا المعظم قد بلغ من عدله وعطفه على رعيته انه يتفقد احوال فقيرهم قبل غنيهم وضعيفهم قبل قويهم لا سيما وأنت جاره وقد أنعم عليك بالف دينار ذهب فاذهب واقبضهامن خازن بيت المال – جوبين : أشكر الملك الجليل على إنعامه – ويهم بالانصراف – كسرى : لا تعجل يا جوبين فقد أذنا لك بالجلوس فاستريح قليلاً فأنا نحب أن نأنس بك (يجلس جوبين على كرسي متأدباً) – : مرله بقهوة يا بهرام – يدق الجرس فيحضر الخادم – : جيء بقهوة إلى جوبين جار الملك يأتي له بقهوة فيشرب – كسرى : كيف حالك ياجوبين – : بخير ما دام نظر الملك يشملني – : هل أنت مسرور بسكنى دارك التي في جوارنا – كيف لا أسر بها وهي في جوار الملك – سمعت ان هذا الدار ضيقة عليك ولك عيال وأولاد كثيرون وعندك دواب كثيرة – إنني راض بها ولو كانت ضيقة – كيف ترضى بها وهي ضيقة وقد قيل أن من سعادة المرء أن تكون له دار وسيعة وفرس سريعة وامرأة مطيعة – هذه الدار وان كانت ضيقة لكنني أحبها لثلاث خصال (الأولى) أنها ميراثي من ابي وأجدادي (والثانية) إنها مسقط رأسي ومحل ميلادي (والثالثة) وهي أهمها أنها بجوار الملك – : ياجوبين ان دارك ضيقة عليك وأنت ذو عيال ودواب كثيرة وأنا محتاج اليهم ليستقيم

بناء قصري واعوضك عنها داراً هي أوسع وأفسح وأعطيك من الدنانير بقدر قيمتها أضعافاً مضاعفة. هنا فهم جوبين أن هذا الإكرام لم يكن لوجه الله وان أعطاءه الالف الدينار إنما كان لاجل الدار — جوبين : لست أبيعها أعز الله الملك ولو بذل لي أضعاف قيمتها ولا أتركها ما دمت حياً وقد طلب مني وزيرك هذا بهرام بيعها فأخبرته أني لا أبيعها — كسرى : أراك يا جوبين من أهل العقل والفطنة ولا يجمل بك ان تتمسك بهذه الدار إلى هذا الحد. هنا أطرق جوبين وقطب وجهه وسكت قليلاً ثم رفع رأسه وقال : ما علف الكبش السمين إلا ليذبح بالسكين قد ظن جوبين المسكين أن هذا الإكرام لأجل حب الفقراء والمساكين فإذا هو لأمر دفين وسر كمين يراد به أخذ دار جوبين والله لا يحب الظالمين — لا ياجوبين لسنا نريد بك شراً ولا نضمر لك غدراً فليفرخ روعك ولتطب نفسك — كيف يهدأ روعي وتطيب نفسي والملك يسومني بيع داري التي هي مأوى غنمي وأبقاري وبغلي وحماري وعليها صرفت درهمي ودينارى — بهرام : ياجوبين إنك لم تفهم كلام الملك فهو لا يريد أخذ دارك بغير ثمن بل يعطيك ثمنها مضاعفاً فتشتري داراً أوسع منها وأحسن — جوبين : أجل والله قد فهمت والله يعلم أنك تعلم أني فهمت ولكنك تريد المغالطة والخداع وليس جوبين وان كان فلاحا ممن يغالط ويخدع — كسرى : لسنا نريد خداعك يا جوبين فان شئت ان تبيعنا إياها وفيناك ثمنها وان ابيت لم نقهرك على ذلك — أعز الله الملك لست أبيعها بشيء قل أو كثر وانشد :

ولي وطن آليت ان لا أبيعه ... وان لاأرى غيري له الدهرمالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا
لقد الفته النفس حتى كأنه ... لها جسد ان باذ غودر هالكا

فان أراد الملك أخذها مني قهرا فما أصنع – لا ياجوبين لسنا نأخذ من رعيتنا شيئاً بالقهر كيف ونحن الذين نشرنا فيهم لواء العدل والأنصاف (ما هذه الوقعة المرة مع جوبين) – بهرام : هذا الفلاح أيها الملك أحمق قليل العقل يترك مالاً عظيماً ويتمسك بهذه الدار الحقيرة والملك له ان يجبر رعيته على مصلحتهم إذا جهلوها – كسرى لا يابهرام لا ، نحن لا نحب أن نغصب أحداً ملكه – بهرام : إذا لم تشتر هذه الدار ياسيدي يبقى جدار القصر معوجاً رويدك يابهرام (إعوجاج على الحق ولا تقويم على الباطل) ، ثم التفت كسرى إلى جوبين وقال إذهب ياجوبين إلى دارك بارك الله لك فيها ، فوقف جوبين وقال : أعزك الله أيها الملك العادل وأيدك بالنصر وأكثر في الملوك امثالك انني لم أمتنع عن بيع الدار بخلاً بها عنك وإنما أردت أن اختبر عدل الملك وانصافه فاما وقد بان لي عدلك فإني قد وهبتك الدار وطابت عنها نفسي – كسرى : أرأيت يا بهرام ثمرة العدل نزهنا انفسنا عن الحرام فعوضنا الله عنه بالحلال . ثم التفت إلى جوبين وقال إذهب واقبض الالف الدينار التي أمرنا لك بها وإختر احسن دار من دور اتباعنا فخذها واسكنها مع عيالك – جوبين لقد أنعم الملك أعزه الله علي فأكثر فانا أشكره ما حييت (يذهب) – بهرام : الان قد أصبحت دار الملك مستقيمة الجدران خالية من العيوب – كسرى نحمد الله على ذلك .

ويجب ان نضع وليمة وندعو اليها أركان دولتنا واصناف رعيتنا ليشاركونا في الفرح والسرور فمر رئيس الطهاة ان يستعد لذلك – بهرام : إذهب يا غلام وادع لنا رئيس الطهاة (يذهب ويعود) : جاء رئيس الطهاة يا سيدي – : إئذن له يدخل رئيس الطهاة – بهرام : ان الملك يأمرك ان تصنع طعاماً كثيراً وتتأنق فيه فانه يريد ان يدعو اليه أركان دولته واصناف رعيته – : سمعاً وطاعة – : إذهب يا غلام وادع إلى الوليمة بأمر الملك جميع الوزراء وأمراء

الجيوش و التجار وأصحاب المزارع – كسرى : يا بهرام انني أريد أن اسأل كل من يحضر في وليمتنا عن هذه الدار هل يجد فيها عيباً حتى إذا كان شيء من ذلك تداركناه قبل ان ننقل اليها الدواوين ومهام الملك فالعاقل من يعرض كل أموره على نصحائه فان الاخوان بمنزلة المرآة :

والعين تنظر منها ما نأى ودنا ولا ترى نفسها إلا بمرآة

وإذا ظهر أنه ليس فيها عيب فسأنعم على رئيس البنائين بجائزة سنية – بهرام : لا زالت آراء الملك صائبة سديدة ودنوه من رعيته في زيادة وايادية عندهم متواصلة – الغلام : هيىء الطعام وحضر المدعوون يا سيدي – بهرام : قل لهم فليجلسوا على المائدة. وقام بهرام فجلس معهم فلما فرغوا طاف بهم على جميع بيوت الدار وحجرها ومقاصيرها ثم استأذن لهم بالدخول على الملك فدخلوا وأمرلهم بالجلوس على مراتبهم فلما استقربهم المجلس قال لهم كسرى انما دعوناكم لتشاهدوا قصرنا الجديد وتشاهدوا عظمته وتشاركونا في السرور فان الملك يحب ان يكون مع رعيته كالأب الرؤوف ويشركهم في أموره فانهم جناحه ويده التي يسطوبها فقام من كل صنف من المدعوين واحد وقال نشكر للملك أعزه الله عطفه وحنانه ونطلب له من الله النصر والتأييد وطول البقاء – كسرى هل رأيتم في هذه الدار عيباً – فقالوا كلهم لا عيب فيها ولا نظير لها إلا بندويه فانه بقي ساكتاً – كسرى : مالك يا بندويه ساكتاً كأنك ترى ان فيها عيباً – : أجل أيها الملك ان فيها عيوباً ثلاثة – : ماتقول يابندويه فقد أزعجتني بقولك هذا فما هي تلك العيوب – : (الأول) انك أفرطت في توسيعها فتتمكن الشمس منها في الصيف ويكثر فيها البرد في الشتاء (الثاني) ان الملوك تبني قصورها على شطوط الأنهار لتتمتع بالنظر إلى الماء وأنت بنيتها بعيدة عن دجلة (الثالث) ان وكلاءك

كانوا لا يوفون الناس أجورهم ويبخسونهم اشياءهم وربما غصبوا بعض الاحجار والحجر المغصوب في الدار رهن على خرابها — قد جئت يا بندويه بأمر عظيم ولا أظنك صادقاً وأعظم ما يهمني ما ذكرته عن وكلائي فلو علمت أن واحداً منهم صنع شيئاً من ذلك لم أرض من الجزاء له بدون قطع يمينه — : قد سألت أيها الملك فأجبناك ولا يكلف المرء فوق مبلغ علمه — كسرى : أما سعتها فخير المساكن ما سافر فيه البصر واما مجاورة الماء فكنت عند أبي في قصره على دجلة فغرقت سفينة تحته فاستغاث به أهلها فصاح بالسفن ليلحقوهم فغرقوا قبل ان يلحقوهم وهو يتأسف عليهم فعاهدت نفسي ان لا أجاور سلطاناً هو أقوى مني وأما ظلم وكلائي فقد وكلت قوماً امناء لا أظنهم يفعلون شيئاً مما قلت وأما أنت فما حملك على هذا الكلام إلا شيء في نفسك فأخبرني عن سببه — : ان امنني الملك أخبرته بجلية الحال — : لك الامان يابندويه — : ان لي قرية أعز الله الملك كنت انفق حاصلها على عيالي فقبضها مني المرزبان فقصدتك لتنصفني فلم أقدر على الوصول اليك وقصدت وزيرك فلم ينصفني وأنا أودي خراجها منذ سنتين لئلا يزول اسمي عنها وغيري يأخذ حاصلها وهذا غاية الظلم — : يا بهرام أصدق ما يقول — : أجل أيها الملك — : فلم لا أخبرتني بذلك — : خفت ان علمك فيؤذيني المرزبان — كسرى إذا كان الوزير يراقب الظالم فبالحري ان يراقبه غيره — ما حملك على ما فعلت أيها المرزبان فيقوم المرزبان على قدميه ساكتاً — ان جزاءك يا مرزبان ان تدفع إلى بندويه ضعف ما أخذته من أرضه وان يستخدمك سنتين في أي شغل شاء قم يا بندويه وتسلم المرزبان واستخدمه سنتين في أي شغل شئت فيقوم بندويه ويتردد في أخذ المرزبان — : مالك متردداً خذه واستخدمه كما أمرتك — : ان رأى الملك أعزه الله ان يشفعني فيه ويعفيه من خدمتي (فيسكت كسرى قليلاً ثم يقول) اما وقد شفعت فيه فانا نعفيه من الخدمة ولكن يشتري

خدمتك منه كل سنة بالف دينار وقد عزلناه من الوزارة — : إذهب خاسئاً فيخرج المرزبان منكسراً — : وأنت يابهرام مستحق للعزل بتقصيرك وخوفك من المرزبان ولو لا ان لك في المملكة آثاراً جليلة لعزلناك وقد عفونا عنك فإياك أن تعود إلى مثلها — : أنا عتيق عفو الملك ولن أعود إلى مثلها « انشن » وهنا يسمع كسرى صوت ابن آوى من ثلاث جهات — : ما هذا يا بهرام — : ؟ هذا يا سيدي حيوان يقال له ابن آوى — : انه لم يكن موجوداً في مملكتنا قبل هذا الوقت — : نعم انه دخل هذه البلاد من عهد قريب وجاءنا من ناحية بلاد الكرج — : ما السر في عدم وجوده في مملكتنا قبل ووجوده اليوم — : يا سيدي يقولون انه ما كثر الظلم في بلاد الاكثر فيها هذا الحيوان — : يمكن أن يكون هذا صحيحاً بدليل ما وقع من ظلم المرزبان لبندويه فيجب علينا الإجتهاد في إزالة الظلم واني أريد ان أتخذ صندوقاً على باب داري تلقى فيه رقاع المتظلمين ويفتح كل يوم — : نعم ما رأى الملك أيده الله ثم يفكر كسرى قليلاً ويقول : لا هذا يطول أمره بل نتخذ سلسلة طرفها في المجلس والآخر خارج الدار وفيها جرس فإذا حركها المتظلم تحرك الجرس فمر بتهيئتها يا بهرام — أمر بهرام فوضعت حالاً .

وبينما كسرى جالس ومعه وزيره بهرام إذ تحركت السلسلة — : ياغلام أنظر من هذا الذي حرك السلسلة وادخله. فيدخل فلاح فينحني ويكفر ويقف — لماذا حركت السلسلة ؟ — مظلوم أعز الله الملك — من ظلمك — ولدك ابرويز فيغضب كسرى ويقول : بماذا ظلمك ؟ — ان الملك اعزه الله لما كان ذاهباً إلى أرض (الماهين) ليصيف بها ومعه ولده ابرويز عارت فرس من خيول ابرويز في زرع لي فرتعت فيه وافسدته — كنا قد أمرنا منادياً ينادي في العسكر ان لا يضر أحد بالدهاقين والفلاحين ومن خالف عاقبناه اشد العقاب ووكلنا بذلك رجلاً من ثقاتنا يعاقب كل من يتعدى فهل رفعت امرك اليه ؟ —

– نعم ولكنه لم يصنع شيئاً – اجلس . احضروا الموكل بذلك فاحضر – لماذا لم تعاقب ولدي ابرويز وتغرمه ما أتلفت فرسه من زرع هذا الرجل – لم أتمكن من معاقبته وتغريمه أعز الله الملك – احضروا ابرويز – والتفت إلى الفلاح وقال كن مطمئن البال فسآخذ لك ولغيرك بالحق ولو كان من ولدي واعز الخلق علي . واحضر ابرويز – لماذا تركت فرسك ترتع في زرع هذا الدهقان حينما كنا ذاهبين إلى أرض الماهين – معاذ الله أن أتعمد ذلك ولكنها عارت وافلتت بغير علم من غلماني – كان يجب أن توعز إلى غلمانك بزيادة التيقظ والمحافظة – قد أوعزت إليهم بذلك أطال الله عمر الملك فذهلوا وسبحان من لا يذهل – هذا لا يرفع العقاب عنك – انني منقاد لما يأمر به الملك أعزه الله – جزاؤك أن تغرم مائة ضعف مما أفسدته الفرس – سمعاً وطاعة لأمر الملك – قم أيها الدهقان وخذ ما أمر به الملك .

الفصل الثاني

أبو درويش وأبو سطام وقصة الأرغفة

كان رجل مسن يكنى أبا درويش وآخر شاب يكنى أبا سطام مسافرين فالتقيا في الطريق – أبو سطام مرحباً أبا درويش – مرحبتين يا أخي يا أبا سطام – سلامات – عدوك مات – كيف أنت على هذه السفرة – كما ترى مشينا اليوم من خان دنون لغباغب وغدا الله يعلم إلى أين يوصلنا الدرب – إلى أين تنوي بالسلامة – للجولان يا أخي أخبرونا الغنم هناك رخيصة ذاهبون نأتي بتجارة غنم – وأنا على هذه النية يا عم – اذن نذهب سوية – بخدمتك يا عم لكن خطر ببالي شيء – ما هو ؟ – لازم نعمل لنا خيرية حتى يسهل الله لنا ويربحنا – مثل أي شيء – ننذر أن ربحنا الله بهذه السفرة نجعل نصف مربحنا

لطلاب العلم وللمدارس والجمعيات الخيرية – يظهر يا ابني انك إلى الآن فطير – نحن ذاهبون بهذه الشموس وهذا التعب لنعطي دراهمنا للمدارس والجمعيات الخيرية ؟ ما شا الله على هذا الكلام – لا يا أبا درويش ما أريد لك هذا وهل يوجد أحسن من المدارس والجمعيات الخيرية ؟ – أنت تعرف شغلك يا ابني أنا ليس لي فكر بهذا الشيء – اصنع ما تريد – أما انا فلله عليّ نذر ان ربحت بهذه السفرة يكون نصف ربحي للمدارس والجمعيات الخيرية وطلبة العلم خصوصاً المدارس التي تعلم الفقراء والأيتام – أنت حرانا لا أفهم مدارس ولا جمعيات ولا أيتام ولا فقرا كل ما أحصله أضعه في صندوق الحديد – الآن دعنا من هذا ما تريد تتغدى – اي والله جعنا تعال حتى نتغدى . فيجلسان ويخرج أبو درويش صرة فيها ثلاثة أرغفة وأبو سطام صرة فيها خمسة ويأتيهما ثالث – سلام عليكم – وعليك السلام – الاسم الكريم – أبو سالم – من أين أتيت – من عين ترما – تعال تغدّ معنا . فيجلس معهم ويأكلون الارغفة كلها وينفضان الصرر ويضعانها في جيوبهما ويقومون فيخرج أبو سالم كيسه ويخرّج منه ثمانية دراهم ويعطيها لهما فيأخذها أبو درويش ويقول الله يكثر خيرك – خذ اقسمها يا أبا سطام خذ حصتك واعطني حصتي – أبو سطام – خذ هذه ثلاثة دراهم لك وخمسة لي – لا يا أخي هذه مناصفة بيننا لا تطمع نحن تصاحبنا على الخير والشر لا تعمل لنا منازعة – الطمع منك لا مني أنت لك ثلاثة أرغفة أعطيتك ثلاثة دراهم وأنا لي خمسة أخذت خمسة دراهم ما ظلمتك ولا ظلمتني – لا يكون هذا يا أخي لي النصف ولك النصف لا على إرادتك – لا على إرادتي ولا على إرادتك أخذت حقي وأعطيتك حقك – لا يكون هذا لا تذهب من هنا حتى تعطيني تتمة النصف – لا أعطيك ولا بارة وان طولتها تخسر ويتقدم إليه – ما تصنع معي – يدفعه – اذهب من هنا .

وبينما كسرى ووزيره بهرام جالسان وهو يقول له كيف رأيت يا بهرام حكمنا على ولدنا أبرويز ؟ — : قد تجسمت فيه روح العدل أعز الله الملك — لا يكون عدل يا بهرام ما لم يحكم الإنسان على نفسه وولده قبل الغير . وإذا بالسلسلة تتحرك والجرس يدق — اذهب يا غلام وانظر من هذا المظلوم وائذن له بالدخول . فيدخل أبو درويش وأبو سطام — ما ظلامتكما — أطال الله عمر الملك كنت أنا وهذا رفيقي أبو سطام مسافرين جئنا لنتغدى أخرجت أنا ثلاثة أرغفة وهو أخرج خمسة جاءنا ضيف أكل معنا وأعطانا ثمانية دراهم فيريد أن يعطيني منها ثلاثة ويأخذ هو خمسة والحال أطال الله عمرك يلزم أن تكون بيننا مناصفة — ما تقول يا أبا سطام — هكذا جرى — هذا أمر لا ينبغي أن تتنازعا من أجله . تصالحا أبودرويش — لا يا سيدي الله يطيل عمرك ما أقبل إلا على الحق . فيلتفت كسرى إلى بهرام ويقول : هذه مسألة حسابية ت شأن ولكنها تبدو لأمثال هؤلاء هينة بسيطة فمر بإحضار تلميذ من أبناء أسرتنا ليحلها — بهرام للخادم : أحضر لنا التلميذ هرمز ابن الأمير بابك . يحضر التلميذ هرمز ويحيى الملك بالخضوع — : أهلاً بك يا بني منذ كم سنة دخلت المدرسة — دخلتها منذ خمس سنوات أطال الله بقاء الملك وبعد سنة سآخذ الشهادة — لا زلت موفقاً يا بني ولا بد أنك بلغت درجة عالية في الحساب — نعم يا سيدي — ما تقول في رجلين مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة وتغدى معهما ثالث ودفع لهما ثمانية دراهم فما نصيب كل منهما من هذه الدراهم . فأخرج هرمز دفتره وقلمه وحسب طويلاً (ثم قال) هذه مسألة صعبة لم ينضبط معي حسابها — : ولماذا مع أنك تعلمت خمس سنوات — ان أبي ليس له غيري ومن شدة محبته لي لا يدعني أجهد نفسي في التعلم وهذه السنة أخذني معه للمصيف ففاتني عدة دروس — ان الذي فعله معك أبوك أضر مما يفعله العدو مع عدوه وعار على أبناء الأمراء والملوك ان لا

يجدوا في تحصيل العلم . وما يفيدهم الملك بدون العلم ! ادع لنا غيره يا غلام من أبناء صنفه فيجيء بغلام فيدخل ويحيي الملك بالخضوع — ما اسمك يا بني — اسمي جمشيد أعز الله الملك — ابن من — ابن فيروز — من أي بلد أنت ؟ — من قرية صغيرة من قرى الري تسمى السيروان — وما صنعة أبيك — حائك يا سيدي — فإذا أنت من أبناء الفقراء — أجل وهل يكون الحائك غير فقير ولكنه كان يقتر على نفسه وعياله ويصرف على تعليمي — لقد أصاب أبوك فيما فعل وهل أنت ماهر في علم الحساب ؟ — نعم بفضل الله علي وفضل الملك — لعلك مثل هذا الذي هو من أهل بيت الملك لكنه قليل العلم — بالامتحان يكرم المرء أو يهان . فألقى عليه سؤال الأرغفة فأخرج قلمه ودفتره وجعل يحسب ويكتب ثم قال لكسرى يستحق صاحب الثلاثة الأرغفة درهما واحداً ورفيقه سبعة دراهم — لماذا ؟ — لأن (٨) أرغفة كل رغيف (٣) أثلاث نضرب ٨ في ٣ يحصل ٢٤ نقسمها على ٣ لكل واحد ثمانية أثلاث عبارة عن ٣ أرغفة إلا ثلث فهذا له (٣) أرغفة (٩) أثلاث أكل (٨) أثلاث وأكل الضيف من سهمه ثلثاً واحداً وهذا له خمسة أرغفة (١٥) ثلثاً أكل منها ٨ وأكل الضيف ٧ فيستحق صاحب الثلاثة الأرغفة درهماً واحداً ورفيقه ٧ دراهم — كسرى : أرأيت يا بهرام فضل العلم . كان صاحب الخمسة يظن أن لرفيقه ثلاثة دراهم فظهر بفضل معرفة هذا التلميذ ان له درهماً واحداً فقط — لا شيء أفضل من العلم أعز الله الملك — ورأيت كيف أصبح هذا حقيراً بجهله وهو من أبناء الملوك وهذا عظيماً بعلمه وهو ابن حائك فقير — أجل :

ان الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

كسرى : كم تأخذ يا غلام من بيت المال لانك من الأسرة المالكة ؟

– خمسين ديناراً في كل شهر – قد أنزلناها إلى خمسة دنانير وجعلنا الباقي لهذا التلميذ الفقير فإنه أحق بها منك .

هرمز : سلني يا سيدي مسألة غيرها فإني أجيب عنها – أتقدر أن تعرف هذه البركة كم تسع طاسة من الماء – أطال الله بقاء الملك كيف أعرف ذلك ولم أختبرها بالطاسة – أتقدر يا جمشيد أن تجيب عن هذه المسألة ؟ – نعم أعزّ الله الملك وهي من أسهل المسائل – كيف ذلك – ان كانت الطاسة بقدر البركة تسع طاسة واحدة وان كانت بقدر نصفها تسع طاستين وان كانت بقدر ثلثها تسع ثلاث طاسات وان كانت بقدر ربعها تسع أربعاً وهكذا . فيضحك كسرى وبهرام ويقول له كسرى : أحسنت التخلص في الجواب وان قلّت الفائدة .

هرمز : يا سيدي لئن فشلت في هاتين المسألتين فأرجو أن لا أفشل في الثالثة فسلني مسألة أخرى – إذا كنت صياداً وأطلقت البندقية على عشرين عصفوراً على شجرة فكم يبقى على الشجرة من العصافير – يتأمل هرمز قليلاً : هذا عمل في الجمع – لالا في الضرب – لا بل في (الطرح) عشرون نطرح منها ٧ يبقى ١٣ بقي على الشجرة ثلاثة عشر عصفوراً . فيبتسم جمشيد مستهزءاً – هل تعلم جوابها يا جمشيد – نعم لم يبق على الشجرة منها شيء وهل تبقى العصافير على الشجرة بعد أن تسمع دوي البارود . فيضحك كسرى وبهرام – أرأيت يا هرمز سوء عاقبة التكاسل والتهاون في طلب العلم فليكن ما رأيت وسمعت عبرة لك وموعظة . أما أنت يا جمشيد فقد أحسنت في حسابك وجوابك وستكون من أصحاب المناصب العالية في المملكة فجد في طلب العلم – كيف لا أجد في طلب العلم الذي أهلني للمثول بين يدي الملك وسبب لي عطفه وإنعامه .

كسرى — : ما الذي استفدته يا بهرام من هذه المحاكمة — استفدت منها أطال الله بقاء الملك فوائد جليلة (١) لا شيء أفضل من العلم (٢) لا شيء أقبح من الجهل (٣) العالم عظيم وان كان أبوه حقيراً (٤) الجاهل حقير وان كان أبوه ملكاً (٥) يجب اختبار القضاة قبل توليتهم (٦) على القاضي أن يعرف كل علم لا سيما الحساب (٧) شرف علم الحساب من بين العلوم (٨) الفضل بالعلم لا بكبر السن (٩) من لم يعلم ولده فقد عقّه (١٠) خير صفات الملوك العدل ومعرفة الفضل لأهله — يا بهرام أبذل قصارى جهدك في نشر العلم ولا تستكثر شيئاً من المال تبذله في سبيل العلم فان كلمة تصدر من عالم من علماء مملكتنا يكون فيها تدبير لملكنا تغنينا عن جيش جرار والفرق بين العالم والجاهل كالفرق بين الحيّ والميت .

الفصل الثالث

كسرى وبنو تميم

كان كسرى جالساً يوماً ومعه وزيره (بهرام) فقال له بهرام : ان وهرز عامل الملك على اليمن أرسل إلى الملك بأموال وطرف من اليمن فلما كانت ببلاد تميم وثب عليها بنو تميم وانتهبوها فما يأمرني الملك أن أفعل — لا بد من تأديبهم ليكونوا عبرة لغيرهم — أحسن ما يؤدبهم به الملك أن يمنعهم عن سواد العراق فانه لا حياة لهم بدونه — إذا فابعث إلى بسطام قائد جيوش المدائن ومره أن يضع المسالح في طريقهم فلا يدعهم يدخلون إلى سواد العراق . فكتب بهرام بذلك .

اجتماع رؤساء بني تميم

ولما بلغ بني تميم ذلك قال رئيسهم قيس بن عاصم لغلامه : اذهب يا

غلام وادع لي رؤساء بني تميم حاجب بن زرارة وعتاب بن ورقاء الرياحي وعامر بن الطفيل وقل لهم أن قيس بن عاصم يدعوكم للمشاورة في أمر مهم . فذهب الغلام ردعاهم — فدخل حاجب بن زرارة وسلم فقام قيس إجلالاً له ورد عليه السلام ورحب به . ثم دخل عتاب بن ورقاء فقال حياك الله يا قيس — وأنت حياك الله أهلاً بك وسهلاً . ودخل عامر (فقال) سعدت بأسعد طائر — نعمت عيناً وقدمت خير مقدم — كيف حالكم وكيف أنتم — بخير أيها الأمير . وأتى لهم بالقهوة فشربوا وشرب قيس بعدهم — قيس (أما بعد) فانكم أتيتم إلى الملك كسرى بما لا تجهلون وقد أرسل إلينا بما تعلمون ومنعنا من سواد العراق وأنتم رؤساء عشيرتي وقد جمعتكم لاستشيركم فيما نصنعه فان العاقل لا يبرم أمراً حتى يستشير فيه نصحاءه كما قال القائل :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن بحزم نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فان الخوافي عدة للقوادم

فقام حاجب بن زرارة وقال اما بعد فقد قلت فسمعنا وأنت رئيس بني تميم وصاحب أمرهم ولسنا ندخر عنك شيئاً من النصيحة فان شئت ان تحاربه فنحن أطوع لك من بنانك وان شئت أن تصانعه فذلك إليك — وجلس فقال قيس ما رأيي ألا تبع لرأيكم فأشيروا علي (فقام) عتاب بن ورقاء فقال (أما بعد) فإني أرى أن لا نقيم على ضيم ولا ندع كسرى يطردنا من سواد العراق وهو مسرح ابلنا ومرعى خيولنا ومراح شياهنا وان أبى قاتلناه والنصر بيده تعالى يعطيه من يشاء وأنشد :

ولا يقيم على ضيم يراد به الا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

وجلس (فقام) عامر بن الطفيل فقال (أما بعد) فكثير اما تشتبه الشجاعة

بالتهور والذل بالحيلة والتدبير وهذا كسرى وجنوده وفيلته ومرازبته واني أرى ان أعمال الحيلة في هذا الأمر خير من امتشاق الحسام فإذا لم تنجح الحيلة ففي حد السيف غناء وجلس (فقال) قيس اني أرى أن نبعث إلى كسرى رجلاً منا ذا عقل ودهاء وحزم وتدبير فيبدي له عذرنا ويجهد في إرضائه عنا فان رضي وإلا ناصبناه الحرب ولم نقم على الذل والضيم فقال الجماعة نعم ما رأيت الرأي رأيك (فقال) قيس : فاختاروا إذاً رجلاً منكم ذا كفاءة يقوم بهذا الأمر (فقال) عتاب لا أرى لهذا الأمر غير حاجب بن زرارة (وقال) عامر وأنا والله أرى ذلك (فقال) قيس نعم ما رأيتما . اذهب أنت يا حاجب وكن رسولنا إلى كسرى واجتهد في اعمال الحيلة ولا تلن له ليناً يطمعه فيك ولا تقس قساوة تسخطه عليك وتفسد حيلتك (فقال) حاجب حباً وكرامة سأذهب إليه واجتهد في اعمال الحيلة لقلبه عن رأيه وتفرقوا .

دخول حاجب بن زرارة على كسرى

وجلس كسرى يوماً مع وزيره بهرام فقال له كسرى كنا أمرناك يا بهرام بطرد بني تميم عن سواد العراق لوثوبهم على أموالنا المبعوثة من اليمن فهل تم ذلك ـ نعم قد منعناهم عن سواد العراق منعاً باتاً ولا أراهم إلا قد ساءت حالهم بسبب ذلك وبينما هما كذلك إذ دخل الحاجب فقال ان بالباب اعرابياً يزعم أنه حاجب بن زرارة التميمي يستأذن على الملك ـ اذهب وقل له أسيد العرب أنت ؟ فقال لا ـ قل له أفسيد مضر أنت قال لا ـ قل له أفسيد بني أبيك أنت ـ قال لا ولكني رسول ـ ائذن له فدخل حاجب متقلداً سيفاً متنكباً قوساً فقال انعم صباحاً أيها الملك ـ كسرى أهلا بك وسهلا من أنت يا أخا العرب ـ أنا سيد العرب ـ أو ليس قد سألناك أسيد العرب أنت فقلت لا حتى

سألناك أسيد بني أبيك أنت فقلت لا – لم أكن سيد العرب حتى دخلت عليك فلما دخلت عليك صرت سيد العرب – زه املؤا فاه درآ ففعلوا فأخرجه من فيه ووضعه في الجعبة – اجلس فجلس – من أنت يا أخا العرب – أنا حاجب بن زرارة التميمي – ما الذي جاء بك يا حاجب – جئتك وافداً عن بني تميم حين بلغهم سخط الملك عليهم ومنعه إياهم عن سواد العراق – يا حاجب وثبتم على أموالي وانتهبوها وانت الآن تريد ان آذن لكم في دخول سواد العراق هيهات لا يكون ذلك أبداً ولولا أنك رسول لقتلتك – ان عفو الملك أوسع من هذا فليسعنا عفوه – وأين الأموال التي انتهبتموها – وصلنا بها الأرحام وقرينا بها الأضياف وأصلحنا بها بين العشائر وما بقي منها خلال . فتبسم كسرى (وقال) أنتم معشر العرب قوم غدر فان أذنت لكم أفسدتم البلاد وأغرتم على العباد وآذيتموني – النا يقال قوم غدر ومنا تعلم الناس الوفاء حتى ان أحدنا السموأل بن عاديا أسلم ولده للقتل ولم يسلم الدروع التي أودعها عنده امرؤ القيس بن حجر الكندي فضرب به المثل في الوفاء وقال مفتخراً بذلك :

وفيت بأدرع الكندي اني إذا ما خان أقوام وفيت
بنى لي عادياً حصناً حصيناً و بئراً كلما شئت استقيت

واني أعيذ الملك من أن يعتقد في العرب الغدر . . . وان رأى الملك أن يصفح فهو أهل لذلك – : هل تضمن لي عشيرتك إذا أذنت لهم أن لا يفعلوا ما يسوءني – : نعم أنا أضمن لك عشيرتي ان لا يخالفوا لك أمراً – : ومن اين أعلم أنك تفي بذلك – : أرهنك قوسي هذه – : هاتها رهينة عنك فدفعها إليه – : خذها يا غلام وادفعها إلى الخازن وقل له يكتب عليها : هذه قوس حاجب بن زرارة التميمي رهنها عند الملك على وفائه بضمانه لعشيرته أن لا يخالفوا الملك . فأخذها الخادم – : اذهب يا حاجب فقد أذنت لكم ان تدخلوا

السواد فذهب حاجب شاكراً . وجعل وزراء كسرى يتغامزون بينهم ويعجبون من اعتماد كسرى على رهن قوس لا تساوي ثلاثة دراهم (فقال) لهم كسرى ما بالكم لعلكم احتقرتم هذه الرهينة (قالوا) نعم وكيف يظن الملك أن حاجباً يفي بضمانه من أجل هذه القوس (فقال) كسرى ما كان حاجب ليترك هذه القوس لشيء أبداً فانكم لا تعلمون أخلاق العرب ووفاءها وأنا أعلم بها منكم وسترون صدق ما أقول .

وبينما هم كذلك تحركت السلسلة — : انظروا من هذا المتظلم الخادم : هذه حمامة يا سيدي وقعت على طرف السلسلة وخلفها صقر يريد أن يختطفها — : اذهب واطرده عنها — : قد طردته عنها وأخذت الحمامة ووضعتها في مكان حريز ووضعت لها حباً وماء — : الله أكبر تناهى عدلنا حتى وصل إلى الطيور فنحمد الله على ذلك .

ثم تحركت السلسلة — : انظروا هل جاءت حمامة أخرى وتبسم — : لا ياسيدي هذا حمار قد احتك بطرف السلسلة — : أنظر لعله مظلوم — : هذا حمار معه صاحبه وقد حمله عسلاً وسمناً لدار الملك فلما وضع الحمل عنه تحكك بالسلسلة — أظن أن هذا الحمار مظلوم ولعل صاحبه كان قد حمله حملا ثقيلا فائتني بصاحبه فجاء به — : كم حملت حمارك هذا — : حملته نصف قنطار يا سيدي — : ألم أقل لكم أن هذا الحمار مظلوم فجزاء صاحبه أن ينقل الحمل على ظهره من حيث أتى به وان يريح الحمار شهراً كاملاً (فيقول) المكاري : هذه مصيبة لم تخطر على البال — : يا بهرام مر ان ينادي في المملكة ان لا يحمل حمار زيادة على ثلاثين رطلا فظلم الحيوان من أفحش الظلم .

دخول عطارد بن حاجب بن زرارة على كسرى

وبينما كسرى جالس يوماً ومعه وزيره إذ دخل الحاجب وقال ان بالباب

رجلا يقول انه عطارد بن حاجب بن زرارة ويطلب الإذن على الملك – ائذن له – فدخل عطارد (وقال) نعمت صباحاً أيها الملك – أنعم الله صباحك : من أنت يا أخا العرب – أنا عطارد بن حاجب بن زرارة التميمي – مرحباً بك يا أخا بني تميم إذا أنت الذي رهن أبوك قوسه عندنا وضمن لنا بني تميم وقد وفى بضمانه – أجل أيها الملك أنا هو والحمد لله الذي أعان أبي على الوفاء بضمانه ورفع منزلته عند الملك – ما فعل أبوك – انه دعي فأجاب – رحم الله أباك وجعلك خير خلف له اجلس فجلس – من أين أقبلت يا أخا العرب – من منابت الشيح والقيصوم وظلال البان والاراك والدوم من شقة بعيدة وديار شاسعة وفج عميق – كيف تركت مساقط القطر يا عطارد وكيف كانت آثاره في ديارکم – كانت آثاره حميدة أيها الملك .

ألحمت آسا وسدت سوسنا يد أزهار الربيع الأبهج
ثم حاكته تباهي اليمنا هكذا صنعاء أولا تنسج

فلو ترى ربوعنا أيها الملك وقد اكتست حلة خضراء مطرزة بالوان الأزهار .

حاكت يد السحب فيها للربى حللا وللبطاح برودا ذات الوان
من أصفر فاقع أو أبيض يقق أو أخضر نضر أو أحمر قاني

* * *

كان آذريونها والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

– وهل عم القطر جميع بلادكم يا أخا بني تميم – أجل أيها الملك

جادت عليها كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم

فمن عسجدية كانما نثرت عليها الدنانير وبيضاء كأنما بسطت عليها الدراهم وزرقاء كأنما زينت بالفيروزج .

ولازوردية تزهو بزرقتها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

* * *

وكأن محمر الشقيـ ق إذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد

ـ : وكيف خلفت البادية وراءك حين أقبلت الينا يا عطارد ـ : تركت الأرض تضحك من بكاء السماء والجو مكفهراً بالأنواء

وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجود كنا والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب باحمر على أخضر في أصفر أثر مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض

ـ إذا فقد كان القطر ركاماً عندكم هذه السنة ـ أجل ركاماً وأي ركام

فترى فيها الفضا لما ارتدى وله من لامع البرق شنوف
يرقص القطر زفوناً إذ غدا يضرب الرعد بجنبيه دفوف
وترى الآكام في قطر الندى ظهرت في مده مثل الحروف
وترى فيه الرواسي سفناً سبحت ماخرة في لجج
وترى الضب يؤم المكمنا ثانياً برثنه لم يعج

ـ : ما عندك يا عطارد من الأولاد ـ : عندي صبي كأنه دنينير وصبية كأنها خشف غزال ـ : ما اسمهما ـ : الصبي اسمه حسان والصبية إسمها الذلفاء ـ : وما قالت لك الذلفاء حين أردت المسير إلينا ـ : انشأت تقول :

أرى أبي يرحل الوجناء منتحياً قصد المليك على هوجاء شملال
يا رب سلم أبي من كل نائبة واحفظه يا رب في حل وترحال

— : وما قلت لها — : قلت لها

تقول بنتي وقد يممت مغتديا يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليك مثل الذي صليت فاغتمضي نوماً فان لجنب المرء مضطجعا

— : وما الذي جاء بك إلينا يا أخا بني تميم — : جئتك طالباً قوس أبي — : ما أنت الذي رهنتها عندنا وإنما رهنها أبوك — : أجل ولكن أبي قد دعي فأجاب وقد وفى له قومه ووفى هو للملك فرد علي قوس أبي — : جئت يا عطارد من بلاد بعيدة تطلب منا قوساً لا تساوي أربعة دراهم — : إذا كانت حقيرة لا تساوي أربعة دراهم فلماذا قبلها الملك رهناً على قبيلة بني تميم كلها — : وأين نجدها ولعلها ضاعت أو وقدها الطباخون . فغضب عطارد وقال : والله لا أدعها ولو كان في ذلك ذهاب نفسي وعشيرتي . فتبسم كسرى وقال : ليفرخ روعك ولتطب نفسك يا عطارد فانها محفوظة عندنا وانما اردنا بهذا القول اختبارك — إذاً فردها علي — أردها عليك وكرامة ونعمة عين — يا غلام ائتني بقوس حاجب بن زرارة من عند الخازن فجاء بها الغلام فقال كسرى : خذ هذه قوس أبيك لم تتغير وعليها اسمه فهل تعرفها — كيف لا أعرفها وما رأيت أبي مرة إلا رأيتها معه إلى أن رهنها عند الملك وهي التي يقول فيها الشاعر :

هتوف من الملس الجياد يزينها رصائع قد نيطت إليها ومِحمَلُ
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزءة ثكلى ترن وتعول

وها أنا ذا أضعها على رأسي تعظيماً لها ولأبي فقد تشرفت بخزانة الملك وكانت رهينة عنده على ضمان أبي لبني تميم الذي اقترن بالوفاء فحق لها التبجيل والتعظيم — خذها يا عطارد بارك الله لك فيها وقد أمرنا لك بألفي دينار كرامة لك ولأبيك على وفائه — لا زالت عطايا الملك جزيلة وأياديه شاملة وانصرف .

الفصل الرابع

المنجم والفلاح

كان هناك منجم يدور في الأزقة والأسواق ويصيح : منجم منجم ضراب رمل يشق الشعرة نصفين يحسب يبين المراد يعرف النجم يسلك على الشاطرين والغشم يعرف الغايب يبصر يشوف البخت يكتب للتابعة للقرينة لأم الصبيان للبغضة للمحبة للحبل لمعيشة الأولاد للملموس للمتأذي يضرب مندل يجمع الجان والملك الطيبران يلعب على المفتحين والعميان — منجم منجم — يعرف الضائع يظهر المسروق يحير الحرامي ينشف الفم يفرق الولد عن الأم منجم رمال شاطر بكل الأشغال يضرب فال يعمل أعمال أهوال وعلى الله الإتكال تعال يا ابني تعال حتى أريك الأحوال .

فجاء إليه إثنان من الفلاحين أحدهما : — تعرف تخرج الضمير — نعم ياعم نعرف الضمير ونعرف الذي يصير والذي لا يصير — مثلك كثير قالوا نعرف الضمير وما قدروا على شيء — يا عم لا تمدح ولا تذم حتى تجرب كن

مطمئناً لا نأخذ منك أولا شيئاً غير ثمن البخور ان رأيت شيئاً يقطع عقلك تدفع المعلوم وإلا فلست بملزوم ، فيختلي الفلاح برفيقه ناحية ويقول له اسأله عن ابنك حمدان الذي ذهب في سفر برلك وما رجع . وبينما المنجم مشغول بترتيب الرمل وأسباب التنجيم إذ عاد إليه الفلاحان فقال : سل يا عم أنا بقدر مسألتك وزيادة بإذن الله كل شيء يصعّب عليك يسهل علينا — : ان كنت شاطراً وقد حالك أنا أضمر وانت اعرف الضمير — إضمر أي شيء تريده مرحباً بك لابد يطلع ضميرك باذن الله : — أضمرت هات لنرى — اسمك : مرعي عوض — املك — وضحا — أبوك عوض — جيد . فاخرج دفتراً من تحت الدفاتر فيه نقوش وخطوط مختلفة وفتحه — هات فتحة الكتاب على اسم الكريم الوهاب وبيض الفال بالمال : ما صار الشرط الدفع بعد النفع : يا عمي الحمد لله أنت من أهل الذكاء والفهم حالك ظاهرة من رؤيتك وتعد بالنسبة إلى الفلاحين قولة المثل فيلسوفاً ما تعرف انه ما يطلع الفال إلا بالمال هات فتحة الكتاب الله يرضى عليك وأيضاً والثاني إن كان ما طلع ضميرك مالك يرجع إليك — : جيد على هذا الشرط لا يضر : ما تريد : هات المتيسر مجيدي نصف مجيدي لا تكون بخيل : وحياتك ما معي غير ثلاث أبو المئات : اجعلها عشرة قروش الله يرضى عليك : ما معي غير هن : هات يا عمي هات ما يضر فيأخذ ذلك منه ويضعه في الدرج ويفتح الكتاب ويقول على اسم الله يا بركة الشيخ دغمان شيخ الجان طويل الأردان عريض الأسنان كبير الآذان الذي له رأسان ولسانان ومن العيون مائتان ومن الأيدي والأرجل الفان يسكن الوديان ويبعد عن العمران ثم يقلب الكتاب ورقة ورقة : يا عم انشاء الله حظك جيد وفالك مبروك فيقعد ضع أصبعك هنا ضع فيضع اصبعه : يا موخ يا اخنوخ يا موش يا أنوش بالورد مرشوش على الأرض مفروش يا جني الصغير يا قاعداً بالبير يا جني الكبير يا مطلع الضمير احضروا بلا تأخير . وينظر ويتأمل

في الكتاب ـ الفلاح نجمي بأي برج ـ اصبر حتى يتم الحساب . ويكتب ويحسب ـ نجمك بالدلو ـ ان الله أنه جيد ـ الدلو يفرغ ويمتلىء ـ الآن اخرج لنا ما أضمرناه ـ اصبر الآن يطلع ضميرك . ويخط خطوطاً كثيرة في الرمل ويتأمل ـ ان شاء الله يا شيخي بان المطلوب ـ نعم لك غائب من دمك ولحمك ـ يقول بلهفة إي والله فيقول رفيقه ـ يظهر ان هذا المنجم شاطر ـ وعزيز عليك كثيراً ـ اي والله وأعز من عيوني ـ صار له مدة غائب ـ صحيح ـ يا ابني موجود في بلد كبيرة فيها بحر وأشجار كثيرة ويريد أن يجيء لكن صاير له مانع وله امرأة بهذه البلاد تخصه مربوعة لا طويلة ولا قصيرة ـ رفيقه لعله يتكلم عن أم سرحان يظهر أنه شاطر يظهر كل شيء بعينه ـ اي والله هذه ام سرحان ليس غيرها ـ المنجم أظن أنه أخوك ـ أنظر جيداً يا شيخ هذه غلطت فيها ـ لالا اصبر الدنيا غيمت وتخربط معنا الحساب (ويتأمل) ـ ابنك ابنك ـ اي والله ابني الله لا يغرب لك ولداً انشاء الله طيب ـ طيب ما فيه البلا ـ متى يجيء . يتأمل مدة ـ من بعد سبعة أيام أو سبع جمع أو سبعة أشهر أو سبع سنين ـ ان جاء من بعد سبعة أشهر لآتين لك بجدي وان جاء من بعد سبعة أيام لآتين لك بتيس كبير ـ هات الآن ما الذي معك ليس معي غير مجيدي واحد . ويخرجه ويعطيه إياه ـ الله يعوض عليك ـ الفلاح يخاطب رفيقه أو ما تحكي له عن غزالة لعله يعمل لها تدبيراً إذ يظهر أنه شاطر الفلاح الثاني : عندي امرأة رأسها يابس دائماً ناصبة للشر مالها عندك تدبير ـ نعم يا ابني أيوجد شيء ليس له تدبير عند المنجمين ـ : اسمك ـ حمود ـ أمك ـ شاهينة ـ أبوك ـ ملحم ـ زوجتك ـ غزالة ـ أبوها ـ حمادة ـ أمها ـ سعدا ـ جيد هات فتحة الكتاب وبيض الفال . فيدفع له ـ يفتح الكتاب وينظر فيه ويقلب أوراقه ويخط خطوطاً في الرمل ـ يا ابني نجماك بالثور وزوجتك نجمها بالجدي نجمك موافق لنجمها لكنها متأذية ومتلبسها جني أحمر هو الذي

يجعلها تنصب الشرور ويوجد امرأة تخصها متقدمة بالسن قليلا هي التي تفسدها عليك — ويلك هذه حماتي والله هذا المنجم شاطر — رفيقه : شاطر وأي شاطر — وما تدبير ها يا شيخي — جيء بدجاجة سوداء غطس وبابو المائة بخور جاوري وباربعة الأربع حصا البان وبخمسة قروش زعفران الشعرة وتأتي يوم الجمعة عند التذكير انشاء الله يكون خيراً — : والآن ما يلزمني شيء — : بلى اكتب لك حجاباً على طولك تضع له مشمعاً وتلف عليه خيط حرير أخضر وتعلقه برقبتك واعطيك شيئاً ثانياً تضعه لها في الماء وورقة تضعها تحت سعرور البات — : هات وعجل فما بقي عندي وقت — : هات مجيدياً ثمن الحجاب — : تفضل هذا مجيدي وحبة مسك فيأخذ ورقة ويقيسها على طوله ثم يكتب عليها خطوطاً وأشكالاً مختلفة ويكتب في آخرها : حمود انشاء الله لا تعود ويأكلك الدود وان صلحت غزالة وإلا لقفة الزبالة أخذنا المجيدي منك وضحكنا على عقلك ويطوي الكتاب ويسلمه إياه : — إياك أن تفتح الكتاب يفسد العمل ويغضب ملك الجان ولا يعود الكتاب يؤثر — : أمرك مطاع : — خذ هذه الورقة ضعها في الكوز الذي تشرب منه المرأة وهذه ضعها تحت سعرور الباب فيأخذهما ويخرج فيراه متعلم — : ما هذا يا عم — : حجاب يا ابني — : ارني إياه — : لا أريك إياه — : لماذا — : لئلا يفسد العمل ويغضب ملك الجان فيبتسم المتعلم : — أنا كفيل لا يغضب أحد ولا يفسد شيء — : لا يكون ذلك المنجم أوصاني كثيراً ان لا أفتحه — أنا أعرف منك ومن المنجم هاته على عهدتي يأخذه ويفتحه ويقرأه ويتبسم ويتعجب — فيه شيء حتى ضحكت ؟ — يا عم ان الجهل أعظم داء في الإنسان ولو كنت متعلماً ما اغتررت بهذا الهذيان — ما الذي فيه قل لي لوجه الله — اني أخجل أن أقرأ لك ما فيه وأنت مثل والدي — ما يضر اقرأ مسامح — أظن اسمك حمود ولك امرأة اسمها غزالة — نعم فيقرأ له ما كتب فيه — يا ابني أنظر جيداً لعلك ما عرفت

تقرأ – يا عم هكذا مكتوب فيه – لا يا ضربان هذا المنجم يظهر أنه حيال نسف المجيدي وراح امش يا أباملحم حتى ندور عليه والله لافقأن عيونه وآخذ المجيدي منه اشتغلنا يومين حتى حصلناه والله لأرينه النجوم وقت الظهر ويسمعان صوت المنجم – منجم رمال يعرف الضمير والغائب يضرب مندل يشوف البخت يكتب للتابعة للقرينة للبغضة للمحبة لمعيشة الولاد للملموس للمتآذي للضائع فيهجمان عليه ويقبضانه – ما جرى خير ان شاء الله – يخرب بيتك عملت علينا ملعوب وكتبت لنا حجاباً بالمقلوب واشبعتنا فيه مسبات وفت علينا هذه الفوتات اخرج المجديين وربع والثلاث أبو الميات قبل ما افقأ لك العينين واجعلك رجلين – يا عمي حط عقلك برأسك كتبت لك حجاباً ماله وجود وهذا شيء أنت لا تعرفه خل كل شي لأهله – اخرج المجيديين من غير كلام فارغ – انظر إذا ما سكت اسلط عليك شيخ الجان والملك طنطائيل فلا يخلصك منهما سيدنا عزرائيل – إلى الآن تخلط علينا اخرج المجيديين .

وبينما كسرى مع وزيره بهرام وهو يقول له يا بهرام قد مضى يومان ولم تتحرك السلسلة – هذا دليل على أن العدل ضارب اطنابه في أنحاء المملكة بهمة ملك الملوك أعزه الله . وإذا بالسلسلة تتحرك فيقول كسرى : هذا دليل على أن جراثيم الظلم لم تستأصل بعد

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة ما يظلم

– انظر يا غلام من هذا المتظلم وائت به – يدخل الفلاحان والمنجم والمتعلم – أطال الله عمر الملك هذا المنجم عمل علينا ملعوب وأخذ منا مجيديين وثلاث أبو الميات وكتب لنا حجاباً ماله دين – ما تقول – ما عندي خبر ولا أنا منجم – أين الحجاب – يقرأه بهرام فيضحك الملك – من يشهد

لك بهذا – هذا الرجل وهذا الولد ابن المدرسة – أتشهدان بذلك – نعم يا ملك الزمان – ما كانت بابهرام تروج أمثال هذه الخزعبلات عند هذين الفلاحين لو كانا متعلمين لكن حيث نشا جاهلين فلا عجب إذا أدى بهما الحال إلى ما ترى – رد إليهما أيها المنجم ما أخذته منهما وتب عن هذا العمل وإلا حلت بك العقوبة – انا والله يا سيدي لست بمنجم ولا رمال ولا اشتغلت في عمري هذه الأشغال ولكن من مدة تأخرت معنا الحال وما بقي عندنا شيء نطعم العيال والله يرحم أبي الذي ما علمني حتى أصبحت من الجهال وبقيت عطال بطال واضطررت لهذه الأعمال واشهد علي بأني تركت هذا الكار وسأفتش لي على حمار أبيع عليه طول النهار – ان جناية أبيك عليك في عدم تعليمك عظيمة وحيث أظهرت التوبة والندم فقد عفونا عنك – يا بهرام لا شيء أضر على الأمة من الجهل أترى ذلك الفلاح لو كان من أهل العلم هل كان ينخدع بتمويهات المنجم ولو كان المنجم من أهل العلم هل كان يتعاطى هذه الحرفة السافلة – أجل ان الجهل أعظم حاجز يحول بين الأمة ورقيها والذنب كل الذنب في ذلك على الآباء الذين يهملون تعليم أبنائهم وتربيتهم.

(تمت قصة كسرى ووزيره بهرام) .

ثالث عشر : قصة بلوهر الحليم
ويوذاسف ابن ملك الهند

حكي أنه كان في بلاد الهند ملك كثير الجند واسع المملكة مهيب عند الناس مظفر على الأعداء ولكنه كان منهمكاً في شهوات الدنيا ولذاتها وكان أحب الناس إليه من مدح له الحالة التي هو فيها وأبغضهم إليه من نهاه عما هو عليه وقد صار ملكاً في عنفوان شبابه وكان ذا رأي أصيل ولسان بليغ ومعرفة تامة بسياسة الملك فانقادت له الرعية واجتمع له سكر الشباب وسكر الملك فاستطال على الناس واحتقرهم وكان ذا حظ عظيم في الدنيا لا يريد شيئاً إلا ناله غير أنه كان لا يولد له ذكر وكان أهل الدين قد كثروا في بلاده قبل أن يصير ملكاً فلما جلس على سرير الملك زين له الشيطان بغض الدين وأهله فآذى أهل الدين ونفاهم من بلاده وقرب عبدة الأوثان وصنع لهم أصناماً من ذهب وفضة وسجد لها فسارع الناس إلى عبادة الأوثان واستخفوا بأهل الدين لأن الناس على دين ملوكهم .

ملك الهند والناسك

ثم انه سأل يوماً عن رجل من خواص أصحابه فقيل له انه صار ناسكاً فشق ذلك عليه ثم أرسل إليه فلما رآه في ذي النساك سبه وشتمه وقال له بعدما كنت من خواص أصحابي وأكابر أهل مملكتي ضيعت نفسك وأهلك ومالك (فقال له الناسك) أيها الملك ان لعقلك عليك حقاً فاستمع قولي بغير

غضب ولا عجلة ثم افعل ما بدا لك فان الغضب والعجلة عدوان للعقل يحولان بين صاحب العقل وبين الفهم (قال الملك) قل حتى اسمع (قال) أيها الملك غضبك هذا علي من أجل ذنب أذنبته معك أو من أجل ذنب أذنبته مع نفسي (قال) بل من أجل ذنب أذنبته مع نفسك وهو عندي أعظم من ذنبك معي وليس كل من أراد من رعيتي أن يهلك نفسه أتركه وشأنه بل أمنعه عن إهلاك نفسه لأني وليه والحاكم عليه فأنا أحكم عليك لنفسك وآخذ لها الحق منك (قال) أراك أيها الملك لا تأخذني إلا بحجة ولا تقام الحجة إلا عند قاض وليس عليك قاض من الناس لكن عندك قاضيان أحدهما ارضى بقضائه والآخر أخاف منه (قال) ومن هذان القاضيان (قال) أما الذي أرضى بقضائه فهو عقلك وأما الذي أخاف منه فهواك (قال) أخبرني عن سبب اتباعك لطريقة النساك (قال) سببه كلمة سمعتها وأنا صغير السن فغرست في قلبي وما زالت تنمو وتكبر حتى صارت شجرة وصرت بسببها كما ترى (قال) ما هي (قال) سمعت قائلاً يقول يحسب الجاهل الأمر الذي هو لا شيء شيئاً ويحسب الأمر الذي هو الشيء لا شيء ومن لم يرفض الأمر الذي هو لا شيء لم ينل الأمر الذي هو الشيء ومن لم يبصر الأمر الذي هو الشيء لم تطب نفسه برفض الأمر الذي هو لا شيء والشيء هو الآخرة واللاشيء هو الدنيا .

وصف الناسك للدنيا

فأثرت هذه الكلمة في نفسي لأني وجدت الدنيا حياتها موت وغناها فقر وفرحها حزن وصحتها سقم وقوتها ضعف وعزها ذل (أما) ان حياتها موت فلأن صاحبها يحيى فيها ليموت (وأما) ان غناها فقر فلانه لا يقتني الإنسان فيها شيئاً إلا احتاج إلى شيء يصلحه فإذا اشترى فرساً احتاج له إلى

سرج ولجام ومقود وعلف وسائس واصطبل ثم احتاج لكل شيء من ذلك إلى شيء آخر يصلحه وهكذا كلما أحصل عنده شيء احتاج في إصلاحه إلى أشياء فإذا استغنى بشيء واحد افتقر لأجله إلى أشياء كثيرة (وأما) ان فرحها حزن فلأنه إذا فرح بشيء فيها كان ذلك الشيء سبباً لأحزان كثيرة فإذا رزق ولداً كان ما يلحقه من الحزن بسبب مرضه أو موته أو جرحه أو غير ذلك مما يلحقه من البلايا أضعاف سروره به وان رزق مالا كان ما يلحقه من الحزن والهم بتلفه أو الخوف عليه من التلف والسرقة والتعب في حراسته وغير ذلك أكثر من سروره به (وأما) ان صحتها سقم فلأن الصحة والسقم ناشئان من الاخلاط الأربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم وأصح الأربعة وأقربها إلى الحياة الدم وكلما كان الدم في الإنسان أظهر كان الخوف عليه من موت الفجأة والذبحة والطاعون والآكلة والبرسام أكثر (وأما) ان قوتها ضعف فلأن القوي يجمع فيها ما يضره ويهلكه (وأما) ان عزها ذل فلأنه لا يرى فيها شخص عزا إلا أورثه ذلك ذلاً طويلاً فأحق الناس بذم الدنيا من اتسعت عليه الدنيا فهو يتوقع في كل آن أن يفجع بكل ما هو به ظنين وعليه حريص فيتوقع ذهاب ماله وفقد حميمه وتهدم بنائه وفتك الموت به فاذم إليك أيها الملك هذه الدنيا الآخذة ما تعطي السالبة ما تكسو المغوية لمن أطاعها واغتر بها الخائنة لمن ائتمنها الغدارة بمن ركن إليها فهي المركب الشموس والصاحب الخؤون والطريق الزلق يوفى لها وتغدر ويصدق لها وتكذب وينجز لها وتخلف بينا هي تطعم المرء إذ حولته مأكولاً وبينا هي تخدمه إذ جعلته خادماً وبينا هي تضحكه إذ أضحكت منه وبينا هي قد بسطت يده بالعطية إذ بسطتها بالمسألة وبينا هو فيها عزيز إذ أذلته وبينا هو شبعان إذ أجاعته وبينا هو رفيع إذ وضعته وبينا هي مطيعة له إذ عصته وبينا هو فيها مسرور إذا حزنته وبينا هو فيها حي إذ أماتته تضع التاج على رأسه غدوة

وتعفر خده بالتراب عشية تحلي الأيدي بأسورة الذهب عشية وتجعلها في الأغلال غدوة تجلسه على السرير غدوة وترمي به في السجن عشية تفرش له الديباج والحرير عشية وتفرش له التراب غدوة تجمع له الملاهي والمعازف غدوة وتجمع عليه النوائح والنوادب عشية تؤنس أهله به عشية وتوحشهم منه غدوة تطيب ريحه غدوة وتنتنه عشية تجد في كل من كل خلفاً وترضى بكل من كل بدلاً تسكن دار كل قرن قرناً وتطعم سؤر كل قوم قوماً تقعد الاراذل مكان الأفاضل والفجرة مكان البررة وتنقل أقواماً من الجدب إلى الخصب ومن الفقر إلى الغنى ومن المشي إلى الركوب ومن البؤس إلى النعمة ومن الضعف إلى القوة ومن الشدة إلى الرخاء حتى إذا غمستهم في ذلك انقلبت بهم فسلبتهم الخصب واعادتهم إلى أجدب الجدب واستردت منهم الغنى وردتهم إلى الفقر ونزعت منهم القوة وعوضتهم بالضعف وأخذت منهم النعمة وابتلتهم بأضيق الضيق وأبأس البؤس .

وأما قولك اني ضيعت أهلي وتركتهم فاني لم أضيعهم ولم أتركهم ولكني واصلتهم وحافظت على صحبتهم لكنني كنت في أول الأمر أنظر بعين مسحورة لا أعرف بها الأهل من الغرباء ولا الأصدقاء من الأعداء فلما تجلى عن عيني الغشاء ظهر لي ان الذين كنت أعدهم أهلاً وأصدقاء إنما هم سباع ضارية لا همة لها إلا أن تأكلني لكنهم مختلفون في ذلك على حسب اختلاف قدرتهم فمنهم كالأسد في سطوته ومنهم كالذئب في النهب والغارة ومنهم كالكلب في الهرير والبصبصة ومنهم كالثعلب في الحيلة والسرقة .

فلو تأملت أيها الملك مع عظيم ملكك وكثرة جنودك وأهلك وحاشيتك لعلمت أنك وحيد فريد ليس معك أحد من الناس وذلك لأن غير أمتك عدو لك وفي أمتك كثير ممن يبطن لك العداوة والغش زيادة على سائر الأمم فهم

أشد عداوة لك من السباع الضارية وأما عمالك وأهل طاعتك فمنهم من يعمل لك بأجر معلوم ويحرص دائماً على أن يزداد من الأجر وينقص من العمل واما أقرباؤك وخاصتك فمع أنك جعلت كدك وكدحك لهم وأنت دائماً تؤدي إليهم الضريبة فليس كلهم براض عنك ولو وزعت بينهم جميع أموالك وان حبست عنهم ذلك لم يرض عليك منهم أحد .

أما أنا فقد اتخذت لي أهلا وأصدقاء يحبونني وأحبهم فلا عداوة بيننا وينصحونني وأنصحهم فلا غش بيننا ويصدقونني وأصدقهم فلا تكاذب بيننا وينصرونني وأنصرهم فلا تخاذل بيننا ويطلبون الخير الذي ان طلبته معهم لم يخافوا ان اغلبهم عليه أو أختص به دونهم فلا تحاسد بيننا يعملون لي وأعمل لهم بأجور لا تنفد فالعمل دائم بيننا هم هداتي ان ضللت وأعواني ان ضعفت وحرزي إذا خفت قد تركنا الدور والمنازل وتنزهنا عن الأموال والمكاسب فلا تفاخر بيننا ولا تكاثر ولا تباغض ولا تحاسد ولا تباغي ولا تقاطع وهم أهل الدين والنسك .

فهؤلاء أهلي وأحبائي الذين انقطعت إليهم وتركت أهلي من النسب وأحبائي المظهرين لي المحبة لمنافع الدنيا الذين كنت أنظر إليهم بالعين المسحورة لما ظهر لي حالهم .

فهذه أيها الملك الدنيا التي أخبرتك أنها لا شيء فان أحببت أن أصف لك حال الآخرة التي هي الشيء فاستمع لقولي اذكر لك من أمرها ما لم تسمعه في شيء من الأشياء فلم يزده الملك على ان قال له كذبت لم تصب فيما فعلت ولم تظفر إلا بالشر والشقاء فاخرج من بلادي فانك فاسد مفسد .

ولادة يوذاسف ابن الملك

وولد للملك في تلك الأيام بعد يأسه من الذكور مولود لم ير الراؤون مثله قط حسناً وجمالاً ففرح الملك به فرحاً شديداً وزعم أن الأوثان هي التي وهبت له هذا المولود فقسم جميع الأموال التي في خزانته على بيوت الأوثان واولم للناس وليمة استمرت سنة كاملة وسمى ذلك المولود (يوذاسف) .

وجمع العلماء والمنجمين وسألهم عن المولود فأخبروه أنهم يجدونه يبلغ من الشرف والمنزلة ما لم يبلغه أحد في بلاد الهند لكن واحداً منهم قال ما أظن الشرف الذي يبلغه إلا شرف الآخرة وأظن أنه سيكون إماماً في الدين والنسك لأني أرى الشرف الذي يبلغه لا يشبه شرف الدنيا فاغتم الملك لذلك غماً شديداً حتى كاد يبغض الغلام وكان المنجم الذي قال هذا القول أعلم المنجمين وأوثقهم عند الملك .

فأمر الملك بمدينة فأخليت للغلام وجمع له من المراضع والحواضن والخدم كل ثقة وأمرهم أن لا يذكروا فيما بينهم موتاً ولا آخرة ولا حزناً ولا مرضاً ولا فناء حتى تتعود ألسنتهم على عدم التكلم بذلك وتنساه قلوبهم وأمرهم إذا كبر الغلام أن لا يذكروا أمامه شيئاً من ذلك مخافة أن يعلق بقلبه شيء منه فيتبع أمر الدين والنسك وجعل بعضهم رقباء على بعض وازداد بغض الملك للنساك مخافة على ولده .

الوزير وراتق الكلام

وكان لذلك الملك وزير عاقل حازم مدبر ناصح للملك لا يخونه ولا يغشه ولا يقصر في شيء من أمور المملكة وكان مع ذلك رجلاً لطيفاً بشوشاً معروفاً بالخير محبوباً عند الرعية وعند الملك ولكن خاصة الملك وأقرباءه

كانوا يبغضونه حسداً له ويتربصون به الدوائر .

فخرج الملك ذات يوم إلى الصيد ومعه الوزير فرأى الوزير في شعب من الشعاب رجلاً قد أصابته زمانة في رجليه ملقى في أصل شجرة لا يستطيع براحاً فسأله عن شأنه فأخبره أن بعض السباع فعل به ذلك فرق له الوزير فقال له المقعد احملني إلى منزلك فانك تجد عندي منفعة فقال سأحملك وان لم أجد عنك منفعة ولكن ما هذه المنفعة التي عندك هل تحسن صنعة من الصناعات أو عملاً في الأعمال قال لا ولكني ارتق الكلام فقال وكيف ترتقه قال إذا كان فيه فتق ارتقه حتى لا يجيء من جهته فساد فلم ير الوزير قوله شيئاً وأمر بحمله إلى منزله وأمر له بجميع ما يحتاجه .

غضب الملك على وزيره وتخلصه بواسطة راتق الكلام

ثم ان خواص الملك واقرباءه لم يزالوا يطلبون الحيلة في إهلاك الوزير حسدا له وأجمعوا على أن يدسوا رجلاً إلى الملك يقول له أن الوزير طامع في ملكك وهو يجتهد في تدبير هذا الأمر ويترقب الفرصة فإن أردت أن تعرف صدق ذلك فأخبره انك عزمت على ترك الملك واتباع طريقة النساك فانك تراه يفرح بذلك فرحاً عظيماً وكانوا علموا من حالة الوزير ان له ميلاً إلى الدين وحباً للنسك والزهد .

فلما دخل الوزير على الملك قال له الملك قد عرفت حرصي على الدنيا وطلب الملك وقد نظرت في أمري فوجدت ان ما مضى من عمري في الملك لم أحصل منه على طائل وسيكون حال ما بقي من عمري كحال ما مضى وقد زهدني ذلك في الملك وشوقني إلى عمل الآخرة فأنا أريد أن أترك الملك وألحق بالنساك فما رأيك في ذلك ؟

فقال له الوزير نعم ما رأيت واني لأرجو ان يجمع الله لك خير الدنيا الآخرة وظهر منه سرور عظيم بذلك .

فكبر ذلك على الملك ولم يبد الوزير شيئاً لكن الوزير عرف الثقل في وجه الملك فانصرف إلى داره حزيناً كئيباً لا يدري ما يصنع ولا يعلم من أين دهي وبات ليلته قلقاً ساهراً ثم انه خطر بباله ذلك الرجل الذي زعم انه يرتق الكلام فأرسل إليه فقال انك كنت قلت لي انك ترتق الكلام قال نعم وهل احتجت إلى شيء من ذلك قال نعم اني منذ صحبت هذا الملك ما وجدته تغير علي مثل تغيره اليوم قال وهل لذلك سبب قال نعم وحكى له ما جرى له مع الملك قال له من هنا جاء الفتق وانا ارتقه انشاء الله أعلم أن الملك ظن انك تطمع في ملكه بسبب بعض الواشين فأراد أن يختبرك فلما ظهر له منك السرور بما دعاك إليه اعتقد صحة ما قيل فيك فهذا هو الفتق واما رتقه فإذا كان غدا فانزع ثياب الوزارة والبس ثياباً خلقة مثل ثياب النساك واحلق رأسك وبكر إلى باب الملك وقل له لا ينبغي لأحد أن يشير على صاحبه بشيء إلا واساه فيه وقد استشرتني أمس في ترك الملك واللحوق بالنساك فاشرت عليك وأنا أحب أن أشاركك فقم بنا ان كنت باقياً على عزمك .

ففعل الوزير كما قال له الراتق فعلم الملك صدقه وزال ما كان في نفسه عليه .

نفي الملك للنساك ومعاقبته إياهم

ثم ان الملك أمر بنفي النساك من جميع بلاده وتوعدهم بالقتل فمنهم من هرب ومنهم من استخفى .

وخرج الملك ذات يوم متصيداً فرأى شخصين من بعيد فأمر بهما فاحضرا

فإذا هما ناسكان فقال لهما لمَ لم تخرجا من بلادي فقالا لم يبلغنا الخبر إلا الآن وها نحن خارجان فقال لم خرجتما راجلين قالا لأنا ضعفاء ليست لنا دابة ولا زاد قال الملك ان من خاف الموت أسرع بلا دابة ولا زاد قالا انا لا نخاف الموت ولا نحب شيئاً مثل الموت قال وكيف لا تخافان الموت وقد زعمتما أنكما خرجتما حين بلغكما أمري أفليس هذا هو الهرب من الموت فقالا ما هربنا خوفاً من الموت ولكن خوفاً من أن نعينك على أنفسنا فغضب الملك وأمر بإحراقهما فأحرقا ونادى في مملكته بإحراق كل ناسك يجدونه فيها فتجرد رؤساء عبدة الأوثان في طلب النساك وأخذوا منهم بشراً كثيراً وأحرقوهم بالنار فلذلك صار الإحراق بالنار سنة باقية عند أهل الهند وبقي من النساك جماعة قليلة في الهند مختفين متسترين ليكونوا دعاة وهداة لمن تمكن من الوصول إليهم .

ما جرى ليوذاسف ابن الملك

واما يوذاسف ابن الملك فانه نشأ في أحسن نشأة في جسمه وعقله لكنه لم يأخذ بشيء من الأدب إلا بما يحتاج اليه الملوك مما ليس فيه ذكر موت ولا زوال ولا فناء واوتي من العلم والعقل شيئاً كان عند الناس من العجائب وكان أبوه لا يدري أيفرح بما أوتي من ذلك أم يحزن لما يتخوفه عليه ان يدعوه ذلك إلى اتباع النساك كما قيل فيه (فلما) فطن الغلام بحصرهم اياه في المدينة ومنعهم له من الخروج ارتاب لذلك ولكنه سكت وقال في نفسه هم أعلم بما يصلحني (فلما) كبر وتم عقله قال ما أرى لهؤلاء علي فضلاً ولا ينبغي ان اقلدهم امري واراد ان يسأل أباه عن سبب حصرهم اياه ثم قال ليس هذا إلا منه فلا يمكن ان يطلعني على السبب ولكن يلزم ان اسأل غيره من أهل العقل والمعرفة والنصح وكان في خدمته رجل كان ارأف الكل به وأشدهم ملاطفة

له فطمع في الوقوف على الخبر منه فلما خلا به قال له انك بمنزله والدي وأنت أولى الناس بي وان هذا الملك صائر إلي بعد والدي فاما ان تكون اسعد الناس في أيامي أو اشقاهم فقال له الحاضن وبأي شيء تتخوف علي ان أكون أسوأ الناس حالاً في أيام ملكك فقال بأن تكتم عني اليوم خبراً افهمه غداً من غيرك فاعاقبك بأشد العقوبة وان أخبرتني به كنت عندي سعيداً فعرف الحاضن منه الجدو الصدق فأخبره بالخبر وما قاله المنجمون لأبيه فشكر له الغلام ذلك وكتمه .

ثم ان الملك دخل على ابنه فقال له يا ابة اني وان كنت صبياً الا ان الله تعالى أعطاني من العقل ما أعرف به تغير الأحوال واني وجدت بعدما كنت معدوماً وسأموت بعدما كنت حياً وانك لا تبقى على الحالة التي أنت فيها وستنتقل عنها فان كنت اردت ان تخفى عني آمر الزوال والفناء فما خفي عني ذلك ان كنت حبستني ومنعتني من معاشرة الناس خوفاً ان تتوق نفسي إلى غيرما انا فيه فقد تركتني بحبسك اياي لا تتوق نفسي إلا على غير ما انا فيه فخل عني واعلمني بما تكره حتى اجتنبه .

فلما سمع الملك ذلك من ابنه علم أنه قد فهم ما يكرهه أبوه وان حبسه ومنعه لا يزيده الا حباً لما يكرهه أبوه وحرصاً عليه (وحب شيء إلى الإنسان ما منعا والمرء حريص على ما منع .)

فقال له يا بني اني لم أقصد بمنعي أياك عن الخروج الا ان انحي عنك الأذى فلا ترى الا ما يوافقك ولا تسمع إلا ما يسرك فإذا كان هواك في غير هذا فان أحب الأشياء الي ما يرضيك ثم أمر الملك أصحابه ان يركبوا به في أحسن زينة وان ينحوا عن طريقه كل منظر قبيح وان يهيئوا له آلات الطرب والملاهي ففعلوا ذلك .

فجعل بعد ذلك يكثر من الركوب والخروج فمر ذات يوم على طريق قد غفلوا عنه ولم ينحو منه المؤذيات فرأى رجلين من السوال أحدهما قد تورم واصفر لونه والآخر أعمى يقوده قائد فلما رأى ذلك اقشعر بدنه وسأل عنهما فقيل له أما المتورم فمن مرض باطني واما الأعمى فمن مرض أصاب عينيه فذهبتا فقال وان مثل هذا ليصيب الناس قالوا نعم قال هل يأمن أحد أن يصيبه مثل ما أصاب هذين الرجلين قالوا لا فرجع ذلك اليوم مهموماً مغموماً مستحقراً لما هو وابوه فيه من الملك .

ثم ركب في موكبه فمر بشيخ كبير قد انحنى من البكر وابيض شعره وتغير لونه فتعجب منه وقال من هذا فقالوا له هذا الرجل الهرم فقال وفي كم يبلغ الرجل مثل هذه الحال قالوا في ثمانين سنة أو نحوها قال وما بعد هذه الحالة قالوا الموت قال وهل يمكن للإنسان ان يخلص نفسه من الوصول إلى هذه الحال ومن الموت قالوا لا قال وما أكثر ما يعيش المرء في الدنيا قالوا مائة سنة إلى مائة وعشرين سنة فقال الشهر ثلاثون يوماً والسنة إثناعشر شهراً وانقضاء العمر مائة سنة فما أسرع اليوم في الشهر واسرع الشهر في السنة وأسرع السنة في العمر فانصرف وهو يردد هذا الكلام وبات ليلته كلها ساهراً فانصرفت نفسه عن الدنيا وشهواتها وكان يداري أباه ولا يخبره بما يضمره ويصغي إلى كل متكلم بكلمة رجاء ان يسمع شيئاً يدله على غير ماهو فيه .

ثم انه خلا بحاضنه الذي كان افضي اليه بسره فقال له هل تعرف أحدا على غير ما نحن فيه قال نعم قد كان قوم يقال لهم النساك رفضوا الدنيا وطلبوا الآخرة ولهم كلام وعلم ولكن الناس عادوهم وابغضوهم وحرقوهم ونفاهم الملك من هذه الأرض فلا يعلم اليوم ببلادنا منهم أحد فاغتم ابن الملك لذلك وصار همه الاجتماع بالنساك ومعرفة ما هم عليه حتى شاع خبره في الآفاق .

سماع بلوهر الحكيم خبر ابن الملك وتحيله للدخول عليه

فبلغ ذلك رجلا يقال له (بلوهر) بأرض سر نديب من بلاد الهند وكان ناسكاً حكيماً فركب البحر حتى أتى إلى أرض سولا بط فنزع زي النساك وتزيا بزي التجار وأتى إلى باب ابن الملك وتعرف بأصحابه وجعل يتردد اليهم حتى اتصل بالحاضن الذي افضى اليه ابن الملك بسره وعرف منزلته عند ابن الملك فقال له اني رجل من تجار سر نديب ومعي سلعة نفيسة لا تليق بغير ابن الملك لأنها تبصر العميان وتسمع الصم وتداري من الاسقام وتقوي الضعيف وتعصم من الجنون وتنصر على العدو فاذكرها له فان رغب فيها أدخلتني عليه فقال له الحاضن انك تذكر أمراً عظيماً ماسمعنا بمثله منّ أحد قبلك واني أراك رجلا عاقلاً ولكن لا ينبغي لمثلي أن يخبر ابن الملك بشيء لا يعرفه فاعرض علي سلعتك فان وجدتها موافقة أخبرته بها قال بلوهر اني رجل طبيب وأرى في بصرك ضعفاً فاخاف ان نظرت إلى سلعتي ان ينخطف بصرك ولكن ابن الملك رجل شاب صحيح البصر فلا أخاف على بصره إذا نظر إليها فان أعجبته فهي مبذولة له على ما يجب وإلا فليس عليه ضرّر ولا خسارة والذي معي شيء نفيس عظيم لا ينبغي أن تحرمه ابن الملك فانطلق الحاضن إلى ابن الملك وأخبره بذلك فحسن قلبه بانه قد وجد حاجته واستبشر وقال للحاضن عجل إدخال هذا الرجل علي ولكن ذلك سراً ولا تخبر به أحداً فان مثل هذا لا يتهاون به فأمر الحاضن بلوهر بالتهيوء للدخول على ابن الملك فحمل معه سفطافيه كتب وقال للحاضن في هذا السفط سلعتي فلما دخل على ابن الملك سلم عليه فأبلغ وأحسن ابن الملك إجابته وانصرف الحاضن وقعد بلوهر عند ابن الملك فأول ما قال له بلوهر رايتك يا ابن الملك زدتني في التحية على ما تصنع بغلمانك واشراف أهل بلادك قال ذلك لعظيم ما رجوته عندك قال بلوهر اكرامك إياي لأجل ما ترجوه عندي يشبه .

خبر الملك العادل والرجلين الزاهدين

قال وما خبره قال كان ملك من الملوك يعرف بالخير والصلاح فبينما هو يسير يوماً في موكبه إذ رأى رجلين ماشيين من أهل الدين والصلاح وعليهما الثياب الخلقة فرمى بنفسه عن فرسه إلى الأرض وحياهما وصافحهما فعاب عليه وزراؤه ذلك فأتوا إلى أخيه فقالوا له ان الملك ازرى بنفسه حيث نزل عن دابته لأجل إنسانين دنيين فعاتبه أنت على ذلك وانصحه بأن لا يعود لمثله ففعل ذلك أخوه فأجابه الملك بجواب لا يعلم منه انه راض منه أو ساخط عليه وكان للملك مناد يسمى منادي الموت فإذا أراد قتل رجل أمره أن ينادي في فناء داره فيعلم الناس انه يريد قتله فلما كان بعد أيام أمر منادي الموت أن ينادي في فناء دار أخيه ففعل فقامت النوادب والنوائح في دار أخيه ولبس ثياب الموت وذهب إلى دار الملك وهو يبكي فلما دخل عليه وقع إلى الأرض ونادى بالويل والثبور وجعل يتضرع إليه ليعفو عنه فقال له الملك أيها السفيه انك جزعت من مناد نادى على بابك بأمر مخلوق مثلك وهو أخوك وأنت تعلم أنه ليس لك إليه ذنب وأنتم تلومونني في وقوعي عن فرسي إلى الأرض حين أتاني منادي ربي وأنا أعرف منكم بذنوبي فاذهب فاني علمت أنه إنما استفزك وزرائي وسيعلمون خطأهم ثم أمر الملك بأربعة توابيت فصنعت له فطلى اثنين منهما بالذهب وملأهما جيفاً ودماً وعذرة وشعراً وطلى اثنين بالزفت ثم ملأهما ذهباً وجوهراً ومسكاً وعنبراً ثم جمع الوزراء الذين عابوا عليه تواضعه للرجلين وعرض عليهم التوابيت الأربعة وأمرهم بتقويمها فقالوا اما التابوتان المطليان بالذهب فلا قيمة لهما لفضلهما واما التابوتان المطليان بالزفت فلا قيمة لهما لدنائتهما فأمر بالتابوتين المطليين بالزفت ففتحا فأضاء البيت بما فيها من الجواهر والذهب وأمر بالتابوتين المطليين بالذهب ففتحا

فاقشعر أهل المجلس من سوء منظرهما وتأذوا برائحتهما فقال لهم مثل الرجلين الذين ازدريتم لباسهما وهما مملوءان علماً وحكمة مثل التابوتين المطليين بالزفت المملوءين من الذهب والجواهر ومثل الذي يلبس اللباس الفاخر وينظف بدنه ويطيبه وباطنه مملوء بالجهل والصفات الذميمة مثل التابوتين المطليين بالذهب المملوءين من الجيف والعذرة وسائر القذرات بل الصفات الجميلة أفضل من الذهب والجواهر والصفات المذمومة أقبح وأشنع من العذرة والجيف فقال القوم قد فهمنا واتعظنا أيها الملك (وكان) يوذاسف متكئاً فاستوى جالساً وقال زدني مثلاً أيها الحكيم قال بلوهر :

مثل الحكمة كمثل البذر

وذلك ان الزارع يبذر الحب الطيب فيقع بعضه على حافة الطريق فيلتقطه الطير وبعضه على الصخر الذي عليه شيء من التراب فحينما تصل عروقه إلى الصخر ييبس وبعضه بأرض ذات شوك فيغلب عليه الشوك فيموت وبعضه بأرض ليس فيها صخر ولا شوك فينبت ويثمر وان كان قليلاً فالزارع حامل الحكمة والبذر تعليم الحكمة فالذي يقع على حافة الطريق مثل الحكمة التي لا تتجاوز الاذان والذي ينبت على الصخر مثل الذي يسمعه المستمع من الحكمة فيستحسنه عند سماعه ويقبله ولكن لا يتأمل فيه ليثبت في قلبه فيزول اثره بعد مدة قريبة والذي يغلبه الشوك ويتلفه مثل الحكمة التي تثبت في القلب ولكن صاحبها لا يطهر نفسه من الأخلاق المذمومة ويجنبها عن الشهوات فإذا أراد العمل غلبته الشهوات وأبطلت اثر تلك الحكمة والذي يقع في أرض طيبة ليس فيها شوك مثل الحكمة التي يعيها السامع وتثبت في قلبه ويطهر نفسه من الرذائل والشهوات ويعمل بما تقتضيه تلك الحكمة (قال) ابن الملك اني لا أرجو ان يكون ما تبذره عندي أيها الحكيم ما يصادف أرضاً طيبة ليس فيها شوك فينبت وينمو ويسلم ويطيب فاضرب لي .

مثل الدنيا وغرور أهلها بها

قال بلوهر بلغنا أن رجلاً حمل عليه فيل هائج فهرب منه فرأى بئراً فتدلى فيها وتعلق بغصنين نابتين على شفيرها ونظر في البئر فرآه مملوءاً من من الحيات والعقارب ونظر في الغصنين فإذا في أصلهما جرذان يقرضانهما أحدهما أبيض والثاني اسود ونظر إلى قريب من قدميه فإذا أربع أفاعي قد خرجن من أثقابهن فتأمل في قعر البئر فإذا تنين عظيم فاتح فمه نحوه يريد أن يبتلعه فنظر في أعلى الغصنين فرأى عليهما شيئاً من عسل النحل فمد لسانه وجعل يلحس من ذلك العسل والهاه ذلك العسل اليسير بحلاوته عن التفكر في أمر الحيات الأربع اللواتي لا يدري متى يبادرن إليه فيهلكنه وعن التين الذي لا يدري كيف مصيره بعد وقوعه في لهواته (اما) البئر فالدنيا مملوءة من الآفات والبلايا والشرور (وأما) الغصنان فالعمر (وأما) الجرذان فالليل والنهار يسرعان في الأجل (وأما) الأفاعي الأربع فالاخلاط الأربعة المرة والبلغم والريح والدم (واما) التنين فالموت (وأما) العسل فما ينال من لذة الدنيا وشهواتها قال ابن الملك ان هذا المثل لعجيب وان هذا التشبيه حق فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها المتهاون بما ينفعه فيها

حكاية الرجل الذي كان له ثلاثة قرناء

قال بلوهر زعموا إن رجلاً كان له ثلاثة قرناء (فأحدهم) كان يؤثره على الناس جميعاً ويركب الأهوال والأخطار ويغرر بنفسه لأجله ويشتغل في حاجته ليله ونهاره (والثاني) كان قريباً من الأول في المنزلة (والثالث) كان محقوراً عنده مستثقلاً ليس له من وده إلا القليل فأتاه يوماً زبانية الملك يدعونه ففزع إلى قرينه الأول فقال ما أنا لك بصاحب وان لي أصحاباً يشغلونني

عنك اليوم وهم أولى بي منك ولكن ازودك بثوبين ثم فزع إلى الثاني فقال ان أمر نفسي يشغلني عنك وقد انقطع ما بيني وبينك لكني أخطو معك خطوات لا ينتفع بها ففزع إلى الثالث الذي كان يحقره ويستثقله فقال اني مستح منك ولكن الحاجة اضطرتني إليك فقال إني أواسيك وأحافظ عليك فابشر وقر عيناً فأنا صاحبك الذي لا يخذلك ولا يهمك قلة ما أسلفتني فاني كنت أحفظه لك وأتجربه وادخرت لك من ربحه أضعافه واني أرجو أن يكون بذلك رضى الملك عنك فقال الرجل ما أدري من أيهما أنا أشد حسرة من تفريطي في القرين الصالح أو اجتهادي لقرين السوء فالقرين الأول المال والثاني الأهل والولد والثالث العمل الصالح قال ابن الملك ان هذا لهو الحق المبين فزدني مثلاً للدنيا وصاحبها المغرور بها المطمئن إليها .

حكاية الذين يملّكون كل سنة عليهم رجلاً غريباً

قال بلوهر كان أهل مدينة يعمدون كل سنة إلى رجل غريب فيملكونه عليهم فيظن ان ملكه دائم فإذا مضت السنة خلعوه وسلبوه الأموال التي معه وأخرجوه عريان حافياً من مدينتهم إلى مكان مخصوص ليس عليه إلا ما يستر عورته وملكوا غيره فملكوا في بعض السنين رجلاً غريباً فلم يستأنس بهم وطلب رجلاً من أهل بلاده خبيراً بأمرهم فأخبره بما سيصير إليه أمره بعد تمام السنة وأشار عليه أن ينقل من الأموال التي بيده قبل نهاية السنة إلى ذلك المكان الذي سيخرجونه إليه فأطاعه ونقل إليه من الأموال أولاً فأولاً كلما يحتاج إليه فلما تمت السنة وأخرجوه إليه صار إلى الكفاية والسعة فالمدينة هي الدنيا والغريب الذي يدخلها هو المولود والدار التي يخرج إليها عارياً سليبا هي الآخرة والناصح هو العقل والمال الذي يخرجه هو العمل الصالح قال ابن الملك صدقت أيها الحكيم .

(قال بلوهر) وكيف لا تزهد في الدنيا وأنت ترى أنها وان كثرت إنما تجمعها أهلها لهذه الأجساد الفانية والجسد لا يستطيع مقاومة شيء فالحر يذيبه والبرد يجمده والسموم تتخلله والماء يغرقه والشمس تحرقه والهواء يسقمه والسباع تفترسه والطير ينقره والحديد يقطعه والصدم يحطمه ثم هو مترقب للأمراض والأوجاع مرتهن بها ومقارن للآفات السبع الجوع والظمأ والحر والبرد والوجع والخوف والموت

(قال ابن الملك) أرأيت القوم الذين حرقهم أبي بالنار ونفاهم أهم أصحابك ؟ (قال) نعم (قال) بلغني ان الناس اجتمعوا على عداوتهم وسوء الثناء عليهم (قال) نعم (قال) ما سبب ذلك (قال) ما عسى أن يقولوا فيمن يصدق ولا يكذب ويعلم ولا يجهل ويكف ولا يؤذي ويصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر ويبتلي فيصبر ويتفكر فيعتبر وتطيب نفسه عن الأموال والأهلين فلا تخافه الناس على أموالهم وأهليهم (قال) فكيف اتفق الناس على عداوتهم والناس بينهم مختلفون (قال) مثلهم في ذلك مثل كلاب اجتمعت على جيفة تتناهشها ويهر بعضها على بعض فدنا منها رجل فترك بعضها بعضاً وتعاوت عليه وليس له في جيفتهم حاجة (قال) ابن الملك فاعمد لحاجتي (قال بلوهر) ان الطبيب إذا رأى المريض قد أنهكته الاخلاط الفاسدة لم يغذه بالأطعمة المقوية حتى يبدأ بالحمية وإزالة تلك الأخلاط فحينئذ يقويه بالطعام (قال ابن الملك) اخبرني أيها الحكيم ماذا تصيب من الطعام والشراب (قال بلوهر)

حكاية الملك الذي غزاه آخر فهرب

زعموا ان ملكاً من الملوك عظيم الملك كثير الجند والمال بدا له أن يغزو ملكاً آخر فسار إليه بجنوده فظهر عليه واستباح عسكره فهرب مع امرأته

وأولاده فالجأه الطلب عند المساء إلى اجمة على شاطىء نهر فدخلها مع أهله وولده وسيب دوابه مخافة أن تدل عليه بصهيلها فباتوا في الاجمة وهم يسمعون وقع حوافر الخيل من كل جانب فلما أصبحوا رأوا النهر أمامهم ولا يستطيعون عبوره والعدو محدق بهم من الجهة الأخرى وليس معهم زاد فبقوا على ذلك أياماً حتى مات أحد بنيه من الجوع فألقوه في النهر فقال لامرأته إنا مشرفون على الهلاك وان بقي بعضنا وهلك البعض خير من ان نهلك جميعاً والرأي أن نذبح أحد هاؤلاء الصبيان ونأكله حتى يأتينا الفرج فذبح صبياً وجعلوا يأكلونه فما ظنك بهم أيأكلونه أكل النهم المستكثر أم أكل المضطر المستقل (قال) بل أكل المستقل (قال) كذلك أكلي وشربي .

(قال ابن الملك) أرأيت هذا الذي تدعوني إليه أيها الحكيم أهو شيء نظر الناس فيه بعقولهم حتى اختاروه على ما سواه أم دعاهم الله إليه فأجابوه (قال بلوهر) ليس هذا الأمر من قبل أهل الأرض أو برأيهم ولو كان من قبلهم لدعوا إلى عملها وزينتها ونعيمها ولذتها ولهوها ولعبها ولكنه دعوة من الله عز وجل وهدى مستقيم ناقض على أهل الأرض أعمالهم وهو مخالف لهم عائب عليهم ناقل لهم عن أهوائهم قال صدقت .

(ثم قال بلوهر) ان من الناس من تفكر قبل مجيء الرسل فأصاب وأنت منهم ومنهم من دعته الرسل بعد مجيئها فأجاب (قال ابن الملك) فهل تعلم أحداً يدعو إلى التزهيد في الدنيا غيركم (قال) أما في بلادكم فلا وأما في غيرها فيوجد قوم ينتحلون الدين بألسنتهم ولم يستحقوه بأعمالهم (قال) فبما جعلكم الله أولى بالحق منهم وإنما أتاكم هذا الأمر من حيث أتاهم (قال) الحق كله جاء من عند الله عز وجل ودعا إليه العباد فقبله قوم بحقه وشرطه حتى أدوه إلى أهله وقبله آخرون فلم يقوموا بحقه وشرطه ولم يؤدوه إلى أهله

ولم يكن لهم فيه عزيمة فضيعوه وليس المضيع كالحافظ ولا المفسد كالمصلح ولا الصابر كالجازع فمن هنا كنا أحق به منهم .

(ثم قال بلوهر) فرق بيننا وبينهم أحداثهم التي أحدثوها واخلادهم إلى الدنيا وذلك ان هذه الدعوة لم تزل تظهر مع أنبياء الله ورسله وكان أهل دعوة الحق أمرهم مستقيم لا اختلاف بينهم فكانت الرسل إذا بلغت رسالات ربها وقبضها الله إليه عند انتهاء أجلها مكثت الأمم بعدها برهة لا تغير ولا تبدل ثم صار الناس يحدثون الأحداث ويتبعون الشهوات ويضيعون العلم فكان العالم المستبصر يخفي شخصه ولا يظهر علمه خوفاً ويزداد الجهال استعلاء والعلماء خمولاً وقلة

(قال ابن الملك) فما بال الأنبياء يأتون في زمان دون زمان (قال بلوهر) مثل ذلك كمثل ملك له أرض موات فأرسل إليها رجلاً قوياً أميناً ناصحاً وأمره بإحيائها وغرسها وزرعها بأنواع من الشجر والزرع معلومة لا يتعداها وان يخرج لها نهراً ويدير عليها حائطاً لئلا يفسدها مفسد ففعل ما أمره ثم مات وأقام بعده من يقوم مقامه فخالف أهلها من أقامه القيم وغلبوه على أمره فأخربوا العمران وطموا الأنهار فيبس الغرس وهلك الزرع فلما بلغ الملك ذلك أرسل إليها من يعيدها إلى حالها الأول وكذلك حال الأنبياء في إرسالهم إلى الناس لا تخلو الأرض من أن يكون فيها من يدعو إلى الله تعالى من أنبيائه وأوصيائهم ومثل ذلك

مثل طائر في ساحل البحر يقال له « قدم »

يبيض بيضاً كثيراً ويحب الفراخ ويأتي في زمان يتعذر عليه ذلك فيذهب إلى أرض أخرى حتى ينقضي ذلك الزمان ويأخذ بيضه خوفاً من أن يهلك

فيفرقه في أعشاش الطير فتحضنه مع بيضها وتخرج فراخه مع فراخها فتألفها وتأنس بها فيمر قدم بأوكارها ليلاً فإذا سمعت فراخه صوته تبعته وتبعها ما كان الفها من فراخ غيره وتخلف عنها ما لم يألفها كذلك الأنبياء يستعرضون الناس جميعاً بدعوتهم فيجيبهم أهل الحكمة والعقل فمثل الأنبياء مثل هذا الطير ومثل فراخه مثل الحكماء ومثل ما أجاب فراخه قبل مجيئه مثل من أجاب الحكماء قبل مجيء الرسل

(قال ابن الملك) كيف قلت ان ما يأتي به الأنبياء ليس بكلام الناس مع أن كلام الله وملائكته هو كلام الناس (قال بلوهر) أما رأيت الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدونه من تقدمها وتأخرها لم يجدوها تحتمل كلامهم الذي هو كلامهم فوضعوا من النقر والصفير والزجر ما يعرفون أنها تطيقه وكذلك العباد يعجزون ان يعلموا كلام الله على كنهه فصار ما يكلمون به لمعرفة الحكمة شبيهاً بما وضع للدواب والطير ولا طاقة للناس أن ينفذوا غور كلام الحكمة بعقولهم فمن أجل ذلك تفاضل العلماء في علمهم حتى يرجع العلم إلى الله عز وجل كما ان الناس يناالون من ضوء الشمس ما ينتفعون به ولا يقدرون أن ينفذوها بأبصارهم كالعين الغزيرة ينتفع الناس بمائها ولا يدركون غورها والنجوم التي يهتدي الناس بها ولا يعلمون مساقطها

(قال ابن الملك) فما بال هذه الحكمة التي وصفتها لا ينتفع بها الناس جميعهم (قال بلوهر) مثل الحكمة مثل الشمس الطالعة على جميع الناس فمن أراد الانتفاع بها لم تمنعه ومن لم يرد الانتفاع بها فلا حجة له عليها والشمس إذا طلعت على الناس فمنهم البصير القوي البصر ينتفع بها ما شاء ومنهم الأعمى الذي لا ينفعه طلوع شمس أو شموس ومنهم الضعيف البصر الذي ينتفع

بها انتفاعاً قليلاً كذلك الحكمة يكون الناس فيها على ثلاث منازل منزلة لأهل البصر الذين يعقلون الحكمة في شمس القلوب إذا طلعت فيكونون من أهلها ويعملون بها ومنزلة لأهل العمى الذين تنبو الحكمة عن قلوبهم لإنكارهم لها وتركهم قبولها كما ينبو ضوء الشمس عن العميان ومنزلة لأهل القلوب المريضة الذين يقصر علمهم ويضعف عملهم .

(قال ابن الملك) فهل يسمع الرجل الحكمة فلا يجيب إليها زمانا ثم يجيب (قال) نعم وهي أكثر حالات الناس في الحكمة (قال) هل سمع والدي شيئاً من هذا الكلام (قال) لا أراه سمع سماعاً صحيحاً رسخ في قلبه ولا كلمه فيه ناصح شفيق قال وكيف ترك الحكماء ذلك معه (قال) لعلمهم بمواضع كلامهم بل ربما تركوه مع من هو أحسن حالاً منه حتى أن أحدهم ليعاشر الرجل عمره وبينهما الاستئناس والمودة ثم لا يفضي إليه بأسرار الحكمة لأنه لم يره لها موضعاً .

حكاية الملك ووزيره وساكن المزبلة

وقد بلغنا أن ملكاً من الملوك كان عاقلاً قريباً من الناس مصلحاً لأمورهم وله وزير عاقل صالح يعينه على الاصلاح وكان الوزير قد لقي أهل الدين وعرف فضلهم فأجابهم ولم يطلع الملك على ذلك وكان يظهر له انه على عبادة الأصنام تقية له فأراد أن يكلم الملك في ذلك اشفاقاً عليه فاستشار نصحاءه فقالوا ان رأيته موضعاً للكلام فكلمه وإلا فانما تعين على نفسك فان السلطان لا يغتر به ولا تؤمن سطوته فترقب الوزير الفرصة لذلك فدعاه الملك ليلة إلى أن يسيرا في المدينة متنكرين فمرا على مزبلة تشبه الجبل فنظرا إلى ضوء يبدو في ناحية منها فقصدا إليه فوجدا نقباً شبيهاً بالغار وفيه رجل مشوه الخلق عليه ثياب خلقة متغيرة من دخان الزبل متك على متكىء قد صنعه من الزبل وبين

يديه ابريق فخار فيه شراب وفي يده طنبور يضرب به وامرأته في خلقه ولباسه قائمة بين يديه تسقيه إذا استسقى منها وتزفن له إذا ضرب وتحييه بتحية الملوك كلما شرب وهو يسميها سيدة النساء ويصفان أنفسهما بالحسن والجمال وبينهما من السرور والطرب والضحك ما لا يوصف فعجب الملك والوزير من حالهما ثم انصرفا فقال له الملك ما أعلم انه أصابني وإياك من الفرح والسرور طول عمرنا مثل ما أصاب هذين فوجد الوزير فرصة فقال له أخاف أن يكون ملكنا وما نحن فيه من البهجة والسرور في أعين من يعرف الملك الدائم مثل هذه المزبلة وهذين الشخصين ويكون تعجبهم من اعجابنا بما نحن فيه كتعجبنا عن اعجاب هذين بما هما فيه (فقال الملك) وهل تعرف لهذه الصفة أهلاً (قال) نعم (قال) من هم ؟ (قال) أهل الدين عرفوا ملك الآخرة الدائم فطلبوه (قال) وما ملك الآخرة (قال) هو النعيم الذي لا بؤس بعده والغنى الذي لا فقر بعده والفرح الذي لا ترح بعده والصحة التي لا سقم بعدها والرضا الذي لا سخط بعده والأمن الذي لا خوف بعده والحياة التي لا موت بعدها والملك الذي لا زوال له هي دار البقاء رفع الله عن ساكنيها السقم والهرم والشقاء والمرض والجوع والظمأ والموت فهذه صفة ملك الآخرة أيها الملك (فقال الملك) وهل إلى دخول هذه الدار سبيل (قال) نعم هي مهيأة لمن طلبها (قال) ما منعك أن تخبرني بها قبل هذا اليوم قال منعتني هيبتك (قال) لئن كان الأمر كما وصفت فلا ينبغي لنا أن نضيعه وصار أمر الملك معه إلى النجاح .

ما آل الله أمر يوذاسف مع بلوهر

(قال ابن الملك) لست بمتبع بعد غير سبيل الآخرة ولقد حدثت نفسي بالهرب معك في جوف هذا الليل (قال بلوهر) كيف تستطيع صحبتي

وليس لي بيت يؤويني ولا دابة تحملني ولا أملك ذهباً ولا فضة ولا ادخر من غداء لعشاء (قال) أرجو ان يقويني الذي قواك (قال) اما انك ان أبيت إلا صحبتي كنت كالغني الذي صاهر الفقير (قال) وكيف كان ذلك (قال)

حكاية الغني الذي صاهر الفقير

زعموا ان فتى من أولاد الأغنياء أراد أن يزوجه أبوه بابنة عم له ذات جمال ومال فما مال إليها وخرج بدون ان يعلم أبوه إلى بلاد أخرى فمر في طريقه بكوخ وعلى بابه جارية واقفة عليها ثياب خلقة فأحبها وقال ابنة من أنت قالت ابنة هذا الجالس في الكوخ وهو شيخ كبير فقال له الفتى هل تزوجني بنتك هذه قال ما أنت بمتزوج ببنات الفقراء وأنت من أولاد الأغنياء قال قد أعجبتني هذه الجارية وخرجت هارباً من امرأة ذات حسب ومال أرادوا تزويجي بها فكرهتها قال الشيخ لا تطيب أنفسنا ان تنقلها عنا ولا أحسب أن أهلك يرضون ان تنقلها إليهم قال أكون معكم في منزلكم قال فاطرح عنك زيك وحلتك والبس من ثيابنا فطرح ثيابه ولبس من أطمارهم ففتش الشيخ عقله فوجده صحيح العقل فقال له اما إذا اخترنا ورضيت بنا فقم معي إلى هذا السرب فادخله فإذا خلف منزله سرب فيه بيوت ومساكن لم ير مثلها سعة وحسناً وله خزائن من كل ما يحتاج إليه فأعطاه مفاتيحها وصرفه فيها

(قال يوذاسف) اني لأرجو أن أكون أنا ذلك الفتى وأنت ذلك الشيخ (قال بلوهر) لو كان الأمر إلي لاكتفيت منك بما حصل لكن فوق رأسي سنة قد سنها أئمة الهدى في بلوغ الغاية في التوفيق لست أخالفها وأما متصرف عنك الليلة وحاضر بابك كل ليلة فذكر نفسك وتثبت واحترس من الهوى والميل إلى الشبهة وكلمني فيما يعرض لك من شبهة واعلمني رأيك في الخروج إذا أردت وافترقا

ثم جاءه في الليلة الثانية فسلم عليه وجلس ودعا له بتمام الهداية والتوفيق فرق يوذاسف لذلك الدعاء رقة شديدة ثم قال له اعلمني أيها الحكيم كم أتى لك من العمر (قال) اثنتا عشرة سنة فارتاع يوذاسف لذلك وقال كيف وأنت في منظر ابن ستين سنة (قال) أما المولد فقد راهق الستين ولكنك سألتني عن العمر وإنما العمر الحياة ولا حياة إلا بالدين والعمل ولم يكن ذلك لي إلا منذ اثنتي عشرة سنة أما قبلها فكنت ميتاً (قال) كيف تجعل الحي ميتاً (قال) لأنه شاركه في العمى والصمم والبكم وضعف الحيلة وقلة الغنى فلما شاركه في الصفة وافقه في الاسم (قال) ان كنت لا تعد حياتك تلك حياة فلا ينبغي لك ان تعد ما تتوقع من الموت موتاً (قال بلوهر) ان تغريري في الدخول عليك بنفسي مع علمي بسطوة أبيك يدلك على أنني لا أرى هذه الحياة حياة ولا ما بعدها موتاً وكيف يرغب في الحياة من ترك حظه منها أو يهرب من الموت من أمات نفسه بيده (قال) فاضرب لي مثل مشاهدة الناس وعكوفها على أصنامها قال :

حكاية صاحب البستان والعصفور

ان رجلاً كان له بستان فرأى عصفوراً واقعاً على شجرة يصيب من ثمارها فغاظه ذلك فنصب فخاً فصاده فلما هم بذبحه انطقه الله فقال أراك تهم بذبحي وليس في ما يشبعك فهل لك في خير مما هممت به قال ما هو ؟ — قال تخلي سبيلي واعلمك ثلاث كلمات هن خير لك من أهلك ومالك — قال قد فعلت (قال) لا تيأس على ما فات ولا تصدق بما لا يكون ولا تطلب ما لا تقدر عليه فخلى سبيله فطار ووقع على بعض الأشجار ثم قال للرجل لو تعلم ما فاتك مني لعلمت انه فاتك أمر عظيم قال — ما هو ؟ — قال ان في حوصلتي درة كبيضة الوزة فندم على إطلاقه (وقال) دع عنك

ما فات وانطلق معي أحسن صحبتك وأكرم مثواك (فقال العصفور) ما أراك انتفعت بالكلمات التي علمتك اياها ألم أقل لك لا تيأس على ما فات وقد ندمت على تركي ولا تصدق بما لا يكون وقد صدقت ان في حوصلتي درة كبيضة الوزة وجميعي أصغر من نصفها ولا تطلب ما لا تقدر عليه وأنت تطلب رجوعي إليك ولا تقدر عليه .

وان عبدة الأصنام زعموا انها خلقتهم ورزقتهم وهم يحفظونها من ان تسرق فطلبوا ما لا يدرك وصدقوا بما لا يكون فكانوا كصاحب البستان (قال يوذاسف) أما الأصنام فاني لم أزل عارفاً بأمرها فاخبرني بالذي تدعوني إليه .

ما يجب اعتقاده وعلمه

(قال) ادعوك إلى أن تعلم ان الله واحد ليس له شريك رب وما سواه مربوب خالق وما سواه مخلوق قديم وما سواه محدث باق وما سواه فان لا ينام ولا يأكل ولا يشرب ولا يعجز ولا يتغير ولا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان عالم بكل شيء قدير رؤوف رحيم عادل وانه مثيب لمن أطاعه معاقب من عصاه وان تعمل برضاه وتجتنب سخطه (قال) فما يرضي الواحد الخالق من الأعمال (قال) ان تطيعه ولا تعصيه وان تأتي إلى غيرك ما تحب أن يؤتى إليك وتكف عن غيرك ما تحب أن يكف عنك .

صفة الدنيا وأهلها

قال زدني تزهيداً في الدنيا وأخبرني بحالها (قال) اني لما رأيت الدنيا دار تصرف وزوال وتقلب من حال إلى حال ورأيت أهلها فيها اعراضاً للمصائب ورأيت صحة بعدها سقم وشباباً بعده هرم وغنى بعده فقر وفرحاً بعده حزن

وعزاً بعده ذل ورخاء بعده شدة وأمناً بعده خوف وحياة بعدها موت وعرفت انها منقطعة فانية وعرفت بما ظهر لي منها ما غاب عني حذرتها وفررت منها فبينما ترى المرء فيها مغتبطاً محبوراً وملكاً مسروراً في خفض ودعة ونعمة وسعة في بهجة من شبابه وعزة من سلطانه وصحة من بدنه إذا انقلبت به أسر ما كان فيها نفساً وأقر ما كان فيها عيناً فأخرجته من ملكها وغبطتها وخفضها ودعتها فأبدلته بالعز ذلاً وبالفرح ترحاً وبالسرور حزناً وبالنعمة بؤساً وبالغنى فقراً وبالسعة ضيقاً وبالشباب هرماً وبالحياة موتاً فدلته في حفرة ضيقة موحشة فريداً وحيداً غريباً قد فارق الأحبة وصار مآله بعده نهباً كأن لم يكن في الدنيا ولم يذكر فيها. (قال ابن الملك) أف لها ولمن يغتر بها (ثم قال) زدني أيها الحكيم من حديثك فانه شفاء لما في صدري « فقال »

ما يجب أن يؤدب به الإنسان نفسه

كما ان الإمام العادل يأمر رعيته بما يصلحهم وينهاهم عما يفسدهم ويكرم من أطاعه منهم ويعاقب من عصاه كذلك ينبغي للرجل اللبيب أن يؤدب نفسه في جميع أخلاقها وأهوائها وشهواتها ويحملها على لزوم منافعها مما احبت وكرهت واجتناب مضارها وان يجعل لنفسه من نفسه ثواباً وعقاباً من مكانها من السرور إذا أحسنت ومكانها من الغم إذا أساءت ومما يحق على ذي العقل النظر فيما ورد عليه من أموره والأخذ بصوابها ونهي نفسه عن خطأها وان يحتقر عمله ونفسه في رأيه لئلا يأخذه العجب ولا يرفض ما قوي عليه من العمل إذا لم يقدر على ما هو أكثر منه فاحترس من ان تدع اكتساب علم ما لم تعلم وان تخدع بما اكتسبت منه فانك في دار قد استحوذ على أكثر أهلها الشيطان بألوان من حيله ووجوه ضلالته فمنهم من ضرب على سمعه وعقله وتركه لا يعلم شيئاً ولا يسأل عن علم ما جهل كالبهيمة ومنهم

من جعل لهم اديانا مختلفة فهم مجتهدون في الضلالة حتى أن بعضهم يستحل دم بعض وماله ويموه ضلالتهم بشيء من الحق والشيطان وجنوده دائبون في إهلاك الناس وتضليلهم لا يسأمون ولا يفترون ولا يحصي عددهم إلا الله ولا يستطاع دفع مكائدهم إلا بعون منه تعالى .

صفة الباري تعالى والدليل عليه

قال صف لي الله كأني أراه (قال) ان الله لا يوصف بالرؤية ولا يبلغ القصد صفته ولا الألسن كنه مدحته ولا تحيط العباد من علمه إلا بما علمهم منه على لسان أنبيائه بما وصف به نفسه فباح للعباد من علمه بما أحب وأظهرهم من صفته على ما أراد ودلهم على معرفته بإحداث ما لم يكن واعدام ما احدث « قال » وما الحجة « قال » انك إذا رأيت شيئاً مصنوعاً غاب عنك صانعه علمت بعقلك ان له صانعاً فكذا السماء والأرض وما بينهما فأي حجة أقوى من ذلك

مسائل يوذاسف لبلوهر

(قال) اخبرني بقدر الله عز وجل يصيب الناس ما يصيبهم من الاسقام والأوجاع والفقر والمكاره أو بغير قدر (قال) بل بقدر (قال) فأخبرني عن أعمالهم السيئة (فقال) الله من أعمالهم بريء لأنه أوجب الثواب العظيم لمن أطاعه والعقاب الشديد لمن عصاه (قال) فأخبرني من أعدل الناس ومن أجورهم ومن أكيسهم ومن أحمقهم ومن أشقاهم ومن أسعدهم (قال) أعدلهم أنصفهم من نفسه وأجورهم من كان جوره عنده عدلاً وعدل أهل العدل عنده جوراً وأكيسهم من أخذ لآخرته أهبتها وأحمقهم من كانت الدنيا همه والخطايا عمله وأسعدهم من ختم عمله بخير واشقاهم من ختم له بما يسخط

الله عز وجل (ثم قال) لا تستقبحن الحسن وان كان في الفجار ولا تستحسنن القبيح وان كان في الابرار (قال) فما الحسنات والسيئات (قال) الحسنات صدق النية والعمل الصالح والقول الطيب والسيئات سوء النية وسوء العمل وسوء القول (قال) فما السخاء (قال) اعطاء المال في سبيل الله (قال) فما الكرم (قال) التقوى (قال) فما البخل (قال) منع الحقوق عن أهلها وأخذها من غير وجهها (قال) فما الحرص (قال) الاخلاد إلى الدنيا (قال) فما الصدق (قال) طريقه في الدين ان لا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها (قال) فما الحمق (قال) الطمأنينة إلى الدنيا وترك ما يدوم ويبقى (قال) فما الكذب (قال) ان يكذب المرء نفسه فلا يزال بهواه شغفاً ولمذنبه مسوفاً (قال) أي الرجال أكمل في الصلاح (قال) أكملهم في العقل وأبصرهم بعواقب الأمور وأعلمهم بخصومه وأشدهم منهم احتراساً (قال) ما تلك العاقبة (قال) بقاء الآخرة وفناء الدنيا (قال) ما أولئك الخصوم (قال) الحرص والغضب والحسد والحمية والشهوة والرياء واللجاجة (قال) أيهم أقوى وأجدر أن لا يسلم منه أحد (قال) : الحرص أقل رضا وأفحش غضبا والغضب أجور سلطاناً وأقل شكراً وأكسب للبغضاء والحسد أسوء للنية وأخلف للظن والحمية أشد لجاجة وأفظع معصية والحقد أطول توقداً وأقل رحمة وأشد سطوة والرياء أشد خديعة وأخفى اكتناناً وأكذب واللجاجة أعلى خصومة وأقطع معذرة (قال) أخبرني بالقوة التي قوى الله بها العباد على مغالبة تلك الأمور قال العلم والعقل والعمل بهما وصبر النفس على شهواتها والرجاء للثواب وكثرة الذكر لفناء الدنيا وقرب الأجل واعتبار ماضي الأمور بعاقبتها والإحتفاظ بما لا يعرف إلا عند ذوي العقول وكف النفس عن العادة السيئة وحملها على العادة الحسنة والخلق المحمود وان يكون أمل المرء بقدر عيشه فان ذلك هو القنوع والصبر والرضا بالكفاف وحسر العزاء عما فات وطيب النفس عنه

وترك معالجة ما لا يتم واختيار سبيل الرشد على سبيل الغي وتوطين النفس على أنه ان عمل خيراً جزي به وان عمل سوأ جزي به والمعرفة بالحقوق والحدود والنصيحة وكف النفس عن اتباع الهوى وركوب الشهوات وحمل الأمور على الرأي والأخذ بالحزم والقوة (قال) أي الأخلاق أكرم وأعز قال التواضع ولين الكلمة للاخوان في الله (قال) أي العبادة أحسن (قال) الوقار والمودة (قال) أي الشيم أفضل قال حب الصالحين (قال) أي الذكر أفضل (قال) ما كان في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال أي القصد أفضل (قال) الرضا بالكفاف (قال) أي الأدب أحسن (قال) أدب الدين (قال) أي شيء أجفى (قال) السلطان العاتي والقلب القاسي (قال) أي شيء أبعد غاية (قال) غاية عين الحريص الذي لا يشبع من الدنيا (قال) أي الأمور أخبث عاقبة (قال) التماس رضى الناس في سخط الرب عز وجل (قال) أي شيء أسرع تقلباً (قال) قلوب الملوك الذين يعملون للدنيا (قال) أي الفجور أفحش (قال) اعطاء عهد الله والغدر فيه (قال) أي شيء أسرع انقطاعاً (قال) مودة الفاسق (قال) أي شيء أخون (قال) لسان الكاذب (قال) أي شيء أشبه بحال الدنيا (قال) أحلام النائم (قال) أي الرجال أفضل رضى (قال) أحسنهم ظناً بالله وأتقاهم وأقلهم غفلة عن ذكر الله وذكر الموت (قال) أي شيء من الدنيا أقر للعين (قال) الولد الأديب والزوجة المواتية المعينة على أمر الآخرة (قال) أي الداء الزم في الدنيا (قال) الولد السوء والزوجة السوء التي لا يجد منها بداً (قال) أي الخفض أخفض (قال) رضى المرء بحظه واستئناسه بالصالحين .

« ثم قال له » ابن الملك فرغ لي ذهنك فقد أردت سؤالك عن أهم الأشياء عندي بعد إذ بصرني الله ما كنت به جاهلا (قال) سل عما بدا لك «قال» أرأيت من أوتي الملك طفلا ودينه عبادة الأوثان وغذي بلذات الدنيا حتى صار كهلا

وجهل أمر آخرته وعادى أهل الدين هل تطمع له في النزوع عما هو عليه « قال » قد عرفت هذه الصفة وما دعاك إلى هذه المسألة فصاحب هذه الصفة هو الملك والذي دعاك إلى هذه المسألة الشفقة عليه من عذاب الله « قال » نعم قال أنا لا نبعد مخلوقاً من رحمة خالقه ولا نيأس له منها ما دام فيه الروح وان كان عاتياً عاصياً لما وصف الله به نفسه من الرأفة والرحمة وأمر به من الإستغفار والتوبة .

حكاية الملك الذي كان ظالماً ثم صار عادلاً

زعموا انه كان ملك عادل عالم صالح فلما مات حزنت عليه رعيته وكان بامرأته حبل فأخبر المنجمون والكهنة أنه ذكر فلما ولد أقاموا سنة بالمعازف والملاهي فقال لهم أهل العلم والدين ان كان هذا المولود هبة من الله فقد جعلتم الشكر لغيره وإن كان من غير الله فقد أديتم الحق فقالوا ما وهبه لنا إلا الله فقال لهم العلماء فقد أسخطتم الله عليكم بما فعلتم « قالوا » فما نصنع « قالوا » يجب أن تشتغلوا بشكر الله وطاعته ضعف ما اشتغلتم بشكر الشيطان ففعلوا فقالت الكهنة ان الذي صنعته الأمة على هذا المولود يخبر انه يكون فاجراً باراً متجبراً متواضعاً مسيئاً محسناً من قبل اللهو والمعازف وما صنع عليه بعكس ذلك وقال المنجمون مثلهم وعللوه باستقامة الزهرة والمريخ فنشأ الغلام متكبراً لاهياً ظالماً حتى بلغ اثنتين وثلاثين سنة فأمر ببناء مجلس مقابل مطلع الشمس وفرشه بصفائح الذهب والفضة وزينه بأنواع الجواهر والفرش وستور الديباج وجمع عساكره وعظماء دولته وغلمانه وجواريه وأمرهم أن يلبسوا أفخر الثياب ويتزينوا بأحسن زينتهم ثم صعد إلى مجلسه فخروا له ساجدين ثم دعا بمرآة لينظر حسن صورته فلاحت له في رأسه شعرة بيضاء فذعر منها وحزن وقال هذه مقدمة الموت ونزل عن مجلسه

حافياً وقال لجنوده وعظماء دولته قد طرقني عدو واحتجت إلى نصرتكم قالوا كلنا طوع أمرك قال انه أتاني رسول الموت وأمر بملازمتي حتى يأتيني فهل تقدرون على دفعه عني قالوا وما هو هذا الرسول قال هذا البياض قالوا لا قدرة لنا عليه فأراد التخلي عن الملك والانقطاع للعبادة فمنعوه من ذلك فتاب عما سلف منه وتاب عظماء دولته فأخصبت بلادهم وقهروا أعداءهم وما زالوا بخير حتى هلك ذلك الملك وعمره أربع وستون سنة (فقال يوذاسف) قد سررت بهذا الحديث فزدني من مثله (فقال بلوهر) :

حكاية الجمجمة

انه كان ملك من الملوك الصالحين وله جنود يخشون الله ويعبدونه وكان الناس معه في شدة من زمانهم وينتقص العدو من بلادهم وكان له ولد قد عاهد الله ان أتاه الملك ان يعمل بطاعة الله وبالعدل فلما مات الملك وملك بعده ولده قهر عدوه وصلحت بلاده وانتظم له أمر الملك فابطره ذلك وأطغاه حتى ترك عبادة الله وكفر نعمته وأسرع في قتل من عبد الله وخالف ما كان عاهد الله عليه وكان في أصحابه رجل صالح وهو أفضل أصحابه منزلة عنده وكان يتوجع له لكنه يخاف عتوه وجبروته فدخل ذات يوم على الملك بجمجمة قد لفها في ثيابه فلما جلس أخرجها ووضعها بين يديه ثم وطئها برجله فدنس بساط الملك مما تحات منها فغضب الملك لذلك لكنه ملك غضبه وتأنى ثم لف الجمجمة في ثوبه وخرج ثم فعل مثل ذلك في اليوم الثاني والثالث فلما رأى أن الملك لا يسأله عن شيء ادخل معها ميزاناً وتراباً وصنع بها كالأول ثم أخذ الميزان فجعل في احدى كفتيه درهما وفي الأخرى تراباً بوزنه ثم جعل التراب في عين الجمجمة ثم أخذ حفنة تراب ووضعها في موضع الفم فسأله الملك عما أراد بذلك فخر له ساجداً وقال أسألك أيها الملك أن تقبل علي

بعقلك كله فان مثل الكلمة مثل السهم إذا رمي به في أرض لينة ثبت فيها وإذا رمي به في الصفا لم يثبت ومثلها كمثل المطر إذا أصاب أرضاً طيبة مزروعة نبت فيها الزرع وإذا أصاب السباخ لم ينبت وان أهواء الناس مختلفة والهوى والعقل يصطرعان فان غلب الهوى العقل عمل المرء بالطيش والسفه وان غلب العقل والهوى لم يوجد من ذلك الرجل سقطة واني لم أزل منذ كنت غلاماً أحب العلم وأرغب فيه بينما أنا ذات يوم أطوف بين القبور إذ أبصرت هذه الجمجمة في قبور الملوك فأخذتها وألبستها الديباج ونضحتها بماء الورد ووضعتها على السرير وقلت ان كانت من جماجم الملوك فسيؤثر فيها اكرامي لها وترجع إلى جمالها وبهائها وان كانت من جماجم المساكين لم يؤثر فيها فعلت بها ذلك مراراً فلم تتغير فدعوت أخس عبيدي فأهنتها فإذا هي على حالة واحدة عند الاكرام والإهانة فسألت الحكماء عنها فلم أجد عندهم علماً فقلت أسأل الملوك فجئتك ولم يكن لي أن أسألك قبل أن تبتدئني ولما أعياني أمرها فكرت في عينها التي كان لا يملؤها شيء فإذا قد ملأها وزن درهم من تراب وفي فمها الذي لم يكن يملؤه شيء فإذا قد ملأته حفنة تراب فأحب أن تخبرني أهي جمجمة ملك أو مسكين وكيف تكون جمجمة مسكين وقد وجدتها في مقابر الملوك وإذا جمعنا جماجم الملوك وجماجم المساكين لم نجد لجماجمكم فضلاً وإذا كانت من جماجم الملوك فقد كان صاحبها من الجمال والبهاء مثل ما أنت فيه اليوم فحاشاك أن تصير إلى حال هذه الجمجمة توطأ بالأقدام وتخلط بالتراب ويأكلك الدود فبكى الملك وخشع وقال جزاك الله عني خيراً وجزى هاؤلاء الذين حولي شراً وتاب عما كان فيه « قال يوذاسف » زدني من هذه الأمثال (قال باوهر) :

حكاية ابن الملك الذي زهد في الدنيا

زعموا ان ملكاً كان لا يولد له فلم يدع شيئاً مما يعالج به الناس أنفسهم حتى فعله فلم ينفع وطال عليه ذلك وغمه ثم حملت امرأة له فولدت غلاماً فلما ترعرع خطا ذات يوم خطوة فقال : تهرمون ثم خطا أخرى فقال : ثم تموتون ثم عاد كهيأته يفعل فعل الصبي فسأل الملك العلماء والمنجمين عن خبر الصبي فلم يكن عندهم علم إلا واحداً قال انه سيكون إماماً فجعل أبوه عليه الحرس فلما شب انسل من الحرس وأتى السوق فإذا جنازة قال ما هذا قالوا إنسان مات قال ما أماته قالوا كبر وجاء أجله فمات قال وكان صحيحاً حياً يمشي ويأكل ويشرب قالوا نعم ثم مضى فإذا شيخ هرم قال ما هذا قالوا شيخ فني شبابه وكبر قال وكان صغيراً ثم شاب قالوا نعم ثم مضى فإذا مريض قال ما هذا قالوا مريض قال وكان صحيحاً فمرض قالوا نعم قال لئن كنتم صادقين فان الناس لمجانين وافتقده الحراس فإذا هو في السوق فأخذوه وادخلوه البيت فاستلقى على قفاه ينظر إلى خشب السقف ويقول كيف هذا قالوا كانت شجرة نبتت ثم صارت خشباً ثم قطع فوضع في السقف فبينما هو في كلامه إذ أرسل الملك إلى الموكلين به انظروا ماذا يتكلم فأخبروه بقوله وقالوا ما نظنه إلا وسواساً فدعا العلماء فسألهم فلم يكن عندهم فيه علم إلا الرجل الأول فلم يعبئوا بقوله فقيل للملك لو زوجته لذهب ما به فزوجه امرأة من أجمل النساء فلما أخذوا في وليمة العرس جعل اللاعبون يلعبون والزمارون يزمرون فلما سمع الغلام جلبتهم وأصواتهم قال ما هذ قالوا هؤلاء لعابون وزمارون جمعوا لعرسك فسكت فلما أمسوا دعا الملك زوجة ابنه وقال لها انه ليس لي ولد غير هذا الغلام فإذا دخلت عليه فالطفي به واقربي منه وتحببي إليه فلما دخلت عليه أخذت تدنو منه فقال على رسلك

فان الليل طويل باركك الله فيك واصبري حتى نأكل ونشرب ودعا بالطعام فجعل يأكل فلما فرغ جعلت المرأة تشرب فلما أخذ الشراب منها قام الغلام وخرج من البيت وانسل من الحرس حتى خرج وتردد في المدينه فلقيه غلام مثله فاتبعه وألقى ابن الملك ثيابه ولبس بعض ثياب الغلام وتنكر وخرجا جميعاً وسارا ليلتهما إلى الصباح ثم كمنا ودخلوا على الجارية عند الصبح فوجدوها نائمة قالوا أين زوجك قالت كان عندي مساء ولا أعلم أين ذهب فطلب الغلام فلم يقدروا عليه وجعل هو وصاحبه يسيران الليل ويكمنان في النهار حتى خرج من سلطان أبيه إلى سلطان ملك آخر وكان له بنت قد جعل أمرها بيدها تتزوج من تختاره وبنى لها غرفة على الطريق لتنظر إلى كل من أقبل وأدبر فنظرت إلى الغلام يمشي مع صاحبه في السوق في خلقانه فهويته وأرسلت إلى أبيها أنها تريد التزوج به وبلغ ذلك أمها ففرحت فقال الملك ارونيه فرآه من بعيد فأمر أن يلبس ثياباً فاخرة ويؤتى به إليه ففعلوا فسأله عن حاله فقال وما سؤالك عني أنا رجل من مساكين الناس قال أنت غريب وما يشبه لونك لون أهل هذه المدينة قال ما أنا بغريب وعالجه ان يصدقه فأبى فأمر أن يراقب من حيث لا يعلم وقال الملك لزوجته اني أظنه ابن ملك وما له حاجة فيما تراودونه عليه ثم بعث إليه فقيل له الملك يدعوك قال ما أنا والملك ليدعوني ومالي إليه حاجة فأخذ قهراً وأدخل على الملك فأجلسه على كرسي وأجلس امرأته وابنته خلف الستر فقال له الملك دعوتك لخير ان لي ابنة رغبت فيك وأريد تزويجها منك فان كنت مسكيناً أغنيناك ورفعناك قال ما لي في ذلك حاجة وان شئت ضربت لك مثلاً قال افعل قال :

حكاية الذي سكر ونام بين الأموات

زعموا ان ملكاً من الملوك كان له ابن ولابنه أصدقاء فدعوه إلى وليمة

فأكلوا وشربوا حتى سكروا وناموا فاستيقظ ابن الملك نصف الليل وهو سكران فعاد إلى منزله فبينا هو سائر إذ مر بمقبرة وفيها ناووس مفتوح وفيه أموات كثيرة فظنه بيته فدخله فإذا بريح الموتى فظنه لسكره طيباً وإذا بعظام فحسبها فرشاً فنام عليها ورأى جسداً مات حديثاً وقد اروح فظنه أهله فاعتنقه وقبله وجعل يعبث به عامة ليله فلما أفاق رأى نفسه على جسد ميت وبين جثث الأموات وعظامهم وريحهم المنتن وقد دنس ثيابه وبدنه فخرج وبه من السوء ما يختفي منه من الناس فوجد باب المدينة مفتوحاً فدخله حتى أتى أهله ورأى من نعمة الله عليه انه لم يره أحد فنزع ثيابه واغتسل ولبس غيرها وتطيب عمرك الله أيها الملك أتراه راجعاً إلى ما كان فيه وهو يستطيع قال لا قال فاني أنا هو فالتفت الملك إلى زوجته وابنته وقال : قد أخبرتكما انه ليس له فيما تدعوانه إليه رغبة فقالت الزوجة : لقد قصرت أيها الملك في نعت ابنتي ووصفها له ولكنني خارجة إليه ومكلمته فقال له الملك ان امرأتي تريد أن تخرج إليك وتكلمك ولم تخرج إلى أحد قبلك فخرجت وجلست وقالت للغلام تعال إلى ما ساق الله إليك من الرزق والخير فازوجك ابنتي فانك لو رأيتها وما قسم الله لها من الجمال والبهاء لاغتبطت فقال الغلام للملك أفلا أضرب لك مثلاً قال بلى قال

حكاية الذين سرقوا خزانة الملك

ان سراقاً اتعدوا ان يدخلوا خزانة الملك ليسرقوا منها فنقبوا حائط الخزانة ودخلوا فنظروا إلى متاع لم يروا مثله ورأوا قلة من ذهب مختومة فقالوا لا نجد شيئاً أفضل منها فاحتملوها ومضوا فدخلوا غيظة وفتحوها فإذا فيها أفاع فوثبت عليهم فقتلتهم جميعاً عمرك الله أيها الملك أفترى أحداً علم بما أصابهم وما لقوا من تلك القلة ويراجع النظر إليها قال لا قال فاني أنا هو

(فقالت) الجارية لأبيها ائذن لي فأخرج إليه بنفسي وأكلمه فانه لو نظر إلى جمالي وهيأتي لم يتمالك أن يجيب فقال له ان ابنتي تريد أن تخرج إليك ولم تخرج إلى أحد قبلك فخرجت إليه وهي أحسن الناس وجهاً فقالت للغلام هل رأيت مثلي قط أتم وأجمل وأكمل وأحسن وقد هويتك وأحببتك فنظر الغلام إلى الملك وقال ألا أضرب لك مثلاً قال بلى قال :

حكاية ابن الملك الذي خلص أخاه من الأسر

زعموا ان ملكاً كان له ابنان فأسر أحدهما ملك آخر فحبسه وأمر أن لا يمر عليه أحد إلا رماه بحجر ثم ان أخاه قال لأبيه ائذن لي فأنطلق إلى أخي فأفديه واحتال له فأذن له وأخذ معه ما شاء من مال ومتاع ودواب وذهب بزي التجار فلما دنا من مدينة الملك خرج الناس إليه فنشر متاعه وأمر غلمانه أن يبيعوا الناس ويسامحوهم في البيع فلما شغل الناس بالبيع خرج متخفياً ودخل المدينة وقد علم أين سجن أخيه فاتاه وأخذ حصاة ورماها لينظر ما بقي من نفس أخيه فصاح حين أصابته الحصاة قتلتني ففزع الحراس وسألوه لم صحت من هذه الحصاة الصغيرة وكل يوم ترمى بأعظم منها ولا تتكلم قال ان الناس كانوا من أمري على جهالة ورماني هذا على علم فانصرف أخوه راجعاً وقال للناس إذا كان غد فأتوني انشر عليكم بزاً ومتاعاً لم تروا مثله فلما كان الغد أمر بنشر البز الفاخر فاشتغلوا به فأتى أخاه وقطع أغلاله وأخرجه من المدينة وداوى جراحاته حتى برء ودله على الطريق وقال انطلق فانك ستجد سفينة قد نشرت لك أعلامها في البحر فاركبها وامض إلى أبيك فبينما هو سائر في الطريق إذ وقع في جب فيه تنين وعلى الجب شجرة نابتة فاحتال حتى تعلق بغصن من أغصانها وسار حتى أتى البحر وركب السفينة وأتى أهله عمرك الله أيها الملك أتراه عائداً إلى ما كان عاين قال لا قال فاني أنا هو فينسوا منه فجاءه الغلام الذي صحبه

فساره وقال اذكرني لها فقال للملك ان هذا يقول ان أحب الملك ان ينكحني ابنته فعل قال لا أفعل قال أفلا أضرب لك مثلا قال بلى قال :

حكاية الرجل الذي تزوج الغول

ان رجلا ركب سفينة مع جماعة فانكسرت سفينتهم بقرب جزيرة فيها الغيلان فغرقوا كلهم سواه والقاه البحر إلى الجزيرة فهوي غولا وتزوجها فلما كان السحر قتلته وقسمت أعضاءه بين صواحباتها فاتفق مثل ذلك لرجل آخر فأخذته ابنة ملك الغيلان فبات معها وقد علم ما جرى على الرجل قبله فليس ينام حذراً فلما كان السحر نامت فانسل حتى أتى الساحل فإذا بسفينة فاستغاث بهم فحملوه إلى أهله واصبحت الغيلان وقالوا أين الرجل الذي كان معك قالت هرب قالوا كذبت بل أكلته واستأثرت به علينا فلنقتلنك أو تأتينا به فمرت في الماء حتى أتت منزله فقالت له ما لقيت من سفرك هذا قال لقيت بلاء خلصني الله منه وقص عليها ذلك فقالت وقد تخلصت قال نعم قالت أنا الغول قد جئت لأخذك فناشدها الله أن تهلكه وقال أدلك على رجل مكاني فانطلقا حتى دخلا على الملك فقالت اني تزوجت هذا الرجل وهو من أحب الناس إلي وقد كرهني فلما رآها الملك أعجبه جمالها فسار الرجل وقال ان أحببت أن تتركها فأتزوجها قال نعم أصلح الله الملك ما تصلح إلا لك فتزوجها الملك وبات معها فما كان السحر ذبحته وقطعته وحملته إلى صواحباتها افترى أيها الملك أحداً علم بهذا ثم انطلق إليه فقال لا فقال الخاطب للغلام اني لا أفارقك ولا حاجة لي فيما أردت فخرجا من عند الملك يعبدان الله ويسيحان في الأرض فهدى الله بهما أناساً كثيرة واشتهر أمر الغلام في الآفاق وبلغ خبره والده فأرسل إليه واجتمع به هو وأهله فاستنقذهم مما كانوا فيه .

ما انتهى إليه أمر يوذاسف

ثم ان بلوهر جعل يختلف إلى يوذاسف حتى عرف أنه فتح له الباب ودله على الصواب ثم تحول من تلك البلاد وبقي يوذاسف حزيناً مغتماً ثم أرسل الله إليه ملكاً من الملائكة فتمثل له وقال أتيتك بالتحية من الحق فخر ساجداً شكر الله تعالى فقال له اني آتيك بعد أيام فتهيأ للخروج ثم جاءه الملك ليلا وامره بالذهاب فبينا هو يريد الركوب جاءه شاب جميل من عظماء بلادهم فقال أين تذهب وتتركنا فأقم عندنا فانا كنا منذ ولدت في رخاء وكرامة فقال له يوذاسف أمكث أنت في بلادك وذكر أهلها أما أنا فذاهب حيث بعثت ثم ركب وسار مسافة طويلة ثم نزل عن فرسه ونزع عنه لباس الملك ودفعه إلى وزيره الذي خرج معه ودفع إليه الفرس والياقوتة التي كان يجعلها في يده وقال له أعطها إلى والدي واقرأه السلام وافترقا فتقدم يوذاسف أمامه حتى بلغ فضاء واسعاً فرأى شجرة عظيمة على عين ماء وقد اجتمع عليها من الطيور والعصافير ما لا يحصى فسر بذلك وفسر الشجرة بالبشرى التي دعا إليها والعين بالحكمة والعلم والطير بالناس الذين يجتمعون إليه ويقبلون منه الدين ثم سار في بلاد الهند يدعو إلى الله حتى أتى قشمير فسار فيها داعياً ومبشراً حتى أتاه الأجل واهتدى به عالم كثير .

تمت قصة بلوهر الحكيم ويوذاسف ابن ملك الهند .

* * *

(١٤) في بعض المجاميع عن الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للجلال السيوطي — ما نصه — حديث خرافة . الترمذي في الشمائل عن عائشة أن النبي (ص) حدث ذات ليلة نساءه حديثاً فقالت امرأة منهن هذا حديث خرافة قال أتدرون ما خرافة أن خرافة كان رجلا من عذرة أسرته الجن فمكث فيهم

دهرا ثم ردوه إلى الانس فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة (أقول) كثيراً ما يقال حديث خرافة للأمر الباطل كما قال بعض المشركين .

حياة ثم موت ثم نشر حديث خرافة يا أم عمرو

فان صح هذا الحديث كان في قولها ما لا يخفى .

* * *

(١٥) وجدنا على ظهر نسخة من كتاب البيان للشهيد رحمه الله فرغ من كتابتها في العشرين من ربيع الأول سنة ٨٨٩ هـ ما صورته .

قتل المصنف رحمه الله بدمشق برحبة القلعة مما يلي سوق الخيل ضحى يوم الخميس تاسع شهر جمادى الأولى وبقي معلقاً هناك إلى قرب العصر ثم أنزل وأحرق وذلك سنة ست وثمانين وسبعمائة .

وعلى ظهرها أيضاً قال ولد المصنف سمعت والدي يقول هو (أي البيان) أحسن الثلاثة أعني الذكرى والدروس وهذا .

وعلى ظهرها أيضاً : أنهاه أيده الله قراءة وفهما وشرحاً وفقه الله وإيانا لمراضيه وأعانه وإيانا على امتثال أوامره والإنزجار عن نواهيه في عدة مجالس آخرها نهار الجمعة رابع ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وثمان مائة هجرية على مشرفها السلام وكتب افقر عباد الله تعالى حسين بن علي بن الحسام حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

* * *

(١٦) يظهر أن مجلس الشراب عندهم كان يلزمه وجود الريحان فيه كما يدل عليه قول أبي نواس :

مساحب من جر الزقاق على الثرى واضغاث ريحان جني ويابس

وقول مطيع بن أياس الكناني عند موته وكان يرمى بالزندقة

لهف نفسي على الزمان وفي أي زمان دهتني الأزمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيـ ـف وطاب الطلاء والريحان

الطلاء الخمر

استخراج لطيف

(١٧) ذكر جماعة من علماء العامة والخاصة أن الحمرة في السماء لم تر قبل قتل الحسين عليه السلام وقال ابن سيرين في بيان وجه الحكمة في ظهور الحمرة ان الله تعالى غضب لقتل الحسين عليه السلام والعادة في الغضبان أن تظهر الحمرة في وجهه ولما كان هذا محال على الله تعالى لأنه من صفات الأجسام أظهره في بعض مخلوقاته العظيمة وهو السماء انتهى .

عجيبة

(١٨) يوجد في قرية قريبة من مدينة أصفهان تسمى (كارلاوان) منارتان شاهقتان في الغاية بينهما ايوان عالٍ والجميع مبنية بالجص والآجر وتحت الإيوان قبر لا يعلم صاحبه ويسمى ذلك (منار جُنْبان) أي المنارتان المتحركتان أو محرك المنارتين فإذا صعد شخص على احدى المنارتين أيهما كانت وجعل يهزها بقوة تحركت تلك المنارة ومالت من تحريكه وتحركت المنارة الأخرى بحركتها والإيوان المتخلل بينهما والأساس الحامل لذلك والأرض المتضمنة لذلك ومن كان واقفاً على الأرض مع أنه من المستحيل عادة تحرك مثل ذلك بمثل هذا المحرك الضعيف ولا يعلم السر فيه ذكر ذلك كله السيد الأصفهاني في روضات الجنات وقال رأيت بعيني ميل المنارتين عند تحريكهما مع جميع البقعة إلى

اليمين واليسار بشيء غير يسير مع تباعد ما بين المنارتين ولقد كنت آخشى من سقوطهما عند ميلهما كذلك فلا يصيبهما أدنى وهن انتهى (أقول) وسألت أنا من الثقات من أهل أصفهان وغيرهم من شاهد المنارتين وتحركهما كما ذكر فصدقه .

الألفاظ الفارسية في لسان أهل سورية

(١٩) من عهد قديم ولا يبعد أن تكون جملة منها من عهد دارا حينما ملك سوريا إذ لا يعلم مبدأ دخولها في لغتهم وأكثرهم لا يعرف أن أصلها فارسي بخلاف الألفاظ الفارسية التي تدور على لسان أهل العراق التي هي بسبب اختلاطهم الكثير بالفرس في الأزمنة الأخيرة وبخلاف الألفاظ التركية التي في لسان أهل سورية والعراق التي حدثت من بعد حكم الأتراك هذه البلاد وهذه جملة من الألفاظ الفارسية في لسان أهل سورية .

(١ زنزرخت) شجر مخصوص معرب (زن درخت) أي شجرة النساء ولعل تسميته بذلك لأن له ثمراً تداوي به النساء شعورهن (٢ كمر) للهميان أصله (كمر بند) أي حزام الصلب (٣ كشتبان) للذي يضعه الخياط في اصبعه معرب (انكشتبان) أي ما يوضع في رأس الاصبع (٤ طربوش) معرب (سربوش) أي لباس الرأس (٥ سرماية) للخف معرب (سرباي) أي ما يلبس في رأس الرجل (٦ بابوج) لنوع من الخف معرب (باي بوش) أي لباس الرجل (٧ مصطبة) للدكة معرب (مهتابه) أي محل ضوء القمر لأنه يجلس عليها في الليالي المقمرة (٨ برش) لتكاثر الشيء من كلام أو رصاص أو نحوها (٩ بشكير) لمنديل مسح اليد معرب (بيش كير) (١٠ غليون) مغرب قليان (١١ بربيش) معرب (بي بيش) أي القصبة المتقدمة إلى الامام (١٢ فشك) لروث الدواب معرب (فشكل) (١٣ برداية)

للستارة معرب (بردة) (١٤ نيشان) العلامة (١٥ بخشيش) العطاء معرب (بخشيدن) (١٦ دندانة) معرب (دان دان) أي قطعة قطعة (١٧ يغمة) للنهب والغارة (١٨ سيبة) معرب (سه بابه) أي ذات الثلاث الأرجل (١٩ سراي) لدار الحكومة (٢٠ هندازة) معرب اندازة للمقياس (٢١ اجكره) معرب آشكار وقد يطلع المتتبع على أكثر من ذلك .

* * *

(٢٠) جدول أسماء الشهور الرومية وعدد أيامها وأسماء البروج الاثني عشر واليوم الذي تنتقل فيه الشمس إلى كل برج منها ومدة بقائها في ذلك البرج ومعرفة ان القمر في أي برج منها :

الأشهر الرومية	عدد أيامها	البروج	وقت وجود الشمس في كل برج منها	
آذار	٣٠	حمل	من ١٣ آذار	إلى ١٤ نيسان
نيسان	٣٠	ثور	« ١٥ نيسان	« ١٤ أيار
أيار	٣٠	جوزاء	« ١٥ أيار	« ١٢ حزيران
حزيران	٣٠	سرطان	« ١٣ حزيران	« ١٢ تموز
تموز	٣١	أسد	« ١٣ تموز	« ١٦ آب
آب	٣١	سنبلة	« ١٧ آب	« ١٤ أيلول
أيلول	٣٠	ميزان	« ١٥ أيلول	« ١٤ تشرين الأول
تشرين الأول	٣١	عقرب	« ١٥ تشرين الأول	« ١٤ « الثاني
تشرين الثاني	٣٠	قوس	« ١٥ « الثاني	« ١٢ كانون الأول
كانون الأول	٣١	جدي	« ١٣ كانون الأول	« ١٢ « الثاني
كانون الثاني	٣١	دلو	« ١٣ كانون الثاني	« ١٢ شباط
شباط	٢٨	حوت	« ١٣ شباط	« ١٢ آذار

فإذا أردت أن تعرف القمر في أي برج من هذه الاثني عشر فانظر إلى ما مضى من أيام الشهر العربي كم هي وزد عليها بقدرها ثم زد على المجموع خمسة والذي يجتمع قسمه على البروج خمسة خمسة وابدأ بالبرج الذي تكون الشمس فيه فالقمر في البرج الذي لا يبقى له خمسة فان بقي أقل من خمسة فالقمر في ذلك البرج الذي بقي له أقل من خمسة . مثلاً إذا كنت في صفر وقد مضى منه عشرون يوماً فزد عليها مثلها تصير أربعين ثم زد عليها خمسة تصير خمسة وأربعين فإذا كنت في الخامس عشر من تموز مثلاً فالشمس في برج الأسد فابدأ به واقسم الخمسة والأربعين عليه وعلى ما بعده خمسةخمسة فيتم من البروج تسعة آخرها الحمل فيكون القمر في برج الثور وإذا كان قد مضى من صفر مثلاً سبعه عشر يوماً فأضف عليها مثلها تصير أربعة وثلاثين فاقسمها على الأبراج خمسة خمسة مبتدئاً ببرج الأسد الذي فيه الشمس حتى تنتهي إلى برج الدلو فيتم خمسة وثلاثون ويبقى أربعة فالقمر في برج الحوت .

* * *

(٢١) في ذيل امالي القالي : حدثنا أبو الحسن جحظة قال قال الشعبي ما لقينا من علي ان أحببناه قتلنا وان ابغضناه كفرنا . وحدثنا أبو بكر بن أبي الأزهر حدثنا الزبير اخبرنا ابن ميمون عن أبي مالك قال قال ابن هرمة :

مهما ألام على حبهم فاني أحب بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكما ت والدين والسنن القائمه

فلقيه بعد ذلك رجل فسأله من قائلها فقال من عض ببظرامه فقال ابنه أبت ألست قائلها قال بلى قال فلم شتمت نفسك قال أليس الرجل يعض بظرامه خيراً له من أن يأخذه ابن قحطبة انتهى ومنه يعلم ما كان يحصل من الخوف لمن يتظاهر بحب العلويين في تلك الاعصار .

(ويشبه ذلك) ما حكاه ابن عساكر في تاريخه عن رزيق بتقديم الراء المهملة على الزاي مولى علي بن أبيطالب (ع) انه وفد على عمر بن عبد العزيز فقال يا أمير المؤمنين إني رجل من أهل المدينة وقد حفظت القرآن والفرائض وليس لي ديوان فقال من أي الناس أنت فقال رجل من موالي بني هاشم قال مولى من قال رجل من المسلمين قال أسألك من أنت وتكتمني قال أنا مولى علي بن أبي طالب وكانت بنو أمية لا يذكر علي بين أيديهم فبكى عمر حتى وقعت دموعه على الأرض وقال أنا مولى علي حدثني سعيد بن المسيب عن سعد ان النبي (ص) قال لعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى رواه بهذه القصة البيهقي ورواه أبو القاسم من طريق آخر بلفظ من كنت مولاه فعلي مولاه ثم أمر له بجائزة اه .

* * *

(٢٢) قال بعض الحكماء : ثلاثة ليس فيهم حيلة فقر يخالطه كسل وعداوة يداخلها حسد ومرض يمازجه هرم .

ملحق بفصل الأجوبة المسكتة المتقدم

أجوبة عبد الله بن عباس لعبد الله بن الزبير

(٢٣) ذكر غير واحد من المؤرخين منهم ابن أبي الحديد في شرح النهج ان عبد الله بن الزبير لما قطع ذكر رسول الله (ص) من الخطبة جمعاً كثيرة لامه الناس فقال : ان له أهيل سوء إذا أنا ذكرته اتلعوا أعناقهم فأحب أن أكبتهم وعاتبه قوم من خاصته على ذلك فقال ما تركته علانية إلا وأنا أقوله سراً ولكني رأيت بني هاشم إذا سمعوا ذكره اشرأبوا واحمرت ألوانهم وطالت رقابهم والله ما كنت آتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه والله لقد هممت ان احظر لهم حظيرة ثم اضرمها عليها ناراً فاني لا أقتل منهم إلا آثماً كفاراً سحاراً لا انماهم الله ولا بارك عليهم بيت سوء لا أول لهم ولا آخر لهم والله ما ترك نبي الله فيهم خيراً استفرغ صدقهم فهم أكذب الناس .

فبلغ ذلك ابن عباس فخرج مغضباً ومعه ابنه حتى أتى المسجد فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله (ص) ثم قال : أيها ان ابن الزبير يزعم أنه لا أول لرسول الله ولا آخر فيا عجباً كل العجب لافترائه وكذبه ان أول من أخذ الايلاف وحمى عير قريش لهاشم وان أول من سقى بمكة عذباً وجعل باب الكعبة ذهباً لعبد المطلب والله لقد نشأت ناشئتنا مع ناشئة قريش وانا كنا لقالتهم إذا قالوا وخطباءهم إذا خطبوا وما عد مجد كمجد أولنا ولا كان في قريش مجد لغيرنا لانها في كفر ما حق ودين

فاسق وضلة وضلالة في عشواء عمياء حتى اختار الله لنا نوراً وبعث لنا سراجاً فانتجبه طيباً من طيبين لا يسب بمسبة ولا يبغى عليه غائلة فكان أحدنا وولدنا وعمنا وابن عمنا ثم ان أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ثم تلاه في السبق أهلنا ولحمتنا واحد بعد واحد ثم انا لخير الناس بعده أكرمهم أدباً وأشرفهم حسباً وأقربهم منه رحماً واعجباً كل العجب لابن الزبير يعيب بني هاشم وإنما شرف هو وأبوه وجده بمصاهرتهم اما والله انه لمصلوب قريش ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب (قيل للبغل من أبوك يا بغل قال خالي الفرس) ثم نزل

وخطب ابن الزبير بمكة وابن عباس تحت المنبر مع الناس فقال : ان ها هنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره يزعم أن المتعة حلال من الله ورسوله ويفتي في القملة والنملة وقد احتمل بيت مال البصرة بالأمس وترك المسلمين بها يرتضخون النوى وكيف ألومه في ذلك وقد قاتل أم المؤمنين وحواري رسول الله (ص)

فقال ابن عباس لقائده سعيد بن جبير بن هشام مولى بني أسد بن خزيمة استقبل بي وجه ابن الزبير وارفع من صدري وكان قد كف بصره فاستقبل به وجهه واقام قامته فحسر عن ذراعيه ثم قال يا ابن الزبير :

قد أنصف القارة من راماها انا إذا ما فئة نلقاها
نرد اولاها على اخراها حتى تصير حرضا دعواها

فأما العمى فان الله تعالى يقول (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) واما فتياي في القملة والنملة فان فيهما حكمين لا تعلمهما أنت ولا أصحابك واما حملي المال فانه كان مالاً جبيناه فاعطينا كل ذي حق حقه وبقيت بقية هي دون حقنا في كتاب الله فأخذنا حقنا وأما المتعة

فسل أمك اسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة واما قتالنا أم المؤمنين فبنا سميت أم المؤمنين لا بك ولا بأبيك فانطلق أبوك وخالك إلى حجاب مده الله عليها فهتكاه عنها ثم اتخذاها فتنة يقاتلان دونها وصانا حلائلهما في بيوتهما فلا انصفا الله ولا محمداً من أنفسهما إذ ابرزا زوجة نبيه وصانا حلائلهما واما قتالنا إياكم فانا لقيناكم زحفاً فان كنا كفاراً فقد كفرتم بفراركم منا وان كنا مؤمنين فقد كفرتم بقتالكم إيانا وايم الله لولا مكان صفية فيكم ومكان خديجة فينا لما تركت لبني أسد بن عبد العزى عظماً إلا كسرته .

فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي فقالت ألم أنهك عن ابن عباس وعن بني هاشم فانهم كعم الجواب إذا بدهوا قال بلى وعصيتك فقالت يا بني احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الانس والجن واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها فاياك واياه آخر الدهر فقال في ذلك ايمن بن خزيم ابن فاتك الأسدي :

يا ابن الزبير لقد لاقيت بائقة ... من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشمياً طاب منبته ... في مغرسيه كريم العم والخال
ما زال يقرع منك العظم مقتدراً ... على الجواب بصوت مسمع عالي
حتى رأيتك مثل الكلب محتجراً ... خلف الغبيط وكنت الباذخ العالي
ان ابن عباس المعروف حكمته ... خير الانام له حال من الحال
عيرته المتعة المتبوع سنتها ... وبالقتال وقد عيرت بالمال
لما رماك على رسل بأسهمه ... جرت عليك كسوف الحال والبال
فاحتز مقولك الأعلى بشفرته ... حزاً وحيّاً بلا قيل ولا قال
واعلم بأنك ان عاودت عيبته ... عادت عليك مخازيات اذيال

استدراك للجزء الأول
من معادن الجواهر

(٢٤) كتب إلينا العالم الجليل المجاهد المحامي عن حوزة الدين الإسلامي والمؤلف الشهير الشيخ محمد الجواد البلاغي النجفي حفظه الله وشكر سعيه صاحب كتاب الهدى إلى دين المصطفى والرحلة المدرسية وغيرهما من المؤلفات العزيزة النظير بعد اطلاعه على الجزء الأول من هذا الكتاب بهذه الملاحظات فأثبتناها هنا شاكرين له ذلك قال حفظه الله : في هذه الأيام تشرفت بالجزء الأول من معادن الجواهر فتشرفت بالنظر إليه جميعاً فكان من واجب حقك ان اذاكرك في بعض الموارد منه في هذا المكتوب لعلما يؤدي رأيك الشريف إلى إثباته في الأجزاء الآتية :

ففي ص ٤١ س ١٢ — ١٣ من الجزء الأول (فاسعوا في مناكبها) والذي في سورة الملك (فامشوا في مناكبها) — المؤلف — هذا من سهو القلم واصلح في جدول الخطأ والصواب الذي في هذا الجزء .

وفي ص ٤٨ ش ٢ و ٣ من الجزء المذكور في ذكر بلعم بن باعور (آتيناه اياتنا) التي كان من جملتها انه كان بحيث إذا نظر يريد العرش كما نقله جماعة من العلماء (قال) لم أجد هذا فيما هو لنا من كتب التفسير ولا في الكشاف وفيه من التجسيم للعرش ما لا يقبل التأويل ويا ليت كتابك الشريف لم يذكر هذا ولم ينسبه إلى العلماء بقول مطلق (المؤلف) لم يقم برهان على عدم تجسيم العرش ولوفرض فليكن حال هذا حال (الرحمن على العرش استوى . إلى ربها ناظرة) .

ونحن نسبناه إلى جماعة من العلماء كما في مسودة كتابنا القديمة ولم يتيسر لنا الآن معرفة من قال ذلك من العلماء لعدم وجود كتبنا عندنا ولا غيرها .

وفي ص ٨٣ س ٢٣ وص ٧٤ س ١ — ٣ من الجزء المذكور حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً فكان ينبغي أن يقال إلى الكعاب كما قيل إلى المرافق لما كان في كل يد مرفق واحد (والجواب) ان كلا العبارتين صحيحة فالجمع باعتبار جماعة المكلفين والتثنية باعتبار كل مكلف الخ . .

(قال) : والجواب لا ينبغي في بيان مذهب الإمامية ورفع الإبهام عنه ان يقال إلى الكعاب وذلك لأن جمع الكعاب صادق أيضاً على ما يقول الجمهور حتى على تفكيك الجمع والخطاب باعتبار التكليف إلى كل مكلف لأنهم يقولون ان الكعاب المقصودة في كل مكلف أربعة : ولكن لا تحسن النكتة في العدول إلى تثنية الكعبين ومخالفة السياق إلا لبيان ما ذهب إليه الامامية بأن يرفع عنه الابهام الحاصل بما ذكرناه من صدق جمع الكعاب على ما يقوله الجمهور على كل تقدير . فثنى الكعبين باعتبار كل مكلف بياناً للحقيقة التي يقول بها الامامية وهو ان الكعب قبة القدم ولكل مكلف كعبان لا أربعة (فان قالوا) ان هذا معارض بالمثل فان جمع الكعاب صادق على ما يقوله الامامية كصدقه على ما نقوله فثنى الكعبين باعتبار كل رجل رفعاً للابهام وبياناً لما نذهب إليه (قلنا) هذه المعارضة ساقطة فانه يحسن تفكيك الجمع وتحليله إلى كل واحد من المكلفين المخاطبين وذلك لأن الخطاب والتكليف ينحلان إلى الخطابات والتكاليف المتعددة بتعدد المكلفين والمخاطبين ولا يحسن تفكيك الأرجل في هذا السياق إلى كل رجل بانفرادها فانه لا يعرف في صحيح

الكلام أو فصيحه اغسل يديك واغسلوا أيديكم إلى المرفق أو امسح أو اغسل رجليك أو امسحوا أو اغسلوا أرجلكم إلى العقب مثلاً مما هو مختص برجل واحدة بل الصحيح أن يقال اغسل كل واحدة أو كلا من يديك إلى المرافق أو اغسل يديك كل واحدة أو كلاً منهما إلى المرفق وكذا الكلام في اغسلوا يديكم وكذا امسح أو اغسل رجليك أو امسحوا أو اغسلوا أرجلكم إذا جعلت الغاية ما يختص بالرجل الواحدة .

(المؤلف) إذا كان الخطاب ينحل إلى خطابات متعددة بتعدد المكلفين فهو في الكل فلا يحسن ان يقال اغسلوا أيديكم إلى المرافق بل إلى المرفقين لأن كل مكلف له مرفقان لا مرافق وإذ كان لا يحسن ولا يعرف في فصيح الكلام ان يقال اغسل يديك إلى المرفق فلا يحسن ولا يعرف في فصيح الكلام اغسل يديك إلى المرافق فلا بد من عدم التفكيك والتحليل في اغسلوا أيديكم والنظر إلى عموم المكلفين والمخاطبين ليصح الجمع في المرافق فليكن كذلك وامسحوا أو اغسلوا أرجلكم فالنظر في الكل لا بد أن يكون إلى عموم المكلفين وتحليل الخطاب إلى خطابات لا ينبغي التعويل عليه في الجواب بل يقال ان التعبير بالجمع في كلا المقامين صحيح كالتعبير بالتثنية فالجمع باعتبار عموم المكلفين والتثنية باعتبار كل مكلف لكن خص الجمع بالمرافق لعدم الاشتباه وخصت التثنية بالكعبين لدفع توهم إرادة الكعاب الأربعة في كل مكلف وهذا يصلح ان يكون نكتة لتغيير العبارة لا حجة على أن المراد الكعبين من رجلين كما نقوله ولا حجة لمن يقول المراد الكعبين من كل رجل كما يقوله غيرنا إذ كما يمكن إرادة الكعبين من كل مكلف يمكن إرادة الكعبين من كل رجل وإنما حجتنا قول أهل البيت عليهم السلام وهذه النكتة تصلح جواباً لمن يريد أن يعترضنا فيقول لو كان الأمر كما قلتم لم يبق فرق بين المرفق في اليد والكعب في الرجل فلماذا جمع أحدهما وثنى الآخر

وفي الحاشية من صفحة ٤٥٠ سطر ٢ – ٣ من الجزء المذكور توفى الشيء أخذه تاماً (قال) كما ذكره المحققون من اللغويين وذكروا منه :

ان بني الادرد ليسوا لأحد ولا توفاهم قريش في العدد

فلماذا لا يقال ان التوفي المذكور في القرآن الكريم جار على هذا المعنى وان اختلفت مصاديق الأخذ مع دلالة القرائن على المراد من المعنى العام وعبر فيها بالتوفي إشارة إلى القدرة في مواردها على الأخذ للشيء وافياً بلا معارض ولا تنقيص وان المأخوذ هو بمنزلة الحق الذي هو للمستوفي فيكون الأخذ من عالم الأحياء بالموت ومن عالم اليقظة بالنوم ومن عالم الأرض بالرفع إلى السماء مع أن صحة ما في القرآن واستقامته كما هو الشأن في شرف القرآن الكريم مبنية على هذا كما سيأتي

(المؤلف) إذا كان معنى التوفي في الأصل أخذ الشيء وافياً واستعماله في حقه تعالى من باب تنزيل المأخوذ بالحق المستوفى فهذا دخول في باب المجاز الواسع الذي يسع كل تصرف وتأويل وتشبيه وتنزيل مناسب ولكن إدارة الأخذ من عالم الحياة بالموت ومن عالم اليقظة بالنوم ومن عالم الأرض بالرفع إلى السماء بمجردها لا تناسب ما لم يلحظ فيها أخذ شيء تاماً كما لا لا يخفى .

وفي السطر ٣ – ٤ – ٥ من حاشية هذه الصفحة لأنه تعالى استوفى منه مدته التي وقتت له في الدنيا وأخذها منه كاملة إلى آخره (قال) المستوفي للمدة والأجل والآخذ لذلك إنما هو الإنسان والله المعطي لذلك بفضله هو الموفي كما يرشد إلى ذلك موارد الاستعمال في استيفاء الأجل والمدة وان المديون يستوفي مدته المعطاة له والدائن يستوفي الحق فشتان بين المدة والأجل وبين الحق في نسبة الاستيفاء والتوفي كما لا يخفى .

(المؤلف) كما يمكن نسبة استيفاء المدة إلى الإنسان يمكن نسبتها إليه تعالى وكما يمكن أن يقال توفى الإنسان مدته بمعنى أخذها وافية تامة يمكن أن يقال توفى الله مدة العبد أي أكملها له وجعلها وافية تامة وأخذها منه كذلك لسعة باب المجاز والتشبيه والتنزيل كما قدمنا .

وفي س ٥ -- ٦ -- ٧ منها فمعنى الآية والله أعلم انه تعالى يتوفى الأنفس عند الموت وعند النوم تشبيهاً للنوم بالموت إلى آخره (قال) هذه الآية الكريمة هي تشهد للحقيقة فان كلمة يتوفى المتعدية إلى الأنفس عند موتها وإلى التي لم تمت بل في منامها هي كلمة واحدة فكيف تتعلق بالأولى بمعنى الاماتة وبالثانية بمعنى التشبيه للنوم بالموت فهل يجوز استعمال اللفظ في الحقيقة والمجاز وأكثر من معنى واحد والالتجاء إلى عموم المجاز لا محل له مع عموم المعنى الحقيقي والقول بتقدير يتوفى ثانياً لدلالة يتوفى المتقدمة لا يجدي تحشمه أيضاً لأن المحذوف المدلول عليه في مثل المقام يجب أن يكون بمعنى الموجود الدال مضافاً إلى انك لا ترضى لمجد القرآن الكريم ان يقول يميت الأنفس عند موتها ولا ترضى لفضله أن يقول في قوله حتى يتوفاهن الموت حتى يميتهن الموت

(المؤلف) حيث ان التوفي معناه الحقيقي ليس هو الاماتة بل استيفاء المدة واستعمل في الاماتة لتضمنها استيفاء المدة فلا يلزم ما ذكر لو سلم عدم صحة الاستعمال في المعنى الحقيقي والمجازي الشائع في الكلام ولا يلزم ان يكون معنى يتوفى الأنفس عند موتها يميتها عند موتها ولا معنى يتوفاهن الموت يميتهن الموت .

وفي س ٨ منها متوفيك أي مستوف آجلك (قال) :

قد تقدم القول في استيفاء الأجل وما هو المانع من أن يقال على المعنى

الحقيقي اللغوي الذي ليس فيه تكلف تقدير آخذك أي من عالم الأرض ومن بين البشر ورافعك إلي أي إلى عالم السماء وعناية الله الخاصة بنوع حياته

(المؤلف) قد مر ان المعنى الحقيقي اللغوي هو أخذ الشيء تاماً فالمانع من إرادة ما ذكر عدم اشتماله على أخذ شيء تاماً الذي لا بد منه كما مر .

وفي س ٩ منها — ويمكن كون متوفيك بمعنى ممتيك في وقتك الخ . . (قال) :

هذا المعنى نقله الكشاف عن بعض وليت شعري لماذا عدل هذا القائل عن المعنى الحقيقي وتجشم هذا التأويل وماذا يصنع بحكاية القرآن لما هو قبل نزوله بزمان ماض وهو قوله تعالى في أواخر سورة المائدة : وإذ قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني — قال سبحانك — ما قلت لهم — فلما توفيتني : فهل يؤخر هذا التوفي إلى ما بعد نزوله من السماء

(المؤلف) له اسوة بتأخير النفخ في الصور في قوله تعالى ونفخ في الصور إلى ما بعد فناء العالم .

وفي صفحة ٢٤٨ سطر ٤ واليمية (قال) وفيما رأيته من كتب الحنفية تسمى المشتركة (المؤلف) ونحن نقلنا اسمها هذا من كتبهم .

وفيها س ٤ — ٥ وهذا إنما يتم على القول بالتعصيب (قال) اختلف فقهاؤهم الأربعة في هذه المسألة فاثنان أحدهما أبو حنيفة لم يوافقا عمر على تشريك الأشقاء مع الأخوة للأم وخلافهما له أوفق بقواعدهم فيما ادعوه من دلالة الكتاب المجيد على توريث الاخوة للأم معها بفريضة قوله تعالى في الآية الخامسة عشرة من سورة النساء (وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة الآية) واثنان من الأربعة أحدهما مالك في موطئه وافقا عمر في التشريك

وليس للتعصيب المتفق عليه عندهم دخل في هذه المسألة لأن الاخوة من الأم لا يعدونهم من العصبة ولا يرثون عندهم بالتعصيب بلى بالفرض كما ذكرناه عنهم (واما تشريك الأشقاء) هنا فليس من التعصيب أيضاً عندهم لأن الارث بالتعصيب عندهم إنما يكون فيما زاد عن الفرائض والفرائض عندهم هاهنا مستوعبة للتركة . فليس تشريك الأشقاء ها هنا إلا رأياً لا ينطبق حتى على ما عندهم من قواعدهم التي ينسبونها إلى الكتاب والسنة . إذن فلا حاجة إلى تتميم ما لا يتم بوجه لا يتم عندهم أيضاً (وقال مالك) في الموطأ في ميراث الاخوة للأب والام ان الاخت والاختين في كلالة الأبوين إذا كان معهما أخ فلا فريضة لأحد من الاخوات ويبدىء بمن شركهم (كذا) بفريضة مسماة فيعطون فرائضهم فما فضل بعد ذلك من شيء كان بين الاخوة للأب والام للذكر مثل حظ الانثيين إلا في فريضة واحدة لم يكن لهم فيها فاشتركوا فيها مع بني الأم في ثلثهم . ثم ذكر هذه المسألة المشتركة . ثم علل فتواه بالتشريك فيها بقوله من أجل أنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه وانما ورثوا بالأم . وذكر الآية الخامسة عشرة من سورة النساء في الكلالة . وقال ولذلك شركوا في هذه الفريضة لأنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه انتهى ولا ينبغي أن يخفى ما في كلامه واحتجاجه بالآية الكريمة (أما أولاً) فلأنه لو كانت الآية تدل على تشريكهم في فريضة الثلث لكونهم أخوة للأم وورثوا بالأم لما صح قوله إلا في فريضة واحدة لم يكن لهم فيها شيء (وأما ثانياً) فان اجماع المسلمين منعقد حتى من عمر في هذه القضية قبل اعتراض الأشقاء على أن المراد من الأخ والأخت والأكثر من ذلك في هذه الآية إنما هم الأخوة من الأم وحدها وهذا الإجماع هو الذي ميز بين هذه الكلالة وبين الكلالة المذكورة في آخر سورة النساء وان مالكاً نفسه في الموطأ في مسألة ميراث الأخوة للأم وحدها صدرها بقوله الأمر المجمع عليه عندنا إلى أن قال فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء

في الثلث ثم احتج بالآية الكريمة المذكورة (وأما ثالثاً) فلأنه ليس في الآية الكريمة لفظ الأخوة من الأم لكي يتشبث باطلاقه رغماً على الإجماع المذكور بل ان الذي فيها انما هو واو الضمير الذي في كانوا الذي يعود على ما يتحصل من لفظ الأخ والأخت ومن المعلوم الذي يعترف به ان المراد الأخ والأخت من الأم خاصة اذن فمن أين جاء التعليل لتشريك الأشقاء بقوله لأنهم كلهم أخوة المتوفى لأمه (المؤلف) لا يحضرنا الآن ما يمكننا معه معرفة صحة ابتنائها على التعصيب وعدمها (انتهت الملاحظات).

تم الجزء الثاني من كتاب معادن الجواهر ونزهة الخواطر في علوم الأوائل والأواخر وكان الفراغ من تبييض أكثره في المبيضة الثانية ضحى يوم الإثنين التاسع من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٩ هجرية ببلدة النباطية التحتا من جبل عامل واكماله بمدينة دمشق ضحى يوم الجمعة السابع من شهر ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة على يد مؤلفه الفقير إلى عفو ربه الغني محسن الحسيني العاملي غفر الله ذنوبه وستر عيوبه والله تعالى هو المسؤول ان يكون مكتوباً عنده في ديوان الحسنات والمرجو ممن نظر فيه اسبال ذيل الستر على ما يجده من خطأ أو خطل فالإنسان محل الخطأ والنسيان وان لا يسرع إلى الإعتراض والتفنيد قبل اعمال الفكر والروية والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

ويتلوه «انش» في الجزء الثالث (الباب السابع) في التاريخ وفيه تاريخ جبل عامل من ابتداء الحروب الصليبية إلى اليوم وبعده (الباب الثامن) في الشعر والأدب وبه يتم الكتاب «انش» وهذا ما استقر عليه الرأي أخيراً في ترتيب أبواب الكتاب وكان في النية إدخال بعض التراجم فيه ثم عزمنا على تأليف كتاب الذريعة إلى معرفة أعيان الشيعة فدخلت فيه وفق الله تعالى لإكماله وآخر دعوانا: أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرست

الصفحة

٥ المقدمة

٧ الاحتجاجات وما يجري مجراها — احتجاج المأمون على الفقهاء في فضل علي (ع)

١٧ رد المرتضى على من شنعوا على الشيعة فيما انفردوا فيه

١٩ ما يورد على الشيعة في انتسابهم في الفروع إلى جعفر الصادق (ع) والرد على السويدي خاصة

٢٢ سعي نادر شاه مع الدولة العثمانية للاعتراف بالمذهب الشيعي

٢٥ المعتزلة

٢٦ الأشاعرة

٢٨ جملة من القضايا العجيبة التي قضى بها أمير المؤمنين (ع)

٤٩ الملح والنوادر والأجوبة المسكتة — نوادر القضاة وأخبارهم المستطرفة

٦١ نوادر المعلمين وأخبارهم وما قيل فيهم من الشعر

٦٦ نوادر المتنبئين وأخبارهم المستطرفة

٧١ نوادر الطفيليين وأخبارهم المستطرفة

٧٤ أشعار الطفيليين

٧٦ ما نقشه الطفيليون على خواتيمهم

٧٧ وصايا الطفيليين نظماً

الصفحة

٧٨ وصايا الطفيليين نثراً
٨٠ ما جاء في الضيف الذي يطيل المقام
٨١ أخبار الطفيليين ونوادرهم
٨٦ أخبار ابن دراج الطفيلي
٨٧ أخبار بنان الطفيلي
٨٩ أخبار أشعب
٩٠ نوادر البخلاء وأخبارهم المستطرفة
٩٦ ما قيل في البخلاء من الشعر
٩٩ نوادر الحمقى والمغفلين ــ حمقى قريش
١٠٠ القبائل المشهورة بالحمق
١٠١ حمقى العرب ومن اشتهر بالحمق منهم
١٠٢ نوادر الاعراب
١٠٤ نوادر أهل حمص
١٠٧ نوادر حمزة بن بيض
١٠٨ نوادر جحا
١١١ نوادر أزهر الحمّار ــ نوادر ابن الجصاص
١١٢ نوادر القراء والمصحفين
١١٦ نوادر الأمراء والولاة
١١٧ نوادر الكتاب والحجاب ــ المؤذنين ــ أئمة الجماعة
١٢٠ نوادر النحويين
١٢١ نوادر الشعراء ــ القصاص
١٢٣ نوادر الأطباء

الصفحة

١٢٥ نوادر المرضى ــ الزهاد والمتعبدين
١٢٧ نوادر الفقهاء ومدعي الفقه
١٢٨ نوادر من سأل الفقهاء
١٢٩ نوادر المغفلين على الإطلاق
١٣٦ نوادر الأذكياء ومستطرف أخبارهم
١٣٧ الأذكياء من الملوك والولاة والأشراف
١٣٩ أخبار اياس بن معاوية
١٤١ الأذكياء من العلماء
١٤٢ أخبار أبي حنيفة
١٤٤ الأذكياء من الاعراب
١٤٧ الأذكياء من الصبيان
١٤٨ الأذكياء من النساء
١٤٩ الأذكياء من سائر الناس
١٥٠ من استعمل التورية والمعاريض في كلامه
١٥٢ نوادر الظرفاء وأخبارهم
١٥٨ الظرفاء من الاعراب
١٦٠ نوادر أشعب ــ الظرفاء من العلماء والأدباء
١٦٣ نوادر الأعمش
١٦٦ نوادر محمد بن مطروح الأعرج ــ الشعبي
١٦٧ الظرفاء من الشعراء
١٦٩ نوادر أبي دلامة
١٧٢ الظرفاء من الغلمان

الصفحة

١٧٣ الظرفاء من المجانين
١٧٥ الأجوبة المسكتة ـ أجوبة أمير المؤمنين علي (ع)
١٧٦ أجوبة عقيل بن أبي طالب
١٧٨ أجوبة ابن عباس لعائشة بعد حرب الجمل ـ لمعاوية
١٧٩ أجوبة أبي الأسود الدئلي
١٨٢ أجوبة الناس لمعاوية
١٨٨ أجوبة مسلم بن عقيل لعبيد الله بن زياد
١٨٩ جواب علي بن الحسين (ع) لعبيد الله بن زياد ـ جواب زينب (ع) لابن زياد ـ جواب علي بن الحسين (ع) ليزيد بن معاوية
١٩٠ جواب عمرو بن الحسن (ع) ليزيد بن معاوية ـ أجوبة زيد ابن علي (ع) لهشام بن عبد الملك
١٩١ أجوبة سعيد بن جبير للحجاج
١٩٢ أجوبة أبي العيناء
١٩٧ أجوبة مؤمن الطارق
١٩٨ أجوبة لجماعة متفرقين
٢٠٦ نوادر الكسالى والمتنابل
٢٠٧ في أمور متفرقة ـ كتاب نادر
٢١٣ كتاب آخر نادر
٢٣١ كتاب عنوان المعارف وذكر الخلائف للصاحب بن عباد
٢٥٣ بقية الخلفاء العباسيين زيادة عما في كتاب الصاحب بن عباد
٢٦٣ الخلفاء العباسيون بمصر
٢٦٥ الدولة الفاطمية بمصر

الصفحة

٢٧٩ الدولة العثمانية

٣٢٥ ملوك ايران ـ الدولة الصفوية

٢٣٢ الدولة الافشارية

٢٣٣ الدولة الزندية

٢٣٥ الدولة القاجارية

٣٤٠ الدولة البهلوية

٣٤٤ الرحلة الحجازية الأولى

٣٨٦ الرحلة الحجازية الثانية

٤٠٥ المفاخرة بين الغنى والفقر

٤٢٣ المفاخرة بين السيف والقلم

٤٣٦ المفاخرة بين العلم والمال

٤٥٣ المفاخرة بين الراحة والتعب

٤٦٣ قصة كسرى ووزيره بهرام

٤٩٠ قصة بلوهر الحكيم ويوذاسف

٥٢٧ متفرقات

٥٣٤ ملحق بفصل الأجوبة المسكتة ـ أجوبة عبد الله بن العباس لعبد الله بن الزبير

٥٣٧ استدراك للجزء الأول

طبع على مطابع
دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت ـ لبنان
تلفون : ٣٠٣٠٧٥ / ٧ ص . ب . ٩٣٧